الكاتب # ١ الذي حققت رواياته أعلى المبيعات
طبقا لصحيفة نيويورك تايمز

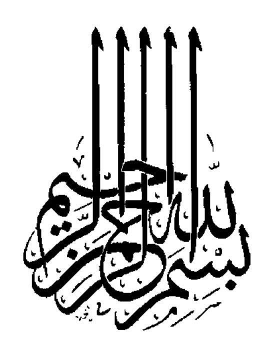


جون غريشام

المؤسسة

«إثارة، سرعة وتشويق... رحلة تستحق أن تسافرها».
- جريدة سان فرانسيسكو كرونيكل

المؤسسة



الكاتب # ١ الذي حقّقت رواياته أعلى المبيعات طبقاً
لصحيفة نيويورك تايمز

المؤسسة

جون غريشام





المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)
ص. ب ٣١٩٦ — تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
الرياض ١١٤٧١ — فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)
شارع العليا — تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+
شارع الأحساء — تليفون ٤٧٧٣١٤٠ ١ ٩٦٦+
الحياة مول — تليفون ٢٠٥٧٠١٠ ١ ٩٦٦+
طريق الملك عبدالله (حي الحمرا) — تليفون ٢٧٨٨٤١١ ١ ٩٦٦+
الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦) — تليفون ٢٧٥٤٧١٠ ١ ٩٦٦+

القصيم (المملكة العربية السعودية)
شارع عثمان بن عفان — تليفون ٣٨١٠٠٢٦ ٦ ٩٦٦+

الخبر (المملكة العربية السعودية)
شارع الكورنيش — تليفون ٨٩٤٣٣١١ ٣ ٩٦٦+
مجمع الراشد — تليفون ٨٩٨٢٤٩١ ٣ ٩٦٦+

الدمام (المملكة العربية السعودية)
الشارع الأول — تليفون ٨٠٩٠٤٤١ ٣ ٩٦٦+

الأحساء (المملكة العربية السعودية)
المبرز طريق الظهران — تليفون ٥٣١١٥٠١ ٣ ٩٦٦+

جدة (المملكة العربية السعودية)
شارع صاري — تليفون ٦٨٢٧٦٦٦ ٢ ٩٦٦+
شارع فلسطين — تليفون ٦٧٣٢٧٢٧ ٢ ٩٦٦+
شارع التحلية — تليفون ٦٧١١١٦٧ ٢ ٩٦٦+
شارع الأمير سلطان — تليفون ٢٣٨٢٠٥٥ ٢ ٩٦٦+
شارع عبدالله السليمان (جامعة بلازا) — تليفون ٦٨٧٢٧٤٣ ٢ ٩٦٦+

مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)
أسواق الحجاز — تليفون ٥٦٠٦١١٦ ٢ ٩٦٦+

المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية)
جوار مسجد القبلتين — تليفون ٨٤٦٦٧٦١ ٤ ٩٦٦+

الدوحة (دولة قطر)
طريق سلوى – تقاطع رمادا — تليفون ٤٤٤٠٢١٢ ٩٧٤+

أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)
مركز الميناء — تليفون ٦٧٣٣٩٩٩ ٢ ٩٧١+

الكويت (دولة الكويت)
الحولي – شارع تونس — تليفون ٢٦١٠١١١ ٩٦٥+

موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على :
jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠٠٧

THE FIRM

JOHN GRISHAM





١

. . . .

أخذ الشريك الرئيسى يدرس السيرة الذاتية للمرة المائة ، ومرة أخرى لم يجد شيئاً لم يعجبه بخصوص ميتشل . واى . ماكدير ، على الأقل ليس على الورق . كان يمتلك الذكاء والطموح والمظهر الجيد . كان شخصاً شغوفاً بالمال ؛ لابد أن يكون كذلك نظراً لخلفيته الاجتماعية . كان متزوجاً ، وكان ذلك شرطاً إلزامياً . إن الشركة لم تعين يوماً محامياً غير متزوج ، وكانت تنزعج بشدة عند طلاق أى من محاميها ، وكذلك إذا علمت بكون أحدهم له علاقات نسائية أو مدمن كحوليات . وكان قبول اختبار الكشف عن المخدرات شرطاً من شروط التعاقد . كان لديه شهادة فى المحاسبة ، ونجح فى اجتياز امتحان المحاسبين من المرة الأولى ، حيث كان يريد أن يصبح محامى ضرائب وكان النجاح فى امتحان المحاسبين من المتطلبات المطلوبة للعمل بشركة قانونية متخصصة بالضرائب . كان أبيض اللون ، ولم تكن الشركة قد عينت من قبل محامياً أسود . ولقد نجحوا فى ذلك عن طريق التصرف بسرية وكتمان وعدم حاجتهم إلى استجداء خدمات المحامين . كانت الشركات الأخرى تعين المحامين السود . أما هذه الشركة فكانت منذ إنشائها لا تعين سوى الموظفين ذوى البشرة البيضاء . إلى جانب ذلك ، فقد كان مقر الشركة فى ممفيس ، وكان المتفوقون من المحامين السود يرغبون

بالعمل فى نيويورك أو واشنطن أو شيكاغو . كان ماكدير رجلا ولم يكن هناك أية محاميات فى الشركة . ولقد ارتكبت الشركة ذلك الخطأ مرة واحدة فى منتصف السبعينات عندما قاموا بتعيين الخريج الأول على جامعة هارفارد وتصادف أن يكون ذلك الخريج امرأة ، وكانت عبقرية فى حسابات الضرائب . ولقد استمرت بالعمل فى الشركة أربع سنوات وكانت كتلة من التمرد حتي توفيت فى حادث تحطم سيارة .

كان يبدو جيدا ، على الورق . وكان اختيارهم الأول . فى الواقع ، لم يكن هناك منافسون حقيقيون فى هذا العام ، حيث كانت القائمة مختصرة للغاية . كان الاختيار ينحصر بين تعيين ماكدير أو عدم تعيين أى شخص .

قام الشريك المسئول عن الإدارة ، رويس مكنايت بدراسة ملف كتب فوقه " ميتشل . واى . ماكدير هارفارد " ، كان سمك الملف حوالى البوصة وكان به بعض الأوراق المطبوعة والصور ، وقد قام بإعداد ذلك الملف بعض عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية (سى . أى . إيه) السابقين والذين يعملون فى مكتب تحقيقات خاص فى بيسيسدا . كانوا عملاء للشركة وكانوا يقومون بتلك التحرياتٍ فى كل عام بدون أتعاب . قالوا إن التحرى عن ميتشل كان عملاً سهلاً ، حيث قاموا بسؤال بعض من طلبة كلية الحقوق غير المرتابين . وقد علموا ، على سبيل المثال ، انه يفضل أن يعيش فى الشمال الشرقى من البلاد ، وأن لديه ثلاثة عروض للعمل ، اثنين فى مدينة نيويورك والثالث فى شيكاغو ، وأن أعلى راتب عرض عليه هو ٧٦ ألف دولار سنوياً وأقل راتب هو ٦٨ ألف دولار سنوياً . لقد كان مطلوباً . ولقد سنحت له الفرصة لكى يغش فى امتحان الأوراق المالية خلال السنة الثانية لكلية الحقوق ، ولكنه رفض ذلك ، وحاز على أعلى درجة فى ذلك الامتحان . ومنذ شهرين عرض عليه احدهم أن يتعاطى المخدرات فى حفل جامعى بكلية الحقوق .

رفض العرض وغادر الحفل عندما بدأ الجميع في التعاطى . كان يشرب المشروبات الخفيفة ، ولكن الخمور كانت غالية الثمن وهو لا يمتلك المال . كان مدينا بمبلغ ٢٣ ألف دولار نظير مصروفات الجامعة . لقد كان بحاجة ملحة إلى المال .

أخذ رويس مكنايت يقلب بين أوراق الملف ثم ابتسم . لقد كان ماكدير مطلبهم المنشود .

كان لامار كوين يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما ولم يكن قد أصبح شريكاً في الشركة بعد . كان قد تم جلبه للعمل لكي يبدو صغيرا ويتصرف كشاب صغير ولكي يضفي لمحة شبابية على شركة بندينى ، لامبرت . آند . لوك ، والتي كانت في الواقع شركة شابة ، لأن معظم الشركاء كانوا قد تقاعدوا مبكراً في الأربعين أو الخمسين وفي حوزتهم الكثير من المال لكي يستثمروه . سوف يصبح شريكاً في هذه الشركة يوما ما . وبدخل سنوى يبلغ ستة أرقام حتى نهاية حياته ، سيصبح بمقدور لامار أن يستمتع بحلته المحاكة له خصيصاً والتي يبلغ ثمنها ألفاً ومائتي دولار ، والتي تبدو متناسقة مع مظهره الرياضي وقامته المرتفعة . أخذ يخطو في عدم اكتراث أمام جناح الإجتماعات الذى يساوى إيجاره في اليوم ألف دولار وصب لنفسه قدحاً آخر من القهوة . تفقد ساعته . ثم نظر إلى الشريكين اللذين يجلسان على طاولة الاجتماعات الصغيرة بالقرب من النافذة .

في تمام الساعة الثانية والثلث نقر أحدهم فوق الباب . نظر لامار إلى الشريكين ، اللذين وضعا السيرة الذاتية وملف التحريات داخل حقيبة مستندات . قام الرجال الثلاثة بارتداء ستراتهم . أغلق لامار زرّ سترته العلوى وفتح الباب .

" ميتشل ماكدير ؟ " ، هكذا تساءل وعلى وجهه ابتسامة عريضة ويده ممدودة إلى الإمام .

قال ميتشيل : " نعم " . تصافح الرجلان بحرارة .

" سعيد برؤيتك يا ميتشل . أنا لامار كوين " .

" وأنا سعيد برؤيتك . يمكنك أن تناديني ميتش " . دلف ميتش إلى الداخل وبسرعة دارت عيناه تتفقدان الغرفة الواسعة .

" بالتأكيد ، يا ميتش " جذبه لامار من كتفه برفق ورافقه إلى الناحية الأخرى من الجناح ، حيث قام الشريكان بتقديم نفسيهما . كانا يتصرفان بدفء وود مبالغ فيه . قدما له القهوة ثم الماء . جلسوا جميعا حول طاولة اجتماعات براقة من خشب الماهوجني وتبادلوا عبارات الترحيب . فك ماكدير أزرار معطفه وجلس واضعاً قدماً فوق الأخرى . لقد أصبح الآن شخصاً محنكاً يبحث عن وظيفة ، وكان يعلم أنهم يرغبون في تعيينه . أحس بالاسترخاء . ولأن لديه ثلاثة عروض عمل من أكثر الشركات القانونية شهرة في البلاد ، فلم يكن بحاجة إلى هذه المقابلة ولا هذه الشركة . وبإمكانه أن يظهر الكثير من الثقة بالنفس الآن . لقد كان هناك بدافع الفضول ، ولأنه كان يشتاق إلى بعض الطقس الدافئ .

اتكأ أوليفر لامبرت ، الشريك الرئيسي ، على مرفقيه مائلاً إلى الإمام وأخذ زمام الأمور أثناء الدردشة الأولية . كان فصيحاً وعذب الكلام ، بصوت جهورى ولهجة فخمة محترفة . في سن الحادية والستين ، كان قد أصبح الأب الروحي للشركة وأصبح يمضى معظم وقته في التوجيه والسيطرة على الأنانية والغرور المفرط لعدد من المحامين الأكثر ثراء في البلاد . لقد كان المستشار الذى يلجأ إليه الشركاء الأصغر سناً عندما تصادفهم المتاعب . كان السيد لامبرت مسئولاً أيضاً عن تعيين المحامين الجدد ، وكانت مهمته هى التعاقد مع ميتشل ماكدير .

سأل أوليفر لامبرت : " هل أصابك الإرهاق بسبب كثرة مقابلات العمل ؟ "

أجابه ميتش : " كلا بالطبع . إنه أمر لابد منه " .

" نعم ، نعم " ، كلهم وافقوه القول . بدا الأمر لهم كأنه كان بالأمس عندما كانوا يحضرون مقابلات ويقدمون سيرتهم الذاتية وهم خائفون حتى الموت ألا يجدوا عملاً وأن تذهب ثلاث سنوات من التعب والدراسة أدراج الرياح . لقد كانوا يعلمون بما يحسه بالفعل .

قال ميتش : " هل من الممكن أن أطرح سؤالا ؟ "

" اسأل كما تشاء " .

" لماذا تعقدون المقابلة في جناح بفندق ؟ إن الشركات الأخرى كانت تعقد مقابلاتها بالحرم الجامعي ومن خلال مكتب التوظيف " .

" سؤال جيد " كل منهم كان يومئ برأسه وينظر إلى الآخرين موافقا على أنه سؤال جيد .

قال رويس مكنايت ، الشريك المسئول عن الإدارة : " ربما يمكنني الإجابة على ذلك السؤال يا ميتش . يجب عليك أن تتفهم شركتنا . إننا شركة مختلفة ، ونحن نفتخر بذلك . لدينا واحد وأربعون محامياً ، وهو رقم قليل بالمقارنة بالشركات الأخرى . نحن لا نعين الكثير من الناس ؛ تقريبا نعين محاميا واحداً في كل عام . نحن نعرض أعلى مرتبات ومزايا في البلاد ، وأنا لا أبالغ في قولي هذا . ولذلك فنحن ننتقي بعناية . ولقد اخترناك . إن الخطاب الذى تسلمته منا الشهر الماضي أُرسِل بعد أن قمنا بفحص أوراق ما يقرب من ألفي طالب في السنة النهائية لكلية الحقوق في أفضل الجامعات . ولقد أرسلنا خطابا واحدا . نحن لا ننشر إعلانات تعيين ولا نلتمس طلبات التعيين . نتصرف بشكل سرى ، ونتعامل مع الأمور بشكل مختلف . هذا هو تفسيرنا " .

قال ميتش : " تفسير مقبول . أى نوع من الشركات القانونية أنتم ؟ "

" أعمال ضرائب . قد نتولى إعداد الأوراق المالية ، أو العقارات والبنوك ، لكن ثمانين بالمائة من أعمالنا تتعلق بالضرائب . ولهذا أردنا أن نقابلك يا ميتش . إن لديك خلفية قوية بأعمال الضرائب " .

قال اوليفر لامبرت ، متسائلا : " لماذا ذهبت للدراسة فى جامعة ويسترن كينتاكى ؟ "

أجابه ميتش : " الأمر بسيط . لقد عرضوا عليَّ منحة دراسية كاملة فى مقابل تفوقى فى لعبة كرة القدم . ولولا ذلك لما كنت استطعت الالتحاق بالجامعة " .

" حدثنا عن عائلتك " .

" وما أهمية ذلك ؟ "

قال رويس مكنايت فى ود : " إنه مهم بالنسبة لنا " .

كلهم يقول ذلك ، هكذا فكر ماكدير قبل أن يقول : " حسنا ، لقد توفى والدى وهو يعمل فى مناجم الفحم عندما كان عمرى سبعة أعوام . تزوجت والدتى مرة أخرى وتعيش فى فلوريدا . لدى اثنان من الأشقاء . راستى والذى قتل فى حرب فيتنام . والأخر يدعى راى ماكدير " .

" وأين يعيش ؟ "

" أخشى أن هذا ليس من شأنك " . أخذ ميتش يحدق فى رويس مكنايت ، وظهر واضحا أن هذا الموضوع يمثل عبئاً ثقيلاً له ، حيث لم يذكر ملف التحريات سوى القليل عن أخيه راى .

قال رويس مكنايت فى رقة : " أنا آسف " .

قال لامار : " إن شركتنا مقرها ممفيس يا ميتش . هل يمثل ذلك مشكلة بالنسبة لك ؟ "

" كلا على الإطلاق ، أنا لست مغرماً بالطقس البارد " .

" هل ذهبت إلى ممفيس من قبل ؟ "

" كلا " .

" سوف ندعوك إلى هناك قريباً . سوف تعجبك المدينة " .

ابتسم ميتش وأومأ موافقا وهو يجاريهم . هل يتحدث هؤلاء الأشخاص بجدية ؟ كيف يمكن أن يفكر فى العمل فى شركة صغيرة بمدينة صغيرة بينما شارع المال والأعمال وول ستريت ينتظره ؟

سأل لامبرت : " ماذا كان ترتيبك على دفعتك ؟

" من الخمسة الأوائل " ، ليس من حيث النسبة المئوية للمجموع ، ولكن من الخمسة الأوائل على دفعته . كانت تلك إجابة كافية لهم جميعاً . من الخمسة الأوائل على دفعة عددها ثلاثمائة طالب . كان بإمكانه أن يقول الثالث ، على بعد كسر مئوى من الثانى ، وقريبا للغاية من الأول ، لكنه لم يفعل . كان يعلم أن هؤلاء المحامين الذين أمامه قد تلقوا تعليمهم في كليات أقل شأناً ـ فى شيكاغو ، كولومبيا وفاندربيلت ، وقد علم ذلك عندما ألقى نظرة خاطفة على دائرة معارف مارتيندل هابل القانونية . كان يعلم أنهم لن يهتموا كثيراً بتلك المسائل الأكاديمية .

" لماذا اخترت الدراسة بجامعة هارفارد ؟ "

" في الواقع ، لقد قامت هارفارد باختيارى . لقد قدمت طلب التحاق في أكثر من كلية وتم قبولى بها جميعاً . ولقد عرضت هارفارد مساعدة مالية أفضل . لقد اعتقدت أنها أفضل جامعة ومازلت أظن ذلك " .

" توجد أشياء كثيرة رائعة هنا " قال السيد لامبرت ذلك ، وهو يتفحص السيرة الذاتية بإعجاب . كان ملف التحريات في داخل حقيبة المستندات أسفل الطاولة .

" شكرا لك . لقد درست باجتهاد " .
" لقد نلت أعلى الدرجات فى امتحان الضرائب والأوراق المالية " .
" هذا هو المجال الذى أهتم به " .
" لقد فحصنا البحث المكتوب الذى أرسلته ، وكان مذهلا للغاية " .
" شكرا لك . إننى أستمتع بعمل الأبحاث " .
أومأ كل منهم فى تفهم لهذه الكذبة الواضحة . لقد كان ذلك جزءاً من مراسم مقابلات العمل . لا يوجد طالب قانون أو محام لديه عقل سليم يمكن أن يستمتع بعمل الأبحاث ، ومع ذلك ، وبدون استثناء ، فإن كل محام ينتظر التعيين لابد أن يبدى حباً شديداً للمكتبة والأبحاث .

" حدثنا عن زوجتك " قال رويس مكنايت ذلك ، فى صوت هادئ . استعدوا لسماع إجابة حادة أخرى . لكنه كان استفسارا معتاداً ، تهتم كل شركة بمعرفة إجابته من موظفيها .

" اسمها آبى . لديها درجة جامعية فى التدريس للمرحلة الابتدائية من جامعة ويسترن كينتاكى . تخرجنا فى نفس الأسبوع وتزوجنا فى الأسبوع التالى . خلال مدة الثلاث سنوات الماضية كانت تقوم بالتدريس فى حضانة خاصة بالقرب من جامعة بوسطن " .

" وكيف حال زواجكما ؟ "

" نحن فى غاية السعادة . لقد كنا نحب بعضنا منذ المرحلة الثانوية " .

" وما هو المركز الذى كنت تلعب به ؟ " ، هكذا تساءل لامبرت محاولا توجيه الحديث نحو موضوع أقل حساسية .

" الظهير الرابع . لقد كانت الكليات تطلبنى بشدة ، حتى أصيبت ركبتى فى آخر مباراة بالمرحلة الثانوية . اختفت كل العروض فيما عدا ويسترن كينتاكى . لقد لعبت أساسياً واحتياطيا لمدة أربع سنوات ،

حتى أننى بدأت بعض المباريات كلاعب مبتدئ ، لكن ركبتى لم تتحمل ذلك المجهود " .

" كيف استطعت أن تحصل على تقدير امتياز وأنت تلعب الكرة ؟ "

" كنت أضع الدراسة أولاً " .

" لا أظن أن كلية الحقوق فى ويسترن كينتاكى ذات مستوى أكاديمى جيد " ، اندفعت تلك الكلمات من فم لامار ، وصاحبتها ابتسامة غبية ، وعلى الفور تمنى لو استطاع أن يتراجع عن تلك العبارة . ظهر العبوس على وجه لامبرت ومكنايت عندما أحسوا بهذا الخطأ .

رد ميتش : " أظن أن مستواها قريب من مستوى كلية كانساس ستيت " . تجمدوا جميعا فى أمكنتهم ، ولثوان ظل كل منهم يحدق فى وجه الآخر فى شك . هذا الفتى ، ماكدير ، كان يعلم أن لامار قد تلقى تعليمه فى كلية كانساس ستيت . إنه لم يقابل لامار من قبل ولم تكن لديه فكرة عمن سيجرى المقابلة ممثلا للشركة . ورغم ذلك ، كان يعلم . لقد ذهب إلى دائرة معارف مارتيندل ـ هابل القانونية وتحرى عنهم . لقد قرأ السير الذاتية لكل من الواحد والأربعين محاميا الذين يمثلون قوام الشركة ، وفى كسر من الثانية تذكر أن لامار ، وهو واحد من وسط أربعين ، قد تلقى تعليمه فى كلية كانساس ستيت . يا للروعة ، لقد أثار ذلك إعجابهم .

قال لامار معتذرا : " أظن أننى أخطأت التعبير " .

" لا عليك " قال ميتش ذلك فى هدوء ، وكأن الموضوع لم يذكر .

تنحنح لامبرت وقرر الرجوع إلى الأمور الشخصية قائلا : " إن شركتنا تنزعج من إدمان الكحوليات أو مطاردة النساء يا ميتش . إننا لسنا مجموعة من المتزمتين ولكننا نضع العمل قبل أى شيء . نعمل بجد ونلتزم بالسرية والتكتم ، ونكسب الكثير من المال " .

" يمكننى أن التزم بكل ذلك " .

" نحن نحتفظ بحقنا في إخضاع أى عضو من أعضاء الشركة لاختبار تعاطى المخدرات " .

" أنا لا أتعاطى المخدرات " .

" هل أنت ملتزم دينيا ؟ "

" نعم " .

" سوف تجد الكثير من الملتزمين دينياً في الشركة . إن مسألة الالتزام الديني ليست من شأننا ، ولكننا نحاول أن نعرف فقط . نحن نريد عائلات مستقرة . إن المحامى السعيد هو محام منتج ، ولهذا نسأل هذه الأسئلة " .

ابتسم ميتش وأومأ برأسه موافقاً . لقد سمع هذا الكلام من قبل .

نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم ثم إلى ميتش . كان ذلك يعنى أنهم قد وصلوا إلى نقطة في المقابلة يفترض أن يقوم طالب الوظيفة عندها بطرح سؤال حيوى أو اثنين . وضع ميتش ساقاً فوق الأخرى . المال ، كان هذا هو السؤال الأهم ، وخاصة من حيث المقارنة مع العروض الأخرى التي تلقاها . فكر ميتش ، إنه إذا لم يكن العرض المالى كافيا ، فحينها يستطيع أن يقول لقد سعدت بلقائكم وإلى اللقاء . أما إذا كان المرتب مغريا ، فحينذاك يمكن أن نجلس ونتحدث عن العائلات والزواج وكرة القدم والتدين . لكنه كان يعلم أنهم ، وكما حدث مع الشركات الأخرى ، ظلوا يناورون ويلتفون حول الموضوع حتى أصبحت الأمور محرجة وظهر جليا أنهم قد تحدثوا عن كل شيء ماعدا المال . ولذلك قرر أن يفاجئهم بسؤال بسيط أولا .

" ما هو نوع العمل الذى سأقوم به في البداية ؟ "

أومأوا في استحسان وقبول لهذا السؤال . نظر لامبرت ومكنايت إلى لامار . كان لديه إجابة هذا السؤال .

" لدينا شيء مشابه لنظام التدريب لمدة عامين ، على الرغم من أننا لا نطلق عليه هذا المسمى . سوف نرسلك فى طول البلاد وعرضها لحضور مؤتمرات الضرائب . إن تعليمك لم ينته بعد . وسوف تمضى أسبوعين في الشتاء القادم في واشنطن فى معهد دراسات الضرائب الأمريكى . إننا نفخر للغاية بمعارفنا وخبراتنا التقنية ، والتدريب شيء مستمر بالنسبة لنا جميعا . إذا أردت الحصول على شهادة الماجستير في الضرائب فسوف ندفع مصروفاتها . أما بالنسبة لممارسة المحاماة ، فلن يكون ذلك أمراً مثيراً خلال العامين الأولين . سوف تقوم بعمل الكثير من الأبحاث والأمور المملة . لكنك ستتلقى راتباً سخياً مقابل ذلك " .

" وكم يبلغ هذا الراتب ؟ "

نظر لامار إلى رويس مكنايت ، الذى ألقى نظرة فاحصة على ميتش وقال : " سوف نناقش الراتب وبقية المكافآت الأخرى عندما تأتى إلى ممفيس " .

" أريد رقماً تقديرياً أو ربما لا آتى إلى ممفيس " ، ابتسم فى غرور وصراحة . كان يتحدث كرجل لديه ثلاثة عروض عمل .

تبادل الشريكان الابتسام ، وتحدث السيد لامبرت أولاً : " حسنا . راتب أولى قدره ثمانون ألف دولار فى السنة الأولى ، إلى جانب المكافآت . خمسة وثمانون ألفاً في السنة الثانية ، إلى جانب المكافآت . قرض عقارى بفائدة منخفضة حتى تستطيع أن تشترى منزلاً . عضوية فى ناديين من نوادى رجال الأعمال . وسيارة بى . إم . دبليو جديدة . يمكنك أن تختار اللون الذى تفضله " .

تركزت نظراتهم على شفتيه ، وانتظروا أن تظهر أمارات الابتسام على وجنتيه ، وأن تظهر أسنانه عندما تشتد ابتسامته . حاول ميتش

أن يخفى تلك الابتسامة ، لكن ذلك كان مستحيلاً . أفلتت منه ضحكة خافتة .

قال في صوت خفيض : " هذا لا يصدق " . إن ثمانين ألف دولار فى ممفيس تعادل مائة وعشرين ألفاً فى نيويورك . هل قال الرجل سيارة بى . إم . دبليو ! إن سيارته المازدا العتيقة قد سارت ما يقرب من مليون ميل وتدور عن طريق الدفع هذه الأيام بينما يحاول أن يدخر من أجل شراء مفتاح إشعال أوتوماتيكى جديد .

" إلى جانب مكافآت مالية أخرى سوف نناقشها عندما تزورنا فى ممفيس " .

أصبح لديه رغبة مفاجئة وملحة لزيارة ممفيس . أليست تطل على النهر ؟

اختفت الابتسامة وتمالك هدوء ملامحه . نظر فى اهتمام وتجهم إلى أوليفر لامبرت وقال ، كأنه قد نسى كل ما يخص المال والمنزل والسيارة الفاخرة : " حدثنى عن شركتكم " .

" لدينا واحد وأربعون محامياً . فى العام الماضى كان متوسط المكسب الذى جلبه كل محام أكثر من أى شركة فى حجمنا أو أكبر منا . وهذا يشمل كل الشركات الكبرى فى البلد . نقبل العملاء الأغنياء فقط ، المؤسسات ، البنوك والأثرياء من الناس الذين يدفعون أتعابنا الضخمة ولا يشتكون أبداً . لقد طورنا تخصصنا فى الضرائب الدولية ، وهو أمر مثير ومربح للغاية . نحن نتعامل فقط مع هؤلاء القادرين على دفع الأتعاب " .

" كم من الوقت يلزم لكى يصبح المحامى شريكاً فى الشركة ؟ "

" فى المتوسط عشر سنوات ، وهى عشر سنوات من الجهد والعمل المضنى . وليس أمراً غريباً أن يربح الشريك فى الشركة نصف مليون دولار سنوياً ، ومعظم الشركاء يتقاعدون عن العمل قبل سن الخمسين .

سيكون عليك أن تدفع الثمن من جهدك ، وقد تعمل لثمانين ساعة كل أسبوع ، لكن الوصول إلى لقب شريك يستحق كل هذا التعب " .

اتكأ لامار إلى الإمام وقال : " ليس من الضرورى أن تكون شريكاً لكى تتقاضى مبلغاً من ستة أرقام . إن لى سبعة أعوام مع الشركة ، ولقد تخطيت حاجز المائة ألف دولار منذ أربعة أعوام " .

فكر ميتش فى الأمر لثوان وتخيل أنه عندما يصل إلى سن الثلاثين فسوف يكون قد تخطى المائة ألف بكثير ، وربما يصل إلى مائتى ألف . فى سن الثلاثين !

كانوا ينظرون إليه بحرص وكانوا يعلمون بالتحديد ماذا يحسب فى رأسه .

سأل ميتش : " ما الذى تفعله شركة متخصصة فى الضرائب الدولية فى ممفيس ؟ "

وضع السؤال الابتسامة على وجوههم . نزع السيد لامبرت نظارة القراءة ووضعها فى يده . قال : " هذا سؤال جيد بالفعل . لقد أسس السيد بنديني هذه الشركة عام ١٩٤٤ . لقد كان يعمل محامى ضرائب فى فيلادلفيا وكان لديه بعض العملاء الأثرياء فى الجنوب . غادر فيلادلفيا واستقر به الحال فى ممفيس . ولمدة خمسة وعشرين عاماً لم يقم بتعيين سوى محامى الضرائب ، وصارت الشركة تنمو بشكل جيد هناك . ليس من بيننا من ولد فى ممفيس ، ولكننا أصبحنا نحبها كثيرا . إنها مدينة قديمة ورائعة فى جنوب البلاد . بالمناسبة ، لقد توفى السيد بنديني عام ١٩٧٠ " .

" كم عدد الشركاء بالشركة ؟ "

" عشرون ، ناشطون . نحن نحاول أن نحافظ على نسبة أن يكون هناك شريك مقابل كل محام يعمل بالشركة . إنها نسبة مرتفعة

بالنسبة للشركات الأخرى ، ولكن الأمر يعجبنا . أكرر ، نحن نعمل بطريقة مختلفة " .

قال رويس مكنايت : " كل الشركاء يصبحون من أصحاب الملايين المتراكمة عندما يصلون إلى سن الخامسة والأربعين " .

" كلهم ؟ "

" نعم . نحن لا نضمن ذلك ، ولكن إذا انضممت إلى شركتنا ، وأعطيتها عشر سنوات من العمل الشاق ، وأصبحت شريكاً ثم أعطيت عشر سنوات أخرى ، ولم تصبح مليونيراً بحلول سن الخامسة والأربعين ، فسوف تكون أول من يحدث معه ذلك منذ عشرين سنة " .

" هذه إحصائية مذهلة " .

قال أوليفر لامبرت : " هذه شركة مذهلة يا ميتش ، ونحن فخورون بها . نحن جماعة أخوية مترابطة . نحن شركة صغيرة ونهتم ببعضنا البعض . ليس لدينا التنافس الأعمى الذى تشتهر به الشركات الأخرى . نحن حريصون للغاية عندما نختار من نعينهم ، وهدفنا لكل محام جديد أن يصبح شريكاً فى الشركة بأسرع ما يمكن . ومن أجل هذا الهدف نستثمر كمية هائلة من الوقت والمال فى أنفسنا ، وخاصة لموظفينا الجدد . ومن النادر جداً أن يغادر محام شركتنا . إنه ببساطة أمر لم يحدث من قبل . ونحن نبذل المزيد من الجهد لكى نحافظ على المستقبل المهنى لمحامينا على الطريق السليم . نحن نريد سعادة موظفينا . ونعتقد أن هذه هى أفضل طريقة مربحة يمكن أن نعمل بها " .

أضاف السيد مكنايت : " لدىَّ إحصائية مذهلة أخرى . فى العام الماضى كانت نسبة الاستغناء عن المحامين فى الشركات التى فى حجم شركتنا وأكبر منها هى ثمانية وعشرين بالمائة . أما المعدل فى شركتنا بنديني ، لامبرت آند لوك فكان صفراً بالمائة . والعام الذى سبقه كان

المعدل أيضا صفراً . لقد مر زمان بعيد منذ أن ترك أحد المحامين شركتنا " .

راقبوه بعناية لكي يتأكدوا أن كل تلك المعلومات قد انغرست في عقله . كان كل بند وكل شرط من شروط التعاقد مُهماً ، لكن الاستمرارية ، وقبوله النهائي كان يغطى على كل البنود الأخرى التي كان عليهم أن يتأكدوا منها . لقد شرحوا له الأمور على أفضل وجه ممكن . وسوف يكون هناك مزيد من الشرح فيما بعد .

بالطبع كانوا يعلمون عنه أكثر مما كان بإمكانهم أن يتحدثوا عنه . على سبيل المثال ، أن أمه كانت تعيش في مرآب حقير للعربات المقطورة في مدينة بنما سيتي ، وقد تزوجت مرة أخرى من سائق شاحنات متقاعد لديه سجل مشين من العنف وإدمانٍ الكحوليات . كانوا يعلمون أنها قد تلقت مبلغ ٤١ ألف دولار تعويضاً عن حياة زوجها الأول الذى توفى فى انفجارٍ بمناجم الفحم ، وقد بددت معظم المبلغ ، ثم أصابها الجنون بعد أن قتِل ابنها الأكبر في حرب فيتنام . كانوا يعلمون أن ميتش قد تجاهلته أمه ، وتربى فى فقر على يد أخيه راى (الذى لم يعثروا له على أثرٍ) وبعضٍ الأقرباء المتعاطفين . إن الفقر يؤلم ، ولقد افترضوا ، افتراضاً صحيحاً ، أن الفقر قد زرع في داخله الرغبة الجارفة للنجاح . لقد كان يعمل ثلاثين ساعة أسبوعيا فى متجر عاديات يعمل طوال الليل ، فى ذات الوقت الذى كان يلعب فيه كرة القدم ويحرز أعلى الدرجات الدراسية . كانوا يعلمون أنه قليلاً ما ينام . لقد كانوا يعلمون أنه يتوق للمال . لقد كان رجلهم المنشود .

قال أوليفر لامبرت : " هل تود الحضور لزيارة الشركة ؟ "

" متى ؟ " سأل ميتش ، وهو يحلم بسيارة بى .إم . دبليو سوداء ذات غطاء متحرك .

كانت السيارة المازدا عتيقة الطراز ، بعجلاتها القذرة ، وزجاجها الأمامي المشروخ ، تقف في داخل الممر ، وعجلاتها الأمامية تميل إلى الجانب ، وتصد في حاجز الطريق الذى يمنعها من الانزلاق على طول التل . أمسكت آبى مقبض الباب من الداخل ، وقامت بجذبه مرتين ثم فتحت الباب . أدخلت مفتاح التشغيل ، وضغطت على دواسة تعشيق التروس وأدارت العجلة . بدأت المازدا في الانزلاق ببطء . وبينما بدأت السيارة تسرع ، حبست آبى أنفاسها ، وأرخت ضغطها فوق الدواسة وعضت على شفتيها حتى بدأ المحرك يدور بصوته المزعج .

في وجود ثلاثة عروض عمل متاحة ، كانت السيارة الجديدة على بعد أربعة أشهر . يمكنها أن تتحمل هذا الوقت . إن لهما ثلاثة أعوام يعيشان في سكن للطلبة من غرفتين فقط ، وبالقرب من الحرم الجامعى الذى يعج بالسيارات البورش الرياضية والسيارات المرسيدس المكشوفة . كانا في معظم الوقت يتجاهلان نظرات الاحتقار من زملاء الدراسة أو العمل في مدينة المتعجرفين التى تقع على الساحل الشرقى . لقد كانا ريفيين من كينتاكى ، وليس لهما إلا عدد قليل من الأصدقاء . لكنهما قد تحملا ونجحا بشكل رائع .

كانت تفضل شيكاغو على نيويورك ، حتى مع راتب أقل ، والسبب الأكبر هو كون شيكاغو أبعد عن بوسطن وأقرب إلى كينتاكى . لكن ميتش ظل غير مرتبط بأى مكان ، وكان يزن الأمور بكل حرص ، محتفظا بمعظم أفكاره لنفسه . لم تكن آبى قد دُعِيت إلى زيارة نيويورك أو شيكاغو مع زوجها . وكانت كثرة التخمين قد أرهقتها . كانت تريد أجوبة .

أوقفت السيارة فى موضع غير قانونى على التل الأقرب للشقة ومشت مسافة شارعين . كانت شقتهما واحدة من بين ثلاثين شقة فى مبنى مستطيل الشكل من الطوب الأحمر ويرتفع إلى طابقين . وقفت آبى

أمام باب شقتها وأخذت تعبث داخل حقيبتها بحثا عن المفاتيح . فجأة ، فتح الباب على مصراعيه . جذبها إليه ، دفعها إلى داخل الشقة الضيقة ، ألقى بها فوق الأريكة ثم انقض على عنقها بشفتيه . أخذت تصرخ وتضحك بينما أحاطت بها ذراعا ميتش . تبادلا القبلات .

قالت عندما انتهت المداعبات : " يا إلهى . ما هو سبب كل هذا الاحتفال ؟ "

سأل ميتش : " هل تشمين رائحة ما ؟ "

نظرت حولها وهى تحاول أن تشتم الرائحة . قالت : " نعم ، ما هذه الرائحة ؟ "

" دجاج شومين وبيض فو يونج . من مطعم وونج بويز الصينى " .

" حسنا ، وما هى المناسبة ؟ "

لم يجبها ميتش . واكتفى بأن جذبها من يدها ناحية المطبخ .

" ما الذى فعلته يا ميتش ؟ "

" اتبعينى " فوق الطاولة الصغيرة المطلية ، والتى تستقر داخل المطبخ ، وإلى جانب المذكرات القانونية وحافظات الكتب ، كان هناك لفافة ورقية مليئة بالطعام الصينى . أزاحا الكتب القانونية جانبا وقاما بفرد الطعام . فتح ميتش زجاجة المياه الغازية وملأ كوبين منها .

قال : " لقد كانت هناك مقابلة عمل عظيمة اليوم " .

" مع من ؟ "

" هل تذكرين تلك الشركة فى ممفيس التى تسلمت خطاباً منها الشهر الماضى ؟ "

" نعم . إن خطابهم لم يترك لديك انطباعاً قوياً " .

" إنها تلك الشركة . إننى متحمس جداً الآن : إنها شركة ضرائب والعائد المالى يبدو جيداً " .

" جيد إلى أى حد ؟ "

بشكل احتفالى أخذ يقطع الدجاج من اللفافة ويوزعه على الطبقين ، ثم قام بتمزيق عبوة الصلصة الصغيرة . انتظرت أن يجيبها . قام بفتح لفافة أخرى وبدأ يوزع البيض . ارتشف مشروبه في تلذذ .

أخذت تكرر : " ما هو الراتب ؟ "

" أكثر من راتب شيكاغو . أكثر من راتب وول ستريت " .

أخذت جرعة طويلة من الشراب وظلت تطيل النظر إليه في تشكك . ضاقت عيناها البنيتان وتوهجتا . انخفض حاجباها وظهرت تجاعيد جبهتها . وانتظرت .

قالت : " كمٍ هو الراتب ؟ "

" ثمانون ألفاً ، للسنة الأولى ، إلى جانب المكافآت . خمسة وثمانون ألفاً للسنة الثانية ، إلى جانب المكافآت " . نطق ذلك في غير اكتراث ، بينما كان يدرس قطع الكرفس الصغيرة التى تحيط بالدجاج .

أخذت تكرر : " ثمانون ألفاً " .

" ثمانون ألفاً يا عزيزتى . ثمانون ألف دولار في ممفيس ، بولاية تينسي تعادل مائة وعشرين ألف دولار في نيويورك " .

قالت متسائلة : " ومن الذى يريد الذهاب إلى نيويورك ؟ "

قال : " إلى جانب قرض لرهن عقارى منخفض الفائدة " .

لم تكن كلمة " رهن عقارى " قد ذكرت بهذه الشقة منذ وقت طويل . في الواقع ، لم تكن آبى تستطيع ، في هذه اللحظة ، أن تتذكر آخر مناقشة دارت بينهما حول منزل أو أى شىء يتعلق بذلك . ومنذ شهور مضت كانوا قد ارتضوا بفكرة تأجير شقة بصفة مؤقتة حتى يتمكنا من تحقيق الثراء ، في وقت غير معلوم من المستقبل البعيد ، الذى يُمَكنهم من شراء منزل كبير عن طريق الرهن العقارى .

وضعت مشروبها على الطاولة وقالت بطريقة عملية : " أنا لم أسمع ما قلته " .

" قرض منخفض الفائدة من أجل رهن عقارى . إن الشركة تعطى قرضاً كافياً لشراء منزل . إنه شيء مهم بالنسبة لهؤلاء الأشخاص أن يظهر المحامون بالشركة بمظهر لائق ، ولذلك يعطونهم قروضا بفائدة منخفضة للغاية " .

" هل تقصد أنه سيكون لدينا منزل ، يحيط به العشب وتلتف حوله الأشجار ؟ "

" نعم . ليس مجرد شقة باهظة الثمن في مانهاتن ، وإنما منزل فى الضواحى ، به ثلاث غرف للنوم ، وممر للسيارة ومرآب يتسع لسيارتين لكى نضع فيه السيارة بى . إم . دبليو " .

تأخر رد فعلها لثانية أو اثنتين ، ولكنها قالت أخيرا : " بى . إم . دبليو ؟ من لديه بى . إم . دبليو ؟ "

" نحن يا عزيزتى . إنها سيارتنا نحن . إن الشركة تقوم باستئجار سيارة جديدة وتعطينا المفاتيح . إنها أشبه ما تكون بمكافأة توقيع العقد من أجل انتقاء الصفوة من المحامين . إن ذلك يساوى خمسة آلاف دولار أخرى سنوياً . يمكننا أن نختار اللون الذى يناسبنا . أظن أن اللون الأسود سيكون رائعا . ما رأيك ؟ "

" لا مزيد من السيارات الخردة ، لا مزيد من أكل بقايا الطعام . لا مزيد من الملابس المستعملة " قالت ذلك وهى تهز رأسها فى بطء .

أخذ يمضغ الطعام ويبتسم إليها . كانت تحلم ، كان بإمكانه أن يشعر بذلك ، فى الغالب بأثاث المنزل ، وورق الحائط ، وربما بحمام سباحة فى وقت قريب . وأطفال ، بعيون سوداء وشعر بنى فاتح .

قال : " وهناك بعض المزايا الأخرى سوف نناقشها لاحقا " .

" أنا لا أفهم يا ميتش . لماذا هم بهذا السخاء ؟ "

" لقد سألتهم هذا السؤال . إنهم يختارون موظفيهم بدقة شديدة ، ويفخرون كثيرا لكونهم يدفعون أعلى المرتبات . إنهم يبحثون عن أفضل

المحامين ولا يمانعون في إنفاق الكثير من الدولارات . نسبة استغنائهم عن المحامين صفر . إضافة إلى ذلك ، أعتقد أن الأمر يكلف الكثير من أجل إغراء الصفوة من المحامين للذهاب إلى ممفيس " .

قالت دون أن تنظر إليه : " سيكون ذلك أقرب إلى مسقط رأسنا " .

" ليس لدى مسقط رأس . سيكون المكان قريباً من منزل والديك ، وهذا ما يشعرني بالقلق " .

تجاهلت كلماته ، كما تفعل مع معظم تعليقاته عن عائلتها . قالت : " ستكون قريباً من راى " .

أومأ برأسه ، وتناول قضمة من البيض وأخذ يتخيل الزيارة الأولى لوالديها ، تلك اللحظة الرائعة عندما يوقفون سيارتهم الكاديلاك المستعملة أمام المنزل ويحدقون في ذهول في منزلهم الجديد ذى الطراز الفرنسي ، والسيارتين الجديدتين في مرآبه . سوف يحترقون من الحسد ويتساءلون كيف استطاع ذلك الفتى الفقير الذى لا عائلة له وليس له أية مكانة اجتماعية أن يحصل على كل هذا وهو في الخامسة والعشرين ومازال خريجاً حديثاً من كلية الحقوق . سوف يضعون على وجوههم ابتسامة الألم ويعلقون على جمال كل شيء بالمنزل ، ولن يمضي وقت طويل حتى ينهار السيد سازرلاند ويسأل كم تكلف هذا المنزل وسوف يخبره ميتش أن يهتم بشئونه الخاصة ، وسوف يثير ذلك جنون الرجل العجوز . سيغادرون بعد زيارة قصيرة عائدين إلى كينتاكي ، حيث سيسمع كل الأصدقاء عن الحياة الجميلة التى تحياها الابنة وزوجها في ممفيس . آبى ستشعر بالأسى أن والدها وزوجها لم تتحسن العلاقة بينهما ولكنها لن تتحدث عن ذلك كثيراً . من البداية وهم يعاملونه كما لو أنه مريض بالجذام . لقد كان في نظرهم شخصاً غير جدير بابنتهم ، حتى أنهم لم يحضروا حفل زفافهم الصغير .

قال ميتش : " هل ذهبت إلى ممفيس من قبل ؟ "

" مـرة واحـدة عنـدما كنـت فتـاة صـغيرة . كانـت رحلـة لحضـور مهرجان مدرسى . كل ما أتذكره هو النهر " .

" إنهم يريدون منا زيارة ممفيس " .

" منا ! أتعنى أننى مدعوة ؟ "

" نعم . لقد أصروا على حضورك " .

" متى ؟ "

" بعد أسبوعين . سوف نستقل الطائرة بعد ظهر الخميس لكى نقضى عطلة نهاية الأسبوع هناك " .

" لقد بدأت أحب هذه الشركة بالفعل " .

٢

. . . .

كان المبنى الذى يبلغ ارتفاعه خمسة طوابق قد شيد منذ مائة عام على يد تاجر قطن وأبنائه فى فترة إعادة البناء التى أعقبت نهاية الحرب الأهلية وأثناء انتعاش تجارة القطن فى مدينة ممفيس . كان موقع المبنى فى منتصف صف من متاجر القطن التى تمتد على طول شارع فرونت ستريت بالقرب من النهر . وداخل قاعته ومن خلال أبوابه وفوق مكاتبه ، تم شراء ملايين من أكوام القطن التى جُلِبَت من أراضى ولايتى مسيسبى وأركانساس وتم تصديرها إلى كل مكان بالعالم . ولقد هجر المبنى وأهمل ثم أعيد تجديده مرات ومرات منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولقد تم شراؤه للمرة الأخيرة عام ١٩٥١ بواسطة محامى ضرائب شرس الطباع يدعى أنتونى بنديني . قام السيد بنديني بإعادة تجديد المبنى مرة أخرى وبدأ يستجلب الكثير من المحامين إليه ، وأطلق عليه اسم مبنى بنديني .

كان السيد بنديني يتعهد المبنى بالرعاية المفرطة والتدليل ، وكان يضيف إليه لوناً من ألوان الترف فى كل عام . وكذلك قام بتحصين المبنى ، حيث قام بإحكام غلق الأبواب والنوافذ ، وتعيين طاقم حراسة مسلح لحماية المبنى ومن يعملون به . وأضاف مصاعد كهربائية ، وكاميرات مراقبة الكترونية ، وشفرات الكترونية للأبواب ، ودوائر

تليفزيونية مغلقة ، وحجرة وزن ، وحجرة بخار ، وغرفاً للملابس ، وقاعة طعام للشركاء بالطابق الخامس تطل على مشهد خلاب للنهر .

في خلال عشرين عاماً كان قد شيد أغنى شركات المحاماة في ممفيس وأكثرها هدوءاً ، حيث كان بنديني شغوفاً بالغموض والسرية . وكان على كل محام تعينه الشركة أن يتعلم جيدا مساوئ اللسان المنفلت . كان كل شيء يتم بشكل سرى ؛ المرتبات ، المكافآت ، حركات الترقي وخاصة معلومات العملاء . وكان يتم تحذير المحامين الجدد من أن إفشاء أسرار الشركة قد يؤجل حصولهم على الجائزة الكبرى ـ ألا وهى الشراكة . لم يكن هناك شيء من المعلومات يغادر ذلك الحصن القائم في شارع فورت ستريت . كان يتم إخبار الزوجات بعدم توجيه أسئلة ، أو كان يتم الكذب عليهن إذا سألن . وكان المتوقع من المحامين أن يعملوا بجد ، ويبقوا صامتين ، وأن يقوموا بصرف مرتباتهم السخية . وقد فعلوا ذلك جميعاً ، دون استثناء .

ولأن عدد محاميها كان يبلغ واحداً وأربعين محامياً ، فقد كانت الشركة رابع أكبر شركة محاماة في ممفيس . ولم يحاول أعضاؤها الدعاية لأنفسهم أو السعى نحو الشهرة . كانوا ملتزمين بروح الجماعة ولم يكن لهم اختلاط بالمحامين الآخرين . كانت زوجاتهم يلعبن التنس وألعاب الورق وكن يتسوقن مع بعضهن البعض . كانت شركة بنديني ، لامبرت آند لوك أشبه بعائلة كبيرة ، أو بالأحرى عائلة غنية .

فى تمام الساعة العاشرة صباحاً من يوم الجمعة ، توقفت السيارة الليموزين الخاصة بالشركة في شارع فرونت ستريت وخرج منها السيد ميتشل ماكدير . شكر السائق في أدب ، وأخذ ينظر إلى السيارة وهى تنطلق بعيداً . كانت تلك أول مرة يستقل فيها سيارة ليموزين . وقف فوق رصيف الشارع بجانب أحد أعمدة الإضاءة ينظر في إعجاب إلى مقر

شركة بنديني الرائع والخلاب ، وإن كان يبدو مهيباً أيضاً . كان يختلف كل الاختلاف عن ذلك المبنى العملاق من الحديد والزجاج والذى تحتله الشركة القانونية التى زارها فى نيويورك أو المبنى الاسطوانى الضخم الذى زاره فى شيكاغو . لكنه علم على الفور أنه سوف يحب ذلك المبنى . لقد كان أكثر بساطة وأبعد عن التكلف . لقد كان المبنى يشبه شخصيته تماما .

خرج لامار كوين من الباب الأمامي للمبنى وهبط درجاته الأمامية . صاح منادياً ميتش وأشار إليه أن يأتى . كان قد قابل ميتش وزوجته بالمطار الليلة الماضية وأوصلهم إلى حجرتهم فى بيبودى " أفخم الفنادق فى الجنوب " .

" صباح الخير يا ميتش . كيف كانت ليلتك بالفندق ؟ " تصافح الرجلان كأنهما صديقان منذ الطفولة .

" لقد كانت ليلة رائعة . إنه فندق عظيم " .

" كنا نعلم أنك ستحبه . كل الناس يحبون فندق بيبودى " .

دلفا عبر البهو الأمامي ، حيث كانت هناك لوحة صغيرة كتب عليها عبارات الترحيب بالسيد ميتشل ماكدير ، ضيف شرف الشركة هذا اليوم . قابلتهم موظفة استقبال أنيقة الملابس ، غير جذابة الملامح ، مبتسمة فى ود وقالت إن اسمها سيلفيا وإنها رهن إشارة السيد ميتشل إذا احتاج إلى أى شىء أثناء زيارته لـ " ممفيس " . شكرها ميتش . قاده لامار عبر ممر طويل حيث بدأ جولته الإرشادية . أخذ لامار يشرح له تصميم المبنى وقام بتقديمه إلى عدد من السكرتيرات والمساعدين القانونيين بينما كانا يمشيان فى ردهات المكان . وفى المكتبة الرئيسية بالطابق الثانى كان هناك حشد من المحامين يلتفون حول طاولة الاجتماعات الضخمة ويتناولون الفطائر المحلاة والقهوة . ساد الصمت عندما دخل الضيف .

قام أوليفر لامبرت بتحية ميتش ثم قام بتقديمه إلى الحشد . كان هناك ما يقارب العشرين محاميا وهم معظم العاملين بالشركة ، كان معظمهم من نفس عمر الضيف أو أكبر قليلا . وشرح له لامبرت أن الشركاء مشغولون للغاية وسوف يقابلونه لاحقاً في غداء خاص . وقف ميتش عند نهاية الطاولة بينما طالب السيد لامبرت الجميع بالتزام الهدوء .

" أيها السادة ، دعوني أقدم السيد ميتشل ماكدير . لقد سمعتم جميعاً عنه ، وهو الآن بيننا . وهو اختيارنا الأول هذا العام ، أو بالأحرى الاختيار الأول من واقع المستندات والسيرة الذاتية . لقد حاولت الشركات الكبرى في نيويورك وشيكاغو وأماكن أخرى إغراءه للعمل بها ، ولذا علينا إقناعه بالعمل معنا في شركتنا الصغيرة هنا في ممفيس " . ابتسم الحضور وأومأوا في موافقة . كان الضيف يشعر بالحرج .

" سوف ينهي السيد ميتشل دراسة القانون في جامعة هارفارد خلال شهرين وسوف يتخرج مع مرتبة الشرف . وهو محرر مساعد في مجلة هارفارد القانونية " . أدرك ميتش أن ذلك قد ترك لديهم انطباعا جيدا . " ولقد كان السيد ميتش يدرس في جامعة ويسترن كينتاكي قبل التخرج والتوجه لدراسة القانون " ، لم يكن لذلك الخبر انطباعاً قويا ، " وكان يلعب كرة القدم لمدة أربع سنوات أيضاً ، وقد بدأ اللعب كظهير رابع في السنة الأولى من الدراسة " ، الآن ظهر عليهم الإعجاب بحق . وبدا بعضهم في حالة شرود كأنما ينظرون إلى نجم كرة قدم شهير .

استكمل الشريك الأقدم تلك الخطبة المسرحية بينما وقف ميتش بجانبه في حرج . أخذ يكرر في رتابة كيف أنهم دائماً ما كانوا يختارون المحامين بعناية شديدة وكيف أن ميتش سوف يكون اختيارا مناسبا . وضع ميتش يديه داخل جيوبه وتوقف عن الإنصات . كان

يدرس الحشد الذى يجلس أمامه . كانوا شباباً وناجحين وأغنياء . بدا نمط الملابس صارماً ، ولكنه لم يكن يختلف كثيراً عن نيويورك أو شيكاغو . سترات صوفية زرقاء أو رمادية داكنة ، قمصان قطنية بيضاء أو زرقاء ، سراويل موحدة ، ورابطات عنق حريرية . لا شيء مبهرج أو شديد التحرر . ربما بعض رابطات العنق المزخرفة ، لكن لا شيء أكثر جرأة . كانت الأناقة إجبارية . لم يكن هناك لحى أو شوارب أو شعر زائد فوق الأذنين . كان هناك القليل منهم ممن لا يتمتعون بالوسامة ولكن أغلبهم كانوا يتسمون بالوسامة .

كان السيد لامبرت ينهى حديثه : " سوف يصطحب لامار السيد ميتش فى جولة فى مكاتبنا ، ولذلك سيكون لديكم فرصة للدردشة معه لاحقاً . دعونا نجعله موضع ترحيب . وسوف يتناول طعام العشاء بصحبة زوجته الرائعة آبى ، فى مطعم راندينو ، وبالطبع سيكون هناك حفلة عشاء للشركة فى منزلى غداً . وأطلب منكم جميعاً أن تحسنوا التصرف " . ابتسم ونظر إلى الضيف قائلا : " ميتش ، إذا مللت صحبة لامار ، أخبرنى بذلك وسوف أحضر لك شخصاً أكثر كفاءة " .

صافح كل محام منهم مرة أخرى وهم يغادرون ، وحاول أن يتذكر أكبر عدد من الأسماء التى تمر أمامه .

قال لامار بعد أن أخليت الغرفة : " دعنا نبدأ الجولة . هذه بالطبع هى المكتبة ، ولدينا مكتبات مماثلة فى كل دور من الأدوار الأربعة الأولى . ونحن نستخدمهم أيضاً خلال الاجتماعات الكبرى . وتختلف الكتب فى كل طابق ولذلك لن تدرى أبداً إلى أين يقودك بحثك . لدينا أمينا مكتبة يعملان بدوام كامل ، ونحن نستخدم الميكروفيلم وشرائح الصور المصغرة بكثرة . وكقاعدة عامة ، نحن لا نقوم بأية أبحاث خارج المبنى . هناك ما يزيد على مائتى ألف مجلد ، بما فيها كل التقارير

الضريبية التى يمكن تخيلها . وهذا العدد قد لا تجده فى بعض كليات الحقوق . إذا احتجت إلى كتاب لا نمتلكه ، فقط أخبر أمين المكتبة بذلك " .

أخذا يمشيان أمام طاولة الاجتماعات الطويلة وبين صفوف الكتب المتراكمة . تمتم ميتش قائلاً : " مائتا ألف مجلد " .

" نعم ، إننا ننفق ما يزيد على نصف المليون من الدولارات سنويا على استكمال ما لدينا من مراجع وشراء كتب جديدة . إن الشركاء دائما ما يشتكون من كثرة تكلفة المراجع ولكنهم لا يفكرون فى تخفيض ميزانية المكتبة . إنها واحدة من أكبر المكتبات القانونية الخاصة فى البلاد ، ونحن فخورون بذلك " .

" إنها مذهلة بحق "

" إننا نحاول أن نسهل عملية البحث قدر الإمكان . إنك تعلم كم هى عملية مملة وكم من الوقت قد يضيع فى البحث عن المراجع الصحيحة . إنك ستقضى الكثير من الوقت هنا فى المكتبة أثناء العامين الأولين ، ولذلك نحاول أن نجعل الأمر يبدو لطيفا " .

خلف طاولة عمل تعلوها الفوضى وتستقر فى أحد الأركان بمؤخرة القاعة ، قدم أحد أمناء المكتبة نفسه وقادهما فى جولة مختصرة فى حجرة الكمبيوتر ، حيث وقفت دستة من أجهزة الكمبيوتر على أهبة الاستعداد لكى تمد الباحثين بأحدث الأبحاث . عرض أن يقدم لهما استعراضاً لأحدث برامج الأبحاث وأكثرها كفاءة ، ولكن لامار قال إنهما قد يعودان إليه لاحقاً .

قال لامار وهما يفارقان أمين المكتبة : " إنه فتى لطيف . إننا ندفع له أربعين ألف دولار سنويا لكى يواظب على تخزين أحدث المراجع . إنه أمر مدهش " .

مدهش بالفعل ، هكذا فكر ميتش .

كان الطابق الثانى مطابقاً للأول ، والثالث ، والرابع . كان مركز كل طابق يمتلئ بالسكرتيرات ، ومكاتبهن ، وخزائن الملفات ، والطابعات وآلات التصوير وبقية أدوات المكاتب الأخرى . على أحد الجوانب من المساحة الخالية كانت هناك المكتبة ، وعلى الجانب الآخر كان هناك مجموعة من قاعات الاجتماعات المصغرة والمكاتب .

قال لامار فى صوت خافت ، بينما كانا يشاهدان السكرتيرات وهن يعملن : " إنك لن تجد أى سكرتيرة حسناء هنا . يبدو أنها قاعدة غير مكتوبة خاصة بالشركة . إن أوليفر لامبرت يفعل كل ما فى طاقته لكى يعين السكرتيرات الأكبر سناً والأكثر قبحاً هنا فى الشركة . إن بعضهن يعمل هنا منذ عشرين عاما ولقد نسين من القوانين أكثر مما تعلمنا فى كلية الحقوق " .

قال ميتش ، وكأنه يحادث نفسه : " يبدو أن معظمهن يغلب عليهن طابع السمنة والترهل " .

" نعم ، إنه جزء من الإستراتيجية العامة لتشجيعنا على الاحتفاظ بأيدينا داخل جيوبنا . إن المغازلات ممنوعة بشدة ، وعلى حد علمى لم تحدث أبداً " .

" وماذا إن حدثت ؟ "

" من يدرى . سوف تفصل السكرتيرة من العمل بالطبع . وأظن أن المحامى سوف يُعاقَب بشدة . وقد يكلفه ذلك ألا يصبح شريكاً أبداً . لا أحد يرغب أن يحدث له ذلك ، وخاصة من أجل مجموعة من النسوة البدينات " .

" إنهن يرتدين ملابس أنيقة " .

" لا تخطئ فهم كلامى . إننا نعين أفضل السكرتيرات القانونيات وندفع لهن أكثر من أى شركة أخرى فى المدينة . إنك تنظر إلى أفضل

السكرتيرات وليس بالضرورة أجملهن . إننا نطلب الخبرة والرزانة . ولا يقوم لامبرت بتعيين أى سكرتيرة تحت سن الثلاثين " .

" سكرتيرة لكل محام ؟ "

" نعم ، حتى تصبح شريكاً . حينها سيكون لك سكرتيرة أخرى ، وبحلول ذلك الوقت ستكون بحاجة إليها فعلا . إن ناثان لوك لديه ثلاث سكرتيرات ، وكل واحدة منهن لها عشرون عاماً من الخبرة ، وهو يجعلهن يعملن ليل نهار " .

" أين مكتبه ؟ "

" بالطابق الرابع . إنه مكتب محظور على بقية المحامين " .

كاد ميتش يطرح سؤالاً ، ولكنه عدل عن ذلك .

أخذ لامار يشرح : كانت حجرات المكاتب كل منها بمساحة خمسة وعشرين قدماً مربعاً ، ويستخدمها معظم الشركاء الكبار . وأطلق عليها ، فى نبرة تطلعية ، اسم مكاتب السلطة . ولقد تم تزيينها لكى تناسب الذوق الخاص بالشريك الذى يستخدمها ، ولم تدخر الشركة وسعها فى الإنفاق على ذلك بسخاء ، ويتم إخلاؤها فى حالتى التقاعد أو الموت فقط ، وحينها تصبح محل صراع بين الشركاء الأصغر سناً .

ضغط لامار أحد الأزرار وسرعان ما دلفا إلى داخل أحد تلك المكاتب وأغلقا الباب خلفهما . " منظر رائع . أليس كذلك ؟ " قال لامار ذلك بينما تحرك ميتش باتجاه النافذة ونظر إلى النهر وهو يتحرك فى بطء شديد خلف شارع ريفرسايد درايف .

" كيف تحصل على مكتب كهذا ؟ " سأل ميتش وهو ينظر بإعجاب إلى زورق يعبر أسفل الكوبرى المؤدى إلى أركنساس .

" إن هذا يتطلب وقتا ، وعندما تصل إليه سوف تصبح ثرياً للغاية ومشغولاً جداً ، ولن يصبح لديك وقت للتمتع بهذا المنظر " .

" لمن هذا المكتب ؟ "

" إنه مكتب فيكتور ميليجان . إنه رئيس محامى الضرائب ، وهو رجل لطيف للغاية . ولد فى نيو إنجلاند ، ويعمل بالشركة منذ خمسة وعشرين عاماً ويطلق على ممفيس مسقط رأسه " . وضع لامار يديه داخل جيوبه وأخذ يمشى داخل الغرفة ، ثم أكمل قائلاً : " الأرضيات والسقف من الخشب الصلد ولقد وضعت بالمبنى منذ ما يقرب من مائة عام . معظم المبنى مكسو بالسجاد ، ولكن فى بعض المواضع لم يتأثر الخشب بمرور كل هذه السنين . سيكون لك حرية اختيار السجاد والبُسط عندما تصل إلى مكتب كهذا " .

" لقد أعجبنى الخشب . ماذا عن السجاد ؟ "

" سجاد فارسى أثرى . ولكنى لا أعلم شيئاً عن تاريخه . لقد استخدم هذا المكتب من قبل أحد أجداد ميليجان ، وكان يعمل قاضياً فى مقاطعة رود أيلاند ، أو هكذا يدعى . إنه شخص متباه ، ولن تعلم أبدا إذا كان ما يدعيه كذباً أم لا " .

" أين هو الآن ؟ "

" فى إجازة ، على حسب علمى . هل أخبروك عن نظام الإجازات ؟ "

" كلا " .

" سوف تحصل على أسبوعين سنوياً خلال الخمس سنوات الأولى ، مدفوعة الأجر بالطبع . تصبح ثلاثة أسابيع بعد ذلك وحتى تصل إلى لقب شريك ، بعدها تأخذ ما تريد من العطلات . إن الشركة تمتلك فيلا فى فايل ، وكابينة تطل على بحيرة مانيتوبا ، ومنزلين على شاطئ سيفن مايل فى جزيرة جراند كايمان . إن الإقامة بهما مجانية ، ولكن عليك أن تقوم بالحجز مبكراً . الشركاء لهم أولوية الحجز . بعد ذلك الحجز بأسبقية التقدم . إن المنزلين بجزر كايمان لهما شعبية كبيرة داخل الشركة ، لأن الجزيرة تعد مقراً دولياً للمؤتمرات الخاصة

بالضرائب والكثير من رحلاتنا هناك تُسَجَل داخل الدفاتر على أنها رحلات عمل . أعتقد أن ميليجان هناك الآن ، لعله يستمتع برياضة الغطس ويسجل ذلك على أنه لقاء عمل " .

خلال إحدى الدراسات الضريبية بالجامعة ، سمع ميتش عن جزر كايمان وعلم أنها بمكان ما في البحر الكاريبي . كاد يسأل عن موقعها بالتحديد ، ولكنه قرر أن يتحقق من ذلك بنفسه .

تساءل ميتش : " أسبوعان فقط للعطلة ؟ "

" نعم ، هل هذا مشكلة ؟ "

" كلا ، ليست مشكلة . إن الشركة التي تقدمت إليها في مدينة نيويورك كانت تعرض ثلاثة أسابيع عطلة على الأقل " ، كان يتحدث في لهجة الناقد الخبير بالعطلات الفاخرة . لكنه لم يكن كذلك . ففيما عدا عطلة لمدة ثلاثة أيام أطلقوا عليها اسم شهر العسل ، ونزهة بالسيارة من وقت لآخر عبر أراضي نيو اينجلند ، فهو لم يحصل على إجازة طويلة طيلة حياته ولم يغادر البلاد أبداً .

قال لامار : " يمكنك أن تأخذ أسبوعا إضافياً ، دون راتب " .

أومأ ميتش برأسه وكأنه تقبل الفكرة . غادرا مكتب ميليجان واستكملا الجولة . كان الرواق يمتد على شكل مستطيل طويل وعلى جوانبه الخارجية تقع مكاتب المحامين ، والتي تطل جميع نوافذها على المناظر الخلابة وتدخل منها أشعة الشمس . أما المكاتب التي تطل على النهر فكانت أكثر فخامة ، وغالبا ما يعمل بها الشركاء . وكان هناك قوائم انتظار للحصول على تلك المكاتب .

أما قاعات الاجتماعات ، والمكتبات ، ومكاتب السكرتارية ، فكانت على الجانب الداخلي للرواق ، بعيداً عن النوافذ وأسباب تشتيت الانتباه .

أما مكاتب المحامين فكانت أصغر حجماً بمساحة خمسة عشر قدماً مربعاً ولكنها كانت مزينة بعناية وأكثر جمالاً من مكاتب المحامين التى رآها فى نيويورك أو شيكاغو . قال لامار إن الشركة كانت تنفق ما يعادل ثروة صغيرة على مهندسى الديكور . بدا وكأن المال ينمو على الشجر بالنسبة لتلك الشركة . كان المحامون الصغار يتصرفون بود ويتحدثون كثيراً وبدا أنهم لا يمانعون أن يقاطعهم أحد أثناء العمل . تحدث بعضهم حول عظمة تلك الشركة وجمال مدينة ممفيس . قالوا إن المرء غالبا ما يقع فى حب تلك المدينة القديمة ، ولكن ذلك يأخذ بعض الوقت . ولقد أخبروا ميتش أنهم أيضاً جاءتهم عروض من شركات كبرى فى واشنطن وvول ستريت ، وأنهم لم يندموا يوما على الانضمام إلى تلك الشركة .

كان الشركاء أكثر انشغالاً ، ولكنهم لم يكونوا أقل لطفاً . ظلوا يخبرونه مراراً وتكراراً أنه قد اختير بعناية وأنه سوف ينسجم فى العمل بالشركة . لقد كانت الشركة تناسب شخصيته تماما . ووعدوه باستكمال الحديث أثناء الغداء .

* * *

فى ساعة سابقة ، كانت كاى كوين قد تركت أطفالها مع جليسة الأطفال والخادمة وقابلت آبى فى مطعم فندق بيبودى لتناول وجبة إفطار متأخرة . كانت فتاة قادمة من مدينة صغيرة ، تماماً مثل آبى . كانت قد تزوجت من لامار بعد انتهاء الدراسة الجامعية وعاشت معه ثلاث سنوات فى ناشفيل ، حيث كان يدرس القانون فى جامعة فاندربيلت . كان لامار يتقاضى أموالاً كثيرة حتى أنها تركت عملها وأنجبت طفلين خلال أربعة عشر شهراً فقط . والآن ، وبعد أن تركت عملها وانتهت فترة إنجاب الأطفال بالنسبة لها ، فقد صارت تمضى معظم أوقاتها بين نوادى محبى الحدائق ، والمؤسسات الخيرية ،

والنوادى الاجتماعية ، وجمعية الآباء والمعلمين ، ودار العبادة . وعلى الرغم من المال وراحة العيش ، إلا أنها كانت متواضعة وغير متكلفة ومن الواضح أنها كانت مصممة على البقاء على هذا النحو بغض النظر عن نجاح زوجها . وقد وجدت آبى فيها صديقة لها .

بعد تناول المعجنات والبيض ، جلستا فى بهو الفندق ، تتناولان القهوة وتشاهدان البط وهو يسبح فى دورات حول نافورة المياه . كانت كاى قد اقترحت القيام بجولة سريعة حول ممفيس مع تناول غداء متأخر بالقرب من منزلها . وربما بعض التسوق .

قالت كاى فى تساؤل : " هل أخبروكما عن القرض منخفض الفائدة ؟ "

" نعم ، فى المقابلة الأولى " .

" سوف يطلبون منكما أن تبتاعا منزلاً عندما تنتقلان إلى هنا . معظم خريجى كلية الحقوق المستجدين لا يتمكنون من شراء منزل خاص بهم ، ولذلك تقوم الشركة بإقراضهم مبلغا من المال بمعدل فائدة منخفض وتحتفظ بالرهن العقارى " .

" منخفض إلى أى مدى ؟ "

" لا أدرى . لقد مضت سبع سنوات منذ انتقلنا إلى هنا ، ولقد اشترينا منزلاً آخر خلال هذه المدة . صدقينى ، سوف تكون صفقة رابحة . سوف تحرص الشركة على أن يكون لديكما منزل . إن الأمر يشبه قاعدة غير مكتوبة تلتزم بها الشركة " .

" ولماذا يمثل الأمر كل هذه الأهمية لهم ؟ "

" لعدة أسباب . أولاً ، إنهم يريدون منكما أن تكونا قريبين من الشركة . إن هذه الشركة تنتقى موظفيها بعناية ، وغالباً ما يحصلون على ما يريدون . لكن ممفيس ليست فى بؤرة الضوء تماماً ، ولذلك عليهم أن يقدموا مميزات أكثر من غيرهم . وأيضاً لأن الشركة تطلب

الكثير من الجهد ، وخاصة من المحامين الجدد . فهناك ضغوط ، وأعمال إضافية ، ووقت عمل قد يصل إلى ثمانين ساعة أسبوعيا ، ورحلات عمل بعيداً عن المنزل . لن يكون الأمر سهلاً على كليكما ، والشركة تعلم ذلك . والنظرية هى أن الزواج المتين يعنى محامياً سعيداً ، والمحامي السعيد هو محام منتج ، وخلاصة القول هى أنهم يسعون إلى الربح . هدفهم الدائم هو الربح .

وهناك سبب آخر . هؤلاء المحامون كلهم من الرجال ، وليس بينهم سيدات - يفخرون للغاية بثرواتهم ، وكل محام بالشركة من المفترض أن يبدو غنيا ويتعامل بهذه الطريقة . وسوف تكون إهانة للشركة أن يضطر أحد محاميها إلى أن يسكن فى شقة . إنهم يريدون منكم أن تعيشوا فى منزل ، وبعد خمس سنوات ، سيريدون لكم أن تعيشوا فى منزل أكبر . إذا كان لدينا بعض الوقت عصر اليوم ، سوف أريك بعضا من المنازل التى يمتلكها الشركاء فى هذه الشركة . عندما تشاهدين تلك المنازل ، لن تمانعى أن يعمل زوجك لمدة ثمانين ساعة أسبوعياً " .

" لقد اعتدت على ذلك بالفعل " .

" هذا جيد ، لكن الدراسة بكلية الحقوق لا تقارن بالعمل فى الشركة . فى بعض الأحيان سوف يعملون لمدة مائة ساعة أسبوعيا وذلك خلال فترة تسليم الإقرارات الضريبية " .

ابتسمت آبى وهزت رأسها وكأن ما قالته كاى قد أدهشها كثيرا . قالت متسائلة : " هل تعملين ؟ "

" كلا ، معظم زوجات المحامين بالشركة لا يعملن . هناك الكثير من المال ، ولذلك لا يوجد ضرورة للعمل ، ونحن لا نحصل على ما يكفى من العون فى تربية الأطفال من أزواجنا . ولكن العمل ليس ممنوعاً بالطبع " .

" ممنوع من قِبَل من ؟ "

" الشركة " .

" لا أتمنى أن يفعلوا ذلك " كررت آبى كلمة " ممنوع " داخل عقلها ، ولكنها قررت أن تترك الموضوع يمر .

ارتشفت كاى قهوتها وأخذت تشاهد البط وهو يسبح . ابتعد طفل صغير عن أمه ووقف ينظر إلى البط بالقرب من النافورة . تساءلت كاى : " هل تخططين لإنجاب أطفال ؟ "

" ربما بعد سنتين أو ثلاث " .

" إنهم يشجعون إنجاب الأطفال " .

" من هم ؟ "

" الشركة " .

" ولماذا تهتم الشركة إذا كان لدينا أطفال ؟ "

" مرة أخرى ، فكرة العائلة المستقرة . إن مولد طفل جديد يعد حدثاً عظيماً فى الشركة . إنهم يرسلون الأزهار والهدايا إلى المستشفى . سيعاملونك كأنك ملكة . يحصل زوجك على أسبوع إجازة ، ولكنه سيكون مشغولاً للغاية ولن يتمكن من أخذه . سيضعون ألف دولار فى صندوق ائتمان من أجل مصاريف الجامعة لطفلك . وهناك الكثير من الأشياء اللطيفة الأخرى " .

" هذه الشركة تبدو مثل جمعية أخوية كبيرة " .

" بل هى أشبه بعائلة كبيرة . إن حياتنا الاجتماعية تدور حول الشركة ، ولهذا أهميته لأننا جميعا لسنا من أبناء ممفيس . إننا أشبه بالطيور المهاجرة " .

" هو رائع ، ولكنى لا أريد أن يخبرنى أحدهم متى أعمل ومتى أتوقف عن العمل ومتى أنجب الأطفال " .

" لا داعـى للقلـق . إنهـم يحمـون مصـالح بعضـهم جيـداً ، ولكـن الشركة لا تتدخل فى الشئون الخاصة لموظفيها " .

" لقد بدأت أشك فى هذا " .

" لا عليك يا آبى . إن الشركة مثل عائلة مترابطـة . إنهـم أشـخاص رائعون ، وممفيس مدينة قديمة ومكان رائع للعيش وتربيـة الأطفـال . إن تكلفة المعيشة منخفضة للغاية ، والحياة تسير بإيقـاع بطـىء . ربمـا تفكران فى العـيش بإحـدى المدن الكـبرى ، وهكـذا كنـا نفكـر أيضـاً ، ولكنى دائماً سأفضل العيش فى ممفيس عن أى مدينة كبرى " .

" هل سأحصل على جولة بالمدينة ؟ "

" أنا هنا لهذا السبب . لقد فكرت أن نبدأ الجولة بوسط المدينة ، ثم نتجه بعد ذلك إلى الشرق ونلقى نظـرة علـى الأحيـاء الهادئـة ، وربمـا نشاهد بعض المنازل هناك ونتناول الغداء فى مطعمى المفضل " .

" يبدو هذا رائعاً " .

دفعت كاى ثمن القهوة ، وكانت قد دفعت ثمن الإفطـار أيضـاً ، ثـم غادرتا فندق بيبودى فى السيارة المرسيدس الجديـدة الخاصـة بعائلـة كوين .

كانت حجرة الطعام ، كما يطلقون عليها ، تغطـى الجانـب الغربـى من الطابق الخامس الذى يشرف على شارع ريفرسايد درايف ، ويرتفع على بعد مسافة من النهر . كان هناك صـف مـن النوافـذ الضـخمة التـى تمتـد علـى طـول الحـائط وتعطـى منظـراً بـديعاً للـزوارق البخاريـة ، والمراكب ذات العجـلات الخشـبية ، والصـنادل الحديديـة ، وأحـواض السفن ، والكبارى التى تعلو مجرى النهر .

كانت الحجرة تعد معقـلاً حصـيناً ، ومـلاذاً لهـؤلاء النـابغين مـن المحامين والطموحين بشكل يضمن لهم لقب شـريك فـى شـركة بنـدينى

القانونية الهادئة . كانوا يجتمعون كل يوم من أجل تناول الغداء الذى كانت تعده جيسى فرانسيس ، وهى عجوز سوداء ، ضخمة البنية وحادة الطباع ، ويقدمه زوجها ، روزفلت ، الذى كان يرتدى قفازاً أبيض اللون وحلة ضيقة ، كالحة ، مجعدة ، محاكة يدوياً ، حيث كان السيد بنديني قد أعطاها له قبل وفاته بفترة قليلة . كانوا يجتمعون أحيانا في الصباح لتناول الكعك المحلى وشرب القهوة ومن أجل مناقشة أحوال العمل بالشركة ، ومن وقت لآخر ، كانوا يجتمعون في فترة ما بعد الظهيرة لتناول الشراب احتفالاً بشهر جيد الأرباح أو أتعاب قضية استثنائية ضخمة . كانت تلك الاجتماعات مقصورة على الشركاء فقط ، وربما كان يحضرها ضيف استثنائي في بعض الأحيان ، كعميل من أصحاب الملايين ، أو محام مرشح للتعيين بالشركة . كان باستطاعة صغار المحامين تناول العشاء بالقاعة مرتين بالسنة ، فقط مرتين ، وكانوا يحتفظون بسجلات لذلك ، وفيما عدا ذلك لا يمكن الحضور إلا بدعوة من أحد الشركاء .

بجوار قاعة الطعام كان هناك مطبخ صغير تستخدمه جيسى للطهو ، وهناك كانت قد أعدت الوجبة الأولى للسيد بنديني وآخرين منذ ست وعشرين سنة مضت . ولمدة ستة وعشرين عاماً ظلت تطهو وجبات الجنوب الأمريكى وتجاهلت كل من طالبها بالتوسع في الوجبات ومحاولة طهي أطباق كانت تجد صعوبة في نطق أسمائها . وكان ردها المعتاد : " لا تأكله إن لم يكن يعجبك " وبالحكم على بقايا الطعام القليلة التى كان روزفلت يجمعها من فوق المائدة ، بدا واضحا أن الطعام كان يعجبهم وكانوا يلتهمونه فى الحال . كانت تعلق قائمة الطعام يوم الاثنين ، وكانت تطلب أن يتم حجز الموائد قبل العاشرة صباح كل يوم وكانت تغتاظ بشدة إذا ألغى أحدهم حجزه أو لم يظهر فى

الميعاد . كانت تعمل هي وروزفلت لمدة أربع ساعات يوميا ويتقاضى كل منهما ألف دولار شهريا .

جلس ميتش على إحدى الطاولات بصحبة لامار كوين ، أوليفر لامبرت ورويس مكنايت . كان الطبق الرئيسى عبارة عن شريحة لحم ، قدمت بصحبة بامية مقلية وقرع مسلوق .

قال أوليفر لامبرت ، معلقا على الطعام : " لقد قللت جيسى من الدهون فى هذه الوجبة " .

قال ميتش : " إنها وجبة لذيذة " .

" هل أنت معتاد على تناول الأطعمة المطهوة بالدهون ؟ "

" نعم ، إنهم يطهون بهذه الطريقة فى كينتاكى " .

قال رويس مكنايت : " لقد انضممت إلى هذه الشركة عام ١٩٥٥ ، وكنت قادماً من نيوجيرسى ، كما تعلمون . ولشعورى بالخوف ، تجنبت وجبات الطعام الجنوبية بقدر الإمكان . كان كل شيء يخلط ويُقلَى باستخدام الدهن الحيوانى ، كما تعلمون . ثم صمم السيد بندينى على إقامة هذا المطعم الصغير . وقام بتعيين جيسى فرانسيس ، ولقد احترقت معدتى بسبب طهوها خلال العشرين عاماً الماضية . طماطم مقلية طازجة ، طماطم خضراء مقلية ، باذنجان مقلى ، بامية مقلية ، قرع مقلى ، كل شيء وأى شيء مقلى . فى يوم ما قال فيكتور ميليجان أكثر مما ينبغى . إنه من كونيكتيكت ، كما تعلمون . وكانت جيسى قد قامت بطهو بعض المخلل المقلى فى التوابل . هل يمنكم تخيل هذا ؟ مخلل مقلى بالتوابل ! قال ميليجان بعض الكلمات الجارحة إلى روزفلت ، الذى أخبر جيسى فرانسيس بذلك على الفور . خرجت جيسى من الباب الخلفى وتركت العمل . ظلت فى المنزل لمدة أسبوع . أراد روزفلت العودة للعمل ، ولكنها منعته من ذلك . فى النهاية تدخل السيد بندينى لتهدئة الأمور ووافقت جيسى على العودة للعمل بشرط

ألا يكون هناك أى شكوى من طعامها بعد ذلك . ولكنها قللت من الدهون منذ ذلك اليوم . أظن أن أعمارنا قد طالت لمدة عشر سنوات أخرى " .

قال لامار ، وهو يلتهم قطعة أخرى من اللحم : " إنه لذيذ للغاية " .

أضاف السيد لامبرت ، بينما كان روزفلت يمر بالقرب منهم : " إنه لذيذ فعلاً . إن طعامها غني ويسبب السمنة ، ولكننا نادراً ما نفوت وجبة الغداء " .

كان ميتش يأكل بحذر ، وينخرط فى محادثات تصيبه بالتوتر ، محاولاً أن يظهر أنه يتصرف براحة تامة . لقد كان الأمر شاقا . لقد كان محاطاً بمجموعة من المحامين المرموقين الناجحين ، وكلهم من أصحاب الملايين ، داخل قاعة طعامهم الخاصة ، المزخرفة فى بذخ ، مما جعله يشعر كأنه يقف على أرض مقدسة . كان وجود لامار يشعره ببعض الراحة ، وكذلك وجود روزفلت .

عندما صار من الواضح أن ميتش قد انتهى من تناول طعامه ، مسح أوليفر لامبرت فمه ، ووقف ببطء ونقر فوق كوب الشاى بالملعقة . قال : " أيها السادة ، هلا أعطيتمونى انتباهكم إذا سمحتم " .

ساد الصمت أرجاء القاعة حيث استدار الشركاء العشرون باتجاه المائدة الرئيسية . وضعوا شراشفهم فوق الموائد وتعلقت أعينهم بالضيف . فى مكان ما فى مكاتبهم كان هناك نسخة من ملف ميتش ماكدير . وقبل شهرين كانوا قد صوتوا بالإجماع من أجل جعله اختيارهم الأول . كانوا يعلمون أنه يجرى أربعة أميال يوميا ، لا يدخن ، لديه حساسية من كبريتات السلفا ، أجريت له عملية إزالة اللوزتين ، يقود سيارة مازدا زرقاء ، وكان لديه أم مجنونة ، وأنه قد قام بتسجيل ثلاثة أهداف فى ربع ساعة أثناء إحدى المباريات . كانوا

يعلمون أنه لا يتناول أى دواء سوى الأسبرين ، حتى وهو مريض بشدة ، وأنه فى حاجة ماسة إلى المال حتى أنه لن يمانع فى العمل لمدة مائة ساعة أسبوعياً إذا طلبوا منه ذلك . كانوا معجبين به . كان وسيم الملامح ، ذا بنية رياضية ، كان رجلاً ذا عقلية رائعة وجسد رشيق .

أردف لامبرت : " كما تعلمون ، لدينا ضيف مميز اليوم ، السيد ميتش ماكدير . سوف يتخرج السيد ماكدير قريباً بدرجة امتياز من كلية الحقوق بجامعة هارفارد ــــ " .

صاح بعض الحاضرين من خريجى جامعة هارفارد : " تحيا هارفارد " .

قال لامبرت : " حسنا ، شكراً لكم . ويقيم ميتش بصحبة زوجته ، آبى ، بفندق بيبودى فى عطلة نهاية الأسبوع كضيوف للشركة . وسوف يتخرج ميتش من بين الخمسة الأوائل على دفعته التى تبلغ ثلاثمائة خريج ، وجاءته عروض كثيرة للانضمام إلى أكثر من شركة كبيرة . ونحن نريده هنا فى شركتنا ، وأعلم أنكم سوف تتحدثون إليه قبل أن يغادر . وسوف يتناول طعام العشاء هذه الليلة بصحبة لامار كوين وزوجته كاى ، وغداً سيكون هناك حفل عشاء فى منزلى . أتوقع حضوركم جميعا " . ابتسم ميتش فى حرج وهو يحيى الشركاء بينما استمر السيد لامبرت يتغنى بعظمة الشركة . عندما انتهى من كلامه ، استكمل الجميع تناول الطعام حيث قدم روزفلت حلوى البودنج والقهوة .

كان مطعم كاى المفضل مكاناً أنيقاً فى شرق ممفيس يرتاده الأغنياء من الشباب . كانت الأزهار تحيط بالمكان من كل ناحية وكان صندوق الموسيقى لا يعزف إلا ألحانا من أوائل الستينات . وكان الشراب يُقَدّم فى كؤوس تذكارية طويلة .

قالت كاى محذرة : " يكفى كأس واحدة " .
ردت آبى : " لست ممن يفرطون في تناول المشروبات " .
طلبتا بعض الفطائر وتناولتا رشفات من المياه الغازية .
قالت كاى : " هل يشرب ميتش كثيرا ؟ "
" بل لا يشرب إطلاقا . إنه رياضى ويهتم بجسده للغاية . قد يشرب قدحاً من القهوة أو بعضاً من المياه الغازية ، ولكن ليس أكثر من ذلك . وماذا عن لامار ؟ "
" نفس الشيء تقريبا . لقد كان يكثر من تناول الجعة فى كلية الحقوق ، ولكنه يعانى من مشاكل في الوزن . إن الشركة تنزعج كثيراً من إدمان الكحوليات " .
" هذا شيء مثير للإعجاب ، ولكن لماذا يهتمون بهذا الأمر ؟ "
" لأن العلاقة بين المحامين والكحوليات تشبه العلاقة بين مصاصى الدماء والدم . معظم المحامين يتناولون الكحوليات أكثر مما يشربون الماء ، ويعتبر إدمان الكحوليات آفة هذه المهنة . أظن أن الأمر يبدأ أثناء الدراسة في كلية الحقوق . فى جامعة فاندربيلت كان أحدهم دائما ما يمشي وفي يده برميل صغير من البيرة ، ولعل نفس الشيء كان يحدث في هارفارد . إن هذه المهنة لها ضغوط كثيرة ، وغالباً ما يعنى هذا الكثير من تناول الشراب . واعلمى أن هؤلاء الرجال بالشركة لا يمتنعون عن الشراب بالكلية ، ولكنهم يبقون الأمر تحت السيطرة . والمحامى السليم صحياً هو محام منتج . إنها مسألة أرباح كما قلت لك من قبل " .
قالت آبى : " أعتقد أنه أمر منطقى . إن ميتش يقول إن هذه الشركة لا تستغنى عن أى من محاميها " .
" إنه أشبه بالتعاقد الأبدى . لا أتذكر أن أحداً قد ترك الشركة خلال السبع سنوات التى قضيتها هنا . إن المرتبات رائعة وهم

" أى نوع من المنازل ؟ "

" منزل من أجلك أنت وميتش . من أجل أحدث محام ينضم إلى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك القانونية . يمكنها أن تريك العديد من المنازل بأسعار فى المتناول " .

" أنا لا أعلم ما هى الأسعار التى فى متناولنا " .

" أستطيع أن أقول من مائة إلى مائة وخمسين ألفاً . لقد اشترى آخر محامٍ انضم إلى الشركة منزلاً فى أوكجراف ، وأنا على ثقة أنه قد دفع مبلغا قريبا من هذا " .

مالت آبى إلى الأمام وقالت بشكل أقرب إلى الهمس : " كم سيكون القسط الشهرى الذى سندفعه ؟ "

" لا أدرى . ولكنه سوف يكون فى متناولكما . ما يقرب من ألف دولار شهرياً أو أكثر قليلا "

حدقت آبى فى وجه كاى وابتلعت الطعام بصعوبة . لقد كانت الشقة الصغيرة فى مانهاتن بضعف هذا المبلغ . قالت أخيرا : " هيا نتصل بها " .

كما هو متوقع ، كان مكتب رويس مكنايت من مكاتب السلطة بالشركة وكان يطل على منظر بديع . كان موقعه بأحد الأركان المرموقة فى الطابق الرابع ، وعند نهاية الرواق المؤدى إلى مكتب ناثان لوك . استأذن لامار مغادرا المكتب ، وطلب مدير الشركة من ميتش أن يجلس على أحد مقاعد طاولة اجتماعات صغيرة موضوعة بالقرب من الأريكة . وطلب من السكرتيرة إحضار القهوة .

سأله مكنايت عن زيارته حتى الآن ، وأجاب ميتش أنه منبهر للغاية .

قال مكنايت : " أريد منك أن تفهم تفاصيل العرض الذى نقدمه يا ميتش " .

" بالطبع " .

" إن الراتب الأساسى هو ثمانون ألف دولار خلال العام الأول . عندما تجتاز امتحان النقابة سوف تحصل على علاوة قيمتها خمسة آلاف دولار . ليست مكافأة ، ولكن علاوة ثابتة تضاف إلى الراتب . سيعقد الامتحان في شهر أغسطس وسوف تمضى معظم فترة الصيف في الاستعداد له . إن لدينا حلقات تدريبية خاصة من أجل اجتياز الامتحان وسوف تتلقى بعض المحاضرات المكثفة من بعض الشركاء هنا . وسوف تكون تلك المحاضرات ضمن وقت العمل بالشركة . كما تعلم ، فإن معظم الشركات تطلب منك أداء عملك وتتوقع منك أن تدرس فى وقتك الخاص . ولكننا لا نفعل ذلك . لم يخفق أى محام بهذه الشركة في اجتياز امتحان النقابة ، ونحن لا نشعر بالقلق من أنك قد تخرق هذا التقليد . ثمانون ألف دولار كراتب مبدئى ، يرتفع إلى خمسة وثمانين ألفاً بعد ستة أشهر . وبعد أن تمضى سنة من العمل بالشركة سوف يرتفع راتبك إلى تسعين ألفاً ، إلى جانب أنك سوف تحصل على مكافأة فى نهاية شهر ديسمبر طبقا لأرباح وأداء الشركة خلال الشهور الاثنى عشر السابقة . فى السنة الماضية كان متوسط المكافآت بالنسبة للمحامين حوالى تسعة آلاف دولار . وكما تعلم ، فإن نظام مشاركة الأرباح مع المحامين يعد أمرا نادرا للغاية فى شركات المحاماة . أهناك أية تساؤلات بشأن الراتب ؟ "

" ماذا يحدث بعد العام الثانى من العمل ؟ "

" سوف يرتفع راتبك بنسبة عشرة بالمائة كل عام حتى تصبح شريكا بالشركة . لكن العلاوات والمكافآت ليست مضمونة . إن كل شيء مرتبط بأدائك فى الشركة " .

" هذا معقول للغاية " .

" كما تعلم ، من المهم بالنسبة لنا أن تشترى منزلاً . إن ذلك يضفى استقراراً ووضعاً اجتماعياً جيداً ، ونحن نهتم كثيراً بهذه الأشياء وخاصة بالنسبة للمحامين العاملين بالشركة . إن الشركة تقدم قرضاً بنسبة فائدة منخفضة من أجل شراء منزل ، ومدة القرض ثلاثون عاماً بمعدل فائدة ثابت ، ومعفى من الضرائب إذا قررت أن تبيع المنزل خلال سنوات قليلة . إنه عرض لمرة واحدة ، ومتاح عند شراء أول منزل فقط . بعد ذلك سوف تتحمل قيمة أى منزل آخر " .

" ما هى نسبة الفائدة المفروضة على القرض ؟ "

" أقل قيمة يمكن أن نمنحها بدون أن نتعرض لمشاكل مع مصلحة الضرائب . إن معدل الفائدة الحالى حوالى عشرة أو عشرة ونصف بالمائة . سوف نتمكن من إعطائك قرضاً بنسبة فائدة تبلغ سبعة أو ثمانية بالمائة . إننا نمثل بعض البنوك وسوف يساعدوننا فى تلك المسألة . وبهذا الراتب الذى ستتقاضاه لن يكون هناك مشكلة في الموافقة على القرض .في الواقع ، سوف توقع الشركة كضامن إذا لزم الأمر " .

" هذا عرض سخى جداً يا سيد مكنايت " .

" إنه أمر مهم بالنسبة لنا . إلى جانب أننا لا نخسر أى أموال فى هذا الأمر . وما إن تعثر على منزل حتى يتولى قسم العقارات بالشركة كل شيء . وكل ما عليك فعله هو الانتقال للعيش بالمنزل " .

" ماذا عن السيارة الـ بى .إم .دبليو ؟ "

أطلق مكنايت ضحكة خافتة وقال : " لقد بدأنا هذا التقليد منذ عشر سنوات ، ولقد ثبت أنه حافز جيد . إن الأمر بسيط للغاية . ستقوم باختيار سيارة بى .إم .دبليو من الطرازات صغيرة الحجم ، وسوف نقوم بتأجيرها لك لمدة ثلاث سنوات ونعطيك المفاتيح . سوف ندفع قيمة التأمين والصيانة ، وبعد نهاية السنوات الثلاث يمكنك

شراء السيارة من الشركة المؤجرة مقابل سعر السوق فى ذلك الوقت . هذا العرض لمرة واحدة أيضاً " .

" إنه عرض مغر للغاية " .

" نحن نعرف ذلك " .

نظر السيد مكنايت إلى إحدى المذكرات القانونية على سطح مكتبه ثم قال : " نحن نوفر تأميناً اجتماعياً وطبياً لكل أفراد العائلة ، بما فيها حالات الحمل والفحوصات الدورية وتقويم الأسنان وكل شيء . وسوف تتحمل الشركة كل التكاليف بالكامل " .

أومأ ميتش برأسه ، ولكنه لم يكن مبهوراً . كان ذلك شيئا معتادا تفعله معظم الشركات .

أكمل مكنايت كلامه : " لدينا خطة تقاعد أفضل من أى شركة أخرى . لكل دولار تدفعه كتأمين تقاعد تدفع الشركة دولارين فى المقابل ، بشرط ألا يقل ما تدفعه سنوياً عن عشرة بالمائة من راتبك الأساسي . لنقل إنك تبدأ براتب قدره ثمانون ألفاً ، وتقوم بدفع ثمانية آلاف فى السنة الأولى . سوف تقوم الشركة بدفع ستة عشر ألفاً فى المقابل ، وبذلك تكون قد ادخرت أربعة وعشرين ألفاً فى السنة الأولى . هناك شركة متخصصة فى نيويورك تتولى شئون التقاعد ، وفى العام الماضي بلغت معدلات الفائدة على استثماراتنا تسعة عشر بالمائة ، وهو معدل جيد . إذا استثمرت أموالك لمدة عشرين سنة سوف تصبح مليونيراً فى سن الخامسة والأربعين ، فقط من استثمارات التقاعد . ولكن هناك شرطاً واحداً : إذا توقفت عن الدفع قبل عشرين عاماً ، سوف تخسر كل شيء فيما عدا الأموال التى ادخرتها ، بدون أى فائدة على تلك الأموال التي استثمرتها " .

" يبدو ذلك قاسياً بعض الشيء " .

" كلا ، إنه في الواقع عرض سخي للغاية . أخبرني بأي شركة أو مؤسسة تساهم بنسبة اثنين إلى واحد في مدخرات تقاعد موظفيها . وحسب علمي ، لا يوجد من يفعل ذلك . إنها طريقتنا في الاعتناء ببعضنا البعض . الكثير من الشركاء بالشركة يتقاعدون عند سن الخمسين ، وبعضهم عند الخامسة والأربعين . ليس لدينا سن إلزامي للتقاعد ، وبعضنا يعمل حتى الستين أو السبعين . وهذا اختيارهم . أما هدفنا فهو أن نضمن معاشاً سخياً وأن نجعل التقاعد المبكر خياراً متاحاً للجميع " .

" كم عدد الشركاء المتقاعدين بالشركة ؟ "

" عشرين حتى الآن . سوف تراهم بالشركة من وقت لآخر . بعضهم يحب القدوم إلى الشركة وتناول الغداء معنا ، والقليل منهم مازال لديهم مكاتب بالشركة . هل حدثك لامار عن الإجازات ؟ "

" نعم " .

" حسنا ، احجز مبكراً ، وخاصة إذا كنت ترغب في الذهاب إلى فايل أو جزر كايمان . سوف تدفع ثمن تذاكر الطيران ولكن الإقامة في نُزُل الشركة ستكون بالمجان . إن لدينا الكثير من الأعمال في جزر كايمان ، من وقت لآخر سوف نرسلك إلى هناك لمدة يومين أو ثلاثة ونقوم بتسجيل المدة كلها على أنها رحلة عمل . هذه الرحلات لن نعتبرها إجازات ، وسوف تتمكن من القيام برحلات كهذه مرة سنوياً أو أكثر . إننا نعمل بجد يا ميتش ، ونحن نعلم قيمة الترفيه وأثره " .

أومأ ميتش موافقاً وهو يحلم بالاستلقاء على شواطئ الكاريبي المشمسة ، محتسياً عصير الفاكهة الطازج ، ومستمتعاً بمنظر الجميلات وهن يتهادين فوق الرمال في ملابس البحر المثيرة .

" هل أخبرك لامار عن مكافأة التوقيع على العقد ؟ "

" كلا ، ولكن يبدو أنه أمر مثير " .

" عند قيامك بالتوقيع نقوم بتسليمك شيكاً بمبلغ خمسة آلاف دولار . ونحن نفضل أن تقوم بإنفاق هذا المبلغ على شراء ملابس جديدة . بعد سبع سنوات من ارتداء الجينز والقمصان القطنية ، لابد أن خزانتك من السترات وحُلل السهرة قليلة ، ونحن ندرك هذا . إن المظهر شيء مهم جداً بالنسبة لنا . نحن نتوقع من محامينا أن يرتدوا ملابس أنيقة ومتحفظة . ليس هناك طراز معين للملبس ، ولكنك سترى ذوق ملابس محامينا " .

هل قال خمسة آلاف دولار ؟ من أجل الملابس ؟ أخذ ميتش يفكر كيف أنه لا يمتلك حالياً سوى سترتين فقط وكان يرتدى إحداهما بالفعل . حاول أن يظل جامد الملامح ولم يبتسم .

قال رويس مكنايت : " هل من أسئلة ؟ "

" نعم ، إن الشركات الكبرى لها سمعة سيئة فى كونها شركات مستغلة ، حيث يتم إسناد الأبحاث المملة إلى المحامين الجدد وإبقاؤهم حبيسى المكتبات لمدة السنوات الثلاث الأولى . أنا لا أريد أن أُعَامَل بهذا الشكل . أنا لا أمانع فى أن أقوم بنصيبى من الأبحاث ، وأدرك أننى سوف أكون فى أسفل السلم الوظيفي هنا . لكننى لا أريد أن أقوم بالأبحاث وكتابة المذكرات القانونية للشركة كلها . إننى أرغب فى العمل مع عملاء حقيقيين والتعامل مع مشاكلهم الواقعية "

أنصت السيد مكنايت بعناية وانتظر لكى يلقى بالإجابة التى تدرب عليها كثيراً : " إننى أتفهم ذلك يا ميتش . إنك محق فى هذا ، إنها مشكلة حقيقية فى الشركات الكبرى . لكن ليس هنا . خلال الثلاثة شهور الأولى سوف تقوم بالقليل من العمل ولكنك ستتفرغ للدراسة من أجل امتحان النقابة . عندما تنتهى تلك المدة ، سوف تبدأ فى ممارسة مهنة المحاماة . سوف تصبح مساعداً لأحد الشركاء وسوف يصبح عملاؤه عملاءك أنت أيضاً . سوف تقوم بإعداد أبحاثه وأبحاثك

بالطبع ، وقد يطلب منك أحياناً مساعدة أحدهم في إعداد مذكرة قانونية أو بعض الأبحاث . نحن نريدك سعيداً يا ميتش . إننا نفخر كثيراً بأننا لا نستغني عن أي من محامينا ، ونحن نبذل جهداً إضافياً لكي نحافظ على المستقبل المهني لمحامينا . إذا لم تتفق مع الشريك الذي تعمل معه ، فسوف نجد لك شريكاً آخر . إذا اكتشفت أنك لا تحب العمل بالضرائب ، سوف نترك لك حرية العمل في الأوراق المالية أو المعاملات البنكية . إن القرار يعود إليك . سوف تستثمر الشركة الكثير من الأموال في السيد ميتش ماكدير ، ونحن نريده أن يكون منتجاً " .

احتسى ميتش قهوته وأخذ يفكر في سؤال آخر . ألقى مكنايت نظرة خاطفة على قائمة بالنقاط المراد تغطيتها في المقابلة .

قال مكنايت : " سوف ندفع مصاريف الانتقال إلى ممفيس " .

" لن يكلف ذلك الكثير . مجرد استئجار شاحنة صغيرة " .

" أهناك شيء آخر تود السؤال عنه يا ميتش ؟ "

" كلا يا سيدى . ليس هناك ما أود السؤال عنه " .

طويت القائمة ووضعت داخل الملف . وضع مكنايت مرفقيه على الطاولة ومال إلى الأمام وقال : " ميتش ، نحن لا نرغب في الاستعجال ، ولكننا نريد إجابة بأسرع وقت ممكن . إذا كنت ستذهب إلى شركة أخرى ، فلابد من أن نستمر في مقابلة بقية المرشحين . إنها عملية طويلة ، ونحن نرغب في أن يبدأ موظفنا الجديد عمله في الأول من يوليو "

" هل عشرة أيام تعتبر مدة كافية ؟ "

" هذا جيد . لنقل بحلول ٣٠ مارس ؟ "

" بالتأكيد ، لكنى سوف أتصل بكم قبل ذلك الوقت " . استأذن ميتش ، وعندما خرج وجد لامار بانتظاره فى البهو خارج مكتب مكنايت . اتفقا على اللقاء في السابعة لتناول العشاء .

٣

لم تكن هناك مكاتب قانونية فى الطابق الخامس من مبنى بنديني . كانت قاعة الطعام الخاصة بالشركاء والمطبخ الملحق بها يحتلان الجانب الغربي ، وكان هناك بعض حجرات التخزين غير المطلية أو المستعملة ، والتى تركت مغلقة وخاوية تقع فى وسط الطابق ، وكان هناك حائط سميك من الأسمنت يغلق الطريق إلى بقية الطابق . كان هناك باب معدنى إلى جواره مفتاح كهربى ومن فوقه كاميرا تصوير يحتل منتصف الحائط ويطل على غرفة صغيرة بها حارس مسلح ينظر إلى الباب ويراقب مجموعة من الشاشات التليفزيونية ذات الدوائر الكهربية المغلقة . كان هناك رواق متعرج يمر عبر متاهة من المكاتب وحجرات العمل الضيقة تكدست بها مجموعات من البشر مستغرقين فى أعمال المراقبة وجمع المعلومات . كانت النوافذ التى تطل على الخارج قد طليت بألوان سوداء وغطيت بالستائر الحديدية . لم يكن من الممكن أن يخترق شعاع الشمس هذا الحصن المنيع .

كان ديفاشر ، رئيس الأمن ، يحتل أكبر المكاتب البسيطة فى الرواق . كانت الشهادة الوحيدة المعلقة على حوائط مكتبه العارية تشير إلى كفاءته خلال ثلاثين عاماً من العمل بإدارة شرطة نيو أورلينز . كان شخصاً قصيراً ، ممتلئ الجسد ، عريض الصدر والكتفين ، وله رأس

ضخم ومستدير ونادراً ما كانت تعلوه الابتسامة . كان قميصه المتجعد مفتوح الأزرار بالقرب من ياقته ، تاركاً عنقه المنتفخ يتدلى بحرية . كان هناك رابطة عنق عريضة من البولستر معلقة فوق الشماعة إلى جانب سترة قديمة كالحة اللون .

بعد نهاية الزيارة التى قام بها ميتش ماكدير للشركة صباح الاثنين ، وقف أوليفر لامبرت أمام الباب الحديدى الصغير وأخذ ينظر إلى الكاميرا المعلقة فوقه . ضغط المفتاح مرتين ، انتظر لفترة ، وأخيرا سمح له الأمن بالعبور . عبر بسرعة خلال الممر الضيق ثم دلف إلى المكتب الذى تعمه الفوضى . كان ديفاشر يدخن سجائره المفضلة ويلقى بقايا سجائره فوق أى منفضة ويقوم ببعثرة الأوراق فى كل مكان حتى صار مكتبه عبارة عن أكوام من الورق .

" صباح الخير يا أولى . أظن أنك تريد التحدث عن ماكدير " .

كان ديفاشر هو الشخص الوحيد فى مبنى بنديني الذى يستطيع أن يناديه باسم أولى وجهاً لوجه .

قال أوليفر لامبرت : " نعم ، إلى جانب أشياء أخرى " .

" حسنا ، لقد أمضى وقتاً سعيداً ، وكان منبهراً بالشركة ، وأعجبته مدينة ممفيس بالفعل ومن المرجح أن ينضم للشركة " .

" أين كان رجالك ؟ "

" لقد كانوا بالغرفتين المجاورتين لغرفته بالفندق . وقد وضعت أجهزة التنصت داخل الغرفة وفى السيارة الليموزين وتمت مراقبة الهاتف بالطبع . لقد تمت كل الإجراءات المعتادة يا أولى " .

" أريد التفاصيل الكاملة " .

" حسنا ، فى مساء الخميس وصلا إلى الفندق فى وقت متأخر وأويا إلى الفراش بعد مناقشة صغيرة . فى مساء الجمعة أخبرها كل شيء عن

الشركة ، والمكاتب ، والأشخاص ، وقال إنك رجل لطيف للغاية . لقد اعتقدت أن ذلك سيعجبك " .

" هلا أكملت بسرعة " .

" لقد أخبرها عن قاعة الطعام الفاخرة والغداء الذى تناوله بصحبة الشركاء . أخبرها بتفاصيل العرض وكانا فرحين للغاية . لقد كان العرض أفضل بكثير من العروض الأخرى التى قدمت له . إنها تريد منزلاً به ممر للسيارة ورصيف للتمشية وحديقة مليئة بالأشجار وفناء خلفى . وقد قال إنها سوف تحصل على ما تريد " .

" هل تحدثا عن أى مشاكل تخص الشركة ؟ " .

" كلا فى الواقع . لقد علق على عدم وجود محامين سود أو محاميات بالشركة ، ولكن لم يبد أن هذا الأمر يزعجه " .

" ماذا عن زوجته ؟ "

لقد كانت فى قمة السعادة . إن ممفيس تروق لها . لقد انطلقت بصحبة زوجة لامار كوين فى جولة بالمدينة . وشاهدتا بعض المنازل عصر الجمعة ، ولقد أعجبها منزلان منهم " .

" هل لديك عناوين هذين المنزلين ؟ "

" بالطبع أولى . فى صباح السبت طلبا السيارة الليموزين وتجولا فى جولة فى أنحاء المدينة . كانا مبهورين بالسيارة الليموزين . وقد تجنب سائقنا التجول بالأحياء الفقيرة بالمدينة ، ولقد شاهدا المزيد من المنازل . وأظن أنهما قد استقرا على منزل بالفعل . رقم ١٢٣١ شرق ميدوبروك . إنه منزل خال من السكان . وقد قامت سمسارة عقارات تدعى بتسى بيل باصطحابهما فى جولة داخل المنزل . إنها تطلب مائة وأربعين ألفاً ثمناً له ، ولكنها سوف ترضى بأقل من ذلك . نحتاج إلى زحزحة هذا المبلغ قليلا " .

" هذه منطقة رائعة من المدينة . كم عمر هذا المنزل ؟ "

" عشرة أو خمسة عشر عاماً . مساحته ثلاثة آلاف قدم مربعة . يبدو من طراز مباني المستعمرات . ويبدو لائقاً بأحد محاميك يا أولى "

" هل أنت واثق أن هذا هو المنزل الذى يريدانه ؟ "

" حتى هذه اللحظة . لقد تناقشا في الحضور إلى هنا في غضون شهر لإلقاء نظرة على بعض المنازل الأخرى . ربما ترغب في حضورهما إلى هنا بأسرع وقت ممكن بعد الموافقة على عرض الشركة . هذا هو الإجراء المتبع ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، سوف نتولى ذلك . ماذا عن الراتب ؟ "

" مبهوران في الغالب . إنه أعلى راتب يعرض عليه حتى الآن . لقد تحدثا مراراً وتكراراً عن المال . الراتب ، خطة التقاعد ، الرهن العقارى ، السيارة الفاخرة ، المكافآت ، كل شيء . إنهما لا يكادان يصدقان الأمر . لابد أنهما مفلسان للغاية " .

" هما كذلك بالفعل . أتظن أننا قد أقنعناه بالانضمام ؟ "

" أراهن على ذلك . لقد قال لزوجته مرة إن هذه الشركة قد لا تبدو في وجاهة الشركات الموجودة في وول ستريت ، ولكن المحامين الذين يعملون بها على نفس الكفاءة وأكثر لطفا . أظن أنه سوف يوقع معكم بالفعل " .

" أهناك ما يثير شكوكهما ؟ "

" كلا في الواقع . من الواضح أن كوين قد أخبره ألا يقترب من مكتب ناثان لوك . لقد أخبر زوجته أن هذا المكتب لا يدخله سوى السكرتيرات وقلة معدودة من الشركاء . لكنه قال إن لامار كوين قد أخبره أن ناثان لوك شخص غريب وغير ودود . ومع ذلك ، لا أظن أنه من النوع المتشكك . لقد قالت زوجته إن الشركة تهتم بأشياء ليست من شئون العمل " .

" مثل ماذا ؟ "

" المسائل الشخصية . الأطفال ، الزوجات العاملات ، إلخ . بدت منزعجة إلى حد ما ، ولكنني أظن أن الأمر لم يعد كونه مجرد ملاحظة . لقد أخبرت ميتش أنها لن تسمح لمجموعة من المحامين أن تملي عليها متى تعمل ومتى تنجب الأطفال . لكنني لا أظن أن الموضوع يمثل مشكلة حقيقية " .

" هل يدرك أن العمل بالشركة دائم ؟ "

" أعتقد ذلك . لم يكن هناك حديث عن العمل لعدة سنوات ثم الانتقال إلى مكان آخر . أظن أن الرسالة قد وصلته .إنه مفلس وبحاجة ماسة إلى المال " .

" ماذا عن حفل العشاء بمنزلى ؟ "

" لقد كانا متوترين ، ولكنهما أمضيا وقتاً سعيداً . كانا في غاية الانبهار بمنزلك ، وأعجبتهما زوجتك للغاية " .

" ماذا عن حياتهما العاطفية ؟ "

" مستقرة تماما . كأنهما عروسان في شهر عسل " .

" ماذا يفعلان بالتحديد ؟ "

" لم نستطع أن نرى . بدت الأمور طبيعية . لا شيء شاذ أو غير مألوف . لقد فكرت بك وكيف أنك تعشق الصور ، ولقد ظللت أخبر نفسي أنه كان من الواجب أن نضع بعض الكاميرات هنالك من أجل صديقي العزيز أولى " .

" اخرس يا ديفاشر " .

" ربما في المرات القادمة " .

ساد الصمت للحظات ونظر ديفاشر إلى مذكرة ورقية على سطح مكتبه . أطفأ سيجارته في منفضة السجائر وابتسم لنفسه .

قال : " بشكل عام ، زواجهما متين للغاية . يبدو أنهما يحبان بعضهما كثيراً . لقد قال سائقك إن أيديهما كانت متشابكة طوال إجازة

نهاية الأسبوع . لم يتبادلا ولو كلمة حادة واحدة خلال تلك الأيام الثلاثة . هذا رائع للغاية ، أليس كذلك ؟ لكن من أكون لكى أحكم على هذه الأمور ؟ لقد تزوجت ثلاث مرات حتى الآن " .

" هذا أمر مفهوم . ماذا عن الأولاد ؟ "

" بعد سنتين أو ثلاث . إنها تريد أن تعمل لبعض الوقت قبل الحمل والإنجاب " .

" ما هو رأيك فى هذا الفتى ؟ "

" جيد للغاية . شاب محترم جداً . وشديد الطموح أيضاً . أظن أن لديه حماساً وحافزاً للنجاح وأنه لن يتوقف حتى يصل إلى القمة . سوف يحاول انتهاز أى فرصة تتاح له ، وقد يتحايل على القواعد قليلا إذا لزم الأمر " .

ابتسم أولى وقال : " هذا هو ما أريد سماعه " .

" لقد أجرت الفتاة محادثتين هاتفيتين . كلاهما مع والدتها فى كينتاكى . لا شيء غير الأحاديث المعتادة " .

" ماذا عن عائلته هو ؟ "

" لم يذكرهم مطلقا " .

" أهناك أى معلومات عن أخيه راى ؟ "

" مازلنا نعمل يا أولى . امنحنا بعض الوقت " .

أغلق ديفاشر ملف ماكدير وفتح ملفاً آخر ، ملفاً أكثر سمكاً . فرك لامبرت صدغه وحدق النظر إلى الأرض . سأل فى صوت خافت : " ما هى آخر الأخبار ؟ "

" أخبار غير سارة يا أولى . إننى على يقين من أن هودج وكوزنسكى يعملان معاً الآن . فى الأسبوع الماضى حصل مكتب التحقيقات الفيدرالية إف .بى . أى على مذكرة وقاموا بفحص منزل كوزنسكى . وعثروا على أجهزة التنصت الخاصة بنا . لقد أخبروه أن منزله ملىء

بأجهزة التنصت ولكنهم بالطبع لا يعرفون من قام بزرعها . لقد أخبر كوزنسكى هودج بذلك الأمر يوم الجمعة الماضى وهما مختبئان فى مكتبة الطابق الثالث . لدينا أجهزة تنصت مزروعة بالقرب من المكتبة وقد التقطنا بعض العبارات . لم نتلق الكثير ، لكننا عرفنا أنهما يتحدثان عن أجهزة التنصت فى منزل كوزنسكى . إنهما يشتبهان أن كل الأماكن عرضة للتنصت وهما يشكان بنا . إنهما حريصان للغاية فى اختيار الأماكن التى يتحدثان بها " .

" ولماذا يزعج عملاء إف .بى . أى أنفسهم بالحصول على مذكرة من أجل التفتيش ؟ "

" سؤال جيد . ربما كان هذا من أجلنا . لكى يجعلوا الأمور تبدو قانونية وطبقا للقواعد . إنهم يحترموننا " .

" من هو العميل الذى يتولى القضية ؟ "

" تارانس . من الواضح أنه المسئول " .

" هل هو جيد ؟ "

" إنه جيد . شاب صغير ، قليل الخبرة ، شديد الحماس ، لكنه كفء . ليس نداً لرجالنا على أية حال " .

" كم من المرات تظنه قد تحدث إلى كوزنسكى ؟ "

" ليس هناك من طريقة لمعرفة ذلك . لقد اكتشفوا أننا نتنصت عليهم ، ولذلك فالكل يتصرف بحذر شديد . نحن نعلم أنهم قد تقابلوا أربع مرات على الأقل بالشهر الماضى ، ولكنى أشك أن العدد أكبر من ذلك " .

" كم تظن أن كوزنسكى قد أعطاهم من معلومات ؟ "

" أتمنى ألا يكون قد أعطاهم الكثير . إنهم لايزالون يحاربون عدواً خفيا . لقد حصلنا على آخر محادثة بينهما ، وتمت منذ أسبوع مضى ولم يقل كوزنسكى الكثير فيها . إنه خائف للغاية . إنهم يتملقونه

كثيرا ، ولكنهم لم يحصلوا على الكثير منه بعد . لم يحزم رأيه فى التعاون معهم حتى الآن . تذكر أنهم هم من سعى إليه ، أو على الأقل نحن نظن أنهم من بادر بالاتصال به . لقد حاصروه جيدا وكان على استعداد لأن يعقد صفقة معهم . أما الآن فيبدو أنه قد أعاد التفكير فى الأمر . لكنه لا يزال على صلة بهم ، وهذا هو ما يقلقنى " .

" هل تعلم زوجته بهذا ؟ "

" لا أعتقد ذلك . إنها تعلم أنه يتصرف بغرابة ، ولقد أخبرها أنه يعانى من بعض الضغوط فى الشركة " .

" ماذا عن هودج ؟ "

" على حسب علمنا ، لم يتحدث مع رجال إف . بى . أى حتى الآن . إنه يتحدث مع كوزنسكى كثيرا ، أو قل يهمسان كثيراً . إن هودج يكرر أنه خائف حتى الموت من عملاء إف . بى . أى ، وأنهم يمارسون اللعبة بعدالة وأنهم قد يلجأون إلى الخداع والغش . لا أظنه سيتحرك حركة واحدة بدون كوزنسكى " .

" ماذا لو تم التخلص من كوزنسكى ؟ "

" سوف يصبح هودج إنسانا جديدا . لكن لا أظن أننا قد وصلنا إلى تلك المرحلة بعد . اللعنة يا أولى ، إنه ليس قاطع طريق أحمق يعترض طريقنا . إنه شاب لطيف للغاية ، ولديه عائلة وأطفال " .

" يا له من شعور جميل بالتعاطف . أتظن أننى أستمتع بهذا ؟ اللعنة ، لقد قمت بتربية هؤلاء الشباب بنفسى " .

" حسنا ، ادفعهم إلى الطريق السليم مرة أخرى ، قبل أن يصل هذا الأمر إلى مرحلة أخطر من ذلك . لقد بدأ الشك يتملك رجال نيويورك يا أولى . إنهم يسألون الكثير من الأسئلة " .

" من ؟ "

" لازاروف " .

" وماذا قلت لهم يا ديفاشر ؟ "

" كل شيء . هذه هي وظيفتي . إنهم يريدون حضورك إلى نيويورك بعد غد من أجل تقديم تقرير كامل " .

" ماذا يريدون بالضبط ؟ "

" إجابات . وخطط " .

" خطط من أجل ماذا ؟ "

" خطط أولية للتخلص من كوزنسكى ، هودج ، وتارانس إذا استدعت الضرورة ذلك " .

" تارانس ! هل فقدت عقلك يا ديفاشر ؟ لا يمكننا التخلص من رجل شرطة . سوف يرسلون فرقة كاملة من رجال الشرطة في أعقابنا " .

" إن لازاروف غبى يا أولى . أنت تعلم ذلك . إنه أحمق ، لكن لا أظن أننا يجب أن نخبره بذلك " .

" أظن أننى سوف أفعل ذلك . سوف أذهب إلى نيويورك وأخبر لازاروف أنه في قمة الحماقة " .

" كما تشاء يا عزيزى أولى . كما تشاء " .

قفز أوليفر لامبرت من مقعده واتجه ناحية الباب ثم قال : " عليك أن تراقب ماكدير لشهر آخر " .

" بالتأكيد يا أولى ، سوف أفعل . لا تقلق . سوف يوقع العقد " .

٤

. . . .

بيعت السيارة المازدا بمبلغ مائتى دولار ، وتم دفع معظم ذلك المبلغ على الفور فى استئجار شاحنة نقل طولها اثنا عشر قدماً ، على أن يتم إعادة الشاحنة عند الوصول إلى ممفيس . تم التخلص من نصف الأثاث ، إما بالتبرع به أو بإلقائه ، وعندما تم تحميل الشاحنة ، وضعا بها ثلاجة ، سريرا ، منضدة زينة بها بعض الأدراج ، تلفازاً ملوناً صغير الحجم ، صناديق تحوى بعض الأطباق ، بعض الملابس والأشياء التى لا فائدة لها ، وأريكة قديمة أخذوها لمكانتها العاطفية لديهما مع أنها لن تبقى طويلا فى المنزل الجديد .

التزمت آبي الصمت بينما قاد ميتش الشاحنة عبر بوسطن متجهاً جنوباً ، نحو أرض الأحلام . ولمدة ثلاثة أيام ظلا يقودان الشاحنة عبر الطرق الجانبية ، يستمتعان بمنظر الريف ، يرددان الأغانى التى تبثها الإذاعة ، ينامان فى استراحات رخيصة على الطريق ويتحدثان عن المنزل ، السيارة الفاخرة ، الأثاث الجديد ، الأطفال ، ووفرة العيش . فتحا زجاج النافذة وتركا الرياح ترتطم بوجهيهما بينما كانت الشاحنة تقترب من السرعة القصوى على الطريق وتبلغ خمسة وأربعين ميلا فى الساعة . فى مكان ما فى بنسلفانيا ، سألت آبى إذا كان من الممكن التوقف فى كينتاكى من أجل زيارة خاطفة لعائلتها . لم يرد ميتش بأى كلمة ، ولكنه اختار أن يسلك طريقاً يمر عبر ولايات

كارولينا الشمالية والجنوبية وجورجيا ، ولا يقترب من حدود كينتاكى لمسافة تقل عن مائتى ميل على الأقل . تركت آبى المسألة تمر دون أن تعلق عليها .

وصلا إلى ممفيس فى صباح أحد أيام الخميس ، وكما وعدتهما الشركة ، وجدا السيارة بى . إم .دبليو السوداء تقف تحت ظلة ساحة الانتظار ، وكأنها تكمل اللوحة الفنية التى يرسمها المنزل . تعلقت عينا ميتش بالسيارة ، وتعلقت عينا آبى بالمنزل . كان العشب كثيفا ، شديد الخضرة ، ومشذباً بعناية . وبدا سياج الأشجار الذى يحيط بالمنزل مصففاً فى جمال . وانتشرت بالحديقة أزهار القطيفة المتفتحة .

عثرا على مفاتيح المنزل أسفل دلو بغرفة التخزين ، تماما كما وعدتهم الشركة .

بعد تجربة السيارة للمرة الأولى ، قاما بتفريغ حمولة الشاحنة بسرعة ، قبل أن يشاهد الجيران ذلك الأثاث المتواضع الذى جلباه معهما . تم توصيل الشاحنة لأقرب شركة تأجير . بعد ذلك قاما بجولة أخرى بالسيارة . وصلت إلى المنزل بعد الظهر مهندسة ديكور ، وهى نفسها التى ستقوم بعمل الديكور لمكتبه بالشركة ، وجلبت معها عينات من السجاد ، والدهان ، والمفروشات ، والستائر ، والأغطية ، وورق الحائط . ظنت آبى أن فكرة وجود مهندسة ديكور أمر مضحك قليلا ، وخاصة بعد أن تذكرت مظهر شقتهما فى كامبردج ، ولكنها أخذت تجارى الموقف . شعر ميتش بالملل على الفور ، واستأذن لكى يقوم بجولة أخرى بالسيارة . أخذ يقود سيارته عبر الشوارع الهادئة لهذا الحى الراقى ، والتى ازدانت بالأشجار الجميلة على الجانبين ، ولم يصدق أنه قد صار أحد سكان هذا الحى . ابتسم ميتش حيث كان الأطفال يتوقفون بدراجاتهم ويطلقون الصفير إعجابا بسيارته الجديدة . لوح بيده محيياً ساعى البريد وهو يمشى فوق رصيف الشارع ويتصبب

عرقاً . لقد كان هناك ، ميتش ماكدير ، الذى يبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة ، وتخرج من كلية الحقوق منذ أسبوع واحد ، وقد وصل إلى حيث كان يحلم .

فى تمام الثالثة ، اصطحبتهما مهندسة الديكور إلى متجر بيع الأثاث حيث أخبرهما المدير فى أدب أن السيد أوليفر لامبرت قد قام بالترتيبات اللازمة لفتح حساب من أجل شراء أثاث منزلهما ، إذا اختارا ذلك ، وأنه لا يوجد أى حدود مالية لما يريدون شراءه من الأثاث . وبالفعل قاما بشراء أثاث منزلى كامل . ظهر العبوس على وجه ميتش أحياناً ، وكان يشعر أن بعض الأشياء غالية الثمن ، ولكن آبى هى من انتصر ذلك اليوم . هنأتها مصممة الديكور على ذوقها الرائع فى الاختيار ، وقالت إنها سوف تقابل ميتش يوم الاثنين ، من أجل ديكورات مكتبه . كان رده ، هذا شىء رائع .

* * *

مستعينان بخريطة للمدينة ، انتقلا بالسيارة قاصدين مسكن عائلة كوين . كانت آبى قد شاهدت المنزل خلال الزيارة الأولى ، ولكنها لم تذكر كيفية الوصول إليه . كان المنزل فى قسم من المدينة يسمى شيكاسو جاردين ، وكانت آبى لاتزال تذكر الأراضى المشجرة ، والمنازل الضخمة ، والساحات الأمامية المصممة بشكل محترف . قاما بإيقاف سيارتهما داخل ممر السيارات ، خلف السيارة المرسيدس القديمة والجديدة .

أومأت الخادمة برأسها فى أدب ، ولكنها لم تبتسم . أوصلتهما إلى غرفة المعيشة ثم غادرت . كان المنزل مظلماً وهادئاً ـ بلا أطفال ، ولا صوت ، ولا أحد . نظرا إلى الأثاث فى إعجاب وانتظرا . تهامسا بكلمات غير مفهومة ، ثم ظهر الضيق عليهما . كانا يتذكران جيداً أنهما قد دُعيا لتناول العشاء فى ذلك المنزل فى ليلة الخميس ، الموافق

الخامس والعشرين من يونيو ، وفى تمام الساعة السادسة مساء . نظر ميتش إلى ساعته مرة أخرى وقال شيئا عن أن هذا تصرف لا ينم عن الذوق . واستمرا فى الانتظار .

من داخل الرواق ، ظهرت كاى وبدأت فى الابتسام . كانت عيناها منتفختين ولامعتين وكان طلاء الرموش يسيل من الجانبين . تساقطت الدموع تسيل على وجنتيها ، وكانت تغطى فمها بمنديل . احتضنت آبى وجلست بجانبها فوق الأريكة . أخذت تعض المنديل وصار بكاؤها أعلى صوتاً .

جلس ميتش أمامها وقال : " ماذا حدث يا كاى ؟ "

أخذت تعض المنديل بقوة وهى تهز رأسها . احتضنت آبى أحد كتفيها وربت ميتش على الكتف الآخر . كانا يشاهدانها فى خوف وهما يتوقعان أسوأ الأنباء . أأصاب لامار شىء ما أم أنه أحد الأطفال ؟ "

قالت خلال دموعها المتساقطة : " لقد حدث أمر مأساوى ؟ "

سأل ميتش : " من الذى حدث له ذلك ؟ "

مسحت عينيها وتنفست بقوة ، ثم قالت : " لقد قُتِل اثنان من محامى الشركة ، مارتى كوزنسكى وجو هودج . لقد كانا من أصدقائنا المقربين " .

جلس ميتش على طاولة تناول القهوة . لقد كان يتذكر مارتى كوزنسكى خلال زيارته الثانية للشركة فى شهر أبريل . كان قد تناول الغداء بصحبة لامار وميتش فى مطعم بشارع فرونت ستريت . كان أول المرشحين لنيل درجة الشريك ، ولكنه لم يبد عليه التحمس لذلك كثيراً . لم يستطع ميتش أن يتذكر جو هودج .

سأل ميتش : " كيف حدث ذلك ؟ "

كانت كاى قد توقفت عن النحيب ، لكن الدموع كانت لاتزال تتساقط على وجنتيها . مسحت وجهها مرة أخرى ونظرت إليه قائلة :

" لسنا متأكدين مما حدث . لقد كانا في جزر جراند كايمان ، يمارسان الغطس . حدث انفجار ما على متن أحد القوارب ، ونظن أنهما قد غرقا . يقول لامار إن التفاصيل لاتزال غامضة . كان هناك اجتماع بالشركة منذ عدة ساعات ، وقد تم إخبار الجميع بالأمر . لقد وصل لامار إلى المنزل بالكاد " .

" أين هو الآن ؟ "

" عند حمام السباحة . إنه بانتظارك " .

كان لامار كوين يجلس على كرسي معدنى فوق العشب بجانب طاولة قصيرة تغطيها مظلة صغيرة ، على بعد عدة أقدام من حافة حمام السباحة . بالقرب من حوض الأزهار ، كانت هناك دائرة من رشاشات المياه تطلق صريرا وحثيثاً وهى ترش الماء يميناً ويساراً في دائرة منتظمة تشمل الطاولة والمظلة ولامار كوين نفسه . لقد كان مبللا بالماء . وكانت قطرات الماء تتساقط من أنفه وأذنيه وشعره . وكان قميصه القطنى الأزرق وسرواله الصوفي مبللين بالماء أيضاً . لم يكن يرتدى حذاء ولا جوربا .

كان يجلس صامتاً ، ولم يكن حتى يجفل كلما تساقطت قطرات الماء على عينيه . كان فاقداً للصلة بكل ما حوله . كان هناك شيء ما عند السور الجانبى يلفت انتباهه ويسيطر على أفكاره . كانت هناك زجاجة مغلقة من الشراب تستقر داخل بركة من الماء فوق الأرضية الأسمنتية بجانب مقعده .

فحص ميتش الساحة الخلفية للحديقة بعينيه ، حتى يتأكد أن الجيران لا يمكنهم رؤية ما يحدث . وبالفعل لم يكن باستطاعة الجيران رؤية أى شيء مما يحدث بالحديقة ، حيث إن سورا من أشجار السرو يبلغ ارتفاعه ثمانية أقدام كفيل بأن يوفر لك كل الخصوصية المطلوبة . دار ميتش حول حمام السباحة وتوقف عند حافة المنطقة الجافة من

العشب . لاحظ لامار وجوده ، أومأ برأسه ، وجاهد ليطبع على وجهه ابتسامة واهنة وأشار إلى مقعد مبتل . جذب ميتش المقعد بضعة أقدام ثم جلس فوقه ، بينما قطرات الماء مازالت تتساقط بقوة .

عادت نظرات لامار تتعلق بالسور ، أو ذلك الشيء الذى يجذب انتباهه في ذلك الاتجاه . للحظات بدت كأنها دهر ، جلسا ينصتان إلى صوت فحيح رشاشات الماء . كان لامار يحرك رأسه أحياناً ويكاد يتمتم بشيء . ابتسم ميتش في حرج ، غير واثق مما يمكن أن يقال في موقف كهذا .

تحدث ميتش أخيراً وقال : " أنا في شدة الأسف يا لامار " .

استمع لامار ونظر إلى ميتش قائلا : " وأنا أيضا " .

قال ميتش : " أتمنى لو أن هناك ما يمكن قوله " .

ابتعدت عينا لامار عن السور ، وحرك رأسه باتجاه ميتش . كان شعره الأسود مبتلا ومعلقا فوق عينيه . أما عيناه فكانتا حمراوين ويبدو فيهما الألم . أطال النظر ، وانتظر حتى انتهى سقوط الماء .

" اعرف ذلك . لكن لا يوجد ما يمكن قوله . أنا آسف أن ذلك قد حدث الآن ، اقصد اليوم . لم نستطع أن نعد لكما الطعام " .

" إن هذا هو آخر ما يجب أن تهتم به . لقد فقدت شهيتي منذ أن علمت بما حدث " .

قال لامار في تساؤل ، وهو ينثر الماء من فمه : " هل تتذكرهما ؟ "

" أتذكر كوزنسكي ، ولكنى لا أذكر هودج " .

" لقد كان مارتي كوزنسكي أحد أقرب أصدقائي . لقد كان من مدينة شيكاغو . وقد انضم للشركة قبل أن أنضم إليها بثلاث سنوات وكان المرشح القادم لنيل درجة الشريك . كان محامياً عظيماً ، وكنا جميعا نعجب به ونلجأ إليه عند الحاجة . لعله كان أفضل من يجيد التفاوض بالشركة . كان يتسم بالهدوء ورباطة الجأش تحت الضغوط " .

مسح لامار حاجبيه ونظر إلى الأرض . عندما كان يتحدث كان الماء يتساقط من فوق أنفه ويتدخل فى طريقة نطقه للكلمات . أكمل يقول : " لديه ثلاثة من الأطفال . توأمان من البنات أكبر بشهر من عمر ولدى ، وكانوا دائما ما يلعبون معا " . أغلق لامار عينيه وعض على شفتيه من الألم وبدأ يبكى .

أراد ميتش أن يغادر . كان يحاول ألا ينظر إلى صديقه وهو على هذه الحالة . قال ميتش : " أنا فى غاية الأسف يا لامار " .

بعد عدة دقائق ، توقف البكاء ، ولكن الماء استمر فى التساقط . فحص ميتش الحديقة الواسعة بحثا عن صنبور المياه الخارجى . وأكثر من مرة كاد يستجمع شجاعته لكى يستأذن لامار فى إغلاق الرشاشات ، وأكثر من مرة يقرر أن باستطاعته أن يتحمل الوضع إذا تحمله لامار . ربما كان تساقط الماء يساعد على تخفيف حدة الموقف . نظر ميتش إلى ساعته . كان الظلام سيحل بعد ساعة ونصف .

تساءل ميتش أخيراً : " ماذا عن الحادث ؟ "

" لم نعرف الكثير بعد . لقد كانا يمارسان رياضة الغطس وحدث انفجار فى القارب . ولقد لقى مدرب الغطس مصرعه أيضاً . لقد كان أحد أبناء الجزيرة . إنهم يحاولون جلب الجثث إلى ممفيس الآن " .

" أين كانت زوجتاهما ؟ "

" فى المنزل ، لحسن الحظ . لقد كانت رحلة عمل " .

قال ميتش : " لا أستطيع تذكر شكل هودج " .

" لقد كان جو رجلاً طويلاً أشقر الشعر ولم يكن يتحدث كثيراً . من ذلك النوع الذى تقابله ولا تذكره . لقد كان من خريجى جامعة هارفارد مثلك " .

" كم كان عمره ؟ "

" لقد كان جو ومارتي في الرابعة والثلاثين من العمر . كان جو مرشحا ليكون شريكا بعد مارتي . لقد كانا صديقين مقربين للغاية . أظن أننا كنا مقربين للغاية ، وخاصة الآن " .

مستخدما أظافر أصابعه العشرة ، مشط لامار شعره إلى الوراء . وقف على قدميه وسار إلى منطقة جافة . تساقط الماء من حافة قميصه وثنية سرواله . وقف بجانب ميتش ونظر فى شرود إلى قمم الأشجار بالحديقة المجاورة . قال لامار : " ما رأيك فى السيارة بى . إم . دبليو ؟ "

" رائعة . إنها سيارة جيدة . شكرا على توصيلها للمنزل " .

" متى وصلتما ؟ "

" صباح اليوم . لقد قمت بأكثر من جولة بالسيارة بالفعل " .

" هل وصلت مصممة الديكور ؟ "

" نعم . لقد قامت هى وآبى بإنفاق راتب السنة القادمة كله " .

" هذا شيء جيد . سيكون لك منزل جميل . إننا سعداء أنكما هنا يا ميتش . إننى فقط أشعر بالأسف بسبب الظروف الحالية . سوف تعجبك الحياة هنا " .

" لا داعى للاعتذار " .

قال لامار : " مازلت لا أستطيع أن أصدق الأمر . أشعر بالخدر ، كأننى مشلول . إننى أرتجف عندما أفكر فى رؤية أولاد مارتى وزوجته . أفضل لو أننى جلدت بالسياط ولا أذهب إلى منزله " .

ظهرت السيدتان ، تمشيان فوق أرضية الفناء الخشبية ثم نزلتا عبر السلالم الصغيرة إلى حمام السباحة . عثرت كاى على صنبور المياه وأغلقت رشاشات المياه .

غادر ميتش وآبى شيكاسو جاردين وانطلقا بالسيارة غرباً مع المرور المتجه إلى وسط المدينة ، وباتجاه الشمس التى كادت تغيب فى قلب السماء . جلسا متشابكى الأيدى ولكنهما لم يتحدثا إلا بالقليل . فتح ميتش سقف السيارة وأنزل النوافذ . أخذت آبى تقلب خلال صندوق شرائط الكاسيت القديمة وعثرت على شريط لفريق سبرنجستين . كان نظام الصوت المجسم يعمل بشكل جيد . انطلقت أغنية " القلب الجائع " عبر المسجل إلى خارج النوافذ بينما انطلقت السيارة المكشوفة البراقة باتجاه النهر . ران على المكان هواء ممفيس الصيفى اللزج المفعم بالدفء والرطوبة والذى صاحب ظلام الليل . انتشرت الأضواء تعيد الحياة لملاعب كرة القدم الأمريكية بينما انطلق فريقان من اللاعبين ضخام الأجساد يرتدون سراويل البوليستر الضيقة والقمصان الخضراء الليمونية والصفراء البراقة يرسمون خطوطاً من الطباشير الأبيض ويستعدون لبدء المعركة . تزاحمت سيارات مليئة بالمراهقين أمام مطاعم الوجبات السريعة لتناول المشروبات الغازية والتطلع إلى الجنس الآخر . بدأ ميتش يبتسم . حاول أن ينسى لامار ، وكوزنسكى وهودج . لماذا يجب عليه أن يشعر بالحزن . إنهما لم يكونا صديقين له . لقد كان يشعر بالحزن من أجل عائلتيهما ، ولكنه لم يكن يعرف هؤلاء الأشخاص بشكل حقيقى . ولقد كان لديه هو ـ ميتشل ماكدير ، ذلك الفتى الفقير عديم العائلة ـ الكثير لكى يفرح بسببه . زوجة جميلة ، منزل جديد ، سيارة جديدة ، وظيفة جديدة ، وشهادة فى القانون من جامعة هارفارد . كان لديه عقلية عبقرية وجسد صلب لم يكتسب أى وزن زائد ولم يكن يحتاج سوى القليل من النوم . كان لديه مرتب يبلغ الثمانين ألف دولار سنوياً ، حتى الآن . فى خلال سنتين من الممكن أن يتخطى راتبه الستة أصفار ، وكل ما عليه فعله هو أن يعمل لمدة تسعين ساعة أسبوعياً . مسألة فى منتهى السهولة .

أوقف السيارة داخل محطة بنزين وقام بضخ خمسة عشر جالوناً من البنزين بالسيارة . قام بدفع الحساب بداخل المحطة وجلب معه ست زجاجات من المياه الغازية . فتحت آبي زجاجتين ، وانطلقا بالسيارة عائدين إلى الطريق . كان ميتش يبتسم في تلك اللحظة .

قال : " هيا نذهب لتناول الطعام " .

قالت : " لا أظننا نرتدى ملابس تصلح للمطاعم الراقية " .

أخذ ينظر إلى ساقيها السمراوين الطويلتين . كانت ترتدى تنورة بيضاء من القطن ، تعلو الركبتين قليلاً ، وقميصاً قطنياً أبيض مزرراً إلى نهايته . أما هو فكان يرتدى سروالاً قصيراً ، وحذاء خفيفاً وسترة رياضية سوداء . قال مداعباً : " بساقين كهاتين ، نستطيع أن ندخل أى مطعم في نيويورك " .

" ماذا عن الذهاب إلى مطعم رانديفو ؟ تبدو ملابسنا مناسبة للجو هناك " .

" فكرة رائعة " .

دفعا رسوم انتظار السيارة في أحد ساحات الانتظار بوسط المدينة ثم سارا مسافة مربعين سكنيين إلى أن وصلا إلى زقاق ضيق . انتشرت رائحة الشواء ممتزجة بهواء الصيف الدافئ مكونة سحابة تعلقت في الجو قرب رصيف الشارع . تشبعت الأنوف بالرائحة الشهية وتصاعدت إلى العيون والأفواه مسببة إحساساً مضطرباً في أعماق المعدة . تصاعد الدخان في داخل الزقاق من خلال فتحات تهوية تمر تحت الأرض وتصل إلى تلك الأفران العملاقة حيث كانت أفضل أضلاع الضأن تشوى في أفضل مطعم شواء في تلك المدينة التي تشتهر بأنها تقدم أفضل شواء في العالم . كان المطعم بالطابق السفلي ، تحت ذلك المبنى القديم المبنى بالطوب الأحمر والذى كان من المفترض أن يتم هدمه قبل عقود مضت لولا ذلك المطعم الشهير في قبوه السفلي .

كان هناك دائما زحام وقائمة انتظار في مطعم رانديفو ، ولكن يبدو أن أيام الخميس لم تكن بمثل ذلك الازدحام .قادهما النادل عبر ردهات ذلك المطعم الصاخب الذى بدا أشبه بالكهف المتشعب ، حتى وصلا إلى طاولة صغيرة وضع عليها مفرش من اللون الأحمر . كانت هناك عيون تحدق على الجانبين . دائما هناك عيون تحدق . توقف الرجال عن الأكل ، تسمروا في أماكنهم وقطع اللحم تتدلى بين أسنانهم ، بينما كانت آبى ماكدير تتهادى في مشيتها داخل الممر كأنها عارضة أزياء . أحيانا كانت آبى تتسبب في توقف المرور وهى تخطو فوق رصيف الشارع في بوسطن . دائما ما كانت تلاحقها صيحات الإعجاب في أي مكان تذهب إليه . كان زوجها قد اعتاد ذلك ، وكان يفتخر كثيراً بزوجته الجميلة .

وقف أمامهما رجل أسود البشرة ، غاضب الملامح ويضع شرشفاً أحمر فوق ذراعه . قال متسائلا : " حسناً ، ماذا تطلبان ؟ "

كانت قوائم الطعام ملقاة فوق الموائد ، ولم تكن لها أى ضرورة . كان هناك أضلاع وأضلاع والمزيد من الأضلاع .

أعاد ميتش النظرة الغاضبة إلى الرجل وقال : " وجبتين كاملتين ، طبقاً من الجبن ، وزجاجة مياه غازية " . لم يدون الرجل شيئاً ، ولكنه استدار صارخا باتجاه المدخل : " أعطني وجبتين كاملتين ، وجبناً ، وزجاجة مياه غازية " .

عندما غادرهما الرجل ، أمسك ميتش بيدى آبى أسفل الطاولة . ربتت آبى يده برفق .

قال ميتش : " كم أنت جميلة . متى كانت آخر مرة قلت لك إنك جميلة ؟ "

" تقريباً منذ ساعتين " .

" ساعتين كاملتين ! إننى شخص مهمل للغاية " .

" لا تدع ذلك يحدث مرة أخرى " .
أمسك بيدها مرة أخرى وأخذها بين يديه . سمحت له آبى بذلك . ابتسمت إليه في رقة ، وفوق ذقنها تلك الغمازة الجميلة ، وأسنانها البراقة تلمع في ظلام المكان ، وعيناها البنيتان تتألقان ، وانزاح شعرها الأسود منسدلاً في نعومة على بعد بوصات أسفل كتفيها .
حضرت المشروبات وقام النادل بصبها في قدحين بدون أن يلقى كلمة واحدة . أخذت آبى رشفة صغيرة من مشروبها وتوقفت عن الابتسام .
قالت متسائلة : " هل تظن أن لامار بخير ؟ "
" لا أدرى . لقد ظننت في البداية أنه تحت تأثير المخدرات . لقد شعرت مثل شخص أحمق وأنا أجلس هناك وأشاهده وهو يبتل بالماء " .
" يا له من مسكين . لقد قالت كاى إن الجنازات ستكون يوم الاثنين على الأرجح ، هذا إذا تمكنوا من جلب الجثث في الوقت المناسب " .
" دعينا نتحدث عن شيء آخر . أنا لا أحب الجنازات ، أية جنازات ، حتى عندما أكون في جنازة بدافع المجاملة دون أن أعرف المتوفى . لقد كانت لدى تجارب سيئة مع الجنازات " .
وصل الطعام . كانت الأضلاع تقدم على أطباق ورقية ملفوفة بأغطية الألومنيوم لامتصاص الدهون . كان هناك طبق صغير من سلاطة الكرنب وآخر من الفاصوليا المحمرة موضوعين إلى جانب شرائح من الأضلاع المجففة بطول قدم وقد تشبعت بالصلصة . بدأت الأصابع تتوغل داخل أطباق الطعام على الفور .
تساءلت آبى : " ما الذى تود أن نتحدث عنه ؟ "
" إنجاب الأطفال " .
" لقد تصورت أننا سوف ننتظر لبضع سنوات " .

" سنفعل ذلك . لكني أظن أن علينا أن نواظب التدريب على ذلك حتى ذلك الوقت " .

" لقد تدربنا في كل استراحات الطرق الموجودة في الطريق من بوسطن إلى هنا " .

" أعلم ذلك ، ولكننا لم نفعل ذلك في منزلنا الجديد " ، قال ميتش ذلك وهو يفصل ضلعين عن بعضهما ، قاذفاً بقطرات من الصلصة فوق حاجبيه .

" لقد انتقلنا للعيش بذلك المنزل هذا الصباح فقط " .

" أعلم ذلك . ولكن ما الذى ننتظره ؟ "

" ميتش ، إنك تتصرف كما لو أنني قد أهملتك " .

" لقد فعلت ، منذ هذا الصباح . اقترح أن نفعل ذلك الليلة ، بمجرد أن نصل إلى البيت ، كنوع من الاحتفال بمنزلنا الجديد " .

" سوف نرى " .

" أهذا وعد ؟ انظرى ، هل ترين ذلك الرجل الذى يجلس هناك ؟ إنه على وشك أن يكسر رقبته وهو يحاول أن يرى لمحة من ساقيك . تتملكنى رغبة عارمة في الذهاب إلى هناك وتلقينه درساً قاسياً " .

" نعم . هذا وعد . ولا تقلق بشأن هؤلاء الرجال . إنهم يحدقون بك أنت . إنهم يظنون أنك وسيم للغاية " .

" يا للظرف " .

قام ميتش بتنظيف طبقه من كل شرائح اللحم وتناول نصف طعام آبى أيضاً . عندما انتهيا من تناول المشروبات ، قام بدفع الحساب وانطلقا يصعدان السلالم إلى الزقاق . انطلق ميتش بالسيارة عبر شوارع المدينة في حرص وعثر على اسم الشارع الذى تعرف عليه خلال إحدى الجولات الكثيرة التى قام بها صباح ذلك اليوم . وبعد أن سلك المنعطف

الخطأ مرتين ، وصل أخيراً إلى شارع ميدواى برووك ، ومنه إلى منزل السيد ميتشل ماكدير وزوجته .

تكومت الوسائد والفرش على أرضية غرفة النوم الرئيسية ، تحيط بها بقية صناديق الأثاث . وقد اختبأ جهاز تنصت دقيق تحت مصباح موضوع على أرضية الحجرة وتم تسجيل تدريبهما على إنجاب الأطفال .

بعد أربعة أيام ، وفى اليوم الذى كان من المفترض أن يكون أول أيام جلوسه خلف مكتبه بالشركة ، انضم ميتش وزوجته الحسناء إلى بقية المحامين التسعة والثلاثين العاملين الشركة ، ومعهم زوجاتهم الجميلات ، لكى يلقوا نظرة الوداع الأخيرة على مارتن كوزنسكى . كانت دار العبادة ممتلئة عن آخرها . ألقى أوليفر لامبرت كلمة تأبين غاية فى البلاغة والتأثير حتى أن ميتشل ماكدير ، الذى دفن أباً وأخاً من قبل ، لم يستطع أن يمنع تلك القشعريرة التى سرت فى جسده . اغرورقت عينا آبى بالدموع وهى تنظر إلى أرملة كوزنسكى وأطفاله .

فى عصر ذلك اليوم ، تقابل الجميع مرة أخرى فى دار جنازات بريسبتريان فى شرق ممفيس من أجل وداع جوزيف هودج .

٥

. . . .

كانت الردهة الصغيرة خارج مكتب رويس مكنايت خالية تماماً عندما وصل ميتش فى تمام الساعة الثامنة والنصف ، فى موعده المحدد . أخذ يدندن ويسعل وبدأ ينتظر فى قلق . من خلف خزانتى ملفات ظهرت سكرتيرة عجوز زرقاء الشعر ونظرت فى عبوس باتجاه ميتش . عندما بدا من الواضح أنه ليس موضع ترحاب ، قام بتقديم نفسه وشرح لها أنه من المفترض أن يقابل السيد مكنايت فى هذه الساعة تحديداً . ابتسمت وقدمت نفسها قائلة إنها لويز ، السكرتيرة الشخصية للسيد مكنايت ، منذ ما يقرب من واحد وثلاثين عاماً . سألته إن كان يريد فنجانا من القهوة . كان رده بالإيجاب ، طالبا قهوة بدون سكر . اختفت وعادت تحمل فنجاناً من القهوة فى داخل صحن صغير . أبلغت رئيسها بالأمر عبر الهاتف الداخلى وطلبت من ميتش أن يجلس . كانت قد تعرفت عليه فى تلك اللحظة ، حيث كانت إحدى السكرتيرات قد أشارت إليه خلال مراسم الدفن بالأمس .

اعتذرت عن الجو الكئيب المحيط بالمكتب . قالت إنه لا أحد لديه الرغبة فى العمل وإن الأمر سوف يستغرق أياماً حتى تعود الأمور إلى طبيعتها . وقالت إنهما كانا شابين رائعين للغاية . رن جرس الهاتف وشرحت للمتصل أن السيد مكنايت كان فى اجتماع مهم ولم يكن من

الممكن إزعاجه . رن جرس الهاتف مرة أخرى ، أنصتت ، ثم قامت بمرافقة ميتش إلى مكتب مدير الشركة .

قام كل من أوليفر لامبرت ورويس مكنايت بتحية ميتش وتوليا تقديمه إلى شريكين آخرين ، وهما فيكتور ميليجان وآفرى تولار . جلس الجميع حول طاولة اجتماعات صغيرة . وذهبت لويز لإحضار مزيد من القهوة . كان ميليجان رئيس قسم قضايا الضرائب ، أما تولار فكان وهو في سن الحادية والأربعين واحدا من أصغر الشركاء سنا .

قال مكنايت : " ميتش ، نحن آسفون لهذه البداية الحزينة . نحن نقدر حضورك الجنازات بالأمس ، ونأسف أن يكون أول أيامك كعضو في شركتنا واحدا من أكثر الأيام حزناً " .

قال ميتش : " لقد شعرت أنني أنتمي للمكان عندما كنت بالجنازة " .

قال مكنايت : " نحن فخورون بك للغاية ، ولدينا خطط عظيمة من أجلك . لقد فقدنا للتو اثنين من أفضل محامينا ، وكان كل منهما متخصصا بالضرائب ، ولذلك سوف نطلب منك المزيد من الجهد . سوف يكون علينا جميعا أن نعمل باجتهاد أكبر " .

وصلت لويز تحمل صينية القهوة . وفوقها أقداح فضية لتقديم القهوة ، وأوان من الخزف الفاخر .

قال أوليفر لامبرت : " نحن في شدة الحزن ، ولذلك أطلب منك أن تتحملنا " .

أومأ الجميع وظهر العبوس على ملامحهم وهم يجلسون حول الطاولة . ألقى رويس مكنايت نظرة على بعض الملاحظات المكتوبة في مذكرة قانونية .

قال مكنايت : " ميتش ، أظن أننا قد ناقشنا هذا الموضوع من قبل . في هذه الشركة نحن نكلف كل محام بالعمل مع أحد الشركاء ،

ويتصرف ذلك الشريك كمشرف ومعلم . وهذه العلاقات مهمة للغاية . نحن نحاول أن نجد لكم شركاء تشعرون بأنكم متوافقون معهم وقادرون على أن تعملوا بالقرب منهم ، وغالبا ما ننجح في ذلك . لقد ارتكبنا أخطاء من قبل . ربما بسبب عدم التوافق المزاجي أو أى سبب كان ، ولكن عندما يحدث ذلك نقوم ببساطة بإعادة تعيين المحامى إلى شريك آخر . سوف يكون آفرى تولار الشريك الذى تعمل معه " .

ابتسم ميتش بإحراج نحو شريكه الجديد .

" سوف تعمل تحت توجيهه ، وكل القضايا والملفات التى ستعمل عليها ستكون قضاياه هو . فعليا سوف تكون جميعها قضايا ضرائب " .

قال ميتش : " هذا جيد " .

قال تولار : " قبل أن أنسى ، أود دعوتك لتناول الغداء اليوم " .

قال ميتش : " بالتأكيد " .

قال لامبرت : " يمكنكما أن تستعيرا سيارتى الليموزين " .

قال تولار : " لقد كنت أخطط لذلك " .

قال ميتش مداعباً : " متى سأحصل على سيارة ليموزين ؟ "

ابتسم الجميع ، وبدا أنهم يقدرون هذه الدعابة . قال لامبرت : " ربما بعد عشرين عاما " .

قال ميتش : " أستطيع الانتظار " .

تساءل فيكتور ميليجان : " كيف حال سيارتك بى . إم . دبليو ؟ "

قال ميتش : " رائعة . إنها جاهزة لقطع الرحلات الطويلة " .

" هل تم انتقالكم إلى المنزل الجديد بشكل جيد ؟ "

" نعم ، كل شيء على ما يرام . إننى أقدر مساعدة الشركة لنا فى كل شيء . لقد جعلتمونا نشعر أننا محل ترحيب كبير ، وأنا وزوجتى آبى فى غاية الامتنان " .

توقف مكنايت عن الابتسام وعاد إلى التطلع إلى مذكرتـه القانونيـة . قال : " كما قلت لك يا ميتش ، إن الأولوية هي لاجتياز امتحان نقابـة المحامين . لديك ستة أسابيع للدراسة من أجلـه وسـوف نسـاعدك بكـل شكل ممكن . لدينا حلقات تدريس خاصة بنـا ويحاضـر فيهـا مجموعـة الشركاء . سوف تـتم تغطيـة كـل المـواد التـى يشـتمل عليهـا الامتحـان وسوف تتم مراقبة مدى تقدمك بشكل دقيق بواسطتنا جميعا ، وخاصـة عن طريق تولار . على الأقل سوف تقضي نصف يوم العمل فـى مراجعـة مواد الاختبار ، وكذلك معظم أوقات فراغك . لم يفشـل أي محـام بهـذه الشركة في امتحان النقابة من قبل " .

" لن أكون أول من يفعل ذلك " .

قال تولار ، وعلى وجهه ابتسامة خافتة : " إذا فشلت فـى اجتيـاز الاختبار ، سوف نسحب منك السيارة الفاخرة " .

" سوف تكون سكرتيرتك سيدة تدعى نينا هاف . إن لهـا أكثـر مـن ثمانيـة أعـوام بالشـركة . حـادة المـزاج قلـيلا ، ليسـت جميلـة علـى الإطلاق ، ولكنها شديدة الكفاءة . تعرف الكثير عـن القـانون ، ولـديها نزعة إلى إسداء النصائح ، وخاصة للمحامين الجدد . سوف يكون الأمـر متروكا إليـك لكـى تسـيطر عليهـا . إذا لم تتفـق معهـا كـثيراً ، سـوف نخلصك منها " .

" أين مكتبى ؟ "

" الطابق الثانى ، عند نهاية الردهة التى بها مكتب تولار . سـوف تحضر مصممة الديكور بعد ظهر هذا اليوم لكـى تخـتـار المكتـب وبقيـة الأثاث . اتبع نصائحها ، على قدر ما تستطيع " .

كان مكتب لامار فى الطابق الثانى أيضاً ، وفى تلـك اللحظـة كانـت تلك الفكرة تجلب بعض الارتيـاح داخـل ميـتش . سـرحت أفكـاره فـي

لامار وهو يجلس بجانب حمام السباحة ، مبللاً بالماء ، يبكي في حرقة ، ويتمتم بكلمات غير مفهومة .

تحدث مكنايت قائلاً : " ميتش ، أخشى أنني قد أهملت تغطية شيء كان يجب مناقشته خلال زيارتك الأولى إلى ممفيس " .

انتظر ميتش ، ثم قال أخيراً : "حسنا ، ما هو ؟ "

تركزت عيون الشركاء على مكنايت الذى بدأ يتحدث : " إننا لم نسمح أبداً لأى محام أن يبدأ مستقبله المهنى معنا وهو مثقل بمصروفاته الدراسية . نحن نفضل أن تجد أشياء أخرى لتقلق بشأنها ، وطرقاً أخرى لكى تنفق فيها أموالك . كم عليك من الديون ؟ "

ارتشف ميتش قهوته وتسارعت أفكاره ، ثم قال : " ما يقرب من ثلاثة وعشرين ألف دولار " .

قال مكنايت : " ليكن أول ما تفعله صباح الغد هو أن تضع الوثائق اللازمة على مكتب لويز " .

" هل ... أتقصد أن الشركة ستقوم بتسوية تلك الديون ؟ "

" هذه هى سياستنا . إلا إذا كان لديك اعتراض على ذلك " .

" لا اعتراضات . فقط لا أدرى ماذا يمكن أن أقول " .

" ليس عليك أن تقول أى شيء . لقد فعلنا ذلك مع كل المحامين الذين التحقوا بالشركة خلال السنوات الخمس عشرة الماضية . فقط قم بتسليم المستندات إلى لويز " .

" إن هذا كرم شديد يا سيد مكنايت " .

" نعم ، هو كذلك " .

أخذ آفرى تولار يتحدث بلا انقطاع بينما سارت السيارة الليموزين فى بطء خلال مرور ساعة الذروة . قال تولار إن ميتش يذكره بنفسه . فتى فقير من عائلة محطمة ، تولى تربيته ورعايته أكثر من عائلة فى

الفواتير . وخاصة المحامين الجدد . والطريق الأقصر نحو التأنيب والعقاب هو إهمال سجلات الفواتير اليومية . لم يسمع تولار بحدوث أى تأنيب أو عقاب لهذا الخطأ من قبل . لقد كان أمراً لم يسمع أحد به وهو أن محامياً من الشركة قد يهمل فى تسجيل فواتيره .

لقد كان متوسط الأتعاب بالنسبة للمحامين هو مائة وخمسة وسبعين دولاراً فى الساعة . أما بالنسبة للشركاء فكان ثلاثمائة دولار . ولقد كان ميليجان يحصل على أربعمائة دولار من بعض عملائه ، وحصل ناثان لوك على خمسمائة دولار فى الساعة مقابل بعض أعمال الضرائب كانت تشتمل على مقايضة بعض الأصول فى عدد من الدول الأجنبية . خمسمائة دولار فى الساعة ! كان تولار يستمتع بالفكرة ، وظل يحسب خمسمائة دولار فى الساعة مضروبة فى خمسين ساعة أسبوعيا مضروبة فى خمسين أسبوعاً سنوياً . مليون ومائتان وخمسون ألف دولار فى السنة . هكذا تحصل على المال فى هذه المهنة . تجلب بعض المحامين الذين يعملون بالساعة تصنع بهم شركة كبيرة . وكلما زادت الأموال التى يجلبها المحامون ، زادت الأموال التى يحصل عليها الشركاء .

لا تهمل تحصيل الفواتير ، قالها تولار محذراً . هذه هى أول قاعدة للنجاة . إذا لم يكن هناك ملفات لكى تحصل الفواتير منها ، قم على الفور بإبلاغ ذلك إلى الإدارة . فلديهم الكثير من الملفات . وفى اليوم العاشر من كل شهر يقوم الشركاء بمراجعة سجلات التحصيل الخاصة بالشهر السابق وذلك خلال أحد اجتماعات الغداء الخاصة . وللأمر مراسم كبرى . يقوم رويس مكنايت بقراءة اسم كل محام ، ثم يلحقه بمجموع قيمة ما قام بتحصيله خلال الشهر . والمنافسة بين الشركاء شديدة ولكنها تتم فى إطار من الود . إنهم جميعاً فى طريقهم للثراء ، أليس كذلك ؟ إن الأمر يعد تحفيزاً جيداً . أما بالنسبة للمحامين ، فلا

يعلم الشخص ذو الأداء المتدنى بأى شيء إلا إذا مر عليه شهران على نفس المستوى الضعيف . حينها سيكون على أوليفر لامبرت أن يخبره الأمر بصورة عابرة . لم يحدث أبدا أن تكرر الأداء الضعيف من أى محام لمدة ثلاثة شهور متعاقبة . وقد يستحق المحامون المكافآت فى حالة تحصيل فواتير خرافية . والشراكة مبنية على أساس السجل المتراكم للشريك فى توليد الأتعاب للشركة . ولذلك لا تتجاهل ذلك أيضاً ، حذر تولار ميتش مرة أخرى . لابد أن يكون ذلك هو قمة أولوياتك بعد اجتياز امتحان النقابة طبعاً .

أخبر تولار ميتش بأن امتحان النقابة عبارة عن مشقة ، محنة لابد من تحملها ، مراسم لمنح جواز المرور ، شيء لا يجب على خريجى هارفارد أن يخشوه . وأن عليه فقط أن يركز على محاضرات المراجعة ، ويحاول أن يتذكر كل شيء تعلمه فى كلية الحقوق .

انطلقت السيارة إلى داخل شارع جانبى يقع بين اثنين من المبانى الشاهقة وتوقفت أمام سرادق صغير يمتد من أمام حاجز الطريق وصولا إلى باب معدنى أسود . نظر تولار إلى ساعته وقال محدثا السائق : " عد إلينا فى تمام الثانية " .

ساعتان لتناول الغداء ، تساءل ميتش . إن ذلك يعادل ستمائة دولار من الأتعاب . يا لها من مضيعة للمال .

كان مطعم مانهاتن كلوب يحتل الطابق الأخير فى مبنى إدارى من عشرة طوابق ، لم يعد مشغولاً بالكامل منذ أوائل الخمسينات . أشار تولار إلى أن المبنى يبدو أشبه بمقلب نفايات ، ولكنه يعد أفضل ملاذ خاص لتناول الغداء والعشاء فى المدينة . كان يقدم طعاماً رائعاً فى بيئة فخمة مقصورة على الرجال الأغنياء من البيض . وجبات غداء مميزة من أجل الشخصيات المميزة من المصرفيين والمحامين ومديرى الشركات وأصحاب المشاريع والقليل من السياسيين وبعض أبناء الطبقة

الأرستقراطية . انطلق المصعد المطلى بماء الذهب إلى أعلى المبنى ، ماراً على المكاتب المهجورة حتى توقف فى البهو الفخم للطابق العاشر . نادى رئيس الندل على السيد تولار باسمه وسأل عن أصدقائه المقربين أوليفر لامبرت وناثان لوك . قدم الرجل تعازيه فى وفاة السيد كوزنسكي والسيد هودج . شكره تولار وقدم له أحدث أعضاء الشركة . كانت الطاولة المفضلة تنتظرهما في الركن . ظهر رجل أسود لطيف وقدم لهما قوائم الطعام .

قال تولار وهو يفتح قائمة الطعام : " إن الشركة تمنع شرب الكحوليات " .

" أنا لا أشرب الكحوليات " .

" هذا شيء جيد . ماذا ستشرب إذن ؟ "

" شاياً مثلجاً "

قال تولار للنادل : " أحضر له شاياً مثلجاً ، وأتنى بكأس من شراب بومباى بالثلج " .

عض ميتش لسانه غضباً وتجهم وجهه خلف قائمة الطعام .

تمتم تولار : " هناك الكثير من القواعد السخيفة بهذه الشركة " .

جاء الكأس الأول وسرعان ما تبعه الثانى ، ولكنه توقف بعد كأسين . طلب تولار الطعام من أجلهما . كان الطبق الخاص بهذا اليوم عبارة عن نوع من السمك المشوى . قال تولار إنه يراقب وزنه جيدا ويمارس التمارين الرياضية كل يوم بناد رياضى ، أو بالأحرى النادى الرياضى الذى يمتلكه . دعا ميتش إلى التدريب معه . ربما بعد امتحان النقابة . كان هناك بعض الأسئلة المعتادة عن ممارسة ميتش لكرة القدم بالجامعة وإنكار ميتش المعتاد لأى موهبة استثنائية لديه .

سأله ميتش عن أطفاله . رد بأنهم يعيشون مع والدتهم .

كان السمك نيئاً وكانت البطاطس المحمرة جافة . أخذ ميتش يلتقط الطعام من طبقه ، وتناول السلاطة في بطء وأنصت إلى شريكه وهو يتحدث عن بقية الحاضرين بالمطعم . كان عمدة المدينة يجلس فوق طاولة ضخمة وبصحبته بعض اليابانيين . وكان هناك مصرفي من عملاء الشركة يجلس على الطاولة المجاورة . كان هناك أيضاً بعض من كبار المحامين ورجال الصناعة ، وكلهم يتناول الطعام بشراهة ، وبشعور بالأهمية والنفوذ . كان الجو خانقاً . وطبقاً لما قاله تولار ، فقد كان كل شخص من أعضاء النادى شخصية ذات نفوذ ، ويتمتع بقوة لا يستهان بها ، سواء في مجاله أو في المدينة . كان تولار يشعر أنه في مكانه الطبيعى .

رفض كلاهما تناول التحلية وطلبا بعض القهوة . سيكون على ميتش أن يحضر إلى مكتبه بحلول التاسعة صباح كل يوم ، هكذا شرح له تولار بينما كان يشعل إحدى سجائره . تتواجد السكرتيرات بالشركة من الثامنة والنصف . مواعيد العمل من التاسعة وحتى الخامسة ، ولكن لا أحد يعمل لمدة ثمانى ساعات فقط في اليوم . قال تولار أنه يصل إلى مكتبه في الثامنة ، ونادراً ما يغادر قبل السادسة . يستطيع أن يقدم فواتير تحصيل تعادل إحدى عشرة ساعة من العمل يوميا ، بغض النظر عن عدد الساعات التى عملها فعلياً . إحدى عشرة ساعة يوميا ، خمسة أيام في الأسبوع ، بأتعاب تبلغ ثلاثمائة دولار بالساعة ، لمدة خمسين أسبوعاً سنويا . سيكون المجموع هو تسعمائة ألف دولار ! خلال وقت العمل المدفوع . كان ذلك هو الهدف الذى يصبو إليه تولار . في العام الماضى قام بتحصيل سبعمائة ألف دولار ، لكن كان لديه بعض المشاكل الخاصة . إن الشركة لا تهتم إذا حضر ميتش إلى العمل في السادسة أو التاسعة صباحاً ، مادام العمل ينفذ على النحو المطلوب .

تساءل ميتش : " متى تُفتَح أبواب الشركة ؟ "

شرح تولار أن كل فرد لديه مفتاح للشركة ، ولذلك سوف يستطيع الحضور والذهاب كما يشاء . هناك إجراءات أمنية مشددة ، ولكن الحراس يعتادون وجود مدمنى العمل . بعض من عادات العمل كانت تبدو خرافية . فعندما كان فيكتور ميليجان محامياً شاباً ، كان يعمل لمدة ست عشرة ساعة يومياً ، لسبعة أيام فى الأسبوع ، حتى أصبح شريكا . بعدها توقف عن العمل أيام الآحاد . تعرض لنوبة قلبية وتوقف عن العمل أيام السبت . منعه الطبيب من العمل لأكثر من عشر ساعات يوما ، وخمسة أيام أسبوعياً ، ولم يعد سعيدًا منذ ذلك اليوم . كان مارتى كوزنسكى يعرف كل البوابين ويحفظ أسماءهم الأولى . كان ممن يحضرون في التاسعة تماما حيث كان يفضل تناول الإفطار مع أطفاله بالمنزل . كان يأتى في التاسعة ويغادر فى منتصف الليل . يدعى ناثان لوك أنه لا يستطيع العمل بتركيز بعد حضور السكرتيرات ، ولذلك يحضر إلى الشركة الساعة السادسة صباحا . إنه يحس بالخزى إذا بدأ العمل متأخرا عن هذا الموعد . أرأيت رجلا في الواحدة والستين من العمر ، تبلغ ثروته عشرة ملايين ، ويعمل من السادسة صباحاً وحتى الثامنة مساء لمدة خمسة أيام ثم يعمل نصف يوم آخر أيام السبت ! إذا تقاعد فسوف يموت .

قال تولار إنه لا توجد ساعة للحضور والانصراف . يمكنك أن تأتى وتذهب كما تشاء . فقط قم بأداء العمل المطلوب .

قال ميتش إنه قد فهم الرسالة جيداً . لن يكون العمل لمدة ست عشرة ساعة يوميا أمرا جديدا عليه .

امتدح تولار بذلة ميتش الجديدة . كان هناك قانون غير مكتوب حول طراز الملابس ، وبدا واضحاً أن ميتش قد فهم المطلوب بسرعة . قال تولار إن لديه خياطاً ، رجلاً كورياً يعمل فى جنوب ممفيس ،

ونصح ميتش بالذهاب إليه عندما يستطيع تحمل ثمن الملابس التى يصنعها . قال إنه يتقاضى ألفاً وخمسمائة دولار فى البذلة الواحدة . قال ميتش إنه سينتظر عاماً أو عامين قبل أن يفكر بالذهاب إليه .

قاطعهما محام من إحدى الشركات القانونية الكبرى وتحدث إلى تولار . قدم تعازيه وسأل عن أسرتى الفقيدين . قال إنه قد عمل مع جو هودج فى قضية بالعام الماضى ، وإنه لم يصدق ما حدث . قدمه تولار إلى ميتش . قال الرجل إنه حضر الجنازة . انتظرا أن يغادرهما ، ولكنه استمر يتحدث بلا توقف عن حزنه وأسفه لما جرى . بدا واضحاً أنه يريد بعض التفاصيل . لم يقل له تولار شيئاً ، وأخيراً اضطر للانصراف .

بحلول الثانية ، كان معظم الحاضرين قد انتهوا من تناول الغداء ، وصار المكان أقل ازدحاماً . وقع تولار على شيك الحساب وصاحبهما رئيس الندل حتى الباب . وفى الأسفل ، كان السائق يقف صابراً عند مؤخرة السيارة . قفز ميتش إلى الخلف وألقى بجسمه داخل المقعد الجلدى الكبير . أخذ يشاهد المبانى والسيارات المارة بالشوارع . نظر إلى السائرين وهم يسرعون الخطى على طول أرصفة الشوارع وتساءل كم شخصا منهم قد شاهد سيارة ليموزين من الداخل أو وطئت أقدامه داخل مطعم مانهاتن كلوب من قبل . كم شخصاً منهم سوف يكون غنيا خلال عشر سنوات ؟ ابتسم ، وشعر بالارتياح . أحس أن هارفارد صارت تبعد عنه ملايين الأميال . لقد انزاح هم مصروفات هارفارد الدراسية . وأصبحت كينتاكى تنتمى إلى عالم آخر لا يعرفه . لقد صار ماضيه منسياً . لقد وصل إلى أرض أحلامه .

كانت مصممة الديكور تنتظر داخل مكتبه . استأذن تولار وطلب من ميتش الحضور إلى مكتبه بعد ساعة لكى يبدآ العمل . كان معها

مجلدات تحوى الكثير من صور الأثاث المكتبى وعينات من كل شىء . طلب منها أن تقدم له اقتراحات ، وأنصت إليها بكل الاهتمام الذى تمكن من تصنعه ، ثم أخبرها أنه يثق فى ذوقها وأن باستطاعتها أن تنتقى ما تراه مناسباً . أعجبها مكتب أحمر اللون من خشب الكرز ، بدون أدراج ، وكراسي من الجلد البرجندى الفاخر وسجادة شرقية غالية الثمن . قال ميتش إن اختيارها كان رائعاً .

غادرت مصممة الديكور وجلس ميتش خلف مكتبه القديم ، ذلك المكتب الذى يبدو بحالة جيدة وكان ليناسبه تماماً إلا أن الشركة اعتبرته مكتباً مستعملاً وذلك لا يليق بأحدث محام لدى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك . كانت حجرة المكتب تبلغ خمسة عشر قدماً مربعاً وكان بها نافذة عرضها ستة أقدام تواجه الناحية الشمالية وتطل شمالاً مباشرة على الطابق الثانى للمبنى القديم المجاور للشركة . ولم يكن ذلك منظراً يستحق الرؤية . وبالكاد كان يرى لمحة من النهر باتجاه الشمال الغربى . كانت الجدران مصنوعة من ألواح خشبية عارية . كانت مصممة الديكور قد اختارت بعض التصميمات الفنية للحوائط . كان ميتش قد قرر أن يكون الحائط المزخرف أمام مكتبه ، خلف المقاعد ذات المساند الجلدية . أما شهادات التخرج وخلافه ، فيجب أن توضع في إطارات وتعلق . كان المكتب كبيراً ، بالنسبة لمحام شاب . كان أكبر بكثير من جحور الفئران التى يضعون بها المحامين الجدد فى نيويورك وشيكاغو . سيكون هذا المكتب كافياً لعدة سنوات . بعد ذلك ينتقل إلى مكتب يطل على منظر أفضل . ثم مكتب فى أحد الأركان الرئيسية بالطابق ، والتى يحتلها أصحاب السلطة فى هذه الشركة .

طرقت الآنسة نينا هاف على الباب وقدمت نفسها على أنها سكرتيرته . كانت امرأة شديدة السمنة ، فى الخامسة والأربعين من

العمر ، وبنظرة واحدة إلى جسدها لـن يصعب عليك أن تخمن لماذا لم تتزوج حتى الآن . بدون عائلة تنفق عليها ، كان من الواضح أنها تبعثر أموالها على الملابس ومساحيق التجميل ـ وكل ذلك بلا طائلٍ . تعجب ميتش وتساءل لماذا لا تنفق أموالها على طبيب تخسيس بدلاً من ذلك . أخبرته على الفور أنها تعمل بالشركة منذ ثمانية أعوام ونصف وأنها تعلم كل ما يجب أن تعلمه السكرتيرة عن إجراءات العمل . وإذا كانت لديه أية أسئلة فعليه فقط أن يسألها عما يشاء . شكرها ميتش على ذلك . قالت إن لها مدة تعمل في قسم الكتابة على الآلة الكاتبة وإنها ممتنة لرجوعها للعمل في قسم السكرتارية . أومأ كأنه يتفهم ذلك تماما . تساءلت إذا كان يجيد استخدام آلة الإملاء ، فكان رده بالإيجاب . قال إنه كان يعمل بشركة في وول ستريت بها ثلاثمائة محام وكانت تمتلك أحدث المعدات التكنولوجية الخاصة بالمكاتب . لكن إذا صادفته أى مشكلة فسوف يسألها بالطبع .

قالت متسائلة : " ما هو اسم زوجتك ؟ "

رد في تساؤل : " وما أهمية ذلك ؟ "

" حتى إذا اتصلت هاتفياً ، سأرغب في معرفة اسمها لكي أعاملها بالاحترام والود اللازمين " .

" آبى " .

" كيف تحب تناول القهوة ؟ "

" بدون لبن أو سكر ، ولكنني سوف أعدها لنفسي " .

" أنا لا أمانع في إعداد القهوة لك . إن هذا جزء من عملي " .

" سوف أقوم بإعدادها لنفسي " .

" كل السكرتيرات يفعلن ذلك " .

" إذا مسست قهوتي يوماً ما ، سوف أعمل على نقلك لقسم البريد لكي تقومي بلعق طوابع البريد طوال اليوم " .

" إن الطوابع تلصق ميكانيكيا هنا . هل ما زالوا يلعقون الطوابع بألسنتهم في وول ستريت ؟ "

" لقد كان مجرد تشبيه بلاغي " .

" حسناً ، لقد حفظت اسم زوجتك واتفقنا على مسألة القهوة ، أظن أنني مستعدة لبدء العمل " .

" أريدك أن تكوني هنا في تمام الثامنة والنصف صباحاً كل يوم " .

" أمرك سيدي " قالتها وهي تغادر ، ثم ابتسم ميتش إلى نفسه . لقد كانت امرأة متحذلقة ، ولكن التعامل معها سيكون ممتعاً .

كان لامار هو من حضر بعد ذلك . كان متأخرا على موعد مع ناثان لوك ولكنه أراد المرور والاطمئنان على صديقه . كان سعيداً لأن مكتبيهما قريبان للغاية . اعتذر مرة أخرى بخصوص عشاء الخميس الماضي ، وقال إنه سوف يأتي بصحبة كاى والأطفال في السابعة لكي يشاهدوا المنزل الجديد والأثاث .

كان هانتر كوين في الخامسة ، وكانت أخته هولى في السابعة . تناول كلاهما المكرونة السباجيتي ملتزمين بآداب المائدة وهما يجلسان على طاولة العشاء الجديدة ، وتجاهلا أحاديث الكبار من حولهما بشكل يدل على حسن التربية . ظلت آبي تراقبهما وهي تحلم بالأطفال . ظن ميتش أنهما جميلان للغاية ، ولكن ذلك لم يوح إليه بأية أفكار . كان مشغولاً بتذكر أحداث اليوم .

تناولت المرأتان الطعام بسرعة ثم انصرفتا لمشاهدة الأثاث والتحدث عن إعادة ترتيبه على نحو أفضل . أخذ الطفلان الكلب هيرساى وذهبا ليستمتعا باللعب معه في الفناء الخلفي .

قال لامار وهو يمسح فمه : " أنا مندهش قليلاً لإنهم عينوك للعمل مع تولار ".

" ولماذا تشعر هكذا ؟ "

" لا أظنه قد أشرف على محامٍ من قبل " .

" أهناك سبب لذلك ؟ "

" ليس بشكل محدد . إنه شخص رائع ، ولكنه لا يحب العمل الجماعي . من النوع الذى يحب الوحدة وربما يفضل العمل بمفرده . هناك مشاكل خاصة بينه وبين زوجته ، وهناك بعض الأقاويل عن كونهما منفصلين . لكنه يحتفظ بمشاكله لنفسه " .

دفع ميتش طبقه بعيداً وارتشف بعضاً من الشاى المثلج . قال متسائلا : " أهو محام جيد ؟ "

" نعم ، جيد للغاية . إن كل الشركاء جيدون للغاية طالما وصلوا إلى تلك المكانة . الكثير من عملائه أشخاص أثرياء ممن لديهم ملايين من الدولارات ويريدون استثمارها بطريقة تحميهم من الضرائب . إنه يؤمن لهم بعض الشراكات المحدودة . كثير من طرق الاستثمار التى يستخدمها تتسم بالمخاطرة ، وهو مشهور بميله إلى المخاطرة والدخول فى صراعات مع مصلحة الضرائب بعد ذلك . معظم عملائه من محبى المخاطرات أيضا . سوف تقوم بالكثير من الأبحاث من أجل العثور على طرق للتحايل على قوانين الضرائب . سيكون الأمر ممتعا " .

" لقد أمضى أكثر من نصف الغداء ملقياً المحاضرات عن تحصيل الفواتير " .

" هذا ضرورى . هناك دائماً ضغط من أجل التحصيل أكثر وأكثر . إن كل ما لدينا لنبيعه هو الوقت . وعندما تجتاز امتحان النقابة يتم مراقبة معدل تحصيلك أسبوعياً عن طريق تولار ورويس مكنايت . إن كل شىء يتم بالكمبيوتر وبإمكانهم أن يحسبوا معدل إنتاجك حتى القرش الأخير . سوف يتوقعون منك أن تُحَصِّل ما قيمته ثلاثين أو أربعين ساعة من العمل أسبوعيا خلال الستة أشهر الأولى . ثم يرتفع

المتوسط إلى خمسين ساعة لعدة سنوات قادمة . قبل أن يفكروا في اختيارك كشريك ، سيكون عليك تخطى حاجز الستين ساعة أسبوعيا بشكل ثابت ولعدة سنوات متتالية . لا يوجد شريك فعال يقوم بتحصيل أقل من ستين ساعة أسبوعياً ـ بل إن معظمهم يحقق الحد الأقصى من التحصيل " .

" إنها ساعات عمل كثيرة للغاية " .

" تبدو كذلك بالفعل ، ولكن ذلك قد يكون مظهراً خداعاً . معظم المحامين الجيدين يمكنهم العمل لمدة ثمانى أو تسع ساعات يوميا ويقومون بتحصيل ما يعادل اثنتى عشرة ساعة . إنها تسمى عملية الحشو . إنها ليست عملية منصفة تماماً للعميل ، ولكنها شيء يفعله الجميع . إن الشركات الكبرى بُنيت عن طريق عمليات حشو للقضايا حتى تعامل فى نفس الوقت الزمنى . إنها اللعبة التى نمارسها جميعا " .

" يبدو ذلك غير أخلاقى " .

" وكذلك مطاردة محامى التعويضات لسيارات الإسعاف ، أو قيام محام يترافع فى قضية مخدرات بقبض أتعابه نقداً إذا كان يعلم أنها أموال مخدرات . هناك الكثير من الأشياء غير الأخلاقية فى حياتنا . ماذا عن الطبيب الذى يستقبل فى عيادته المئات من مرضى التأمينات من كبار السن يومياً ؟ أو ذلك الجراح الذى يجرى جراحة غير ضرورية ؟ والكثير من الأشخاص الذين لا أخلاقيات لديهم من قابلتهم فى حياتى أصبحوا عملاء لى . من اليسير أن تقوم بحشو قضيتين فى نفس الوقت عندما يكون عميلك من أصحاب الملايين ممن يريدون النصب على الحكومة ويطلبون منك أن تفعل ذلك بشكل قانونى . إننا جميعا نفعل ذلك . "

" هل يدرسون ذلك فى الشركة ؟ "

" كلا . إنك تتعلم ذلك بنفسك . سوف تبدأ العمل بحماس شديد وتعمل لساعات طويلة ، ولكنك لن تستطيع فعل ذلك إلى الأبد . ولذلك ستبدأ في اتباع الطرق المختصرة . صدقنى يا ميتش . بعد عام من عملك بالشركة سوف تعرف كيف تعمل لمدة عشر ساعات وتقوم بتحصيل ضعف ذلك . إنها نوع من الحاسة السادسة التى يتعلمها المحامون " .

" ماذا سأتعلم إلى جانب ذلك ؟ "

أخذ لامار يهز مكعبات الثلج داخل كأسه وفكر للحظات . قال : " كمية معينة من السخرية والتهكم . إن هذه الوظيفة تؤثر فيك بشكل ما . عندما كنا فى كلية الحقوق كان لدينا أفكار نبيلة عن الطريقة التى يجب أن يكون عليها المحامي الجيد . بطل حقوق الإنسان ؛ المدافع عن الدستور ؛ حامي حمى المظلومين ؛ المؤيد لمبادئ عملائه . لكن بعد أن تمارس المهنة لمدة ستة شهور تدرك أننا لسنا سوى بعض المرتزقة . أبواق دعاية معروضة فى المزاد لمن يدفع أكثر ، ومتاحة لأى شخص ، أى منحرف ، أى حقير معه ما يكفى من المال لكى يتحمل أتعابنا الضخمة . لا يجب أن تجعل أى شيء يصدمك . من المفترض أنها مهنة شريفة ، ولكنك سوف تقابل الكثير من المحامين المنحرفين حتى أنك سترغب فى الاستقالة والبحث عن عمل شريف . نعم يا ميتش ، سوف تصبح شخصاً ساخراً ومتهكماً . وهذا أمر محزن صدقنى " .

" لا يجب أن تخبرنى بتلك الأشياء فى هذه المرحلة من مستقبلى المهنى " .

" سوف يعوضك المال عن كل ذلك . إنه شيء مذهل كم العناء والشقاء الذى يمكن أن يتحمله المرء مقابل مائتى ألف دولار سنوياً " .

" العناء والشقاء ؟ إنك تجعل الأمور تبدو رهيبة " .

" أنا آسف . إنها ليست بهذا السوء . إن منظورى نحو الحياة تغير جذرياً منذ الخميس الماضي " .

" أتريد أن تلقى نظرة على المنزل ؟ إنه رائع للغاية " .

" ربما في وقت آخر . دعنا نتحدث " .

٦

. . . .

في تمام الخامسة صباحاً انطلق صوت المنبه مدوياً من أسفل مصباح الإضاءة الذى استقر على طاولة السرير الجديد ، وعلى الفور تم إسكاته . سار ميتش مترنحاً فى أرجاء المنزل المظلم ووجد هيرساى يقف عند الباب الخلفى . أطلق ميتش الكلب الصغير إلى الفناء الخلفى واتجه إلى الحمام . بعد عشرين دقيقة عاد ميتش إلى زوجته النائمة أسفل الأغطية وقبلها مودعاً ، ولكنها لم تتحرك من موضعها .

فى غياب المرور المزدحم ، كان المكتب على بعد عشر دقائق من المنزل . كان ميتش قد قرر أن يبدأ يوم العمل فى الخامسة والنصف ، إلا إذا سبقه أحدهم إلى المكتب ؛ فى هذه الحالة سيكون عليه أن يصل فى الخامسة أو الرابعة والنصف ، أو أى موعد يضمن له أن يكون أول من يصل إلى الشركة صباحاً . كان النوم أمراً ثانوياً بالنسبة له . سوف يكون أول من يصل إلى الشركة فى ذلك اليوم ، وفى كل يوم حتى يصبح أحد الشركاء . إذا كان الأمر يتطلب عشر سنين من أى شخص آخر ، فسوف يقوم بذلك فى سبع سنين فقط . لقد قرر أن يصبح أصغر من يصل إلى درجة شريك فى تاريخ الشركة .

كانت ساحة الانتظار المجاورة لمبنى بنديني محاطة بسور من الأسلاك الحديدية بارتفاع عشرة أقدام وينتهى ببوابة ضخمة يقف أمامها أحد الحراس . كان هناك مكان بالداخل لإيقاف السيارة وقد

كتب عليه اسمه بالخطوط الصفراء . أوقف سيارته أمام البوابة وانتظر . خرج الحارس بزيه الرسمي من خلف الظلام واقترب من باب السائق . ضغط ميتش أحد الأزرار فهبط زجاج النافذة ثم قدم إلى الحارس بطاقة بلاستيكية عليها صورته .

قال الحارس وهو يمسك البطاقة بين أصابعه : " لابد أنك المحامي الجديد " .

" نعم . ميتش ماكدير " .

" أستطيع قراءة الاسم . كان يجب أن أخمن ذلك من شكل السيارة الجديدة " .

قال ميتش : " ما اسمك ؟ "

" داتش هندرِكس . كنت أعمل شرطيا بإدارة شرطة ممفيس لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً " .

" سعيد بلقائك يا داتش " .

" وأنا كذلك . يبدو أنك ممن يبدأون العمل مبكراً ، أليس كذلك ؟ "

ابتسم ميتش وأخذ بطاقة الهوية قائلاً : " كلا ، لقد ظننت أن الجميع سيكونون هنا " .

لاحت شبه ابتسامة على وجه داتش وقال : " إنك أول من يصل . سوفٍ يصل السيد لوك بعد قليل " .

فُتِحَت البوابة وطلب منه داتش أن يمر . وجد ميتش اسمه مكتوبا باللون الأبيض فوق الإسفلت وقام بإيقاف سيارته الـ بى . إم . دبليو البراقة بمفردها فى الصف الثالث من المبنى . التقط حقيبة مستنداته الحمراء الفارغة ، المصنوعة من جلد الثعبان ، من فوق المقعد الخلفى ثم أغلق الباب بحرص . كان هناك حارس آخر يقف عند المدخل الخلفى . قدم ميتش نفسه إلى الحارس وشاهد البوابة وهى تفتح . نظر إلى

ساعته . كانت تشير إلى الخامسة والنصف . شعر بالارتياح لأنه قد وصل فى هذه الساعة المبكرة بينما بقية المحامين مازالوا يغطون فى نوم عميق .

ضغط مفاتيح الإضاءة فى مكتبه ووضع حقيبة المستندات على المكتب المؤقت . اتجه إلى غرفة تناول القهوة فى نهاية الرواق ، مشعلاً الإضاءة على طول الممر . كانت ماكينة صنع القهوة من النوع المعقد ، متعدد الأوعية والمستويات وبها الكثير من أجهزة الإشعال ، وتخلو تماماً من أى تعليمات واضحة حول كيفية استعمال أى من تلك الأشياء . أخذ يدرس الماكينة للحظة بينما كان يفرغ عبوة القهوة داخل المرشح وقام بصب الماء داخل إحدى الفتحات العلوية ، ثم ابتسم حين بدأت القهوة تسقط من الفتحة الصحيحة .

فى أحد أركان الحجرة استقرت ثلاثة صناديق من الكرتون المقوى مليئة بالكتب والملفات والمذكرات القانونية والملاحظات الدراسية التى جمعها خلال السنوات الثلاث الماضية . وضع الصندوق الأول فوق مكتبه وبدأ يفرغ محتوياته . صُنِفَت المحتويات ووُضِعَت فى أكوام صغيرة مرتبة حول المكتب .

بعد تناول قدحين من القهوة ، عَثَر على المواد الدراسية الخاصة بامتحان نقابة المحامين داخل الصندوق الثالث . مشى نحو النافذة وفتح الستائر . كانت السماء لاتزال مظلمة . لم يلاحظ ذلك الشخص الذى ظهر فجأة أمام مدخل الباب .

" صباح الخير " .

استدار ميتش إلى الخلف بسرعة وحدق فى وجه الرجل وقال وهو يتنفس بقوة : " لقد أفزعتنى " .

" أعتذر عن ذلك . أنا ناثان لوك . لا أظن أننا قد تقابلنا من قبل " .

" ميتش ماكدير . المحامي الجديد " . قال ميتش ذلك وهو يمد يده مصافحاً .

" نعم ، أعرف ذلك . أعتذر لأنني لم أقابلك من قبل . لقد كنت مشغولاً أثناء زياراتك الأولى . أظن أنني رأيتك في الجنازات يوم الاثنين " .

أومأ ميتش موافقاً وهو يعلم يقينا أنه لم يكن على مقربة من ناثان لوك في وقت العزاء ولا حتى لمسافة مائة ياردة . كان ليتذكر ذلك . كان ليتذكر تلك العينين السوداوين الباردتين ، التي أحاطت بهما تلك التجاعيد السوداء.. عينان قويتان . عينان لا يمكن أن تنساهما أبداً . كان شعره أبيض ، خفيفاً عند مقدمة وجهه ، وكثيفاً فوق الأذنين ، وكان بياض شعره يظهر بشدة بقية ملامح وجهه . عندما يتحدث ، كانت عيناه تضيقان وتشعان ببريق حاد . كانت له عينان شريرتان وخبيرتان بهذا العالم .

" ربما حدث ذلك " ردد ميتش هذه الكلمات وهو مأخوذ بأكثر الوجوه الشريرة التي رآها في حياته .

" أرى أنك ممن يستيقظون مبكراً " .

" نعم يا سيدى " .

" حسنا ، لقد سعدت بانضمامك إلينا " .

انسحب ناثان لوك من مدخل الباب ثم اختفى . تفقد ميتش الردهة ثم أغلق الباب . لا عجب أنهم يضعونه في الطابق الرابع بعيداً عن الآخرين . لقد صار ميتش يعلم لماذا لم يجعلوه يقابل ناثان لوك قبل أن يوقع وثيقة الانضمام إلى الشركة . لقد كان ذلك كفيلاً بأن يجعله يعيد النظر في الأمر . ربما كانوا يخفونه عن المرشحين للوظائف . لقد كان للرجل ، بلا شك ، حضور شرير ومشئوم لم يشعر ميتش بمثله من

قبل . إن الأمر يكمن في عينيه ، قال ميتش لنفسه مرة أخرى وهو يسند قدميه إلى المكتب ويرتشف قهوته ، إنهما عيناه .

كما توقع ميتش ، أحضرت نينا بعض الطعام عندما وصلت إلى المكتب في الثامنة والنصف . قدمت له بعض الفطائر المحلاة ، فأخذ اثنتين . تساءلت نينا إذا كان من الضرورى أن تجلب معها المزيد من الطعام كل صباح ، وأخبرها ميتش أن ذلك سيكون أمراً جيداً .

" أهناك شيء آخر ؟ " تساءلت نينا وهى تشير إلى أكوام الملفات والملاحظات الموضوعة على المكتب .

" سيكون ذلك هو مشروع اليوم . علينا أن نقوم بترتيب تلك الأكوام على نحو منظم " .

" ألن يكون هناك أى إملاء ؟ "

" ليس بعد . سوف أقابل تولار بعد دقائق . أحتاج إلى تنظيم هذه الفوضى بطريقة ما " .

" يا لها من مهمة مثيرة " قالتها نينا في سخرية وهي تتجه نحو حجرة عمل القهوة .

كان آفرى تولار في انتظاره وفي يده ملف ضخم ، وقام على الفور بتسليمه إلى ميتش قائلا : " هذا ملف كابس ، أو جزء منه . إن اسم العميل هو سونى كابس . يعيش في هيوستن الآن ، ولكنه نشأ في كانساس . تبلغ ثروته ما يقرب من ثلاثين مليون دولار ، وهو يضع يده على كل قرش منها . أعطاه والده قبل موته بعض السفن القديمة ، ولكنه قام بتحويلها إلى أكبر أسطول من بواخر النقل في نهر المسيسبى . صار لديه سفن ، أو مراكب كما يحلو له أن يطلق عليها ، تطوف كل موانئ العالم . نحن نقوم بما يعادل ثمانين بالمائة من أعماله القانونية ، فيما عدا القضايا التى تصل إلى المحاكم . يريد كابس إنشاء

شراكة محدودة من أجل شراء أسطول جديد من ناقلات البترول من إحدى العائلات الصينية في هونج كونج . عادة ما يكون كابس هو الشريك الرئيسى ، وسوف يجلب معه بعضاً من الشركاء محدودى الأسهم قد يصل عددهم إلى خمسة وعشرين شريكاً ، وذلك من أجل توزيع المخاطرة وتقليل احتمالات الخسارة وكذلك من أجل المشاركة فى مصادر التمويل . سوف تبلغ قيمة هذه الصفقة ما يقرب من خمسة وستين مليوناً . لقد قمت بوضع الإجراءات القانونية للعديد من الشراكات الخاصة به وكانت جميعها مختلفة فى كل مرة ، ومعقدة للغاية . وهو شخص يصعب التعامل معه ، ودائما ما يطلب المثالية فى كل شيء ، ويظن أنه يفهم أكثر منى . إنك لن تتعامل معه مباشرة . فى الواقع ، لا أحد فى هذه الشركة يتعامل معه مباشرة إلا أنا . إن هذا الملف هو عبارة عن جزء من مستندات آخر شراكة قمت بتولى تنظيم مستنداتها من أجله . إنه يحتوى على النشرات التمهيدية للمشروع ، واتفاقية إنشاء الشراكة ، وخطاب النوايا ، وبيان السرية ، واتفاقية شروط الشراكة المحدودة ، إلى جانب مستندات أخرى . اقرأ كل كلمة فى الملف . بعد ذلك أريد منك أن تكتب مذكرة تمهيدية لاتفاقية الشراكة الجديدة لهذا المشروع " .

أصبح الملف فجأة أثقل وزناً وأكبر حجماً . ربما لن يصبح الحضور فى الخامسة والنصف مبكرا بما يكفى .

أكمل تولار حديثه : " لدينا أربعون يوماً تقريباً ، وذلك طبقا لما قاله كابس ، ولهذا نحن متأخرون بالفعل . لقد كان مارتى كوزنسكى يعاوننى فى هذا الملف ، وبمجرد أن أنتهى من مراجعة الملف الذى أعده ، سوف أعطيه لك . هل من أسئلة ؟ "

" ماذا عن الأبحاث المالية ؟ "

" معظمها حديثة ، ولكن سيكون عليك تحديثها . لقد كانت أرباح كابس تسعة ملايين دولار فى العام الماضى وقام بدفع ضرائب قليلة للغاية . إنه لا يؤمن بالضرائب ، ويحملنى مسئولية كل قرش يدفعه للضرائب . إن كل الإجراءات التى أقوم بها قانونية بالطبع ولكن ما أريد أن أوضحه هنا هو أن هناك ضغوطاً كثيرة تتعلق بهذا الملف . هناك ملايين الدولارات من الاستثمارات والمدخرات الضريبية على المحك ، وسوف يتم التدقيق فى هذا المشروع بدقة عن طريق حكومات ثلاث دول على الأقل . لذلك كن حريصاً قدر ما تستطيع " .

أخذ ميتش يقلب أوراق الملف وقال : " كم ساعة من اليوم يجب أن أعمل على هذا الملف ؟ "

" على قدر ما تستطيع . أعلم أن امتحان النقابة له أهميته ، ولكن كذلك سونى كابس . لقد دفع للشركة ما يقرب من نصف المليون من الدولارات كأتعاب قانونية فى العام الماضى " .

" سوف أنتهى منه بأسرع ما يمكن " .

" أعلم أنك ستفعل ذلك . كما قلت لك من قبل ، سيحسب تحصيلك بواقع مائة دولار فى الساعة . ستقوم نينا بمراجعة طريقة حساب ساعات العمل معك اليوم . تذكر ، لا تتجاهل التحصيل " .

" كيف يمكن أن أنسى " .

وقف أوليفر لامبرت وناثان لوك أمام الباب الحديدى بالطابق الخامس ونظرا إلى الكاميرا التى تعلوه . أصدر الرتاج صريراً معدنياً ثم فتح الباب . أومأ الحارس برأسه ، وكان ديفاشر ينتظر فى مكتبه .

" صباح الخير يا أولى " قال ديفاشر ذلك فى هدوء بينما تجاهل الشريك الآخر تماماً .

" ما هي آخر الأخبار ؟ " تساءل ناثان بذلك وهو يصيح باتجاه ديفاشر دون أن ينظر إليه .

تساءل ديفاشر في هدوء : " من أي مكان تقصد ؟ "

" من شيكاغو " .

" إنهم يشعرون بالقلق يا ناثان . بغض النظر عما تعتقده ، فهم لا يحبون أن تتلوث أيديهم بالأعمال القذرة . وبصراحة ، هم لا يفهمون لماذا يجب عليهم أن يفعلوا ذلك " .

" ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ "

" إنهم يطرحون أسئلة صعبة ، فهم يتساءلون لماذا لا نستطيع السيطرة علي رجالنا " .

" وماذا قلت لهم ؟ "

" لقد أخبرتهم أن كل الأمور على ما يرام . بل رائعة . إن شركة بنديني العظيمة ثابتة كالجبال . وأن الثغرات التي كانت تتسرب منها المعلومات قد أُغلِقَت . والأعمال تسير بشكلها المعتاد . ولا توجد أي مشكلة " .

تساءل أوليفر لامبرت : " ما هو حجم الأضرار التي سببها لنا كوزنسكي وهودج ؟ "

" لسنا متأكدين . لن نتأكد أبداً ، لكني لا أظن أنهما قد تحدثا بأي شيء . كانا قد قررا التحدث ، لا يوجد شك في هذا ، ولكني لا أعتقد أنهما قد فعلا . لقد علمنا من مصدر موثوق به أن عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي كانوا في الطريق إلى الجزيرة في نفس يوم الحادثة ، ولذلك نعتقد أنهم كانوا على موعد مع كوزنسكي وهودج لكي يتلقوا ما لديهما من معلومات " .

تساءل لوك : " كيف تعرف كل هذا ؟ "

" بالله عليك يا ناثان . إن لدينا مصادرنا . إلى جانب أن رجالنا كانوا يغطون الجزيرة بالكامل . إننا نؤدى أعمالنا جيداً ، كما تعلم " .

" هذا واضح " .

" هل كان عملا غير متقن ؟ "

" كلا ، كلا . لقد كان عملاً محترفاً للغاية " .

" كيف تورط السكان المحليون في الأمر ؟ "

" كان يجب أن نجعل الحادثة تبدو حقيقية يا أولى " .

" وماذا عن السلطات هناك ؟ "

" أية سلطات ؟ إنها جزيرة صغيرة مسالمة يا أولى . في العام الماضى كان لديهم جريمة قتل واحدة وأربع حوادث غطس . لقد كان الأمر مجرد حادثة غطس أخرى بالنسبة لهم . ثلاث حالات غرق متطابقة " .

" ماذا عن رجال مكتب التحقيقات الفيدرالى ؟ "

" لا أدرى " .

" ظننت أن لديك مصدر معلومات هناك " .

" نعم لدينا . لكن لا يمكننا الوصول إليه . لم نسمع أى شىء منذ الأمس . مازال رجالنا هناك على الجزيرة ولم يلاحظوا أى شىء غير عادى " .

" إلى متى سيظل رجالك هناك ؟ "

" لمدة أسبوعين " .

تساءل لوك : " ماذا سيحدث إذا ظهر عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالى ؟ "

" سوف نراقبهم بمنتهى الحرص . سوف نراهم عندما يهبطون من الطائرة . سوف نتبعهم إلى غرفهم بالفندق . ربما وضعنا أجهزة تنصت في هواتفهم . سوف نعرف ماذا تناولوا في الإفطار وماذا دار بينهم من

حديث . سوف نعين لكل رجل منهم ثلاثة من رجالنا لمراقبته ، وإذا ذهب أحدهم إلى الحمام ، سوف نعرف ذلك . لا يوجد أى شيء ليعثروا عليه يا ناثان . لقد أخبرتك أنها كانت عملية دقيقة ، وباحتراف شديد ، وبدون أية أدلة . استرخ " .

قال لامبرت : " هذا يشعرني بالغثيان يا ديفاشر " .

" أتظن أن ذلك يعجبني يا أولى ؟ ماذا أردت منا أن نفعل ؟ نجلس مسترخين وندعهم يتحدثون ؟ بحق السماء يا أولى ، نحن جميعا بشر . لم أرغب في فعل ذلك ، ولكن لازاروف أمر بذلك . إذا أردت أن تجادل لازاروف ، فتفضل . سوف يعثرون عليك طافياً فوق الماء في مكان ما . هذان الشابان كانا يضمران الشر لنا . كان عليهما أن يلتزما الصمت ، وأن يستمرا فى قيادة سياراتهما الفارهة والتصرف مثل المحامين المشاهير . لكنهما أرادا أن يلعبا دور المصلحين الشرفاء " .

أشعل ناثان لوك سيجارة ونفث سحابة كبيرة من الدخان فى الاتجاه الذى يقف فيه ديفاشر . جلس الرجال الثلاثة فى صمت للحظات بينما استقر الدخان بالقرب من مكتب ديفاشر . حدق ديفاشر داخل عينى لوك السوداء ولكنه لم ينطق بشيء .

وقف أوليفر لامبرت وحدق فى الحائط العارى المجاور للباب . قال : " لماذا طلبت رؤيتنا ؟ "

أخذ ديفاشر نفساً عميقاً وقال : " عملاؤنا في شيكاغو يريدون وضع أجهزة تنصت داخل الهواتف المنزلية لكل المحامين غير الشركاء بالشركة " .

قال لامبرت مخاطباً لوك : " لقد أخبرتك بهذا " .

قال ديفاشر : " لم تكن هذه فكرتى ، ولكنهم أصروا على ذلك . إنهم عصبيون للغاية هناك ، ويريدون اتخاذ بعض الإجراءات الاحتياطية . لا يمكنك أن تلومهم على ذلك " .

تساءل لامبرت : " ألا تظن أن الأمر قد فاق حده قليلا ؟ "

" نعم ، إنه أمر غير ضروري على الإطلاق . ولكن من فى شيكاغو لا يعتقدون ذلك " .

تساءل لوك : " متى سيحدث ذلك ؟ "

" الأسبوع القادم أو فى موعد قريب منه . سوف يستغرق الأمر عدة أيام " .

" كل المحامين ؟ "

" نعم . هذا ما قالوه " .

" حتى ماكدير ؟ "

" نعم . حتى ماكدير . أعتقد أن العميل الفيدرالى تارانس سوف يحاول تجنيد شخص آخر ، وربما يبدأ من القاع هذه المرة " .

قال لوك : " لقد قابلت ماكدير هذا الصباح . لقد وصل إلى الشركة قبلى " .

أجاب ديفاشر : " فى تمام الخامسة واثنتين وثلاثين دقيقة " .

ألقيت تلك الملفات التى تمثل ذكريات ميتش فى كلية الحقوق على الأرض ونشرت مستندات ملف كابس فوق المكتب . أحضرت نينا شطيرة سلاطة الدجاج عندما عادت من الغداء ، وأخذ ميتش يأكل وهو يقرأ بينما كانت نينا تنظم تلك الملفات القديمة الملقاة على الأرض . بعد الواحدة بقليل ، وصل والى هودسون ، أو " جى . والتر هودسون " كما تقول بطاقة هويته بالشركة ، من أجل بدء الدراسة لامتحان النقابة . كانت كتابة العقود هى تخصصه . كان يعمل بالشركة منذ خمس سنوات وكان الرجل الوحيد من سكان ولاية فيرجينيا ، وكان يستغرب ذلك حيث إن ولاية فيرجينيا بها أفضل كلية حقوق فى البلاد ، حسب رأيه الشخصى . كان قد أمضى العامين السابقين فى تطوير منهج دراسى

لمراجعة القسم الخاص بكتابة العقود في امتحان النقابة ، وكان يتطلع بشغف إلى تجربة ذلك المنهج على أحد الأشخاص ، وتصادف أن يكون ذلك الشخص هو ميتش ماكدير . ناول ميتش دفتر ملاحظات ضخماً يبلغ سُمكه ما لا يقل عن أربع بوصات ويماثل ملف كابس في الوزن تقريباً .

شرح والى أن الامتحان سيستمر لأربعة أيام وينقسم إلى ثلاثة أجزاء . سوف يكون اليوم الأول امتحاناً متعدد الخيارات حول آداب المهنة ويستمر لأربع ساعات . قال والى إن جيل فاون ، أحد الشركاء بالشركة ، هو الخبير الدائم في آداب المهنة وسوف يشرف على مراجعة ذلك القسم من الامتحانات . سيكون اليوم الثاني مخصصا لامتحان يستمر لمدة ثماني ساعات ويعرف عامة باسم القانون العام للولايات، وهو يغطي المناطق المشتركة في القانون التي تتشابه في معظم الولايات . وهو أيضا متعدد الخيارات ودائماً ما تتميز أسئلته بالخداع . بعد ذلك سيأتي القسم الكبير . سيكون اليوم الثالث والرابع مخصصين لأداء امتحان لمدة ثماني ساعات لكل منهما ويغطي خمسة عشر قسما من القانون الموسع . سيكون هناك أسئلة حول كتابة العقود ، الإجراءات التجارية الموحدة ، العقارات ، الجنَح ، الأحوال الشخصية ، الوصايا ، الأصول ، الضرائب ، تعويضات العمال ، القوانين الدستورية ، إجراءات المحاكم الفيدرالية ، الإجراءات الجنائية ، المؤسسات ، الشراكة ، التأمينات وعلاقة الدائن والمدين . سوف تكون كل الإجابات على هيئة مقالات ، وسوف تركز الأسئلة على قانون ولاية تينيسى . والشركة لديها خطة مراجعة لكل الأقسام الخمسة عشر .

" أتعنى خمسة عشر شيئا كهذا ؟ " تساءل ميتش وهو يرفع دفتر الملاحظات بيده .

ابتسم والى وقال : " نعم . نحن حريصون للغاية . لم يسبق أن فشل أى محام بهذه الشركة فى امتحان ــــ " .

" أعرف . أعرف . ولن أكون الأول " .

" سوف نتقابل أنا وأنت على الأقل مرة واحدة أسبوعياً خلال الأسابيع الستة القادمة من أجل مراجعة هذه المواد . كل جلسة سوف تستمر لمدة ساعتين تقريباً ، ولذلك تستطيع وضع مخططاتك اليومية طبقا لذلك . أرشح أن نتقابل كل يوم أربعاء فى الثالثة " .

" صباحاً أم عصراً ؟ "

" عصراً " .

" حسناً " .

" كما تعلم ، فإن التعاقدات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإجراءات التجارية الموحدة ، ولذلك قمت بإدراج المواد المتعلقة بتلك الإجراءات داخل هذا المنهج . سوف نقوم بتغطية الأمرين معاً ، ولكن ذلك سيتطلب وقتاً إضافياً . إن أى امتحان نقابة تقليدى سيكون مليئاً بأسئلة حول المعاملات التجارية . وهذه النوعية من المسائل تصلح كأسئلة مقالات جيدة ، ولهذا سيكون دفتر الملاحظات هذا فى غاية الأهمية . ولقد وضعت فيه أسئلة من امتحانات سابقة ، وإجاباتها النموذجية . ستكون قراءتها أمراً ممتعاً بالنسبة لك " .

" لا أطيق الانتظار " .

" عليك دراسة الصفحات الثمانى الأولى خلال الأسبوع القادم . سوف تجد بعض أسئلة المقالات التى يجب عليك الإجابة عليها " .

" أتقصد كواجب منزلى ؟ "

" بالطبع . سوف أقيمها وأعطيك درجة فى الأسبوع القادم . من الضرورى أن تتدرب على هذه النوعية من الأسئلة كل أسبوع " .

" سيكون ذلك أسوأ مما كان عليه الحال فى كلية الحقوق " .

" هذا أهم بكثير من كلية الحقوق . إننا نتعامل مع هذا الأمر بجدية شديدة . لدينا لجنة لمراقبة تقدمك الدراسى من الآن وحتى موعد الامتحان . وسوف نراقبك عن كثب " .

" من هم أعضاء اللجنة ؟ "

" أنا ، آفرى تولار ، رويس مكنايت ، راندال دانبار وكانديل ماهان . سوف نجتمع كل يوم جمعة لتقييم تقدمك " .

أخرج والى دفتر ملاحظات صغير الحجم ووضعه على سطح المكتب . قال : " هذا هو دفتر تحصيلك اليومى . يجب أن تسجل فيه الساعات التى قضيتها فى الدراسة من أجل الامتحان والمواد التى قمت بدراستها . سوف آخذ الدفتر منك فى صباح كل يوم جمعة ، قبل اجتماع اللجنة . هل من أسئلة ؟ "

" لا أظن " قال ميتش ذلك وهو يضع دفتر الملاحظات فوق ملف كابس .

" حسناً ، أراك يوم الأربعاء القادم فى الثالثة عصراً " .

فى أقل من عشر ثوان بعد مغادرته ، خطا راندال دانبار إلى داخل الغرفة وهو يحمل دفتر ملاحظات شبيهاً للغاية بذلك الذى تركه والى . فى الواقع، كان الدفتر مطابقاً تماماً للآخر، ولكنه لم يكن فى مثل سمكه . كان دانبار هو رئيس قسم العقارات بالشركة وهو من تولى عملية شراء منزل ميتش فى شهر مايو . أعطى الدفتر إلى ميتش ، وكان عنوانه " قانون العقارات " ، وأخذ يشرح له كيف أن تخصصه هو أهم جزء فى الامتحان . كل شىء يعود إلى الملكية ، هكذا قال . كان قد أعد هذه المواد الدراسية بنفسه طوال العشر سنين الماضية واعترف أنه طالما فكر فى نشرها كمرجع قانونى حول حقوق الملكية وتمويل الأراضي . قال إنه سيحتاج إلى ساعة واحدة أسبوعياً ليراجع هذه المواد مع ميتش ومن الأفضل أن يكون ذلك بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع . ظل يتحدث

لساعة كاملة عن أن الامتحان كان مختلفاً للغاية عندما اجتازه منذ ثلاثين عاماً .

أضاف كانديل ماهان تحولاً في الخطة . أراد أن يكون لقاؤه مع ميتش في السابعة والنصف صباحاً من كل يوم سبت .

" لا توجد مشكلة " قال ميتش ذلك وهو يتناول دفتر الملاحظات ويضعه إلى جانب إخوته . كان هذا الدفتر خاصاً بالقوانين الدستورية وهو تخصص كانديل المفضل ، على الرغم من أنه نادراً ما يحتاج إلى استخدامها ، حسب قوله . إنها أهم جزء من الامتحان ، أو على الأقل ، هكذا كانت عندما اجتاز الامتحان منذ خمس سنين . كان قد نشر مقالاً حول الحقوق التي كفلها التعديل الدستوري الأول في المجلة الدورية لجامعة كولومبيا أثناء السنة النهائية لدراسته بكلية الحقوق . قال إن هناك نسخة من ذلك المقال في داخل الدفتر إذا أراد ميتش أن يقرأه . وعده ميتش بقراءته على الفور .

استمرت هذه الجلسات خلال فترة ما بعد الظهيرة حتى أن نصف محامي الشركة قد توقفوا بالمكتب وكل منهم كان معه دفاتر ملاحظات ، ومهمات وفروض منزلية وطلبات لكي يلبيها في الاجتماع الأسبوعي . وقام ستة منهم على الأقل بتذكيره أنه لم يسبق أن فشل أي محام بالشركة في امتحان النقابة .

عندما ودعته السكرتيرة في الخامسة ، كان المكتب الصغير قد تغطى بما يكفي من المواد الدراسية الخاصة بامتحان النقابة ، لكي تصيب شركة قانونية من عشرة محامين بالإحباط . ولعدم قدرته على الكلام ، اكتفى بالابتسام نحوها قبل أن يعود إلى ملاحظات والى حول قانون التعاقد . مرت على خاطره فكرة تناول الطعام بعد ذلك بساعة . بعدها ، ولأول مرة خلال اثنتي عشرة ساعة ، فكر في آبي . أمسك سماعة الهاتف واتصل بها .

قال : " لن أعود إلى المنزل لبعض الوقت " .

" لكننى أطهو طعام العشاء " .

قال بطريقة متعجلة : " اتركيه فوق الفرن " . ساد الصمت للحظة ثم قالت آبى ببطء وبكلمات محددة: " متى ستعود إلى البيت ؟ "

" فى خلال عدة ساعات " .

" عدة ساعات . إنك هناك منذ نصف يوم بالفعل " .

" هذا صحيح ، ولدى المزيد من العمل لأقوم به " .

" لكنه أول يوم عمل لك " .

" لن تصدقى إذا قلت لك ما حدث معى " .

" هل أنت بخير ؟ "

" أنا بخير . سوف أعود إلى المنزل فيما بعد " .

استيقظ داتش هندركس على صوت دوران محرك السيارة ، وقفز واقفاً على قدميه . فتحت البوابة ووقف بجانبها بينما غادرت آخر السيارات ساحة الانتظار . توقفت السيارة إلى جانبه .

قال ميتش : " مساء الخير يا داتش " .

" هل ظللت تعمل حتى الآن ؟ "

" نعم . يوم مزدحم بالعمل " .

وجه داتش ضوء مصباحه إلى رسغه وتفقد ساعته . كانت تشير إلى الحادية عشرة والنصف .

قال داتش : " حسناً . كن حذرا فى طريق عودتك " .

" حسناً . أراك بعد عدة ساعات "

استدارت السيارة الفارهة إلى داخل الشارع الأمامى وانطلقت مسرعة فى قلب الليل المظلم . أخذ داتش يفكر فى كلمات ميتش " بعد عدة ساعات " . لقد كان هؤلاء المستجدون يتصرفون بغرابة . يعملون

لثمانى عشرة أو عشرين ساعة يومياً . وستة أيام أسبوعياً . وأحياناً سبعة أيام . إنهم جميعاً يخططون لكى يصبحوا أعظم محامى العالم ولكى يكسبوا مليون دولار فى ليلة وضحاها . أحياناً يعملون طوال الوقت، وينامون فوق مكاتبهم . لقد رأى كل ذلك من قبل . لكنهم لم يستمروا على ذلك أبداً . إن الجسد البشرى لم يُخلَق لهذا الاستهلاك المهين . بعد ستة أشهر كانوا جميعاً يفقدون الطاقة والحماس . كانوا يعودون إلى العمل خمس عشرة ساعة يوميا ، لمدة ستة أيام أسبوعياً . بعد ذلك تصبح خمسة أيام ونصفاً . ثم اثنتى عشرة ساعة يومياً فقط . لا أحد يستطيع أن يعمل لمدة مائة ساعة أسبوعياً لأكثر من ستة أشهر .

٧

. . . .

أخذت إحدى السكرتيرات تنقب داخل إحدى خزائن الملفات بحثاً عن شيء يحتاج إليه تولار في الحال . أما السكرتيرة الأخرى فكانت تقف أمام مكتبه ممسكة في يدها بلوحة كتابة ، لكي تقوم من وقت لآخر بكتابة التعليمات التي يمليها عليها عندما يتوقف عن الصراخ في سماعة الهاتف والاستماع إلى من يتحدث على الطرف الآخر . كان هناك ثلاثة أزرار حمراء تومض في جهاز الهاتف . وعندما كان يتحدث في السماعة ، كانت السكرتيرات يتحدثن إلى بعضهن بصوت حاد ومرتفع . دلف ميتش إلى داخل الحجرة ببطء ووقف بالقرب من الباب .

صرخ تولار في وجه السكرتيرات : " صمتاً " .

أغلقت السكرتيرة التي تقف بجانب خزانة الملفات الدرج بعنف ثم تحركت إلى الخزانة التالية ، حيث انحنت أرضاً وقامت بجذب الدرج السفلي . طرقع تولار أصابعه في وجه السكرتيرة الأخرى وأشار إلى روزنامة المكتب . ثم أغلق سماعة الهاتف دون أن يلقي تحية الوداع .

" ماذا يوجد في جدول أعمال اليوم ؟ " تساءل تولار وهو يجذب ملفاً من خزانة كتبه .

" هناك اجتماع في العاشرة صباحاً بمصلحة الضرائب بوسط المدينة . في الواحدة ظهرا لديك مقابلة عمل مع ناثان لوك بخصوص ملف سبيوزا . وفي الثالثة والنصف هناك اجتماع لجميع الشركاء . غدا

ستكون فـى محكمـة الضـرائب طـوال اليـوم ، ولـذلك عليـك أن تقـوم بالتحضير لتلك القضايا طوال نهار اليوم " .

" عظيم . قومى بإلغاء كل هذا . تفقدى رحلات الطيران المتجهـة إلى هيوسـتن بعـد ظهـر الأحـد والـرحلات القادمـة مـن يـوم الاثـنين ، صباحا " .

" حسنا يا سيدى " .

" ميتش ، أين ملف كابس ؟ "

" على مكتبى " .

" كم أنجزت منه حتى الآن ؟ "

" لقد قرأت معظم ما فيه " .

" علينا أن نسرع العمل قليلاً . لقد كان سونى كابس علـى الهـاتف . يريد أن أقابله فى صباح السبت بمدينة هيوستن ، وكذلك يريـد مسـودة أولية لاتفاقية الشراكة المحدودة " .

أحس ميتش بألم يضطرب فى معدته الخاويـة . إذا كـان مـا يـذكره صحيحاً ، فقد كانت الاتفاقية تتألف من مائة وبضع وأربعين ورقة " .

قال تـولار وهـو يشير إلى إحـدى السـكرتيرات : " مجـرد مسـودة أولية " .

قال ميتش بصوت حاول أن يملأه بالثقة : " لا توجد مشكلة . ربما لن تكون مثالية ، ولكن سيكون هناك مسودة أولية " .

" أحتاج إليها عند ظهر السبت ، وعلى أفضل شـكل ممكـن . سـوف أجعل إحدى سـكرتيراتى تخبرنـا بمكـان نمـاذج الاتفاقيـات فـى بنـك الذاكرة . سوف يوفر ذلك بعض الكتابة والإمـلاء . أعلـم أن طلبـى هـذا غير عادل ، لكن لا يوجد أى شيء عادل بخصوص سـونى كـابس . إنـه كثير المطالب . لقد أخبرنى أن الصفقة يجب أن تتم خلال عشـرين يومـاً وإلا ستفشل تمامًا . إن كل شيء متوقف علينا الآن " .

الخير يا ميتش " قالها بصوت خافت ، وكأن الوقت لا يعنى شيئاً فى هذه الشركة . أشار إلى الأريكة وقال : " دعنا نجلس هناك " .

تساءل السيد لامبرت : " أتريد بعض القهوة ؟ "

" كلا ، شكراً لك " .

غاص ميتش داخل الأريكة وجلس الشريك فوق مقعد صلب ذى مسندين ، يبلغ عرضه قدمين ، وارتفاعه ثلاثة أقدام . فك ميتش أزرار معطفه وحاول الاسترخاء . وضع إحدى قدميه فوق الأخرى وألقى نظرة خاطفة على حذاء كول هانس الذى يرتديه . كان ثمنه مائتى دولار . لقد كان ذلك يعادل ساعة عمل لمحام من العاملين بمصنع طبع الأموال هذا . حاول أن يسترخى . لكنه كان قد أحس بالذعر فى صوت تولار ورأى اليأس فى عينيه وهو يحمل سماعة الهاتف وينصت إلى السيد كابس الذى كان يتحدث إليه عبر الهاتف . لقد كان ذلك هو اليوم الثانى له فى هذه الوظيفة ، وقد بدأ رأسه يدق بعنف وصار يحس بألم فى معدته .

أحنى لامبرت رأسه واضعاً على شفتيه تلك الابتسامة الودية التى يمنحها الأجداد لأحفادهم . لقد كان الوقت مناسباً لمحاضرة من نوع ما . كان يرتدى قميصاً ناصع البياض ، من القطن الخالص ، ورابطة عنق صغيرة ، من الحرير الداكن ، مما أضفى عليه لمحة من الذكاء الحاد والحكمة . وكالعادة ، كانت تعلو وجهه سمرة تفوق ذلك اللون البرونزى الذى عادة ما يميز وجوه الناس فى منتصف صيف ممفيس . كانت أسنانه تلمع مثل اللؤلؤ النضير . لقد كان أشبه بعارض أزياء فى الستين من العمر .

قال : " هناك بعض الأشياء البسيطة التى أريد أن أحدثك بشأنها يا ميتش . أعلم أنك أصبحت مشغولاً إلى حد كبير " .

" نعم يا سيدى ، إلى حد كبير " .

" إن الفزع هو طريقة حياة في الشركات الكبرى ، وعملاء مثل سوني كابس قد يسببون لنا صداعاً مزمناً . إن عملاءنا هم رأس مالنا الوحيد ، ولذلك نحن نحترق في العمل من أجلهم " .

ابتسم ميتش وتجهم وجهه في نفس الوقت .

" مجرد شيئين بسيطين يا ميتش . أولاً ، أنا وزوجتي نريد أن ندعوك وزوجتك آبي إلى تناول العشاء معنا مساء السبت القادم . إننا نتناول طعام العشاء بالخارج كثيراً ، ونحن نستمتع بدعوة أصدقائنا لمشاركتنا الطعام . إنني أهوى الطهي ، وأقدر الطعام الجيد والشراب الممتع . عادةً ما نقوم بحجز طاولة كبيرة في أحد المطاعم المفضلة لنا في المدينة ، ونقوم بدعوة أصدقائنا ، ثم نمضي السهرة في تناول وجبة فاخرة متعددة الأصناف والتلذذ بشرب أندر أنواع الشراب . هل ستكون أنت وآبي متفرغين يوم السبت ؟ "

" بالطبع " .

" سينضم إلينا كانديل ماهان ، والى هودسون ، ولامار كوين وزوجاتهم " .

" سوف نسعد بالانضمام إليكم " .

" عظيم . إن مكاني المفضل في ممفيس هو جوستين . وهو مطعم فرنسي قديم يقدم أفخم المأكولات وقائمة من أفضل أنواع المشروبات . لنقل في السابعة يوم السبت ؟ "

" سوف نكون هناك " .

" ثانياً ، هناك شيء نحتاج إلى مناقشته . أنا متأكد أنك تعيه جيداً ، ولكنه يستحق أن أؤكد عليه . إنه أمر مهم بالنسبة لنا . أنا أعلم أنهم قد علموك في هارفارد أن هناك علاقة سرية بينك ، كمحام ، وبين عميلك . إنها علاقة امتيازية بين المحامي وموكله ، ولن يتم إجبارك أبداً على أن تفشي أي شيء يخبرك به العميل . إنها معلومات

سرية للغاية ، ويعتبر ذلك خرقاً لآداب المهنة إذا قمت بمناقشة أسرار العميل وأعماله . أعلم أن ذلك ينطبق على كل محام ، ولكن في هذه الشركة نتناول هذه العلاقة الخاصة بمزيد من الجدية والحرص . إننا لا نناقش أسرار عملائنا مع أى شخص ، ليس مع المحامين الآخرين ولا زوجاتنا، وأحياناً لا نناقشها حتى مع زملائنا في الشركة . وكقاعدة عامة ، نحن لا نناقش أسرار العمل بالمنزل ، وقد تعلمت زوجاتنا ألا يسألن عن ذلك . وكلما قل حديثك عن العمل كان ذلك أفضل . لقد كان السيد بنديني من أكثر الناس إيماناً بالسرية ، وقد علمنا ذلك أيضاً . إنك لن ترى أى عضو من أعضاء هذه الشركة يذكر ولو حتي اسم أحد العملاء خارج جدران هذا المبنى . إلى هذا الحد نحن نؤمن بالسرية " .

إلى أين يتجه في خطابه هذا ؟ تساءل ميتش داخل عقله . إن أى طالب في السنة الثانية في كلية الحقوق يمكن أن يلقى مثل هذا الخطاب . قال ميتش أخيراً . " إنني أتفهم ذلك جيداً يا سيد لامبرت ، وليس عليك أن تقلق حيال ذلك " .

" إن المحامين أصحاب الألسنة الثرثارة لا يربحون القضايا أبداً . لقد كان ذلك شعار السيد بنديني ، ولقد طبقناه هنا . إننا ببساطة لا نتحدث عن أسرار العملاء مع أى شخص ، وهذا يشمل زوجاتنا . إننا نتصرف بهدوء وسرية ونحن نفضل ذلك . سوف تقابل محامين آخرين في أنحاء المدينة وعاجلا أو آجلاً سوف يسألونك عن الشركة ، أو عن عميل ما . نحن لا نتكلم مع أحد . هل هذا مفهوم ؟ "

" بالتأكيد يا سيد لامبرت " .

" عظيم . نحن فخورون بك يا ميتش . سوف تصبح محامياً عظيماً وغنياً للغاية أيضاً . أراك يوم السبت " .

كانت السيدة آيدا تنتظر ميتش برسالة . إن السيد تولار يريده على الفور . شكرها ميتش وانطلق يهبط درجات السلم ، إلى الرواق ، مارا أمام مكتبه ، إلى المكتب الكبير في ركن القاعة . صار هناك ثلاث سكرتيرات يبحثن عن الملفات ويتهامسن في خفوت بينما رئيسهن مازال يصرخ عبر الهاتف . وجد ميتش مكاناً آمناً في كرسي خلف الباب فجلس يراقب الفوضى التي تدور أمامه . كانت السيدات يجذبن ملفات ومذكرات ويتمتمن بلغة غير مفهومة مع بعضهن . ومن وقت لآخر كان تولار يطرقع أصابعه ويشير هنا أو هناك فيقفزن مسرعات كالأرانب المذعورة .

بعد عدة دقائق وضع سماعة الهاتف بعنف ، دون أن يلقي تحية الوداع مرة أخرى . حدق تولار في وجه ميتش طويلاً .

قال تولار : " لقد كان ذلك سوني كابس مرة أخرى . يريد الصينيون خمسة وسبعين مليون دولار ثمناً للصفقة وقد وافق كابس على أن يدفعها . سيكون هناك واحد وأربعون شريكاً محدوداً بدلاً من خمسة وعشرين . لدينا عشرون يوماً لإتمام الصفقة ، أو سوف يفشل كل شيء " .

سارت اثنتان من السكرتيرات نحو ميتش وأعطيتاه بعض الملفات السميكة المتكدسة .

تساءل تولار وعلى وجهه ابتسامة سخرية : " هل يمكنك القيام بذلك ؟ " . تطلعت عيون السكرتيرات إلى ميتش .

تناول ميتش الملفات واتجه نحو الباب قائلاً : " بالتأكيد أستطيع القيام بذلك . هل هذا كل شيء ؟ "

" هذا يكفي . لا أريدك أن تعمل على أي شيء آخر من الآن وحتى يوم السبت ، هل هذا مفهوم ؟ "

" نعم يا سيدي " .

في داخل مكتبه ، أزال ميتش المواد الدراسية الخاصة بامتحان النقابة ودفاتر المحاضرات الخمسة عشر ، ثم وضعها في أكوام في أحد الأركان . ثم قام بترتيب ملف كابس بشكل منظم فوق المكتب . تنفس بعمق وبدأ القراءة . صار هناك نقر فوق الباب .

" من هناك ؟ "

أدخلت نينا رأسها عبر فتحة الباب وقالت : " أكره أن أخبرك بهذا ، ولكن الأثاث الجديد للمكتب قد وصل " .

أخذ يدلك صدغيه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة .

قالت نينا : " ربما يمكنك أن تعمل بالمكتبة لعدة ساعات " .

" ربما أفعل " .

أعاد تجميع أوراق ملف كابس ووضع دفاتر الملاحظات الخمسة عشر بالردهة ، حيث كان ينتظرهما رجلان أسودان ضخما البنية ومعهما صف من الصناديق الكرتون وسجادة من الطراز الفارسي .

لحقت به نينا إلى مكتبة الطابق الثاني .

قال ميتش : " من المفترض أن أقابل لامار كوين في الثانية ظهراً لكي يساعدني في الاستذكار من أجل امتحان النقابة . اتصلي به وقومي بإلغاء اللقاء . أخبريه أنني سأشرح الأمر لاحقاً " .

" لديك اجتماع في الساعة الثانية مع جيل فاون " .

" ألغي هذا الاجتماع أيضاً " .

" إنه أحد الشركاء " .

"ألغيه . سوف أعوض الأمر لاحقاً " .

" هذا ليس تصرفاً حكيماً " .

" افعلي ما أقوله فقط " .

" أنت الرئيس على كل حال " .

" شكراً لك " .

كانت السيدة المسئولة عن تعليق ورق الحائط قصيرة القامة ، مكتنظة الجسم ، قوية العضلات ، كانت كبيرة بالسن ولكنها تعودت على الأعمال الشاقة وكانت مدربة عليها بشكل رائع . أخذت تشرح لـ آبى أن لها أربعين عاماً وهى تعلق ورق الحائط الفاخر فى أفضل وأغنى المنازل فى ممفيس . كانت تتحدث طوال الوقت ولكنها لم تتوقف عن العمل للحظة واحدة . كانت تقطع الورق فى مهارة الجراحين ، وكانت تضع الصمغ مثل الرسامين . وبينما كان الورق يجف ، انتزعت شريط القياس من حزامها الجلدى وأخذت تقيس الركن المتبقى من قاعة الطعام . أخذت تتمتم بأرقام لم تفهم آبى منها شيئاً . أخذت تقيس العرض والطول فى أربعة أماكن مختلفة ، ثم وضعت الأرقام داخل ذاكرتها دون تدوين . هبطت درجات السلم الخشبى وطلبت من آبى أن تناولها لفة من الورق . قامت بلصق الورق بشكل مثالى . أخذت تضغط فوق الحائط بقوة وهى تعلق للمرة المائة على أن الورق يبدو جميلاً للغاية ، وكيف أنه من النوع الفاخر غالى الثمن وأنه سيظل جميلاً لسنوات طوال . وأعجبها لون الورق أيضاً . لقد كان يتماشى فى جمال ورقة مع لون الستائر والسجاد . كانت آبى قد أحست بالإرهاق من كثرة ما قالت كلمات الشكر ، فاكتفت بالإيماء برأسها ونظرت بساعة يدها . لقد حان وقت إعداد العشاء .

عندما انتهى الحائط تماماً . أعلنت آبى أن وقت العمل قد انتهى وطلبت من السيدة أن تعود فى صباح اليوم التالى فى تمام الساعة التاسعة . قالت السيدة إنها ستفعل ذلك بالتأكيد ، ثم بدأت تنظف تلك الفوضى . كانت تتلقى اثنى عشر دولاراً فى الساعة ، نقداً ، وكانت لا تعترض على أى شيء تقريباً . أخذت آبى تتطلع إلى الغرفة فى إعجاب . سوف ينتهون منها غداً ، وبهذا تكون عملية لصق ورق الحائط قد اكتملت ، فيما عدا الحمامين وغرفة القراءة . كان من المقرر

أن تبدأ عملية الطلاء فى الأسبوع القادم . امتزجت رائحة الصمغ الذى لصق به ورق الحائط ورائحة الطلاء السائل المتصاعدة من رف المدفئة ورائحة الأثاث الجديد لتصنع مزيجاً عجيباً من الرائحة المنعشة . تماماً كرائحة منزل جديد .

ودعت آبى عاملة لصق الورق وتوجهت إلى غرفة النوم حيث خلعت ملابسها واستلقت بعرض السرير . اتصلت بزوجها وتحدثت بشكل مختصر مع نينا التى أخبرتها أنه فى اجتماع وسوف يستغرق بعض الوقت . قالت نينا إنها ستجعله يتصل بالمنزل عندما ينتهى من الاجتماع . فردت آبى ساقاها الطويلتان المتعبتان وأخذت تدلك كتفيها . كانت مروحة السقف تدور فى بطء من فوقها . سوف يعود ميتش إلى البيت فى النهاية . سوف يستمر فى العمل لمائة ساعة أسبوعياً لبعض الوقت ، ثم يعود إلى ثمانين ساعة مرة أخرى . يمكنها أن تنتظر .

استيقظت آبى بعد ساعة وقفزت من السرير بسرعة . لقد اقتربت الساعة من السادسة وحان وقت طهو اللحم المشوى بالبيكاتا . ارتدت سروالاً كاكياً قصيراً وقميصاً قطنياً وأسرعت الخطى نحو المطبخ ، الذى كان العمل فيه قد قارب على الانتهاء ، ولم يبق سوى بعض أعمال الطلاء وتعليق الستائر وكان مقرراً أن ينتهى ذلك فى الأسبوع القادم . كانت قد عثرت على الوصفة داخل كتاب وصفات طهو المكرونة وكانت قد أعدت المكونات وقامت بوضعها فى طريقة منظمة على نضد المطبخ . كان هناك القليل من وجبات اللحم الأحمر فى كلية الحقوق ، وربما شريحة هامبرجر من وقت لآخر . وعندما كانت تطهو ، كانت غالباً ما تعد دجاجاً من هذا النوع أو ذاك . وبالطبع كان هناك الكثير من الشطائر والوجبات السريعة .

ولكن الآن ، ومع كل هذا الثراء ، فقد حان الوقت لكى تتعلم الطهى ، فى الأسبوع الأول كانت تعد طعاماً جديداً كل ليلة ، وكانا

يتناولان متى وصل ميتش إلى المنزل . كانت تخطط للوجبات ، وتدرس كتب الطهى ، وتجرب أنواعاً مختلفة من الصلصة . بدون سبب واضح ، كان ميتش يحب الطعام الإيطالى ، وبعد أن جربت طهى المكرونة الاسباجينى ولحم كابلينى وأتقنت طبخهما ، فقد حان وقت شرائح لحم العجل بالبيكاتا . أخذت تضرب شرائح اللحم بالمطرقة الخشبية حتى صارت رقيقة للغاية ، ثم وضعتها في قدر من الدقيق متبل بالملح والفلفل . وضعت إناء من الماء فوق شعلة الموقد من أجل المكرونة . أضافت إلى الماء مقدار كوب من الزيت ثم قامت بتشغيل الراديو . كانت قد اتصلت بالمكتب مرتين منذ وقت الغداء ، ولم يجد ميتش ما يكفى من الوقت لكي يعيد الاتصال بها . فكرت أن تتصل به مرة أخرى ، ولكنها امتنعت عن ذلك . لقد حان الدور عليه لكي يتصل بها . سوف تعد طعام العشاء ، وسوف يأكلان عندما يعود إلى المنزل .

وضعت شرائح اللحم فى الزيت الساخن لمدة ثلاث دقائق حتى صار لحم العجل طرياً ؛ ثم أخرجتها بعد ذلك . قامت بصب الزيت من المقلاة وأضافت عصير الليمون والخل إلى الماء حتى صار يغلى . أخذت تقلب وترج الوعاء حتى يتماسك قوام الصلصة . أعادت الشرائح إلى داخل الوعاء ، وأضافت عيش الغراب والخرشوف والزبد . غطت الوعاء وتركت الطعام ينضج على نار هادئة .

قامت بقلي بعض قطع الدجاج ، وقطعت شرائح الطماطم ، وطهت المكرونة وصبت زجاجة أخرى من الشراب . في حوالى السابعة ، كان طعام العشاء جاهزاً ؛ دجاج وسلاطة طماطم بالتوابل ، شرائح لحم العجل بالبيكاتا ، وخبز الثوم الذى مازال مستقراً داخل الفرن . لم يتصل ميتش حتى الآن . أخذت آبى كأس الشراب واتجهت إلى الخلف ثم أخذت تتطلع إلى الفناء الخلفي . اندفع هيرساى نحوها من أسفل إحدى الشجيرات الصغيرة ومعاً سارا يتمشيان فى أرجاء الساحة

الخلفية ، ينظران إلى أعشاب برمودا ثم توقفا أسفل شجرتي البلوط الكبيرتين . كان هناك بقايا كوخ خشبي صغير ، تناثرت بين الأغصان المتوسطة لشجرة البلوط الكبرى . كان هناك بعض الحروف الأولى منحوتة في جذع الشجرة . وحبل قصير تعلق في الشجرة الثانية . عثرت آبي على كرة مطاطية ، ألقتها بعيداً وأخذت تشاهد الكلب وهو يطاردها . أخذت تنصت إلى صوت الهاتف عبر نافذة المطبخ . لكنه كان صامتاً في موضعه . تجمد هيرساى مكانه ، ثم أخذ ينبح على شيء ما عند باب المنزل المجاور ، ظهر السيد رايس من خلف بعض الشجيرات الصغيرة ، المقلمة بعناية والتي تحيط بفنائه الخلفي . كان العرق يتساقط من فوق أنفه ويبلل قميصه الداخلي المصنوع من القطن الخالص . نزع قفازه الأخضر ، ورأى آبي ، من خلف السياج الشجرى الذى يحيط بالفناء الخلفي لمنزلها ، وكانت تقف أسفل شجرة البلوط . ابتسم رايس . تطلع إلى ساقيها السمراوين وارتسمت على وجهه ابتسامة . مسح جبهته بمقدمة ذراعه المبتلة بالعرق واتجه نحو السياج .

" كيف حالك اليوم ؟ " تساءل وهو يتنفس بعمق ، وشعره الرمادى يتصبب عرقاً ويلتصق بجبهته .

" بخير يا سيد رايس . كيف حالك أنت ؟ "

" أشعر بالحر . لابد أن الحرارة قد تجاوزت الأربعين " .

تقدمت آبي نحو السياج ببطء من أجل أن تدردش قليلاً . كانت قد لاحظت نظراته إليها منذ أكثر من أسبوع ، ولكنها لم تمانع كثيراً . لقد كان الرجل في السبعين من عمره على الأقل وغير مؤذ على الإطلاق . فلتدعه ينظر كما يشاء . ثم إنه كان إنساناً يتنفس ويعرق ويستطيع أن يجرى محادثة إلى حد ما . لقد كانت المرأة التي تلصق ورق الحائط هي الإنسان الوحيد التي حادثته منذ أن غادر ميتش المنزل قبل الفجر .

قالت آبي : " إن عشب حديقتك يبدو رائعاً " .

مسح جبهتـه مـرة أخـرى وبصـق علـى الأرض . قـال : " رائـع ؟ أتصفين هذا بأنه رائع فقط ؟ إنه يستحق أن يضعوا صورته في المجلات الزراعية . لم أر من قبل عشباً أخضر يبدو بهذا الشكل الجميـل . إننـى أستحق جائزة أفضل بستان لهـذا الشـهر ، ولكـنهم لـن يعطـونى هـذه الجائزة أبداً . أين زوجك على أية حال ؟ "

" فى مكتبه . إنه يعمل لوقت متأخر " .

" لقد قاربت الساعة على الثامنة . لابـد أنـه قـد غـادر المنـزل قبـل طلوع الشمس . عادة ما أقوم بالتريض فـى السادسـة والنصـف صـباحاً ، وكان قد غادر فى ذلك الوقت . ما مشكلة هذا الرجل ؟ "

" إنه يحب عمله " .

" لو أن لدىَّ زوجة مثلك ، لجلست فـى المنـزل ومـا أجبرنـى شـىء على أن أغادر " .

ابتسمت آبى لمجاملته وردت متسائلة : " كيف حال زوجتك ؟ "

ظهر العبوس علـى وجهـه ، ثـم أزال بعـض الأعشـاب الضارة مـن السياج الشجرى وقال : " أخشى أنها ليست بخير . ليست بخـير علـى الإطلاق " أشاح بنظره بعيدا وعض على شـفتيه مـن التـأثر . لقـد كانـت زوجته شبه ميتة من جراء مرض السرطان . لم يكن لديهم أطفال . لقـد قال الأطباء إنها لن تعيش لأكثر من عام . كان الأطباء قـد أزالـوا معظـم أمعائها ، وقد وصل الورم إلى الرئتين . لم يعـد وزنهـا يتعـدى تسـعين رطلاً ونادراً ما أصبحت تغادر الفراش . أثناء حـديثهما الأول مـن وراء السياج دمعت عيناه وهو يتحدث عن زوجته وكيف أنه سيعيش وحيـداً بعد واحد وخمسين عاما من الزواج .

قال رايس : " والآن لن يعطونى جائزة أفضل بستان لهـذا الشـهر . إننى أعيش فى الجانب الخطأ من المدينة . إن الجائزة دائمـاً مـا تـذهب إلى أحد هؤلاء الأثرياء الذين يسـتعينون ببسـتانيين محترفـين ليقومـوا

بكل شيء بينما يجلسون هم حول حمام السباحة ويتناولون أقداح الشراب . إن العشب يبدو جيداً ، أليس كذلك ؟ "

" إنه رائع للغاية . كم مرة تقوم بجز الحشائش ؟ "

" ثلاث أو أربع مرات أسبوعيا ، طبقا لحالة المطر . أتريدين أن أقوم بجز عشب حديقتك ؟ "

" كلا . إنني أريد أن يفعل ميتش ذلك " .

" يبدو أنه ليس لديه الوقت ليفعل ذلك . سوف أراقب عشب حديقتكما ، وإذا احتاج إلى بعض التهذيب ، فسوف آتي إليكم " .

استدارت آبي ونظرت إلى نافذة المطبخ . " هل تسمع صوت الهاتف ؟ " تساءلت وهي تمشي مبتعدة . أشار السيد رايس إلى جهاز علاج ضعف السمع الموضوع داخل أذنه .

ألقت آبي تحية الوداع وجرت نحو المنزل . توقف رنين الهاتف عندما رفعت السماعة . لقد كانت الساعة قد شارفت على الثامنة والنصف ، وكاد الظلام يسود . اتصلت بالمكتب ، ولكن لم يجب أحد . ربما كان في طريقه إلى المنزل .

رن جرس الهاتف قبل ساعة من منتصف الليل . فيما عدا صوت الهاتف وأزيز لمبات الإضاءة ، كان الطابق الثاني بلا صوت . كانت قدماه مفرودتين فوق المكتب الجديد ، متشابكتين من منطقة الكاحل ويسودهما إحساس بالخدر من نقص تدفق الدم . أما بقية الجسد فكان متدلياً في استرخاء داخل المقعد الجلدي الفاخر . كان جسده يسقط إلى أحد الجانبين بشكل متقطع وكان يغط في نوم عميقٍ . كان ملف كابس مبعثراً فوق المكتب وكان يحتضن بين يديه مستنداً مهيب الشكل . كان حذاؤه ملقى على الأرض ، بجانب كومة من المستندات من ملف كابس . استقرت عبوة رقائق بطاطس فارغة على الأرض بين فردتي الحذاء .

بعد أن رن الهاتف لعشر مرات ، تحرك من مكانه ، ثم قفز إلى سماعة الهاتف . كانت زوجته هي المتصلة .

" لماذا لم تتصل حتى الآن ؟ " تساءلت في هدوء ، ولكن سادت نبرات صوتها لمحة من القلق .

" أنا آسف . لقد غفوت قليلاً . كم الوقت ؟ " أخذ يفرك عينيه وينظر إلى ساعته .

" الحادية عشرة . أتمنى أن تتصل بى عندما تتأخر " .

" لقد اتصلت . ولكن لم يجب أحد " .

" متى كان هذا ؟ "

" بين الثامنة والتاسعة . أين كنت ؟ "

لم تجب على سؤاله . انتظرت قليلاً ثم قالت : " هل ستأتى إلى المنزل ؟ "

" كلا . لابد أن أعمل طوال الليل " .

" طوال الليل ؟ لا يمكنك أن تعمل طوال الليل يا ميتش " .

" بالطبع أستطيع أن أعمل طوال الليل . إن ذلك يحدث كثيراً هنا . إنه أمر متوقع " .

" لقد توقعت أن تعود إلى المنزل يا ميتش . أو على الأقل أن تتصل . إن طعام العشاء لايزال فوق الموقد " .

" أنا آسف . إننى غارق حتى أذنى فى أعمال اقترب موعد تسليمها ولقد فقدت الإحساس بالوقت . أعتذر " .

ساد الصمت للحظات بينما كانت آبى تفكر فى اعتذاره . قالت أخيراً : " هل ستصبح هذه عادة يا ميتش ؟ "

" ربما يحدث ذلك " .

" حسناً . متى تظن أنك ستعود إلى المنزل ؟ "

" هل تشعرين بالخوف ؟ "

" كلا ، لست خائفة . سوف أذهب إلى النوم " .
" سوف أعود فى حوالى السابعة لكى آخذ حماماً " .
" هذا رائع للغاية . إذا وجدتنى نائمة فلا توقظنى " .
أنهت آبى المكالمة . نظر ميتش إلى سماعة الهاتف ثم وضعها فى مكانها . وفى الطابق الخامس أطلق أحد رجال الأمن ضحكة خافتة .
" إذا وجدتنى نائمة فلا توقظنى " أخذ يردد رجل الأمن كلمات آبى وهو يضغط أحد الأزرار فى جهاز التسجيل الالكترونى . ضغط ثلاثة أزرار ثم تحدث فى ميكروفون صغير : " مرحباً داتش . استيقظ أيها الكسول " .
استيقظ داتش من نومه وانحنى متحدثاً عبر الهاتف الداخلى :
" نعم ، ماذا هناك ؟ "
" هذا ماركوس من الطابق الخامس . أظن أن الفتى يخطط للبقاء طوال الليل " .
" ما هى مشكلة هذا الفتى ؟ "
" أظن أن مشكلته سوف تكون مع زوجته الآن . لقد نسى أن يتصل بها وكانت قد أعدت له عشاء جميلاً " .
" أوه ، هذا مؤسف للغاية . لقد سمعنا ذلك من قبل ، أليس كذلك ؟ "
" نعم ، كل محام مبتدئ يفعل ذلك فى الأسبوع الأول من العمل . على أية حال ، لقد أخبرها أنه لن يذهب إلى المنزل حتى الصباح . لذا عد إلى النوم إذا شئت " .
ضغط ماركوس مزيداً من الأزرار وعاد بعدها إلى قراءة المجلة .

كانت آبى تنتظر عندما أطلت الشمس من بين أشجار البلوط . كانت ترشف قدحا من القهوة وتحمل هيرساى بين ذراعيها وتنصت إلى

الأصوات الخافتة للحى المجاور وهو يستقبل يوماً جديداً من الحياة . كان نومها متقطعاً . ولم يخفف الدش الساخن ذلك التعب الذى تحسه . كانت ترتدى رداء استحمام أبيض ، أحد أردية ميتش ، ولا شىء غير ذلك . كان شعرها مبتلاً ومعقوصاً إلى الخلف .

انساب إلى أذنها صوت باب سيارة يغلق بقوة وصار الكلب يطل برأسه ناظرا إلى داخل المنزل . سمعت صوته وهو يفتح باب المطبخ ، وبعد لحظات فتح الباب المنزلق المؤدى إلى الشرفة الخلفية . وضع معطفه فوق مقعد خشبى بالقرب من الباب ثم مشى نحوها .

" صباح الخير " قال ميتش ذلك وهو يجلس فى الناحية الأخرى من الطاولة المصنوعة من الخيزران .

أعطته ابتسامة مصطنعة وقالت : " صباح الخير " .

" لقد استيقظت مبكراً " قال ميتش ذلك وهو يجاهد لكى تبدو كلماته رقيقة . لم يفلح الأمر . ابتسمت آبى مرة أخرى وارتشفت قليلا من قهوتها .

تنهد ميتش بعمق وأخذ يحدق فى الفناء الخلفى . قال : " أرى أنك مازلت غاضبة بشأن ليلة الأمس " .

" لست كذلك . ولا أحب أن أحمل ضغينة " .

" لقد قلت إننى آسف وكنت أعنى ذلك . لقد حاولت أن أتصل بك مرة بالأمس " .

" كان بإمكانك أن تحاول مرة أخرى " .

قال ممازحا : " لا تُطلقينى يا آبى من فضلك . أقسم أن ذلك لن يحدث مرة أخرى . فقط لا تتركينى " .

ارتسمت على وجهها ابتسامة حقيقية وقالت : " تبدو فى حالة يرثى لها . لماذا لا تأخذ قسطاً من النوم ؟ " .

" شكراً ، ولكن لدىَّ اجتماع مع تولار فى التاسعة صباحاً واجتماع آخر فى العاشرة " .

" هل يحاولون قتلك فى أسبوعك الأول ؟ "

" نعم ، ولكنهم لا يستطيعون ذلك . أنا أقوى منهم بكثير . هيا نأخذ حماما " .

" لقد أخذت حماما بالفعل " .

" هل فعلت ذلك دون أن تنتظرينى ؟ "

" لو أنك تعود إلى المنزل فى ساعة محترمة فلم تكن لتشعر بالحرمان " .

" أنا واثق أن ذلك سوف يتكرر يا عزيزتى . سيكون هناك الكثير من الليالى التى أقضيها فى العمل . إنك لم تشتكى فى أثناء الدراسة بكلية الحقوق عندما كنت أذاكر طوال اليوم " .

" لقد كان ذلك مختلفاً . لقد تحملت كلية الحقوق لأننى كنت أعلم أنها سوف تنتهى قريباً . لكن صرت محاميا الآن وسوف تستمر هكذا لوقت طويل . هل هذا جزء من حياتك كمحام ؟ هل تظل دائماً تعمل ألف ساعة أسبوعيا ؟ "

" آبى ، هذا هو أسبوعى الأول " .

" هذا هو ما يقلقنى . إن الأمور سوف تسوء أكثر " .

" بالطبع سوف تسوء . هذا جزء من الأمر يا آبى . إنها مهنة قاسية يؤكل فيها الضعيف ويصل القوى إلى الثراء سريعاً . إنه سباق ماراثون . ومن يتحمل الصعاب يفوز بالذهب " .

" ويسقط ميتاً عند خط النهاية " .

" أنا لا أصدق هذا . لقد انطلقنا إلى هنا من أسبوع فقط ، وقد بدأت تشعرين بالقلق حول صحتى " .

ارتشفت قليلا من قهوتها وداعبت الكلب الصغير . كانت تبدو جميلة . بعينيها المتعبتين ، وبدون مساحيق تجميل ، وبشعرها المبتل ، كانت تبدو جميلة . وقف ميتش ، ومشى إلى خلفها ثم طبع قبلة على وجنتها وهو يهمس : " أحبك " .

أمسكت بيده بقوة ووضعتها على كتفها وقالت : " اذهب وخذ حمامك . سوف أعد الإفطار " .

تم ترتيب مائدة الطعام بشكل مثالى . أخرجت أطباق الصينى التى ورثتها عن جدتها من الخزانة واستخدمتها لأول مرة فى منزلهما الجديد . أضاءت الشموع داخل الشمعدانات الفضية . ثم صبت عصير الليمون الهندى فى الكئوس الكريستال . ووضعت المناديل الكتانية ، التى كان لونها يتماشى مع لون مفرش المائدة ، مطوية فوق الأطباق . عندما انتهى ميتش من حمامه وارتدى بذلة جديدة ، سار إلى غرفة الطعام ثم أطلق صفير إعجاب .

قال : " ما هى مناسبة كل هذا ؟ "

" إنه إفطار مميز من أجل زوج مميز " .

جلس وأبدى إعجابه بالطاقم الصينى . كان الطعام ساخناً وموضوعاً فى طبق مغطى برقائق الفضة . " ماذا طهوت اليوم ؟ " تساءل ميتش وهو يحرك شفتيه . أشارت إلى الطبق ، فأزال ميتش الغطاء ، ثم حدق فى الطعام .

" ما هذا ؟ " تساءل ميتش دون أن ينظر إليها .

" شرائح لحم العجل بالبيكاتا " .

" شرائح لحم العجل بماذا ؟ "

" شرائح لحم العجل بالبيكاتا " .

نظر إلى ساعته وقال : " لقد ظننت أن هذا هو وقت الإفطار " .

" لقد طهوته كطعام العشاء بالأمس ، وأظن أن عليك أن تأكله " .

" شرائح لحم العجل من أجل الإفطار ؟ "

تجهم وجهها فى حزم وهزت رأسها قليلاً . نظر مرة أخرى إلى الطبق ، ولثانيةٍ أو ثانيتين أخذ يحلل الموقف .

قال أخيراً : " تبدو رائحته شهية " .

٨

. . . .

صباح السبت . تأخر ميتش فى النوم ولم يذهب إلى المكتب حتى السابعة صباحاً . لم يحلق ذقنه . ارتدى الجينز ، وقميصاً قديماً ، وحذاء خفيفاً بدون جوارب . كانت ملابسه تناسب طالباً فى كلية الحقوق وليس محامياً محترف .

كانت اتفاقية كابس قد طبعت وأعيد طبعها مرة أخرى فى مساء ليلة الجمعة . كان قد أجرى عليها بعض التعديلات وقامت نينا بإدراجها فى الثامنة من مساء الجمعة . افترض ميتش أن نينا ليست لديها حياة اجتماعية كبيرة أو ليست لديها حياة اجتماعية على الإطلاق ، ولذلك لم يتردد أن يطلب منها أن تعمل لوقت متأخر . قالت إنها لا تمانع فى بعض العمل الإضافى ولذلك طلب منها الحضور للعمل صباح السبت .

وصلت نينا إلى المكتب فى التاسعة ، وكانت ترتدى سروالاً من الجينز يليق بمصارع من الوزن الثقيل ، ناولها ميتش مستندات الاتفاقية بصفحاتها المائتين والست ، ومعها التعديلات الأخيرة ، وطلب منها إدراج التعديلات على الاتفاقية للمرة الرابعة . كان من المفترض أن يتقابل مع تولار فى الساعة العاشرة .

تغير شكل المكتب يوم السبت . كان كل المحامين متواجدين وكذلك معظم الشركاء وبعض السكرتيرات . لم يكن هناك أى عملاء ، ولذلك لم

تكن هناك ملابس رسمية تقليدية . كان هناك تنوع من الملابس يكفي لعمل عرض أزياء . وغابت رابطات عنق . أما هؤلاء الأكثر نمطية فارتدوا السراويل الطويلة المكوية مع القمصان الثقيلة والتي كانت تصدر صوت احتكاك كلما تحركوا .

لكن الضغط كان لا يزال موجوداً ، على الأقل بالنسبة لـ " ميتش " ماكدير ، المحامي الجديد . كان قد ألغى اجتماعات مراجعة مواد امتحان النقابة أيام الخميس ، والجمعة ، والسبت ،وصارت دفاتر الملاحظات الخمسة عشر ملقاة فوق الرف ، تجتذب التراب حولها وتذكره من وقت لآخر بأنه سيكون بالفعل أول محام في تاريخ الشركة يفشل في امتحان النقابة .

في تمام الساعة العاشرة انتهى التعديل الرابع على الاتفاقية ووضعتها نينا على مكتب ميتش بشكل مسرحي ، ثم اتجهت إلى غرفة القهوة . لقد صارت الاتفاقية مائتين وثماني عشرة صفحة . كان قد قرأ كل كلمة فيها أربع مرات وفحص البنود الضريبية فيها حتى حفظها عن ظهر قلب . سار داخل الرواق متجها إلى حجرة مكتب شريكه ووضع الاتفاقية فوق مكتبه . كانت هناك سكرتيرة تقوم بترتيب حقيبة مستندات ضخمة بينما كان الشريك يتحدث عبر الهاتف .

" كم بلغ عدد صفحاتها ؟ " تساءل تولار بعد أن وضع سماعة الهاتف .

" أكثر من مائتي صفحة " .

" هذا مبهر للغاية . هل هي مسودة أولية ؟ "

" لا أظن . هذه هي النسخة المعدلة رقم أربعة منذ صباح الأمس . إنها شبه مثالية " .

" سنرى ذلك . سوف أقرؤها أثناء رحلة الطيران ، وبعد ذلك سوف يقرؤها كابس بعدسة مكبرة . وإذا وجد خطأ واحداً ، سوف يثرثر

لساعة كاملة ويهدد بعدم دفع أتعابنا . كم ساعة من العمل استغرقت في إعدادها ؟ "

" خمس وخمسون ساعة ونصف ، منذ يوم الأربعاء " .

" أعلم أنني قد ضغطت عليك كثيرا ، وأعتذر عن ذلك . لقد كان أسبوعك الأول صعباً للغاية . لكن عملاءنا يمارسون ضغطاً شديداً في بعض الأحيان ، ولن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي نلوى فيها أعناقنا من أجل شخص يدفع لنا مائتي دولار في الساعة . إن هذا جزء من العمل " .

" أنا لا أمانع في العمل لأوقات طويلة ، وإنما يشغلني كوني متأخراً في الدراسة لامتحان النقابة ، ولكن أستطيع أن أعوض ذلك " .

" هل يسبب لك ذلك المزعج هودسون أية مشاكل ؟ "

" كلا " .

" إذا فعل ذلك ، فأعلمني . إن له خمسة أعوام بالشركة ، ويحب أن يلعب دور البروفيسور . يظن نفسه أحد الأكاديميين في مجال القانون . لا يعجبني ذلك الرجل " .

" إنه لا يمثل مشكلة بالنسبة لى " .

وضع تولار الاتفاقية داخل حقيبة مستندات وقال : " أين النشرة التمهيدية وبقية مستندات المشروع ؟ "

" لقد قمت بعمل مسودة تمهيدية لكل المستندات . لقد قلت إن لدينا عشرين يوماً " .

" نعم ، ولكن دعنا نعجل بعمل تلك المستندات . إن كابس يبدأ في المطالبة بالأشياء قبل وقت طويل من موعدها النهائي . هل ستعمل غداً ؟ "

" لم أخطط للأمر . في الواقع إن زوجتي تلح عليّ من أجل الذهاب إلى دار العبادة " .

هز تولار رأسه . " إن الزوجات قد يقفن أحياناً في طريقٍ نجاح أزواجهن ، ألا تتفق معي في ذلك ؟ " تساءل دون أن ينتظر رداً .
لم يقل ميتش شيئاً .
قال تولار : " دعنا ننهي ملف كابس بحلول السبت القادم " .
قال ميتش : " حسناً . لا توجد مشكلة " .
" هل ناقشنا ملف كوكر ـ هانكس ؟ " تساءل تولار وهو يقلب في أحد الملفات .
" كلا " .
" ها هو ذا . إن كوكر ـ هانكس هي شركة مقاولات عامة مقرها مدينة كانساس سيتي . يبلغ حجم تعاقداتها ما يقرب من مائة مليون دولار ولها مشروعات في جميع أنحاء البلاد . هناك مؤسسة تجارية في دينفر تسمى هولواى براذرز قدمت عرضاً لشراء كوكر ـ هانكس . إنهم يريدون السيطرة على بعض الأسهم والأصول وبعض التعاقدات في مقابل ضخ مزيد من النقد داخل الشركة . إنها صفقة معقدة للغاية . حاول أن تتعرف على الملف ، وسوف نناقشه في صباح الثلاثاء عندما أعود " .
" كم لدينا من الوقت لإتمام الصفقة ؟ "
" ثلاثون يوماً " .
لم يكن الملف في مثل سمك ملف كابس ، ولكنه كان في مثل أهميته . أخذ ميتش يتمتم : " ثلاثون يوماً " .
قال تولار : " إن الصفقة تساوى ثمانين مليوناً ، وسوف تكون أتعابنا فيها مائتى ألف . هذا ليس رقماً سيئاً . كل مرة تنظر فيها إلى ذلك الملف ، احسب أجرك عن هذه النظرة على أنها ساعة من العمل . قم بالعمل عليه متى استطعت . إذا خطر اسم كوكر ـ هانكس على

مخيلتك وأنت تقود السيارة متجهاً إلى المكتب . فاحسب ذلك على أنه ساعة من العمل . لا توجد حدود فى هذه الصفقة " .

أخذ تولار يتلذذ بفكرة وجود عميل يدفع أتعاب المحاماة مهما بلغت قيمتها . ودعه ميتش ثم انطلق عائداً إلى مكتبه .

فى الوقت الذى انتهى فيه الجميع من تناول المشروبات ، وبينما كانوا يدرسون قوائم التحلية وينصتون إلى تلك المقارنات التى كان أوليفر لامبرت يعقدها بين أنواع العطور الفرنسية وخصائصها المميزة ، وفى الوقت الذى أدرك فيه ميتش وآبى أنهما يفضلان الجلوس بالمنزل لتناول البيتزا ومشاهدة التلفاز ، كان هناك رجلان يدلفان إلى داخل السيارة الـ بى .إم . دبليو السوداء البراقة ، والتى كانت تقبع فى ساحة انتظار السيارات بمطعم جوستين ، مستخدمين المفاتيح الأصلية لها . كانا يرتديان المعاطف ورابطات العنق ولم يكن مظهرهما يثير أية شبهات . انطلقا بالسيارة فى هدوء عبر شوارع وسط المدينة حتى وصلا إلى منزل السيد ميتش ماكدير وحرمه . قاما بإيقاف السيارة فى موضعها أسفل سقيفة السيارات بالمنزل . أخرج السائق مفتاحاً آخر ، وسرعان ما دلف الرجلان إلى داخل المنزل . كان هيرساى حبيساً داخل خزانة بحجرة الغسيل .

فى داخل ظلمة المنزل ، وضعت حقيبة مستندات جلدية فوق طاولة الطعام . أخرج الرجلان قفازات مطاطية وقاما بارتدائها ، ثم أمسك كل منهما مصباحاً كهربياً صغيراً .

قال أحد الرجلين : " قم بتركيب أجهزة التنصت بالهواتف أولاً " .

كانا يعملان بسرعة ، فى الظلام . انتزعا هاتف المطبخ ووضعاه فوق الطاولة . فتحا سماعة الهاتف وتم فحصها جيداً . وضعا جهاز إرسال

صغيراً ، فى حجمٍ حبة الزبيب ، داخل فتحة السماعة وتم لصقه بالصمغ وثبت جيداً لمدة عشر ثوان حتى يلتصق . عندما جف الصمغ ، أعادا إغلاق السماعة ووضعا الهاتف فى مكانه القديم بالمطبخ . سوف يتم إرسال الإشارات والأصوات إلى جهاز استقبال صغير سيتم تثبيته بالعلية . سيكون هناك جهاز إرسال أكبر موضوع إلى جانب جهاز الاستقبال من أجل إرسال الإشارات عبر المدينة إلى هوائي يستقر فوق مبنى بنديني . وباستخدام شحنات الكهرباء المترددة داخل سلك الهاتف كمصدر للطاقة ، سوف تقوم أجهزة التنصت داخل الهاتف بإرسال الإشارات طوال الوقت .

" احضر الهاتف الموجود بغرفة القراءة " .

انتقلت حقيبة المستندات إلى الأريكة . قاما بدق مسمار صغير فوق المتكأ ، داخل شق فى الجدار الخشبى . ثم نزعاه مرة أخرى . وضعا أسطوانة صغيرة سوداء ، لا يزيد عرضها على واحد على عشرين من البوصة وبطول بوصة واحدة ، داخل الفتحة . تم تثبيت الاسطوانة بقطرة واحدة من الطلاء الأسود . لقد صار جهاز التنصت غير مرئى . تم وضع سلك لا يزيد على سمك شعرة الرأس داخل الشق الذى يفصل بين الألواح الخشبية التى تكسو الحائط وجذب إلى نهاية الحائط وصولاً إلى السقف حيث يتم توصيله بجهاز الاستقبال الموجود فى العلية .

وضعت ميكروفونات مماثلة فى حجرات النوم بالمنزل . عثر الرجلان على السلالم المطوية فى الردهة الرئيسية وتسلقا إلى العلية . قام أحد الرجلين بإخراج جهازى الإرسال والاستقبال من الحقيبة بينما كان الآخر يجذب الأسلاك الملتصقة بالحوائط السفلية فى مشقة . عندما جمع الأسلاك ، قام بربطها معاً وقام بوضعها أسفل اللوح الخشبى العازل ، ثم جذبها إلى أحد الأركان حيث كان زميله يضع جهاز الإرسال داخل صندوق كرتون قديم ، ثم شق كبلاً كهربياً ووصل إلى

الوحدة لكى يوفر الطاقة والإرسال . ثم وضع هوائياً صغيراً بحيث لا يرتفع عن سطح العلية سوى بوصة واحدة .

أصبح تنفسهما عميقاً داخل الحرارة الشديدة التى تغمر العلية المظلمة . وضعت علبة بلاستيكية لجهاز راديو قديم حول جهاز الإرسال بإحكام ، وقاما بإلقاء بعض الأخشاب والملابس القديمة حولها . كانت موضوعة فى ركن بعيد ومن غير المرجح أن يلاحظها أحد لشهور أو ربما سنوات . وإذا لاحظ أحد وجودها ، سوف تبدو كجهاز راديو خردة لا قيمة له . سوف تلتقط وترمى بعيداً دون أن تثير أية شبهات . أخذا ينظران إلى عمل أيديهما فى إعجاب لثانية واحدة ، ثم هبطا السلالم .

قاما بإخفاء كل أثر لوجودهما بالمنزل وانتهيا من كل شىء فى عشر دقائق .

أطلق هيرساى من محبسه داخل الخزانة ، وتسلل الرجلان عائدين إلى مكان إيقاف السيارة . تراجعت السيارة إلى الخلف عبر ممر السير ثم انطلقت فى قلب الليل المظلم .

بينما كان النادل يضع أطباق سمك البنبان فوق الطاولة ، توقفت السيارة الـ بى . إم . دبليو فى هدوء إلى جانب المطعم .فتش السائق داخل جيوبه وعثر على مفتاح سيارة جاجوار بنية اللون ، تخص السيد كانديل ماهان ، ويعمل محامياً . أغلق الرجلان السيارة الـ بى . إم . دبليو وانطلقا نحو السيارة الجاجوار . كانت عائلة ماهان تعيش فى مكان أقرب بكثير من عائلة ماكدير ، وبالحكم على تخطيط منزلهم ، تبدو العملية أسرع من التى سبقتها .

فى الطابق الخامس من مبنى بنديني ، كان ماركوس ينظر إلى لوحة من الأضواء المتقطعة وانتظر ورود بعض الإشارات من المنزل الكائن فى

١٢٣١ شارع إيست ميدوبروك . كانت حفلة العشاء قد انتهت قبل موعدها بنصف ساعة ، وقد حان وقت التنصت ، أخذ ضوء أصفر ضعيف في التألق ، فوضع ماركوس سماعة فوق أذنيه . ضغط أحد الأزرار لكي يسجل ما يدور بالمنزل . ثم انتظر . بدأ ضوء أخضر ، موضوع إلى جانب الرمز الكودى " ماك ٦ " في التألق . لقد كان الميكروفون الموجود في غرفة النوم يقوم بإرسال إشارة . أصبحت الإشارات أوضح ، وصارت أصواتاً ضعيفة في البداية ، ثم صارت أكثر وضوحاً . قام برفع صوت جهاز الاستقبال ، وأخذ يستمع .

كانت السيدة ماكدير تقول : " إن جيل ماهان امرأة حقيرة . كلما أفرطت في تناول الطعام ، زادت حقارتها " .

رد السيد ماكدير : " أظن أنها متعجرفة إلى حد ما " .

قالت السيدة ماكدير : " إن زوجها رجل محترم ، ولكنها امرأة لا تطاق " .

تساءل السيد ماكدير : " هل أنت متعبة ؟ "

" نعم ولكنني أفتقدك " .

رفع ماركوس مقدار الصوت ومال إلى الأمام ، ناحية الأضواء المتألقة .

قالت السيدة ماكدير : " هيا لنستعد للنوم " .

قال السيد ماكدير : " إننا لم نقم بهذا منذ زمن " .

وقف ماركوس وأخذ يعبث بالمفاتيح والأزرار المضيئة .

تساءلت السيدة ماكدير : " ومن المتسبب في هذا الخطأ ؟ "

رد السيد ماكدير : " مازلت أذكر كيف يتم الأمر . إنك تبدين جميلة للغاية " .

قالت : " هيا إلى الفراش إذن " .

أدار ماركوس مفتاح الصوت حتى لم يعد هناك مكان يتحرك إليه المفتاح . ابتسم وهو ينظر إلى الأضواء وتنفس في عمق . لقد كان يحب هؤلاء المحامين الجدد ، يأتون من كلية الحقوق تملؤهم الطاقة . ابتسم وهو يستمع إلى أصواتهما وهما يتبادلان مشاعر الحب . ثم أغلق عينيه وشاهدهما داخل مخيلته .

٩

. . . .

مر أسبوعان على انتهاء أزمة كابس دون أن تحدث أية كوارث ، ويعود الفضل الأكبر في ذلك إلى سلسلة من الأيام استمر فيها العمل لمدة ثماني عشرة ساعة يومياً وبواسطة أحدث عضو في الشركة ، عضو لم يجتاز بعد امتحان النقابة وصار أكثر انشغالاً بممارسة القانون عن أن يزعج نفسه بأمر هذا الامتحان . في شهر يوليو كان متوسط ساعات عمله قد بلغ تسعاً وخمسين ساعة أسبوعياً ، وهو رقم قياسي في تاريخ الشركة لشخص لا يعتبر محامياً حتى الآن . وقد أبلغ تولار بقية الشركاء ، في فخر ، وأثناء الاجتماع الشهري أن العمل الذي أداه ميتش يعد أمراً مذهلاً بالنسبة لمحام مبتدئ . وقد انتهت صفقة كابس قبل ثلاثة أيام من موعدها ، والفضل يعود في ذلك إلى ماكدير . وقد وصل الرقم الإجمالي للمستندات إلى أربعمائة صفحة ، وكلها نفذت بامتياز ، وضَبطَت أبحاثها في عناية ، وروجعت مرة بعد أخرى بواسطة ماكدير . وسوف تتم صفقة كوكر ـ هانكس في خلال شهر ، والفضل يعود في ذلك أيضاً إلى ماكدير ، وسوف تكسب الشركة ما يقرب من ربع المليون من الدولارات . لقد كان ذلك الفتى ماكينة تعمل بلا كلل .

أبدى أوليفر لامبرت بعض القلق حول عادات ميتش الدراسية . إن امتحان النقابة على بعد ثلاثة أسابيع أو أقل ، وكان من الواضح للجميع

أن ماكدير ليس مستعداً . لقد قام بإلغاء أكثر من نصف الجلسات الدراسية في يوليو ولم يدون في جدول تحصيله سوى عشرين ساعة على الأكثر . قال تولار إنهم لا يجب أن يشعروا بالقلق ، لأن تلميذه سوف يكون مستعدا .

قبل خمسة عشر يوما من الامتحان ، اشتكى ميتش أخيراً . أخذ يشرح لـ " تولار " خلال إحدى وجبات الغداء بمطعم مانهاتن كلوب أنه على وشك الرسوب في الامتحان وأنه يحتاج وقتا للدراسة . وقتاً كبيرا . قال إن بإمكانه أن يُحَصِل تلك المواد على عجل خلال الأسبوعين القادمين وأن يجتاز الامتحان بسهولة . لكن لابد أن يتركه الجميع بمفرده . بلا مواعيد مضغوطة . ولا حالات طوارئ . أو عمل طوال الليل . كانت كلماته تشبه التوسل . أنصت تولار بحرص ، واعتذر . ثم وعد أن يتجاهله تماماً خلال الأسبوعين القادمين . شكره ميتش على ذلك .

في يوم الاثنين الأول من شهر أغسطس ، كان هناك اجتماع للشركة في المكتبة الرئيسية بالطابق الأول . لقد كانت تمثل حجرة الاجتماعات ، وكانت أكبر المكتبات الأربع حجماً . جلس نصف محاميّ الشركة حول طاولة الاجتماعات الأثرية ذات اللون الأحمر والتي يحيط بها عشرون مقعداً . أما الباقون فوقفوا بجانب الرفوف المليئة بكتب القانون المصنوعة من الجلد الفاخر ، والتي لم تُقرَأ منذ عقود . حضر كل أعضاء الشركة ، وحتى ناثان لوك . كان قد وصل متأخراً ووقف بمفرده إلى جانب الباب . لم يتكلم مع أحد ، ولم ينظر إليه أحد . أما ميتش فكان يختلس النظر إلى تلك العينين اللتين يحيط بهما السواد كلما تمكن من ذلك .

كان الجو كئيبا . ولم يبتسم أحد . عبرت أرملة مارتى كوزنسكى وأرملة جو هودج باب المكتبة بصحبة أوليفر لامبرت . أجلست السيدتان فى مقدمة الحجرة وأمام حائط علقت عليه لوحتان وضع عليهما ستار من القماش . كانت كلاهما تمسك بيد الأخرى وتحاولان الابتسام . وقف السيد لامبرت معطياً ظهره للحائط ومواجها جمهوره الصغير .

تحدث فى صوت هادئ ، وكانت نبرات صوته الجهير تفيض بالشفقة والتعاطف . كان صوته أشبه بالهمس فى بداية حديثه ، ولكن قوة صوته جعلت كل كلمة وكل مقطع مسموع بوضوح فى أرجاء الغرفة . نظر إلى الأرملتين وتحدث عن الحزن العميق الذى تشعر به الشركة ، وكيف أنهما سيكونان موضع عناية طالما ظلت هذه الشركة قائمة . تحدث عن مارتى وجو ، عن سنوات عملهما القليلة بالشركة ، عن أهميتهما بالنسبة للشركة ، عن الفراغ الكبير الذى تركه موتهما . تحدث عن حبهما لأسرتيهما ، وعن إخلاصهما للعمل وللبيت .

لقد كان الرجل شديد الفصاحة . كان يتحدث نثراً ، دون أن يفكر مسبقاً فى الشكل الذى ستبدو عليه جملته التالية . بكت الأرملتان فى رفق ومسحتا أعينهما . ثم بدأ بعض الأصدقاء المقربين ، مثل لامار كوين ودوج تورنى ينتحبان .

عندما اكتفى أوليفر لامبرت بالكلمات التى قالها ، أزاح النقاب عن لوحة مارتى كوزنسكى . لقد كانت لحظة من التأثر العاطفى . صار هناك المزيد من الدموع . أعلن لامبرت أنه سيكون هناك منحة للدراسة بكلية الحقوق بجامعة شيكاغو تحت اسم مارتى كوزنسكى . وأن الشركة ستنشئ حساب ائتمان من أجل مصروفات تعليم أطفاله ، وأن عائلته ستكون دوماً موضع رعاية الشركة . عضت بيث كوزنسكى على شفتيها من الألم ، ولكن صوت بكائها ارتفع . صار الشركاء الكبار

بشركة بنديني ، أولئك المتحجرون فى مشاعرهم ، القاسية قلوبهم كالحجارة يبتلعون أنفاسهم بصعوبة ويتحاشون النظر إلى بعضهم البعض . وحده ناثان لوك ظل ساكناً ولم تتحرك مشاعره من تأثير الموقف . كان يحدق في الحائط بعينيه الشريرتين اللتين بدتا وكأنهما ستحرقان اللوحة المعلقة فوق الحائط .

ثم أزيح الستار عن صورة هودج ، وقيلت نفس الكلمات عن المنحة الدراسية وحساب الائتمان . كان ميتش قد سمع شائعة مفادها أن هودج كان قد اشترى وثيقة تأمين على الحياة بمبلغ مليونين من الدولارات قبل أربعة أشهر من موته .

عندما انتهت كلمات التأبين ، اختفى ناثان لوك عبر باب الحجرة . أحاط المحامون بالأرملتين وقدموا عبارات التعازى الهادئة والأحضان . لم يكن ميتش يعرفهما ولم يكن لديه شيء ليقوله . خطا إلى الأمام وأخذ ينظر إلى اللوحتين . إلى جانب صورتي كوزنسكي وهودج ، كان هناك ثلاث لوحات أقل في الحجم قليلاً ، ولكن لها نفس المهابة . لفتت نظره لوحة تمثل صورة سيدة . وقد كتب فوق إطارها النحاسي : " أليس كناوس ١٩٤٧ـ ١٩٧٧ "

" لقد كانت غلطة " قال تولار ذلك بصوت خافت وهو يقف إلى جوار مساعده .

تساءل ميتش : " ماذا تقصد بذلك ؟ "

" نموذج تقليدى للمرأة المحامية . جاءت إلى هنا بعد أن تخرجت في جامعة هارفارد ، حيث كانت الأولى على دفعتها وكانت تظن أنها تحمل رتبة أعلى من الآخرين لكونها امرأة . كانت تعتقد أن كل الرجال على وجه الأرض متحيزون ضد النساء وأن مهمتها هى أن تقضى على هذه التفرقة المبنية على الجنس . كانت امرأة حقيرة للغاية . بعد ستة أشهر من العمل كرهها الجميع ولكننا لم نستطع

التخلص منها . لقد أجبرت اثنين من الشركاء على التقاعد المبكر . ومازال ميليجان يلومها على الأزمة القلبية التى أصابته . لقد كان الشريك المسئول عنها " .

" هل كانت محامية جيدة ؟ "

" جيدة للغاية ، لكن كان من المستحيل أن يُقدر أحد موهبتها . لقد كانت تثير المشاكل حول كل شيء " .

" ماذا حدث لها ؟ "

" لقيت مصرعها فى حادث سيارة على يد سائق مخمور . لقد كانت مأساة " .

" أكانت المرأة الأولى التى تعمل بالشركة ؟ "

" نعم ، والأخيرة ، إلا إذا قاضتنا إحدى المحاميات بتهمة التفرقة بين الجنسين " .

أومأ ميتش برأسه ناحية اللوحة التالية وتساءل : " من كان هذا الرجل ؟ "

" روبرت لام . كان أحد أصدقائى المقربين . خريج كلية حقوق ايمورى فى أتلانتا . انضم إلى الشركة قبلى بثلاث سنوات تقريباً " .

" ماذا حدث له ؟ "

" لا أحد يعلم . كان يعشق الصيد كثيراً . كان يصطاد فى وايومنج أثناء الشتاء . فى عام ١٩٧٢ كان يصطاد الأيائل فى اركنساس واختفى تماماً . عثروا عليه بعد ذلك بشهر ملقى فى أحد الأودية وفى رأسه فتحة مجوفة . أظهر التشريح أن الرصاصة أصابت جمجمته من الخلف وفجرت معظم وجهه . أشارت تحليلات الشرطة إلى أن الرصاصة ربما تكون قد انطلقت من بندقية قوية ومن بعد كبير . من المرجح أنها كانت حادثة ، ولكننا لن نعرف الحقيقة أبداً . لا أستطيع أن أتخيل أن هناك من يريد قتل بوبى لام " .

كانت اللوحة الأخيرة لشخص يدعى جون ميكيل ، ١٩٥٠ـ ١٩٨٤ .
تساءل ميتش في همس : " ماذا حدث له ؟ "
" إن قصته هي الأكثر مأساوية من الجميع . لم يكن رجلاً قوياً ، وتمكنت الضغوط منه . كان يشرب الكحوليات كثيراً ، وبدأ يتعاطى المخدرات . تركته زوجته وكان بينهما طلاق مرير . كانت الشركة تشعر بالحرج . بعد أن أمضى عشر سنين بالشركة كان يخشى ألا يصبح شريكا . ازداد إدمانه للكحوليات سوءا ، وصرفت الشركة مبالغ ضخمة على العلاج ، والأطباء النفسيين ، وكل شيء . لكن كل هذا لم يجد . أصبح مكتئباً ، وازدادت رغبة الانتحار لديه . كتب رسالة انتحار في سبع صفحات ثم أطلق النار على رأسه " .
" هذا شيء مريع " .
" بالطبع كان مريعا " .
" أين وجدوا جثته ؟ "
تنحنح تولار وأخذ ينظر حوله ثم قال : " في حجرة مكتبك " .
" ماذا ؟ "
" نعم ، ولكنهم قاموا بتنظيفها " .
" إنك تمزح ، أليس كذلك ؟ "
" كلا ، إنني أتكلم جديا . لقد كان ذلك منذ أعوام مضت ، والمكتب يستخدم منذ ذلك الحين . ولم يحدث شيء " .
كان ميتش مذهولا وفاقدا للنطق .
" أنت لست ممن يؤمنون بالخرافات ، أليس كذلك ؟ " تساءل تولار وعلى وجهه ابتسامة لئيمة .
" كلا ، بالطبع " .
" كان لا يجب أن أخبرك ، ولكننا لا نتحدث عن هذه الأمور " .
" هل يمكن أن أغير مكتبي ؟ "

" بالتأكيد . كل ما عليك فعله هو أن ترسب فى امتحان النقابة وسوف نعطيك أحد مكاتب المساعدين القانونيين فى قبو المبنى " .

" إذا رسبت سيكون ذلك بسببك " .

" نعم ، ولكنك لن ترسب ، أليس كذلك ؟ "

" إذا كنت قد تمكنت من اجتيازه ، أستطيع أنا كذلك " .

من الساعة الخامسة صباحاً وحتى السابعة صباحاً كان مبنى بنديني خاليا وهادئا للغاية . وصل ناثان لوك فى السادسة ، ولكنه توجه مباشرة إلى مكتبه وأغلق الباب خلفه . فى السابعة بدأ المحامون يتوافدون وبدأت الأصوات تُسمع . في السابعة والنصف بلغت الشركة نصابها القانوني بحضور عدد قليل من السكرتيرات . بحلول الثامنة صارت القاعات ممتلئة وعمت الفوضى المعتادة بالمكان . أصبح التركيز صعباً ، وصارت المقاطعات أمراً روتينياً . وكانت الهواتف ترن بلا انقطاع . عند التاسعة أصبح كل المحامين والمساعدين القانونيين والسكرتيرات إما موجودين بالشركة أو تأكد غيابهم .

صار ميتش يشعر بقيمة الهدوء الذى يوفره الحضور فى ساعة مبكرة . كان قد قدم ساعة حضوره ثلاثين دقيقة وأصبح يوقظ داتش فى الخامسة بدلاً من الخامسة والنصف . بعد أن أعد لنفسه قدحين من القهوة ، تجول داخل الردهات المظلمة وهو يضغط مفاتيح الإضاءة ويتفحص المبنى . من وقت لآخر ، وفي الأيام التى يشرق الصباح جلياً فيها ، كان يقف أمام نافذة مكتب لامار كوين ويشاهد الشمس وهى تشرق على نهر المسيسبى العظيم . وأحياناً كان يعد الصنادل وهى تصطف إلى جانب الشاطئ قبل أن تصل سفن القطر وهى تشق صفحة الماء ببطء . وأحياناً يشاهد الشاحنات وهى تسير ببطء فوق الكبارى البعيدة . لكن ذلك لم يأخذ من وقته إلا القليل . كان يملى خطابات

ومذكرات وملخصات وطلبات استحضار ومئات من المستندات من أجل أن تقوم نينا بكتابتها ويقوم تولار بمراجعتها . كان يدرس بإيجاز من أجل الامتحان .

في الصباح الذى أعقب مراسم تأبين كوزنسكى وهودج ، وجد ميتش نفسه داخل المكتبة الرئيسية بالطابق الأول ، حيث كان يبحث عن بعض المواد الدراسية ثم شدت انتباهه تلك اللوحات الخمس للمرة الثانية . مشى إلى الحائط وأطال النظر إليها ، وفى ذهنه تلك المعلومات المختصرة التى قالها تولار . خمسة من المحامين يتعرضون للقتل خلال عشرين عاماً . إن هذا المكان بيئة عمل خطرة . قام بتدوين أسمائهم وتواريخ الوفاة فوق دفتر ملاحظاته . كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف .

كان هناك شيء يتحرك داخل الرواق ، فاستدار نحو يمينه مفزوعاً . وفى قلب الظلام رأى تلك العينين اللتين يحيطهما السواد وهما تراقبانه . تقدم ناثان لوك إلى الأمام عبر الباب وحدق فى ميتش متسائلا : " ماذا تفعل هنا ؟ "

واجهه ميتش وحاول الابتسام وهو يجيب : " عمت صباحاً . لقد كنت أجمع بعض المواد من أجل امتحان النقابة " .

ألقى لوك نظرة خاطفة نحو اللوحات ثم عاد للنظر إلى ميتش . قال : " هكذا . لماذا أنت مهتم بهؤلاء الأشخاص ؟ "

" مجرد فضول . لقد نالت تلك الشركة حظها من المآسى " .

" لقد ماتوا جميعاً . إن المأساة الحقيقية سوف تحدث إذا لم تنجح فى امتحان النقابة " .

" إننى أنوى أن أجتازه " .

" لقد سمعت خلاف ذلك . إن عادات استذكارك للامتحان تثير القلق بين الشركاء " .

" هل يشعر الشركاء بالقلق من مقدار العمل الزائد الذى أنجزه فى القضايا ؟ "

" لا تحاول التذاكى . لقد أخبرناك أن اجتياز امتحان النقابة له الأولوية القصوى . إن الموظف الذى لا يمتلك رخصة مزاولة مهنة المحاماة لا قيمة له بالنسبة لهذه الشركة " .

فكر ميتش فى عشرات الردود الذكية ، ولكنه ترك الأمر يمر . تحرك لوك إلى الخلف واختفى داخل ظلام المبنى . وعندما عاد ميتش إلى مكتبه ، أغلق الباب ثم أخفى الأسماء والتواريخ داخل أحد الأدراج وقام بفتح كتاب مراجعة حول القوانين الدستورية .

١٠

. . . .

في يوم السبت الذى أعقب امتحان النقابة تجنب ميتش الذهاب إلى المكتب أو الجلوس بالمنزل وقضى فترة الصباح يحفر داخل أحواض الزهور بالحديقة وينتظر . بعد أن انتهت أعمال التجديد ، صار المنزل في هيئة مشرفة ، وبالطبع كان لابد أن يكون والدا آبى هما أول الضيوف . ظلت آبى تنظف وتلمع المنزل لأسبوع كامل ، وقد حان وقت اللقاء . وعدته ألا يبقيا لوقت طويل ، مجرد بضع ساعات لا أكثر ، ووعدها أن يتصرف بشكل لطيف قدر الإمكان .

كان ميتش قد قام بغسل وتلميع السيارتين الجديدتين ، اللتين بدتا وكأنهما قد غادرتا معرض السيارات تواً . انتهى قص العشب وتهذيبه بواسطة فتى يعيش في نهاية الشارع . وكان السيد رايس قد وضع الأسمدة الزراعية لشهر كامل وبدا العشب أشبه بأرضية ملعب الجولف ، كما كان السيد رايس يحب أن يسميه .

وصل والدا آبى عند الظهيرة ، وعلى مضض ترك ميتش حوض الأزهار . ابتسم وهو يحييهما ثم استأذن لكى ينظف نفسه . كان يشعر أنهما غير مرتاحين ، وكان هذا هو ما يريد . أخذ حماماً طويلاً بينما كانت آبى تريهما كل قطعة من الأثاث وكل بوصة من ورق الحائط . بهرت تلك الأشياء البسيطة عائلة سوزرلاند القادمة من الجنوب . كانت الأشياء الصغيرة دائماً ما تبهرهم . كانت أفكارهم دائماً ما تدور

حول الأشياء التي يمتلكها الآخرون أو لا يمتلكونها . كان والد آبي رئيساً لبنك إقليمي صغير يخيم عليه شبح الإفلاس منذ عشر سنوات . أما زوجته فكانت تشعر أنها أفضل من أن تعمل بيدها وأمضت معظم حياتها تسعى خلف الارتقاء بمستواها الاجتماعي في مدينة ليس بها أي مستويات اجتماعية على الإطلاق . كانت قد تتبعت شجرة عائلتها حتى وصلت إلى عائلة ملكية في إحدى الدول القديمة ، وكان هذا الأمر دائماً ما يبهر عمال المناجم البسطاء في مدينة دانسبورو بولاية كينتاكي . وبهذه الدماء النبيلة التي تجرى في عروقها ، صارت واجباتها تقتصر على شرب الشاي الساخن ، ولعب البريدج ، والتحدث عن أموال زوجها ، والاستمرار في ندب حظها العاثر ، والانخراط في النشاطات التي يمارسها نادى الحدائق . كان زوجها مجرد خيال مآتة ، يقفز كالأرنب المذعور كلما أصابتها نوبة غضب ويعيش في خوف متواصل من إغضابها . وكفريق متعاون ، فقد عملا بلا هوادة على دفع ابنتهما منذ الصغر لكي تكون الأفضل ، وأن تصل إلى تحقيق الأفضل من النتائج ، والأكثر أهمية ، أن تتزوج أفضل الرجال . ولقد تمردت ابنتهما وتزوجت من فتى فقير بلا عائلة ، سوى أم مجنونة وأخ مجرم .

" منزل رائع يا ميتش " قال السيد سوزرلاند ذلك في محاولة لإذابة الثلج وكسر الجمود الذى ساد الجو . كانوا قد جلسوا لتناول الغداء وبدأوا يمررون الأطباق فوق المائدة .

قال ميتش : " شكراً " ولم يزد عليها شيئاً ، شكراً فقط . كان الطعام هو موضع تركيزه . وقد وضع نصب عينيه ألا تتسلل إلى وجهه أية ابتسامة طوال الغداء . وكلما قلت كلماته ، زاد شعورهم بعدم الارتياح . أراد منهم أن يشعروا بالحرج والذنب ، والخطأ . أراد منهم

أن يتصببوا عرقاً من الشعور بالخجل . لقد كانوا هم من قرر مقاطعة الزفاف . لقد كانوا هم من أقاموا أسوار العزلة والعداوة ، وليس هو .

" إن كل شيء جميل للغاية " قالت والدة آبي ذلك وهي تنظر باتجاه ميتش .

رد ميتش : " شكراً " .

قالت آبي : " نحن فخورون بهذا المنزل يا أمي " .

اتجهت المحادثة في الحال إلى التجديدات التي أجريت على المنزل . تناول الرجلان طعامهما في صمت وظلت السيدتان تثرثران كثيراً حول ما فعلته مهندسة الديكور بهذه الحجرة وما صنعته بتلك . أحياناً ، كانت آبي تملأ الفراغات التي تظهر في المحادثة بأي كلمات من أي موضوع يطرأ على بالها . شعر ميتش ببعض الأسف من أجلها ، ولكنه أبقى عينيه دائماً فوق مائدة الطعام . كانت أي كلمة بسيطة ينطقها كفيلة بتخفيف ذلك التوتر .

تساءلت السيدة سوزرلاند : " هل وجدت وظيفة يا آبي ؟ "

" نعم . سوف أبدأ من يوم الاثنين القادم . سأقوم بالتدريس لطلبة الصف الثالث الابتدائي بمدرسة سانت أندرو " .

اندفع والدها يقول : " إن التدريس لا يدر كثيراً من المال " .

إن هذا الرجل لن يتغير أبداً ، هكذا فكر ميتش .

" أنا لا أسعى خلف المال يا أبي . أنا مدرسة . وبالنسبة لي ، هذه أهم مهنة في العالم . إذا كنت أسعى وراء المال لالتحقت بكلية الطب " .

قالت والدة آبي : " الصف الثالث الابتدائي . إنها مرحلة سنية لطيفة . أظن أنكما سترغبان بإنجاب الأطفال في وقت قريب " .

كان ميتش قد أدرك من قبل أن أكثر الأشياء التي ستجذب هؤلاء الناس إلى ممفيس من وقت لآخر ستكون أحفادهم . وكان قد قرر أنه

يستطيع الصبر على عدم الإنجاب لوقت طويل . لم يكن لديه أبناء أخ أو أخت ، سوى هؤلاء الأطفال المجهولين الذين أنجبهم راى فى أنحاء متفرقة من البلاد ولم يعلم ميتش شيئاً عنهم . لم يكن لدى ميتش تلك العاطفة القوية نحو الأطفال على أية حال .

قالت آبى : " ربما بعد عدة سنوات يا أمى " .

ربما بعد وفاتكما ، هكذا قال ميتش لنفسه .

قالت والدة آبى : " إنك ترغب فى الأطفال يا ميتش ، أليس كذلك ؟ "

رد ميتش : " ربما بعد عدة سنوات " .

دفع السيد سوزرلاند طبقه جانباً وأشعل سيجارة . كانت مسألة التدخين قد انتهت بحثاً ومناقشة خلال الأيام التى سبقت الزيارة . كان ميتش يريد أن يمنع التدخين تماماً داخل منزله ، وخاصة بالنسبة لوالديها . تناقش هو وآبى فى المسألة طويلاً ولكن آبى هى التى كسبت فى النهاية .

تساءل والد آبى : " كيف كان امتحان النقابة ؟ "

أحس ميتش أن هذا سيكون مثيراً . رد قائلاً : " مملاً ومرهقاً " .

مضغت آبى طعامها بعصبية .

" أتظن أنك قد نجحت ؟ "

" أتمنى ذلك " .

" متى ستظهر النتيجة ؟ "

" بعد أربعة إلى ستة أسابيع " .

" كم استغرق الامتحان ؟ "

" أربعة أيام " .

قالت آبى : " منذ أن انتقلنا إلى هنا وهو لم يفعل شيئاً سوى الدراسة والعمل . إننى لم أره كثيراً هذا الصيف " .

ابتسم ميتش لزوجته . كان موضوع غيابه المتكرر عن البيت من أجل العمل مسألة مزعجة لم يجدا حلا لها ، وكان شيئاً مسلياً أن يسمع زوجته تذكرها بهذا الاستخفاف .

تساءل والد آبى : " ماذا سيحدث إذا لم تجتز الامتحان ؟ "

" لا أدرى . لم أفكر فى الأمر " .

" هل سيعطونك علاوة عندما تجتاز الامتحان ؟ "

كان ميتش قد قرر أن يكون لطيفاً ، كما وعد آبى ، ولكن كلمات هذا الرجل لا تسهل عليه ذلك . قال أخيراً : " علاوة كبيرة ومكافأة ضخمة " .

" كم محامٍ يعمل بالشركة ؟ "

" أربعون" .

قالت السيدة سوزرلاند وهى تشعل إحدى سجائرها : " يا إلهى لا يوجد عدد كهذا فى مقاطعة دان كلها " .

تساءل السيد سوزرلاند : " أين مكتبك ؟ "

" فى وسط المدينة " .

تساءلت السيدة سوزرلاند : " هل يمكننا رؤيته ؟ "

" ربما أثناء زيارة أخرى . إنه مغلق بالنسبة للزائرين يوم السبت " . استمتع ميتش بتلك الإجابة ، مغلق بالنسبة للزائرين ، وكأنه متحف وليس مكتب محاماة .

أحست آبى بكارثة تقترب فبدأت تتحدث عن دار العبادة التى انضموا إليها وقالت إن أعضاءها يبلغون أربعة آلاف شخص وهناك صالة تمارين رياضية وصالة بولينج ملحقة بها . قالت إنها تشارك فى الأنشطة المختلفة هناك وتعطى دروساً لأطفال فى الثامنة من العمر . قالت إن ميتش يذهب معها فى الأيام التى لا يذهب فيها إلى العمل ، ولكنه كان يعمل معظم أيام الإجازات فى الفترة الماضية .

" إننى سعيد لأنك قد وجدت دار عبادة بالقرب من منزلك يـا آبـي" قال والدها ذلك فى تحيز واضح . لأعوام كان هذا الرجل يلقى بالخطب الدينية فى أيام الإجازة الأسبوعية بدار العبادة ، وفى الأيام الستة المتبقية من الأسبوع كان يمارس الطمع والاحتيال بلا كلل أو ملل . وكان يطارد النساء سرا وبشكل دائم .

ساد صمت حرج بعد ذلك حيث وصلت المحادثة إلى لحظة توقف . أشعل السيد سوزرلاند سيجارة أخرى . قال ميتش فى نفسه ، استمر بالتدخين أيها العجوز . استمر بالتدخين .

قالت آبى وهى تبدأ فى تنظيف المائدة : " هيا نتناول الحلويات فى الشرفة الخلفية " .

أخذوا يطرون على مهارة ميتش فى العناية بالحديقة ، وتقبل هو ذلك الفضل ببساطة كأنه قد قام بكل شيء . لقد كان ذلك الفتى الذى يعيش فى نهاية الشارع هو الذى قلّم الأشجار بنفسه ، وانتزع الحشائش الضارة ، وقام بتهذيب الشجيرات التى تحيط بالشرفة . وكل ما برع ميتش فى عمله هو المساعدة فى انتزاع الأعشاب الضارة وإزالة فضلات الكلب . كان بإمكانه أن يفتح رشاشات الماء التى تسقى العشب ، ولكنه عادةً ما كان يترك السيد رايس يفعل ذلك .

قدمت آبى كعكة الفراولة وأقداح القهوة . نظرت إلى زوجها فى يأس ، ولكنه كان مصراً على عدم التواصل .

" إن منزلكما فى غاية الروعة " قال والد آبى ذلك للمرة الثالثة وهو يتفحص الفناء الخلفي بعينيه . كان ميتش يحس بما يدور داخل عقل الرجل . لابد أنه قد أخذ يقيس مساحة المنزل والمبانى المحيطة به ، وصار فضوله لا يحتمل . اللعنة ، كم يتكلف منزل كهذا ؟ هذا هو ما يريد معرفته . كم دفعا كمقدم تعاقد ؟ وكم يدفعان شهرياً ؟ وكل

شيء آخر . سيظل يدور ويلتف حول الموضوع حتى يلقى بتلك الأسئلة في وقت ما .

" هذا المنزل رائع للغاية " قالت والدة آبى ذلك للمرة العاشرة .

تساءل والدها : " متى تم بناؤه ؟ "

وضع ميتش طبقه فوق المائدة وتنحنح . كان يحس باقتراب الأسئلة الموعودة . رد قائلاً : " منذ خمسة عشر عاماً " .

" كم تبلغ مساحته بالقدم المربعة ؟ "

" حوالى ثلاثة آلاف قدم " أجابت آبى بعصبية . نظر إليها ميتش في غضب . صارت رباطة جأشه تتضاءل .

" إنها منطقة رائعة الجمال " أضافت والدتها ذلك وهي تحاول المساعدة على تخفيف حدة الموقف .

" هل هو رهن جديد أم أنكم اشتريتم الرهن العقارى من المالك السابق ؟ " تساءل والدها بذلك ، وكأنه يجرى مقابلة مع طالب قرض من ذوى الضمانات الضعيفة ، داخل البنك الذى يرأسه .

" إنه رهن عقارى جديد " قال ميتش ذلك ، وانتظر . كذلك انتظرت آبى وهى تدعو وتحبس أنفاسها .

لكنه لم ينتظر ، لم يستطيع أن ينتظر ، وتساءل والدها على الفور : " كم دفعتم ثمناً له ؟ "

تنفس ميتش بعمق وكاد أن يقول : " الكثير " . ولكن آبى كانت أسرع منه وقالت : " لم ندفع الكثير يا أبى " . قالتها في حزم وتجهم ثم أكملت : " إننا قادرون على التصرف الجيد في أموالنا " .

وضع ميتش ابتسامة على وجهه بينما كان يعض على لسانه من الغضب .

وقفت السيدة سوزرلاند على قدميها وقالت : " هلا ذهبنا فى نزهة بالسيارة ؟ أريد أن أرى النهر وذلك الهرم الجديد الذى بنوه بجواره . هلا ذهبنا ؟ هيا هارولد " .

أراد هارولد مزيداً من المعلومات عن المنزل ، ولكن زوجته صارت تجذبه من ذراعه .

قالت آبى : " فكرة عظيمة " .

انتقلوا إلى السيارة الـ بى . إم . دبليو البراقة ، وذهبوا لكى يستمتعوا برؤية النهر . طلبت منهم آبى عدم التدخين داخل السيارة الجديدة . قاد ميتش السيارة فى صمت وحاول أن يكون لطيفاً .

١١

. . . .

اندفعت نينا إلى حجرة المكتب تحمل رزمة من الأوراق ثم قامت بوضعها على مكتبٍ رئيسها . " احتاج إلى توقيعك " قالت نينا ذلك وهى تناوله قلماً .

" ما كل هذا ؟ " تساءل ميتش وهو يخط توقيعه فوق الأوراق بشكل روتينى .

" لا تسأل . فقط ثق بى " .

" لقد وجدت خطأ إملائيا فى اتفاقية شراكة لاندمارك " .

" لقد كان خطأ من الكمبيوتر " .

" حسناً . أصلحى جهاز الكمبيوتر إذن " .

" كم ستتأخر فى العمل هذه الليلة ؟ "

فحص ميتش الوثائق بسرعة وهو يوقعها ثم قال : " لا أدرى . ولكن لماذا تسألين ؟ "

" إنك تبدو مرهقاً . لماذا لا تذهب إلى المنزل مبكراً ، لنقل مثلا فى العاشرة أو العاشرة والنصف ، وتحصل على بعض الراحة . لقد بدأت عيناك تشبهان عينى ناثان لوك " .

" يا لك من خفيفة الظل " .

" لقد اتصلت زوجتك " .

" سوف أتصل بها بعد لحظة " .

عندما انتهى من توقيع الأوراق والخطابات قامت نينا بإعادة ترتيبها مرة أخرى وقالت : " إنها الخامسة مساء . سوف أذهب الآن . فقط أريد أن أخبرك أن أوليفر لامبرت ينتظرك في مكتبة الطابق الأول " .

" أوليفر لامبرت ينتظرني أنا ؟ "

" هذا ما قلته . لقد اتصل منذ خمس دقائق تقريباً وقال إن الأمر عاجل " .

عدل ميتش رابطة عنقه وانطلق يعدو إلى نهاية الرواق ثم هبط السلالم ، ومشى بشكل طبيعي إلى المكتبة . كان لامبرت ، وتولار ، ومعظم الشركاء يجلسون حول طاولة الاجتماعات . كان كل المحامين حاضرين ، ويقفون خلف الشركاء . وكان المقعد الموجود عند نهاية الطاولة خالياً وينتظر . كانت القاعة هادئة ، وكأنها تشهد لحظة مهيبة . لم يكن هناك ابتسامات . كان لامار يجلس قريباً ولكنه لم يرفع عينيه لينظر إلى ميتش . كان تولار مرتبكاً ، وبدا وكأنه يشعر بالإحراج . أما والى هودسون فكان يدير طرف رابطة عنقه ويهز رأسه في بطء .

قال السيد لامبرت في نبرة جدية : " اجلس يا ميتش . هناك شيء نريد أن نناقشه معك " . أغلق دوج تورني باب القاعة .

جلس ميتش وأخذ عقله يبحث عن أى إشارة صغيرة يطمئن بها نفسه . لا شيء . أدار الشركاء مقاعدهم في اتجاهه ، مقتربين من بعضهم أثناء ذلك . أحاط به المحامون وهم ينظرون نحوه في غضب .

" ماذا هناك ؟ " تساءل ميتش في خنوع ، وهو ينظر إلى تولار في يأس . بدأت قطرات صغيرة من العرق تتكون فوق حاجبيه . صار قلبه يدق كمطرقة حداد ، وأصبح التنفس عملاً شاقاً .

مال أوليفر لامبرت نحو حافة الطاولة وخلع نظارة القراءة . تجهم وجهه بشدة ، وكأن ما سيقوله أمر مؤلم للغاية . قال : " لقد جاءتنا مكالمة من نقابة المحامين فى ناشفيل يا ميتش ، ونريد أن نتكلم معك حول ذلك الأمر " .

امتحان النقابة . امتحان النقابة . لقد دخل ميتش التاريخ . لقد أخفق محامٍ من شركة بنديني العظيمة فى اجتيازٍ امتحان النقابة أخيراً . نظر إلى تولار غاضباً ، وأراد أن يصرخ قائلاً : " إن هذا كله خطؤك أنت " . اعتصر تولار حاجبيه بشدة وكأن صداعا نصفيا قد أصابه وتحاشى النظر إلى ميتش . تفحصت عينا لامبرت بقية الشركاء فى شك ثم عاد ينظر إلى ميتش .

" لقد كنا نخشى أن يحدث هذا يا ميتش " .

أراد أن يتكلم ، أن يشرح أنه يستحق فرصة واحدة أخرى ، أن الامتحان سوف يُعقد بعد ستة أشهر أخرى وأنه سوف يتفوق فيه ، وأنه لن يشعرهم بالحرج مكرراً . أحس بألم شديد يجتاح أمعاءه .

" نعم يا سيدى " قال ميتش ذلك فى هوان ، وبإحساس بالهزيمة .

استعد لامبرت لكى يسدد الضربة القاضية . قال : " ليس من المفروض أن نعلم هذه الأمور ، ولكن مصادرنا فى ناشفيل أعلمتنا أنك قد أحرزت أعلى النتائج فى امتحان النقابة . تهانينا أيها المحامى " .

اجتاحت القاعة عاصفة من التصفيق والضحك . تجمع الكل حوله وصافحوه ، وربتوا على كتفه وضحكوا من منظره . تقدم تولار إليه ومعه منديل ثم قام بمسح العرق من فوق جبهته . وضع كانديل ماهان ثلاث زجاجات من الشراب فوق الطاولةِ وبدأ يصب محتوياتها داخل كئوس بلاستيكية . تنفس ميتش أخيراً وظهرت البسمة على وجهه . ابتلع شرابه دفعة واحدة ، وصبوا له كأسا أخرى .

وضع أوليفر لامبرت ذراعه حول عنق ميتش فى رفق وقال : " إننا فى قمة الفخر بك يا ميتش . إن هذا الأمر يستحق مكافأة صغيرة . إن معى هنا شيكاً من الشركة بقيمة ألفين من الدولارات ، وها أنا أقدمه لك كمكافأة صغيرة على هذا الإنجاز " .

انطلقت صيحات التشجيع .

" هذا بالإضافة إلى العلاوة الأساسية التى كسبتها بعد نجاحك " .

صار هناك مزيد من التشجيع والتهليل . تناول ميتش الشيك ولكنه لم ينظر إليه .

رفع السيد لامبرت يديه وطلب الهدوء من الجميع . قال : " بالنيابة عن الشركة ، أود أن أقدم لك هذا " . ناوله لامار عبوة ملفوفة فى ورق بنى اللون . نزع السيد لامبرت الورق الذى يغطيها وألقاها فوق الطاولة .

" إنها لوحة من البرونز كنا قد أعددناها توقعاً لهذا اليوم . وهى كما ترى تمثل نسخة طبق الأصل من الهيكل الثابت للشركة ، وبها كل أسماء العاملين . وكما ترى أيضاً ، فقد أضيف اسم ميتشيل ماكدير إلى قائمة الأسماء " .

وقف ميتش واستلم الجائزة بإحراج . كان اللون الوردى قد بدأ يعود إلى بشرته وصار طعم الشراب أحلى . قال فى هدوء : " شكرا " .

بعد ثلاثة أيام نشرت جريدة ممفيس أسماء المحامين الذين اجتازوا امتحان النقابة . قطعت آبى ذلك المقال من الجريدة وأرسلته بالبريد إلى والديها وإلى راى ، شقيق ميتش .

كان ميتش قد اكتشف مطعماً صغيراً على بعد ثلاثة مربعات سكنية من مبنى بنديني ، بين شارعٍ فرونت ستريت والطريق الساحلى بالقرب من النهر . كان مطعما صغيرا يبدو كفتحة فى جدار ، لا يرتاده سوى

عدد محدود من الزبائن ، ويقدم الوجبات السريعة . أحب ميتش ذلك المطعم لأنه كان يستطيع التسلل إليه وقراءة بعض المستندات أثناء الأكل . والآن بعد أن صار محامياً رسمياً ، أصبح بإمكانه أن يتناول الهوت دوج فى الغداء وأن يكون معدل تحصيله يساوى مائة وخمسين دولاراً فى الساعة .

بعد أسبوع من نشر اسمه بالجريدة ، جلس ميتش فوق طاولة فى مؤخرة المطعم يتناول السجق الحريف بالشوكة . كان المكان خالياً . كان ميتش يقرأ فى مذكرة تمهيدية كبيرة الحجم . وكان الرجل اليونانى الذى يدير المطعم ينام خلف الخزينة .

اقترب رجل غريب من طاولة ميتش وتوقف على بعد أقدام قليلة . أخرج من حقيبته علبة مياه غازية محدثاً جلبة كبيرة . عندما بدا جلياً أن أحداً لم يره سار إلى مائدة ميتش وجلس . رفع ميتش عينيه إلى نهاية مفرش الطاولة الأحمر ووضع المستندات بجانب كأس الشاى المثلج .

تساءل ميتش : " هل أستطيع مساعدتك فى شيء ؟ "

ألقى الغريب نظرة سريعة على النضد وعلى الموائد الخاوية ثم إلى خلفه ، ثم قال : " أنت ميتش ماكدير ، أليس كذلك ؟ "

كانت لكنته غريبة ، لكنة سكان بروكلين بالتأكيد . أخذ ميتش يتفحص الرجل بعناية . كان فى الأربعين من العمر تقريبا ، وقد قص شعره قصيراً من الجانبين كما يفعل العسكريون ، إلى جانب بعض خصلات الشعر الرمادية التى كادت تصل إلى حاجبيه . كانت حلته من ثلاث قطع ، زرقاء اللون ، ومصنوعة من البوليستر بنسبة تسعين فى المائة على الأقل . أما رابطة العنق فكانت مصنوعة من حرير مزيف رخيص الثمن . لم يكن الرجل أنيق الملبس ، ولكنه كان يرتدى ملابسه فى بطريقة متناسقة وكانت تبدو عليه أمارات الكِبر والخيلاء .

قال ميتش : " نعم . من تكون ؟ "

أخرج حافظته وانتزع منها شارة وهو يقول : " واين تارانس . عميل خاص بمكتب التحقيقات الفيدرالية " . رفع الرجل حاجبيه وانتظر استجابة من ميتش .

قال ميتش : " تفضل بالجلوس " .

" لا أمانع فى ذلك " .

" هل تريد تفتيشى ؟ "

" ربما فيما بعد . لقد أردت أن أقابلك فقط . لقد قرأت اسمك فى الجريدة وعلمت أنك الرجل الجديد فى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك " .

" وما الذى يهم المباحث الفيدرالية فى ذلك ؟ "

" إننا نراقب هذه الشركة جيداً " .

فقد ميتش شهيته وأزاح الطبق إلى منتصف الطاولة . أضاف مزيدا من السكر إلى الشاى المثلج الذى كان يشربه فى كأس من البلاستيك الصحى .

تساءل ميتش : " أتود أن تشرب شيئاً ؟ "

" كلا ، شكراً " .

" لماذا تراقبون شركة بنديني ؟ "

ابتسم تارانس ونظر تجاه الرجل اليونانى ثم قال : " لا يمكننى أن أخبرك بشىء فى هذه اللحظة . إن لدينا أسبابنا الخاصة ، لكنى لم آت هنا لكى أتحدث عن هذا . لقد أتيت لكى أقابلك وأحذرك " .

" لكى تحذرنى ؟ "

" نعم ، لكى أحذرك من الشركة " .

" أنا منصت لك " .

" سوف أخبرك بثلاثة أشياء . الأمر الأول ، لا تثق بأى شخص . لا يوجد أى شخص بالشركة يصلح لأن يكون موضع سرك . تذكر ذلك جيداً . سيكون لذلك أهميته فيما بعد . الأمر الثانى ، إن كل كلمة تنطقها ، سواء فى المنزل أو فى المكتب أو أى مكان بالمبنى يتم تسجيلها على الأرجح . ربما يتنصتون عليك فى السيارة أيضاً " .

كان ميتش ينظر إليه ويستمع باهتمام شديد . لقد كان تارانس يستمتع بهذا الأمر .

تساءل ميتش : " ماذا عن الأمر الثالث ؟ "

" الأمر الثالث هو أن السماء لا تمطر ذهباً " .

" هلا شرحت لى ماذا تقصد ؟ "

" لا أستطيع الآن . أظن أننا سنكون أصدقاء مقربين . أريد منك أن تثق بى ، واعلم أننى سوف أعمل على أن أكسب هذه الثقة . ولذلك لا أريد أن أتحرك بسرعة زائدة . لا يمكننا أن نتقابل فى مكتبك أو مكتبى ولا يمكننا أن نتحدث عبر الهاتف . لذلك سوف آتى لرؤيتك من وقت لآخر . وحتى ذلك الوقت ، فقط تذكر هذه الأشياء الثلاثة ، وتوخ الحذر " .

وقف تارانس ومد يده إلى حافظته . قال : " هذه هى بطاقتى . رقم هاتف المنزل موجود على ظهر البطاقة . استخدمه فقط من هاتف عمومى " .

تفحص ميتش البطاقة وقال : " ولماذا أحتاج إلى الاتصال بك ؟ "

" لن تحتاج إلى ذلك لبعض الوقت . لكن احتفظ بالبطاقة " .

وضع ميتش البطاقة فى جيب قميصه .

قال تارانس : " هناك شىء آخر . لقد رأيناك فى جنازة كوزنسكى وهودج . أمر مؤسف للغاية . لكن وفاتهما لم تكن بسبب حادثة على الإطلاق " .

نظر إلى ميتش من أعلى واضعا يديه داخل جيوبه وابتسم .
قال ميتش : " لم أفهم ماذا تقصد ؟ "
بدأ تارانس يتحرك تجاه الباب وقال : " اتصل بى يوما ما ، ولكن كن حذراً . تذكر ، إنهم يراقبون كل تركاتك ويسجلون مكالماتك " .

انطلق نفير سيارة بعد دقائق من الرابعة صباحا فانتفض داتش واقفاً على قدميه . أخذ يسب ويلعن وتحركٍ إلى مقدمة الأضواء المتألقة .
" اللعنة يا ميتش . إنها الرابعة صباحاً . ما الذى تفعله هنا ؟ "
" آسف يا داتش . لم أستطع النوم . إنها ليلة عصيبة " . فتح داتش البوابة .
بحلول السابعة والنصف كان ميتش قد أملى على نينا ما يكفى لإبقائها مشغولة ليومين كاملين . كان يرتاح كلما ألصقت أنفها بشاشة الكمبيوتر ولم تفعل شيئاً سوى الكتابة طوال اليوم . كان هدفه الحالى أن يكون أول محام تضطر الشركة أن تعين له سكرتيرة ثانية لتلبية احتياجاته .
فى حوالى الثامنة دلف إلى مكتب لامار كوين وانتظر . أخذ يتفحص أحد العقود ويشرب القهوة ، وطلب من السكرتيرة أن تهتم بعملها ولا تشغل نفسها به . وصل لامار فى الثامنة والربع .
" أحتاج إلى أن أتحدث إليك " قال ميتش ذلك وهو يغلق الباب . لو أنه قد صدق تارانس ، فإن ذلك يعنى أن المكتب به أجهزة تنصت وأن هذه المحادثة سيتم تسجيلها . لم يكن واثقاً من يصدق .
قال لامار : " يبدو أن الأمر خطير " .
" هل سمعت برجل يدعى واين تارانس ؟ "
" كلا " .
" يعمل بالمباحث الفيدرالية " .

أغلق لامار عينيه وأخذ يتمتم : " المباحث الفيدرالية " .

" هذا صحيح . لقد كان يحمل شارة مكتب التحقيقات " .

" أين قابلت هذا الرجل ؟ "

" لقد عثر عليَّ في مطعم لانسكي بشارع يونيون . لقد كان يعلم من أكون ، ويعلم أننى بدأت العمل منذ وقتٍ قصير ، ويقول إنه يعرف كل شيء عن الشركة . إنهم يراقبوننا جيدا " .

" هل أخبرت تولار ؟ "

" كلا ، كلا . لم أخبر أحدا غيرك . أنا لا أدرى ماذا أفعل " .

التقط لامار سماعة الهاتف وهو يقول : " يجب أن نخبر تولار . أظن أن هذا الأمر قد حدث من قبل " .

" ما الذى يحدث يا لامار ؟ "

تحدث لامار إلى سكرتيرة تولار وقال إنه يحتاج تولار فى أمر طارئ . فى خلال ثوان كان تولار على الطرف الثانى . قال لامار : " لدينا مشكلة صغيرة يا تولار . لقد أجرى عميل بالمباحث الفيدرالية اتصالا مع ميتش بالأمس . إن ميتش بمكتبى الآن " .

استمع لامار ثم قال مخاطباً ميتش : " لقد وضعنى على الانتظار . قال إنه سيتصل بالسيد لامبرت " .

قال ميتش : " أظن أن الأمر خطير للغاية " .

" نعم ، ولكن لا تقلق . هناك تفسير لذلك . لقد حدث هذا الأمر من قبل " .

أمسك لامار بسماعة الهاتف قريباً من أذنه واستمع إلى التعليمات . أنهى المكالمة ثم قال : " يريدون منا الحضور إلى مكتب لامبرت خلال عشر دقائق " .

كان كل من آفرى تولار ، رويس مكنايت ، أوليفر لامبرت ، هارولد أوكان وناثان لوك بالانتظار . كانوا يقفون فى عصبية واضحة

حول طاولة الاجتماعات وحاولوا أن يبدو هادئين عندما دلف ميتش إلى داخل المكتب .

قال ناثان لوك وعلى وجهه ابتسامة خافتة مصطنعة : " تفضل بالجلوس يا ميتش . نريدك أن تخبرنا بكل شيء " .

" ما هذا ؟ " أشار ميتش إلى جهاز تسجيل يستقر فوق منتصف الطاولة .

" لا نريد أن نغفل عن أى شيء " قال لوك ذلك وأشار إلى مقعد خال . جلس ميتش وهو يحدق فى تلك العينين المحاطتين بالسواد التي تنظر إليه من الطرف البعيد للطاولة . جلس تولار بينهما . وصمت الجميع تماماً .

قال ميتش : " حسنا . كنت أتناول الغداء بالأمس فى مطعم لانسكي بشارع يونيون . حضر ذلك الشخص وجلس على طاولتي . كان يعرف اسمي . أرانى شارته وقال إن اسمه واين تارانس وإنه عميل خاص بالمباحث الفيدرالية . نظرت إلى الشارة وتأكدت من صحتها . أخبرنى أنه يريد أن نتقابل لأننا سوف نصبح مقربين للغاية . قال إنهم يراقبون هذه الشركة عن كثب وحذرنى من أن أثق بأى شخص . سألته عن سبب ذلك فقال إنه لا يمتلك الوقت الكافى لكى يشرح لى الآن ، ولكنه سوف يفعل ذلك فيما بعد . لم أعرف ماذا أقول له ، ولذلك أنصت إليه دون أن أتحدث . قال إنه سوف يتصل بى فيما بعد . وقف لكى يغادر وأخبرنى أنهم قد رأونى فى الجنازات ، ثم قال إن وفاة كوزنسكي وهودج لم تكن بسبب حادث . ثم غادر بعد ذلك . ولم تستمر المحادثة سوى خمس دقائق " .

حملق صاحب العينين المحاطتين بالسواد فى ميتش وراقب كل كلمة نطقٍ بها ثم قال : " هل رأيت ذلك الرجل من قبل ؟ "

" أبدا " .

" من أخبرت بهذا الأمر ؟ "

" لامار فقط . لقد أخبرته عندما حضرت هذا الصباح " .

" ماذا عن زوجتك ؟ "

" لم أخبرها بشىء " .

" هل ترك لك رقم هاتف لتتصل به ؟ "

" كلا " .

قال لوك : " أريد أن أعرف كل كلمة قالها لك " .

" لقد أخبرتك ما أتذكره . لا يمكن أن أتذكر ما قاله حرفيا " .

" هل أنت متأكد من ذلك ؟ "

" دعنى أسترجع الأمر للحظة " . كان ميتش قد قرر أن يحتفظ لنفسه ببعض الأشياء . حدق بتلك العينين المحاطتين بالسواد ، وعلم أن لوك يشك أن هناك المزيد .

قال ميتش : " حسنا . لقد قال إنه شاهد اسمى فى الجريدة وعلم أننى المحامى الجديد بالشركة . هذا هو كل شىء . لقد أخبرتكم بكل شىء . لقد كانت محادثة مختصرة للغاية " .

قال لوك فى إلحاح : " حاول أن تتذكر كل شىء " .

" لقد سألته إذا كان يريد بعض الشاى ، فرفض " .

أغلق جهاز التسجيل وبدأ الشركاء يسترخون بعض الشىء . سار لوك إلى النافذة وقال : " ميتش ، لقد كانت هناك بعض المتاعب بيننا وبين المباحث الفيدرالية ، وكذلك مع مصلحة الضرائب . إن هذا الأمر مستمر منذ سنوات . لدينا بعض العملاء من المغامرين ـ أفراد فى غاية الثراء يربحون الملايين ، وينفقون الملايين ويتوقعون أن يدفعوا ضرائب قليلة أو لا يدفعان ضرائب على الإطلاق . إنهم يدفعون لنا آلاف الدولارات لكى نجنبهم دفع الضرائب بشكل قانونى . إن لنا سمعة جيدة فى التعامل مع الأمر بحزم شديد ، ونحن لا نمانع فى انتهاز

الفرص والمخاطرة قليلاً إذا أصدر عملاؤنا التعليمات بذلك . أنا أتحدث عن بعض رجال الأعمال رفيعي المستوى ممن يتفهمون المخاطر . إنهم يدفعون الكثير من أجل عبقريتنا الإبداعية . بعض أساليبنا القانونية التي نستخدمها لحماية أموال عملائنا من الضرائب أو خفض مستحقاتهم الضريبية لا ترضي مصلحة الضرائب . ولقد كانت بيننا وبينهم معارك قضائية خلال العشرين عاما الماضية . إنهم لا يحبوننا ونحن لا نحبهم أيضاً . بعض عملائنا لا يمتلكون الحد الأعلى من المبادئ الأخلاقية ، ولقد قامت المباحث الفيدرالية بالتحقيق معهم ومضايقتهم . وخلال السنوات الثلاث الأخيرة ، تعرضنا نحن الآخرين لمضايقات من المباحث الفيدرالية .

" إن تارانس هذا ما هو إلا مبتدئ يحاول أن يصنع لنفسه اسماً . لم يتجاوز العام في هذه المنطقة وأصبح شوكة في حلقنا . لن تتحدث معه بعد ذلك . من المحتمل أن تكون محادثتك القصيرة معه بالأمس قد سُجِلَت . إنه شخص خطير ، شخص خطير للغاية . إنه لا يمارس مهنته بشرف ، وسوف تتعلم عما قريب أن معظم ضباط المباحث الفيدرالية لا يمارسون مهنتهم بشرف " .

قال ميتش : " كم واحد من عملاء الشركة أدين بسبب التهرب الضريبي ؟ "

" لا أحد على الإطلاق . ولقد تغلبنا على مصلحة الضرائب في كثير من القضايا التي كانت بيننا " .

" ماذا عن كوزنسكي وهودج ؟ "

رد أوليفر لامبرت : " هذا سؤال جيد . نحن لا نعلم ما حدث . لقد بدا الأمر كحادثة في البداية ، ولكننا أصبحنا غير متأكدين من ذلك . لقد كان هناك رجل من أهالي الجزيرة على متن القارب مع مارتي وجو . لقد كان قبطان القارب ومرشد الغطس . لقد أخبرتنا السلطات المحلية

هناك أنهم يشتبهون أن ذلك الرجل كان حلقة اتصال مهمة فى شبكة مخدرات مقرها جامايكا وأن الانفجار ربما يكون قد أعد للتخلص منه . لقد لقي الرجل مصرعه بالطبع " .

أضاف رويس مكنايت : " لا أظن أننا سنعرف الحقيقة أبدا . إن رجال الشرطة هناك ليسوا بهذا القدر من البراعة والتطور . لقد اخترنا أن نحمي عائلاتهما ، وبالنسبة لنا ، لقد كانت مجرد حادثة . فى الحقيقة لسنا على يقين من كيفية التصرف فى هذا الأمر " .

قال لوك : " لا تنطق بكلمة من هذا مع أى شخص . ابتعد عن تارانس ، وإذا اتصل بك مجدداً ، فأخبرنا . هل فهمت ؟ "

" نعم يا سيدى " .

قال تولار : " لا تخبر زوجتك بالأمر " .

أومأ ميتش برأسه .

عاد الحنان الأبوى إلى وجه أوليفر لامبرت . ابتسم وأخذ يقلب نظارة القراءة بين أصابعه . قال : " نحن نعلم أن هذا الأمر مرعب يا ميتش ، ولكننا قد تعودنا عليه . ثق بنا ، ودعنا نتولى هذا الأمر . نحن لا نخشى السيد تارانس ، ولا المباحث الفيدرالية ، ولا مصلحة الضرائب ، ولا أى شخص آخر لأننا ببساطة لم نرتكب أى خطأ . لقد بنى أنطونى بنديني هذه الشركة بالعمل الجاد والموهبة والأخلاقيات التى لا تقبل المساومة . ولقد حُفِرَت تلك الأشياء داخل كل فرد منا . أعلم أن بعض عملائنا لا يتحلون بالأخلاق السامية ، ولكن لا يوجد محام يستطيع أن يملى على عميله الأخلاق الحميدة . نحن لا نريدك أن تشعر بالقلق حيال هذا الأمر . ابتعد عن هذا الرجل ـ إنه رجل فى غاية الخطورة . إذا ظللت تحدثه ، سوف يصبح أكثر جرأة ويسبب لك المتاعب " .

لوح لوك بإصبعه في وجه ميتش وقال : " إن إجراء مزيد من الاتصالات مع تارانس سوف يعرض مستقبلك في هذه الشركة للخطر " .

قال ميتش : " لقد فهمت " .

" إنه يفهم الأمر " قال تولار ذلك بشكل دفاعي . نظر إليه لوك في غضب .

قال السيد لامبرت : " هذا هو كل ما في الأمر يا ميتش . فقط كن حذراً " .

انطلق ميتش ولامار نحو الباب ومنه إلى أقرب سلم .

" اطلب ديفاشر " قال لوك ذلك مخاطباً لامبرت ، الذى كان يتحدث عبر الهاتف . في خلال دقيقتين ، كان الشريكان الأكبر سناً قد عبرا إجراءات الأمن بالطابق الخامس ويجلسان أمام مكتب ديفاشر الذى تعمه الفوضى .

تساءل لوك : " هل كنت تستمع إلينا ؟ "

" بالطبع كنا نستمع إلى المحادثة يا ناث . لقد سمعنا كل كلمة قالها الفتى . لقد عالجتما الأمر بطريقة جيدة . أظن أن الفتى قد أصابه الرعب وسوف يفر هارباً من تارانس إذا قابله " .

" ماذا عن لازاروف ؟ "

" لابد أن أخبره بالأمر . إنه الرئيس على كل حال . لا يمكننا أن نتظاهر أن الأمر لم يحدث " .

" ماذا سيفعلون ؟ "

" لن يتخذوا أى إجراء عنيف . سوف نراقب الفتى طوال الوقت ونتنصت على كل مكالماته الهاتفية ، وننتظر . إنه لن يفعل أى شيء . إن الأمر يرجع إلى تارانس . سوف يعثر على الفتى مرة أخرى ، وفي المرة القادمة سوف نكون هناك . حاولا أن تبقياه بالمكتب أطول وقت

ممكن . عندما يغادر المبنى ، أخبرونا بذلك ، إذا أمكن . لا أظن حقاً أن الأمر بهذا السوء " .

تساءل لوك : " لماذا اختاروا ماكدير ؟ "

" أظن أنها إستراتيجية جديدة . لقد ذهب كوزنسكى وهودج إليهم ، تذكر ذلك . ربما يكونان قد أخبرا الفيدراليين أكثر مما نظن . لا أدرى . ربما ظنوا أن ميتش سيكون أكثر ضعفاً على أساس أنه قد تخرج حديثاً في كلية الحقوق ومازال رأسه الشاب ممتلئاً بالأفكار المثالية . والمبادئ - مثل صديقنا رجل المبادئ - أولى . لقد كان أداؤك التمثيلي في غاية الروعة يا أولى ، في غاية الروعة " .

" اخرس يا ديفاشر " .

توقف ديفاشر عن الابتسام وعضٍ على شفته السفلى غضباً ، لكنه ترك الأمر يمر . نظر إلى لوك قائلاً : " إنك تعلم الخطوة القادمة ، أليس كذلك ؟ إذا استمر تارانس يضغط علينا ، سوف يتصل بى ذلك الغبى لازاروف ويطلب مني أن أزيله من الطريق . أن أسْكِتهُ إلى الأبد . أن أضعه داخل برميل وأن ألقي به في الخليج . وعندما يحدث هذا ، فسوف تبدأون فى التقاعد المبكر أيها السادة المبجلون وستهربون بأموالكم إلى خارج البلاد " .

" لازاروف لن يأمر بقتل ضابط مباحث " .

" أوه ، ستكون خطوة حمقاء ، لكن كلنا يعلم أن لازاروف رجل أحمق . إنه يشعر بالقلق الشديد حيال الموقف هنا . إنه يتصل كثيرا ويسأل كل أنواع الأسئلة . وأنا أعطيه كل أنواع الإجابات الممكنة . أحياناً ينصت لما أقول ، وأحياناً يكتفي بالسب واللعن . أحياناً يخبرنى أنه سيتحدث إلى مجلس الإدارة . لكن إذا أمرنى بالتخلص من تارانس ، فسوف نتخلص من تارانس " .

قال لامبرت : " إن هذا يشعرني بالغثيان " .

" إذا أردت أن تشعر بالغثيان يا أولى ، دع أحد محاميك الصغار يقترب من تارانس ويبدأ فى الحديث إليه ، وأعدك أنك سوف تشعر بشىء أسوأ بكثير من الغثيان . والآن ، أقترح عليكما أن تبقيا ماكدير مشغولاً حتى لا يصبح لديه وقت للحديث عن تارانس " .

قال لامبرت : " اللعنة يا ديفاشر . إن الفتى يعمل لعشرين ساعة فى اليوم . لقد بدأ العمل كالماكينة التى لا تهدأ ومازال على هذه الحال حتى الآن . "

" فقط راقبوه جيداً . اطلبا من لامار كوين أن يقترب منه أكثر ، حتى إذا كان هناك شىء يدور فى رأسه ، ربما يبوح به إلى لامار " .

قال لوك وهو ينظر إلى لامبرت : " فكرة عظيمة . دعنا نجرى حديثاً طويلاً مع لامار كوين . إنه أقرب المحامين إلى ماكدير ، وربما يستطيع أن يقترب منه أكثر " .

قال ديفاشر : " حسناً يا رجال . إن ماكدير يشعر بالخوف الشديد فى هذه اللحظة . هو لن يقدم على أى خطوة . إذا اتصل به تارانس مرة أخرى ، سوف يفعل ما فعله اليوم . سوف يجرى مباشرة إلى لامار كوين . لقد عرفنا من هو موضع ثقته هنا " .

تساءل لوك : " هل أخبر زوجته بالأمر ليلة الأمس ؟ "

" نحن نفحص شرائط التسجيل الآن . سوف يتطلب الأمر ساعة كاملة . إن لدينا الكثير من أجهزة التنصت فى أنحاء المدينة حتى أن الأمر يتطلب منا ستة كمبيوترات للعثور على أى شىء " .

نظر ميتش عبر نافذة مكتب لامار واختار كلماته بحرص . لم يقل سوى القليل . ربما كان تارانس على حق . ربما كان كل شىء يتم تسجيله .

تساءل لامار : " هل تشعر بتحسن ؟ "

" نعم ، أظن ذلك . لقد صارت الأمور مفهومة " .

" لقد حدث هذا من قبل ، مثلما قال لوك " .

" مع مَن ؟ من الذى اتصلت به المباحث الفيدرالية من قبل ؟ "

" لا أذكر . يبدو أن ذلك قد حدث منذ ثلاث أو أربع سنوات " .

" لكنك لا تذكر من الذى تعرض لذلك ؟ "

" كلا . ولكن ما أهمية ذلك الآن ؟ "

" أريد أن أعلم فقط . لا أفهم لماذا اختارونى أنا ، المحامى الجديد ، أقل المحامين الأربعين معرفة بنشاطات هذه الشركة وعملائها . لماذا يختارون شخصاً مثلى ؟ "

" لا أدرى يا ميتش . اسمع ، لماذا لا تفعل كما قال لوك ؟ حاول أن تنسى ما حدث وابتعد عن ذلك الرجل تارانس . أنت لست مضطراً إلى التحدث معه إلا إذا كان يحمل إذناً من المحكمة . أخبره أن يذهب إلى الجحيم إذا ظهر مرة أخرى . إنه رجل خطير " .

" نعم ، أظن أنك محق " . أجبر ميتش نفسه على الابتسام واتجه نحو الباب قائلاً : " نحن مازلنا على موعد العشاء مساء الغد ، أليس كذلك ؟ "

قال لامار : " بالتأكيد . إن كاى ترغب فى شواء شرائح اللحم وتناول الطعام بجوار حمام السباحة . لنجعله عشاء متأخراً ، حوالى السابعة والنصف مثلاً " .

قال ميتش : " أراك حينها إذن " .

١٢

نادى الحارس على اسمه ، وقام بتفتيشه ثم اصطحبه إلى حجرة بها صف من حجيرات صغيرة جلس بداخلها الزائرون ، يتحدثون ويتهامسون عبر حاجز من الأسلاك المعدنية الغليظة .

" رقم أربعة عشر " قال الحارس ذلك وهو يشير بإصبعه تجاه إحدى الحجيرات . سار ميتش نحو الحجيرة الصغيرة ثم جلس بالداخل . ظهر راى بعد دقيقة ، وجلس على مقعد بين حاجزين على الناحية الأخرى من السلك . لولا تلك الندبة فى جبين راى والتجاعيد التى ظهرت أسفل عينيه لظن الناس أنهما توأم . كان كلاهما يبلغ ستة أقدام طولاً ، ويزن تقريباً مائة وثمانين رطلا ، ولهما نفس الشعر البنى الفاتح ، والعينين الزرقاوين الضيقتين وعظام الوجنتين المرتفعة والذقن العريض . لقد قيل لهما وهما صغار إن هناك دماء هندية تجرى فى العائلة ، ولكن البشرة الداكنة قد ضاعت عبر سنوات من العمل فى مناجم الفحم .

لم يقم ميتش بزيارة سجن مقاطعة براشي ماونتين منذ ثلاث سنوات . ثلاث سنوات وثلاثة أشهر تحديدا . لقد كانا يتبادلان الخطابات مرتين شهرياً ، لمدة ثمانية أعوام حتى الآن .

" كيف حال لغتك الفرنسية ؟ " تساءل ميتش أخيراً . كانت الاختبارات العسكرية التى اجتازها راى وهو فى الجيش قد أظهرت

قدرة رائعة على تعلم اللغات . كان قد خدم فى الجيش لمدة عامين كمترجم لغة فيتنامية . وتعلم اللغة الألمانية بطلاقة خلال ستة أشهر عندما كانت وحدته العسكرية متمركزة هناك . أخذت منه اللغة الأسبانية أربعة أعوام ، لكنه تعلمها من قاموس فى مكتبة السجن . أما الفرنسية فكانت آخر مشروعاته .

أجاب راى : " أظن أننى أصبحت أتقنها ، وإن كان من الصعب معرفة ذلك يقيناً فى هذا المكان . لا أجد فرصة لممارسة اللغة . من الواضح أنهم لا يدرسون اللغة الفرنسية فى النشاطات هنا ، ومعظم النزلاء هنا لا يتحدثون سوى لغة واحدة . أظن أن اللغة الفرنسية هى أجمل اللغات بلا منازع " .

" هل هى سهلة التعلم ؟ "

" ليس فى سهولة اللغة الألمانية . بالطبع كان من السهل تعلم اللغة الألمانية بما أننى كنت أعيش هناك وكان الجميع يستخدمونها . هل كنت تعلم أن خمسين بالمائة من لغتنا مشتقة من الألمانية ووصلت إلينا عبر الإنجليزية القديمة ؟ "

" كلا ، لم أكن أعلم ذلك " .

" هذا صحيح . الإنجليزية والألمانية أبناء عمومة " .

" ما هى اللغة الأخرى التى تنوى إتقانها ؟ "

" ربما الإيطالية . إنها لغة رومانسية مثل الفرنسية والأسبانية والبرتغالية . ربما أتعلم الروسية أو اليونانية . لقد كنت أقرأ عن الجزر اليونانية . أخطط للذهاب إلى هناك قريباً " .

ابتسم ميتش . كان يعلم أن راى على بعد سبع سنوات على الأقل من إطلاق السراح المشروط .

تساءل راى : " أتظن أننى أمزح ؟ سوف أخرج من هنا يا ميتش ، ولن يستغرق ذلك وقتاً طويلا " .

" ما هى خططك ؟ "

" لا أستطيع التحدث الآن . لكنى أعمل على تنفيذها " .

" لا تحاول الهروب يا راى " .

" أحتاج إلى بعض المساعدة الخارجية ، وما يكفى من المال لإخراجى من البلاد . سيكون ألف دولار مبلغاً مناسباً . تستطيع أن تدبر ذلك المبلغ . أليس كذلك ؟ لن أورطك فى هذا الأمر " .

" ألا تستمع إدارة السجن إلى هذه المحادثات ؟ "

" أحياناً " .

" دعنا نتحدث عن شىء آخر " .

" بالتأكيد . كيف حال آبى ؟ "

" إنها بخير " .

" أين هى ؟ "

" إنها الآن بدار العبادة . لقد أرادت القدوم معى ، ولكننى أخبرتها أنهم لن يسمحوا لها برؤيتك " .

" أود أن أراها . يبدو من خطاباتك أن حالكما بخير للغاية . منزل جديد ، سيارات ، عضوية النادى الاجتماعى . أنا فخور بك للغاية . إنك الشخص الوحيد فى تاريخ عائلة ماكدير الذى يصل إلى هذه المكانة المرموقة " .

" لقد كان والدانا أناساً صالحين يا راى . لم يكن لديهم أى فرص للنجاح وصادفهم الكثير من الحظ العاثر . لقد قاموا بأفضل ما استطاعوا " .

ابتسم راى وأشاح بوجهه بعيداً وهو يقول : " نعم ، أظن ذلك . هل تحدثت إلى أمك ؟ "

" ليس من وقت قريب " .

" أما زالت تعيش فى فلوريدا ؟ "

" أظن ذلك " .

توقف الحديث وصار كلاهما ينظر إلى أصابعه . كانا يفكران بأمهما . كانت معظمها أفكار مؤلمة . كان هناك بعض الأوقات السعيدة ، عندما كانا صغيرينِ وكان والدهما لايزال حياً . إن أمهما لم تتعاف بعد موته ، وبعد أن قُتِل أخوهما راستى فى الحرب وضعها الأعمام والعمات فى المصحة العقلية .

وضع راى إصبعه على الحاجز وأخذ يتتبع الأسلاك المعدنية وهو يشاهد إصبعه ثم قال : " دعنا نتحدث عن شىء آخر " .

أومأ ميتش برأسه موافقاً . كان هناك الكثير لكى يتحدثا عنه ، لكنها جميعاً كانت أشياء من الماضى ، وكان من الأفضل ترك الماضى وشأنه .

قال ميتش : " لقد ذكرت فى أحد خطاباتك أن أحد زملائك السابقين بالزنزانة يعمل كمحقق فى ممفيس " .

" ايدى لوماكس . لقد كان شرطياً فى ممفيس لمدة تسع سنوات ، حتى أُرسِل إلى السجن بتهمة الاغتصاب " .

" اغتصاب ؟ "

" نعم . لقد واجهته أيام عصيبة هنا . إن المغتصبين ليسوا موقع احترام كبير هنا . علاوة على أنهم يكرهون رجال الشرطة السابقين هنا . لقد كادوا يقتلونه لولا أننى تدخلت لحمايته . لقد خرج من السجن منذ ثلاث سنوات تقريباً ، ومازال يرسل إلىَّ الخطابات بشكل مستمر . إنه متخصص فى قضايا الطلاق والخيانات الزوجية " .

" هل رقمه موجود فى دفتر الهاتف ؟ "

" ٣٨٣٨ ـ ٩٦٩ . ولكن لماذا تحتاج إليه ؟ "

" هناك محام زميل يشك أن زوجته تخونه ، ولكنه لا يستطيع أن يضبطها فى حالة تلبس . هل هذا الرجل جيد فى عمله ؟ "

" إنه يدعى أنه ماهر للغاية . لقد كسب الكثير من المال من عمله هذا " .

" هل يمكننى الوثوق به ؟ "

" أتمزح ؟ قل له إنك أخي وسوف يقتل من أجلك إذا طلبت منه ذلك . سوف يساعدنى في الخروج من هنا ، لكننى لم أفاتحه فى الأمر حتي الآن . ربما يمكنك أن تذكر له ذلك " .

" أتمنى أن تتوقف عن هذه الخطة التى تدور فى رأسك " .

تحرك أحد الحراس ووقف خلف ميتش ثم قال : " باقى ثلاث دقائق على انتهاء الزيارة " .

تساءل ميتش : " ماذا تريد أن أرسل لك ؟ "

" أود أن أطلب منك خدمة كبيرة ، إذا لم تمانع " .

" اطلب أى شيء " .

" اذهب إلى متاجر الكتب وابحث عن شرائط كيف تتحدث اليونانية خلال أربع و عشرين ساعة . إلى جانب قاموس يوناني- انجليزى إذا أمكن " .

" سوف أرسلها لك في الأسبوع القادم " .

" ماذا عن شرائط اللغة الإيطالية ؟ "

" لا توجد مشكلة " .

" لم أقرر بعد ما إذا كنت سأذهب إلى صقلية أم جزر اليونان . هذا الموضوع يشغل تفكيرى كثيراً . لقد طلبت المشورة من حارس السجن ، لكنه لم يساعدنى كثيراً . فكرت فى أن أذهب لسؤال مأمور السجن . ماذا تعتقد أنت ؟ "

ضحك ميتش وهز رأسه : " لماذا لا تذهب إلى استراليا ؟ "

" فكرة عظيمة . أرسل لى بعض الشرائط للغة الاسترالية وقاموساً " .

ابتسم الأخـوان ثـم توقفا . أخـذ كلاهمـا ينظـر إلى الآخـر بحـرص وانتظرا أن يعلن الحارس انتهاء الزيارة . نظر ميتش إلى تلك الندبة في جبهة أخيه وأخذ يفكر في آلاف الحانات وآلاف الشجارات التي قادته في النهاية إلى أن يقتل أحد الأشخاص . قال راى إنها كانت عملية دفاع عن النفس . لسنوات كان ميتش يريد أن يلعن راى لكونه غبياً ، ولكن الغضب قد انتهى مع الوقت . كل ما يريده الآن هو أن يحتضنه ويأخذه إلى المنزل ويساعده على أن يجد عملاً .

قال راى : " لا تشعر بالأسف من أجلي " .

قال ميتش : " آبي تريد أن تكتب إليك " .

" سيكون ذلك لطيفاً . إنني بالكاد أتذكرها كطفلة صغيرة في دانسبورو، حيث كانت تلعب حول بنك والدها في شارع ماين . اطلب منها أن ترسل لى صورة . أريد صورة لمنزلك أيضاً . أنت أول شخص في عائلة ماكدير يمتلك عقاراً خلال المائة عام الماضية " .

" يجب أن أذهب " .

" أريد معروفاً منك . أظنك بحاجة إلى أن تجد أمي ، فقط لكي تتأكد أنها مازالت حية . والآن وبعد أن تخرجت من الجامعة سيكون من اللطيف أن تتصل بها " .

" لقد فكرت في الأمر " .

" فكر به أكثر " .

" بالتأكيد . أراك بعد شهر أو أكثر قليلاً " .

أخذ ديفاشر يدخن سيجاره الفاخر وينفث كمية ضخمة من الدخان أمام جهاز تنقية الهواء في مكتبه ثم أعلن في فخر : " لقد عثرنا على راى ماكدير " .

تساءل أوليفر لامبرت : " أين ؟ "

" فى سجن مقاطعة براشي ماونتين . لقد أدين فى قضية قتل من الدرجة الثانية فى ناشفيل منذ ثمانية أعوام وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً بدون عفو مشروط . اسمه الحقيقى هو رايموند ماكدير ، ويبلغ من العمر واحداً وثلاثين عاماً . ليست لديه عائلة . خدم فى الجيش لمدة ثلاثة أعوام وتم تسريحه بشكل غير مشرف . شخص فاشل للغاية " .

" كيف عثرتم عليه ؟ "

" لقد زاره أخوه الصغير بالأمس . وقد تصادف أننا كنا نراقب ذلك الأخ الأصغر . تذكر أننا نراقبه على مدار أربع وعشرين ساعة " .

" إن قضيته لابد أن تكون فى السجلات العامة . كان ينبغى أن تعثر عليه من قبل " .

" كنا سنعثر عليه يا أولى . لو أن الأمر بهذه الأهمية . لكن هذه المسألة غير مهمة على الإطلاق . إننا نؤدى أعمالنا جيداً " .

" خمسة عشر عاماً ، يا إلهى . من كان القتيل ؟ "

" الضحية المعتادة . بعض السكارى فى حانة يتقاتلون بسبب امرأة . لم يكن هناك سلاح للجريمة على أية حال . تقارير البوليس والتشريح قالت أنه ضرب الضحية بقبضته مرتين فأدى إلى كسر بالجمجمة " .

" لماذا تم تسريحه بشكل غير مشرف من الجيش ؟ "

" عصيان الأوامر . إلى جانب التعدى على أحد الضباط . لا أدرى كيف نجح فى الفرار من المحاكمة العسكرية . يبدو أنه شخصية ملتوية " .

" أنت على حق ، ليس لهذا الأمر أية أهمية . ماذا لديك غير ذلك ؟ "

" ليس الكثير . إن لدينا أجهزة التنصت بالمنزل كما تعلم . لم يذكر اسم تارانس أمام زوجته أبداً . فى الواقع ، نحن نتنصت عليه طوال الوقت ، ولم نسمعه يذكر اسم تارانس لأى شخص " .

ابتسم أولى وأومأ برأسه موافقا . لقد كان فخوراً بماكدير . يا له من محام جيد .

قال أولى : " ماذا عن علاقتهما الزوجية الحميمة ؟ "

" كل ما نستطيع فعله يا أولى هو أن نستمع . لكننا نستمع بشكل مكثف للغاية ، ولا أظنهما قد مارسا العلاقة الحميمة خلال الأسبوعين الماضيين . وهذا شيء متوقع لأن الفتى يمضى ست عشرة ساعة يوميا فى القيام بتلك الأعمال الروتينية المرهقة التى تسندونها إلى المحامين المبتدئين . يبدو أن زوجته قد ضاقت ذرعا بهذا الأمر أيضاً . ربما تنتابها أعراض الوحدة المعتادة بالنسبة لزوجات المحامين المبتدئين . إنها تتصل بأمها كثيراً - مكالمات مدفوعة الأجر ، حتى لا يسجل رقم هاتف والدتها فى فاتورة الهاتف . لقد أخبرت أمها أن ميتش يتغير يوماً بعد يوم إلى نهاية هذا الكلام الفارغ . إنها تعتقد أنه سيقتل نفسه فى العمل الشاق . هذا هو كل ما سمعناه . ولذلك ليس لدىَّ صور يا أولى ، وأنا آسف لأننى أعلم أنك تحب الصور كثيراً وتستمتع بها . فى أول فرصة تسنح لنا ، سوف نحضر لك بعض الصور " .

أطل الغضب من عينى أولى وهو ينظر إلى الحائط ، ولكنه لم يقل شيئاً .

قال ديفاشر : " أنصت إلى يا أولى . أظن أننا نحتاج إلى إرسال ذلك الفتى بصحبة آفرى تولار إلى جزر كايمان فى رحلة عمل . عليك أن ترتب هذا الموضوع " .

" هذا أمر هين . هل لى أن أسأل عن السبب ؟ "

" ليس الآن . سوف تعرف فيما بعد " .

* * *

كان المبنى يقع فى منطقة العقارات ذات الإيجار المنخفض من وسط المدينة ، على بعد مربعين سكنيين من ظلال تلك الأبراج الجديدة المبنية بالحديد والزجاج ، والتى تكدست فى مساحة صغيرة كأن الأراضى الخالية قد صارت أمراً عسيراً فى ممفيس . كان هناك إشارة فوق الباب للفت أنظار أى شخص نحو الطابق الثانى حيث يوجد مكتب ايدى لوماكس ، المحقق الشخصى . كان الإعلان المكتوب على باب المكتب يشير إلى أن المقابلات تتم بمواعيد سابقة ، ويذكر أن المكتب يتولى كافة أعمال التحقيقات ـ إجراءات طلاق ، حوادث ، أقارب مفقودين ، أعمال مراقبة . كان الإعلان المنشور فى سجل الهاتف قد ذكر وجود خبرة سابقة فى مجال الشرطة ، ولكنه لم يذكر نهاية هذه الوظيفة. فقط أدرج قائمة بأعمال التحقيقات التى يتولاها المكتب مثل زرع أجهزة التنصت ، والإجراءات المضادة ، وحضانة الأطفال ، والتقاط الصور ، وأدلة المحاكمات ، والتحليل الصوتى لشرائط التسجيل ، وتحديد موضع الأصول والعقارات ، والمطالبات التأمينية ، ومراجعة الخلفيات الاجتماعية قبل الزواج . وكل هذه الخدمات تقدم بشكل احترافى ومرخص وملتزم بالقوانين ومتاح خلال أربع وعشرين ساعة ، مع وعد بالالتزام الأخلاقى والسرية وراحة البال .

شعر ميتش بالانبهار من كل هذه الثقة بالنفس . كانت المقابلة فى الخامسة مساء ، لكنه وصل قبل ذلك بخمس دقائق . كان هناك سكرتيرة شقراء ، يبدو شعرها أقربٍ إلى اللون الفضى ، ترتدى تنورة قصيرة ضيقة من الجلد وحذاء طويلاً من اللون الأسود ، يتماشى مع لون التنورة . سألته السكرتيرة عن اسمه وأشارت إلى مقعد خشبى برتقالى اللون بالقرب من النافذة . قالت إن ايدى سيكون معه خلال لحظات . أخذ يفحص الكرسى ، ولاحظ وجود طبقة من التراب وعدة بقع بدت

كأنها من الزيت ، ولذلك رفض الجلوس وقال إن ظهره يؤلمه من طيلة الجلوس . هزت تامي كتفيها في عدم اكتراث وعادت إلى مضغ العلكة وكتابة بعض المستندات . أخذ ميتش يخمن ما إذا كان ذلك المستند الذى تكتبه هو تقرير متابعة الخلفية المالية قبل الزواج ، أو ربما مذكرة تفصيلية لعملية مراقبة ، أو لعله خطة هجوم مضادة على أحد الخصوم . كانت طفاية السجائر فوق مكتبها ممتلئة بأعقاب السجائر الملطخة بأحمر الشفاه . وبينما تكتب تامي ، وهو اسمها ، بيدها اليسرى ، قامت اليد اليمنى بسرعة ودقة متناهية بالتقاط سيجارة أخرى ووضعتها بين شفتيها الغارقتين فى أحمر الشفاه ، وفى تناسق بارع نقرت بيدها اليسرى بعض الأحرف فوق الآلة الكاتبة بينما اشتعل عود ثقاب منطلقاً نحو مقدمة تلك السيجارة الطويلة الرفيعة للغاية . عندما انطفأ عود الثقاب ، ضمت الشفتان بشكل تلقائي والتفتا حول السيجارة الرفيعة ، وبدأ الجسم كله فى الاستنشاق . صارت الأحرف كلمات وتحولت الكلمات إلى جمل وأصبحت الجمل فقرات بينما استمرت فى محاولاتها اليائسة لكى تملأ رئتيها بالدخان . أخيراً ، وبعد أن صار هناك بوصة من الرماد تتدلى من السيجارة ، ابتلعت الدخان ، والتقطت السيجارة من بين شفتيها باستخدام إصبعين رائعين طليت أظافرهما باللون الأحمر ثم نفثت الدخان بقوة . اندفعت سحابة الدخان متجهة إلى ذلك السقف الملطخ بالبقع والمصنوع من الجص ، وهناك انضمت إلى سحابة دخان أخرى فى الدوران حول المصباح النيون الذى يتدلى من السقف . أخذت تامي تسعل بطريقة مزعجة ومؤلمة حتى احمر وجهها وصار صدرها يرتج فى عنف بالقرب من الآلة الكاتبة . جذبت قدحا قريباً وابتلعت بعض الشراب ، ثم وضعت فوق شفتيها السيجارة رقم ألف وعادت إلى النقر على الآلة الكاتبة .

بعد دقيقتين ، صار ميتش يخشى أن يختنق بفعل أول أكسيد الكربون المنبعث من دخان سجائرها . لمح ميتش فتحة صغيرة داخل النافذة في جزء من اللوح الزجاجي لم تحتلها العناكب وتقيم فيها شبكاتها لسبب أو لآخر . سار حتى وصل إلى الستائر التى غمرتها طبقات من الأتربة وحاول أن يتنفس باتجاه تلك الفتحة . شعر بالدوار . كان هناك مزيد من السعال المزعج خلفه . حاول أن يفتح النافذة ، لكن طبقات من الدهان المتشقق جعلت ذلك أمراً مستحيلاً .

عندما بدأ ميتش يشعر بالدوار توقف كل من التدخين والكتابة من خلفه .

" هل أنت محام ؟ "

استدار ميتش من أمام النافذة ونظر إلى السكرتيرة . صارت الآن تجلس فوق حافة المكتب ، واضعة ساقاً فوق الأخرى ، وقد ارتفعت تنورتها الجلدية فوق ركبتها . كانت تشرب المياه الغازية الخالية من السكر .

أجاب ميتش : " نعم " .

" فى شركة كبيرة ؟ "

" نعم " .

" لقد اعتقدت ذلك . لقد خمنت ذلك من شكل الحلة التى ترتديها وذلك القميص المهندم محكم الأزرار ورابطة العنق الحريرية . أستطيع دائماً أن أتعرف على المحامين الذين يعملون فى الشركات الكبرى . مقارنة بهؤلاء المحامين الذين يتسولون القضايا ويحومون كالغربان حول قاعات المحاكم " .

بدأ الجو يصفو من الدخان وأصبح بمقدور ميتش أن يتنفس بسهوله . نظر إلى ساقيها بإعجاب ، وكانت قد وضعت ساقيها فى وضع

الهدف منه أن ينظر إليها الآخرون بإعجاب . أما هى فكانت تنظر إلى حذائه .

قال ميتش : " تعجبك الحلُة ،أليس كذلك ؟ "

" أستطيع أن أخمن أنها غالية الثمن ، وكذلك رابطة العنق . لست متأكدة بشأن القميص والحذاء " .

أخذ ميتش يتفحص حذاءها الجلدى الطويل وساقيها ، والتنورة القصيرة والسترة الضيقة حول منطقة الصدر وحاول أن يفكر فى شىء لطيف يقوله لها . أما هى فكانت تستمتع بتلك النظرات المتبادلة بينهما ، وهى ترتشف من عبوة الكولا .

عندما اكتفت من نظراته ، أشارت برأسها نحو باب مكتب ايدى وقالت : " يمكنك أن تدخل الآن . إن ايدى ينتظرك " .

كان المحقق الخاص يتحدث عبر الهاتف ، يحاول أن يقنع رجلاً عجوزا مسكينا أن ابنه منحرف غريب الأطوار . أشار ناحية مقعد خشبى ، فجلس علية ميتش . رأى ميتش نافذتين ، كلاهما مفتوحة على مصراعيها ، فتنفس بشكل أفضل .

بدا التقزز واضحاً على وجه ايدى وغطى السماعة بيده وهو يهمس إلى ميتش : " إنه يبكى " . ابتسم ميتش رغما عنه ، وكأن بكاء هذا الرجل المسكين شيء مثير للضحك .

كان ايدى يرتدى حذاء طويلاً ، مصنوعاً من جلد الثعبان ، ذا حافة مدببة ولون أزرق ، وقميصاً من اللون الأحمر القاتم ، وقد ترك أزرار القميص مفتوحة مما أظهر شعر صدره الكثيف . كان يضع حول عنقه سلسلتين كبيرتين من الذهب ، وثالثة بدت كأنها من الفيروز . كان ايدى يحب الاستماع إلى أغانى توم أو هوبيردنيك أو أحد هؤلاء المطربين من ذوى الشعر الكثيف والعيون السوداء والسوالف الطويلة التى تتدلى حتى الذقون العريضة .

قال ايدى : " معي صور تثبت ما أقول " . ثم أبعد السماعة عن أذنه عندما صرخ الرجل . أخرج خمس صور فوتوغرافية من داخل أحد الملفات ثم دفعها على سطح المكتب حتى سقطت فى حجر ميتش . نعم بالفعل ، لقد كانوا بعض المنحرفين ، أيا كانت أسماؤهم . ابتسم ايدى تجاه ميتش فى فخر . لقد كانت الصور تظهر بعض الأشخاص فوق مسرح يبدو أنه داخل ملهى خاص بغريبى الأطوار والمنحرفين . وضع ميتش الصور فوق المكتب ونظر إلى خارج النافذة . لقد كانت الصور ملونة وذات جودة عالية . من قام بالتقاط تلك الصور لابد أنه كان موجوداً داخل الملهى . أخذ ميتش يفكر فى قضية الاغتصاب التى أدين بها ايدى . ضابط شرطة يدان فى قضية اغتصاب !

وضع ايدى سماعة الهاتف فى عنف وقال : " إذن فأنت ميتشيل ماكدير . سعدت بلقائك " .

تصافحا من فوق طرفى المكتب وقال ميتش : " الشرف كله لى . لقد رأيت راى يوم الأحد " .

" أشعر أننى أعرفك منذ سنين . إنك تشبه راى كثيراً . لقد أخبرنى بذلك من قبل . وأخبرنى كل شىء عنك . أظن أنه قد أخبرك ببعض الأشياء عنى . عملى السابق بالشرطة . الإدانة . قضية الاغتصاب . هل شرح لك أنها كانت قضية اغتصاب قانونى وليس فعلياً ، وأنها صنفت كاغتصاب لأن الفتاة التى أقمت علاقة معها كانت فى السابعة عشرة ، مع أن شكلها كان يوحى أنها فى الخامسة والعشرين ، وأن القضية كلها كانت ملفقة ؟ "

" لقد ذكر راى ذلك . إن راى لا يتحدث كثيراً ، كما تعلم " .

" إن راى شخص رائع . وأنا أدين له بحياتى ، وأعنى ذلك حرفياً . لقد كاد النزلاء يقتلوننى بالسجن عندما اكتشفوا أننى كنت ضابط

شرطة . لقد تدخل راى لحمايتى وحتى عتاة المجرمين قد تراجعوا عن محاولة إيذائى . إن راى قادر على إيذاء الآخرين عندما يرغب بذلك " .

" إن راى هو كل عائلتى " .

" نعم ، أعلم ذلك . إذا زاملت رجلاً لعدة سنوات فى زنزانة طولها ثمانية أقدام وعرضها أحد عشر قدماً ، سوف تعلم كل شىء عنه . لقد كان يتحدث عنك لساعات طويلة . عند حصولى على العفو المشروط كنت تفكر فى دراسة القانون " .

" لقد أنهيت دراستى فى يونيو هذا العام وذهبت للعمل بشركة بنديني ، لامبرت آند لوك " .

" لم أسمع بهذه الشركة من قبل " .

" إنها شركة محاماة تختص بقضايا الضرائب وإجراءات إنشاء المؤسسات ومقرها فى شارع فرونت ستريت " .

" إننى أقوم ببعض الأعمال القذرة لبعض المحامين فى قضايا الطلاق . أعمال مراقبة ، التقاط صور كهذه ، وجمع الأدلة المشينة من أجل المحكمة " . كان يتحدث بسرعة ، وبكلمات وجمل قصيرة متقطعة . وضع حذاءه الطويل الذى يشبه أحذية رعاة البقر فوق المكتب من أجل الاستعراض . أضاف قائلاً : " إلى جانب أننى أساعد بعض المحامين فى عدد من القضايا . إذا عثرت على حادث اصطدام سيارة جيد أو قضية إصابة جسدية ، فسوف أبحث فى الجوار حتى أجد من يعطينى أفضل أتعاب نظير إقناع العميل بتكليفه بالقضية . وبهذه الطريقة استطعت أن أشترى هذا المبنى . هذا هو المكان الذى تجد فيه الأموال ـ قضايا التعويضات . إن هؤلاء المحامين يأخذون أربعين بالمائة من قيمة التعويض . أربعين بالمائة " . أخذ يهز رأسه فى اشمئزاز وكأنه لا يستطيع أن يصدق أن هناك محامين بهذا الجشع يعيشون فى المدينة .

تساءل ميتش : " هل تعمل بالساعة ؟ "

" ثلاثون دولاراً في الساعة ، إلى جانب النفقات . لقد أمضيت ست ساعات بالأمس في شاحنتي خارج فندق هوليداى وأنا أنتظر خروج زوج عميلتي من غرفته بالفندق بصحبة عشيقته حتي أستطيع أن ألتقط له مزيداً من الصور . ست ساعات . أى ما يعادل مائة وثمانين دولاراً لكي أجلس في سيارة أطالع مجلة تافهة وأنتظر . ولقد جعلتها تدفع ثمن عشائي أيضاً " .

أنصت ميتش بتمعن ، كأنه يتمني أن يفعل مثل هذه الأشياء .

أدخلت تامي رأسها داخل الحجرة وقالت إنها ستغادر . تبعتها سحابة كبيرة من الدخان ونظر ميتش إلى النافذة . أغلقت تامي الباب بقوة .

قال ايدى : " إنها فتاة رائعة . ولكنها تعاني من بعض المشاكل مع زوجها . يعمل سائق مقطورة ويظن نفسه المغنى الأسطورة إلفيس بريسلي . لديه نفس الشعر الأسود القاتم ، ونفس التسريحة ، ونفس السوالف ، ويرتدى نفس النظارات الشمسية الغليظة التي كان يرتديها إلفيس . عندما لا يكون على الطريق يقود مقطورته تجده يجلس أمام المقطورة يستمع إلى ألبومات إلفيس ويشاهد تلك الأفلام السخيفة . لقد انتقلوا إلى هنا قادمين من أوهايو حتي يعيش ذلك المهرج بالقرب من قبر إلفيس . خمن ما هو اسم ذلك الرجل " .

" ليس لدى فكرة " .

" إلفيس . إلفيس آرون هيمفيل . لقد قام بتغيير اسمه بشكل قانوني بعد موت إلفيس بريسلي . أحياناً يقوم بتقليد شخصية المطرب وطريقة غنائه في بعض النوادى الرخيصة في المدينة . لقد شاهدت أحد عروضه في إحدى الليالى . كان يرتدى حلة بيضاء ملتصقة بجسده ومفتوحة الأزرار حتي سرته ، وكان ذلك ليبدو شيئاً معقولاً لولا أن

بطنه كانت منتفخة وتتدلى وكأنها بطيخة فاسدة . لقد كان أمرا محزنا . لقد كان صوته مضحكا ، بدا كأنه زعيم من الهنود الحمر يغنى حول نار المعسكر " .

" ما هى المشكلة إذن ؟ "

" النساء . إنك لن تصدق عدد المهووسات وعاشقات إلفيس اللاتى يزرن المدينة . إنهن يتجمعن كالقطعان لكى يشاهدن هذا المهرج وهو يغنى مثل إلفيس . إنهن يلقين إليه بقمصانهن . قمصان واسعة وفضفاضة ، مصنوعة لنساء كبيرة الحجم ، فيمسح جبينه بها ثم يلقيها إليهن مرة أخرى . يعطينه أرقام غرفهن بالفنادق ، ونحن نشك أنه يتسلل إليهن لكى يلعب دور زير النساء ، كما كان يفعل إلفيس . لكنى لم أمسك به متلبسا حتى الآن " .

لم يستطع ميتش أن يفكر كيف يرد على هذا كله . وضع على وجهه ابتسامة بلهاء ، وكأن ما يسمعه قصة لا مثيل لها . قرأ ايدى لوماكس ما يدور بعقله .

قال ايدى : " هل تعانى من مشاكل مع زوجتك ؟ "

" كلا . الأمر ليس من هذا النوع . أريد بعض المعلومات عن أربعة أشخاص . ثلاثة منهم موتى والرابع مازال حياً " .

" يبدو أمراً مثيرا . أنا منصت لك "

جذب ميتش ورقة من جيبه وقال : " من المفترض أن يكون هذا الأمر سرياً للغاية " .

" طبعاً هو كذلك . تماماً مثل سرية العلاقة بينك وبين موكلك " .

أومأ ميتش موافقاً ، لكنه أخذ يفكر فى تامى وإلفيس متسائلا لماذا قص عليه لوماكس هذا الحكاية .

قال ميتش : " لابد أن يتم هذا الأمر بمنتهى السرية " .

" لقد قلت إنه سيكون كذلك . يمكنك أن تثق بى " .

" ثلاثون دولاراً في الساعة ؟ "

" ستكون عشرين بالنسبة لك . لقد أرسلك راى ، أتذكر ؟ "

" أُقدر لك هذا " .

" من هم هؤلاء الأربعة ؟ "

" الموتى الثلاثة كانوا فيما سبق محامين فى شركتنا . روبرت لام وقد لقى مصرعه في حادث صيد فى مكان ما بولاية اركنساس . فى مكان بالجبال هناك . كان مفقودا لمدة أسبوعين ثم عثروا عليه وفى رأسه رصاصة . كان هناك عملية تشريح . هذا هو كل ما أعرفه . أليس كناوس ولقيت حتفها عامٍ ١٩٧٧ في حادث سيارة هنا في ممفيس . من المفترض أن سائقاً مخموراً قد صدمها . جون ميكيل وقد انتحر فى عام ١٩٨٤ . وقد عثروا على جثته في مكتبه ، وكان هناك مسدس ورسالة انتحار " .

" هل هذا هو كل ما تعرفه ؟ "

" نعم "

" ما الذى تبحث عنه ؟ "

" أريد أن اعرف أكثر معلومات ممكنة عن طريقة موت هؤلاء الأشخاص . وما هي الظروف التي أحاطت بكل حالة وفاة ؟ ومن الذى تولى عملية التحقيق في كل حادثة ؟ وما إذا كان هناك أسئلة غامضة أو شكوك " .

" ما الذى تشك به ؟ "

" حتى هذه النقطة ، لا شيء . أنا أشعر بالفضول فقط " .

" أنت تشعر بأكثر من مجرد فضول " .

" حسناً . أنا أشعر بأكثر من الفضول . لكن حتى الآن ، دعنا نترك الأمور عند هذا الحد " .

" معقول للغاية . من هو الشخص الرابع ؟ "

" رجل يدعى واين تارانس . وهو عميل للمباحث الفيدرالية هنا في ممفيس " .

" المباحث الفيدرالية ! " .

" هل يزعجك هذا ؟ "

" نعم ، يزعجني . إنني أتقاضى أربعين دولاراً في التحري عن رجال الشرطة " .

" لا توجد مشكلة " .

" ما الذى تريد معرفته ؟ "

" تحر عنه . منذ متى يعمل في ممفيس ؟ منذ متى يعمل في المباحث الفيدرالية ؟ ما هي سمعته ؟ "

" هذا أمر سهل " .

طوى ميتش الورقة ووضعها في جيبه وهو يقول : " كم سيستغرق هذا الأمر ؟ "

" حوالي شهر " .

" حسناً " .

" ما هو اسم شركتك الذى أخبرتني به ؟ "

" بنديني ، لامبرت آند لوك " .

" هذان الرجلان اللذان لقيا مصرعهما بالصيف ـ " .

" لقد كانا يعملان بالشركة " .

" هل تشتبه في شيء ؟ "

" كلا " .

" لقد أردت أن أتأكد فقط " .

" أنصت إلىَّ يا ايدى . يجب أن تكون شديد الحرص في هذا الأمر . لا تتصل بي في المكتب أو المنزل . سوف أتصل بك بعد شهر تقريبا . أشك أنني مراقب بشكل دقيق " .

" من الذى يراقبك ؟ "

" ليتني كنت أعلم " .

١٣

. . . .

ابتسم آفرى تولار وهو ينظر إلى الوثيقة المطبوعة ثم قال : " خلال شهر أكتوبر كان متوسط الساعات التى حَصَّلْتَهَا إحدى وستين ساعة فى الأسبوع " .

قال ميتش : " لقد ظننت أنها أربع وستون ساعة " .

" واحد وستون رقم جيد . فى الواقع لم يحدث أن كان هناك مثل هذا المعدل الشهرى بالنسبة لمحام فى عامه الأول بالشركة . هل هى ساعات عمل حقيقية ؟ "

" لا يوجد ساعات متداخلة . فى الواقع كنت أستطيع أن أرفع هذا المعدل أكثر من ذلك " .

" كم ساعة تعمل خلال الأسبوع ؟ "

" ما بين خمسة وثمانين وتسعين ساعة . أستطيع أن أُحَصِّل ما يساوى خمساً وسبعين ساعة إذا أردت " .

" ما كنت لأقترح أن تفعل ذلك ، على الأقل ليس الآن . من الممكن أن يسبب ذلك بعض الغيرة داخل الشركة . إن المحامين الصغار يراقبونك عن كثب " .

" أتريد منى أن أبطئ قليلاً ؟ "

" بالطبع لا . أنا وأنت متأخران عن معدلاتنا بمقدار شهر . إنما يقلقنى مسألة العمل لساعات طويلة . مجرد شعور بالقلق ، ليس إلا .

معظم المحامين الجدد يبدأون مثل الماكينات ـ تجدهم يعملون لثمانين أو تسعين ساعة في الأسبوع ـ لكن شعلة حماسهم تخبو خلال بضعة شهور . العمل من خمس وستين ساعة إلى سبعين ساعة أسبوعياً يعد متوسطاً جيداً . لكن يبدو أن لديك قدرة غير عادية على التحمل " .

" أنا لا أحتاج إلى النوم كثيراً " .

" وما هو رأى زوجتك في هذا ؟ "

" وما هو أهمية ذلك ؟ "

" هل تعترض زوجتك على بقائك في العمل لساعات طويلة ؟ "

حدق ميتش في وجه تولار ، وللحظة سرحت أفكاره في ذلك الشجار الذى حدث بالأمس عندما عاد إلى المنزل لتناول العشاء قبل منتصف الليل بدقيقة واحدة . لم يخرج الشجار عن السيطرة ، ولكنه كان الأسوأ حتى الآن ، وكان ينذر بشجارات أخرى تعقبه . لم يقتنع أى منهما برأى الآخر ، وقالت آبى إنها تشعر بوجود السيد رايس في المنزل المجاور أكثر مما تشعر بوجود زوجها .

قال ميتش أخيراً : " إنها تتفهم الوضع . لقد أخبرتها أننى سأصبح شريكاً خلال عامين وسوف أتقاعد قبل أن أبلغ الثلاثين من العمر " .

" يبدو أنك تحاول ذلك بالفعل " .

" أنت لا تشكو من ساعات عملى الطويلة ، أليس كذلك ؟ إن كل ساعة عملت فيها خلال الشهر الماضي كانت في ملفاتك ، ولم يبد عليك القلق حينها من كثرة المجهود الذى أبذله " .

وضع تولار الورقة المطبوعة فوق أحد الرفوف ونظر إلى ميتش متجهما ثم قال : " أنا لا أريدك أن تحترق مبكراً أو تهمل حياتك العائلية " .

بدا غريباً أن يتلقى ميتش نصيحة عائلية من رجل ترك زوجته . نظر إلى تولار بكل الاحتقار الذى استطاع أن يضعه على وجهه وقال :

" أنت لست بحاجة إلى أن تزعج نفسك بما يحدث فى منزلى . وطالما أننى أؤدى عملى جيداً ، عليك أن تشعر بالسعادة " .

مال تولار إلى الأمام فوق المكتب وقال : " اسمع يا ميتش . أنا لست بارعاً للغاية فى هذه الأمور . إن هذا الأمر قادم من سلطات أعلى . إن لامبرت ومكنايت يشعران بالقلق من أنك تقسو على نفسك أكثر من اللازم . أعنى الذهاب إلى العمل فى الخامسة صباحاً كل يوم ، والعمل معظم أيام الأجازات . إن هذا ضغط شديد يا ميتش " .

" ماذا قال لامبرت ومكنايت ؟ "

" لم يقولا الكثير . لا أدرى إن كنت تصدق ذلك أم لا ، لكن هؤلاء الشركاء الكبار يهتمون بك وبعائلتك للغاية . إنهم يريدون محامين سعداء مع زوجات سعيدات . إذا كانت كل الأمور تسير بخير فى المنزل ، فسوف يكون المحامى منتجاً . إن لامبرت على وجه الخصوص يتصرف بشكل أبوى . إنه يخطط للتقاعد خلال سنوات قليلة ، وهو يحاول أن يعيد إحياء أيامه المجيدة من خلالك وخلال المحامين الصغار . لو أنه يطرح الكثير من الأسئلة أو يلقى بعض المحاضرات ، عليك أن تتقبل الأمر بصدر رحب . لقد اكتسب لامبرت الحق أن يكون هو الأب الروحى لهذه الشركة " .

" قل لهم إننى بخير وإن آبى بخير ، وإننا جميعاً سعداء وإننى منتج للغاية " .

" حسناً ، والآن بعد أن انتهينا من هذا ، سوف نذهب أنا وأنت إلى جُزر جراند كايمان بعد أسبوع من الغد . علينا أن نقابل بعض المصرفيين بالجزيرة بالنيابة عن سونى كابس وثلاثة عملاء آخرين . ستكون رحلة عمل بشكل أساسى ، ولكننا دائماً نعرف كيف نقتطع بعض الوقت من أجل الغطس والسباحة . لقد أخبرت رويس مكنايت

أننى أحتاج إليك هناك ، وقد وافق على الرحلة . لقد قال إنك ربما تكون بحاجة إلى بعض الترفيه والراحة . هل تريد الذهاب ؟ "

" بالطبع . لقد كان الأمر مفاجئاً فقط " .

" إنها رحلة عمل ، ولذلك لن نصطحب زوجاتنا . لقد شعر لامبرت بالقلق من أن يخلق ذلك مشكلة فى منزلك " .

" أظن أن السيد لامبرت يقلق كثيراً بلا داع حول ما يحدث فى منزلى . أخبره أننى أسيطر على كل شىء . لا توجد أى مشكلة " .

" إذن فسوف تأتى معى ؟ "

" بالتأكيد ، سوف آتى . كم سنمكث هناك ؟ "

" يومين تقريباً . سوف نقيم فى إحدى استراحتى الشركة . ربما يقيم سونى كابس فى الاستراحة الأخرى . أحاول أن أجعلهم يسمحون لنا باستخدام طائرة الشركة ، ولكن قد نضطر إلى السفر من خلال إحدى شركات الطيران " .

" لا أمانع فى ذلك " .

كان هناك مسافران فقط يرتديان رابطات العنق على متن الطائرة ٧٢٧ الخاصة بشركة طيران كايمان والقادمة من ميامى ، وبعد الكأس الأولى من الشراب الذى قدمه طاقم الطائرة كنوع من التحية ، نزع آفرى تولار رابطة عنقه ودسها داخل جيب معطفه . كانت المضيفة التى قدمت إليهما الشراب ذات بشرة خمرية جميلة تميز سكان جزيرة كايمان وكانت ذات عينين زرقاوين وابتسامة رائعة . وقد علق تولار أكثر من مرة قائلا إن نساء الجزيرة جميلات للغاية .

جلس ميتش بالقرب من النافذة وحاول أن يخفى تلك الإثارة التى يشعر بها فى أول رحلة له خارج البلاد . كان قد عثر على كتاب عن جزر كايمان فى إحدى المكتبات . كان هناك ثلاثة جزر ، جراند كايمان

وهي الأكبر حجماً ، ثم ليتل كايمان وكايمان براك . كانت الجزيرتان الأصغر حجماً لا يسكنهما غير عدد قليل من السكان ونادراً ما يزورهما السائحون . أما جراند كايمان فكان عدد سكانها يبلغ ثمانية عشر ألف نسمة ، وبها اثنا عشر ألف مؤسسة مسجلة ، وثلاثمائة بنك . كان توزيع السكان مقسم إلى عشرين بالمائة من البيض ، عشرين بالمائة من السود ، أما الستون بالمائة الباقية فلم تكن تعرف أصولها العرقية ولم تكن تهتم كثيراً بذلك . وقد أصبحت جورج تاون ، العاصمة ، ملاذا دولياً للحماية من الضرائب حيث أصبحت بنوكها تتعامل بسرية تشبه سرية البنوك السويسرية . لم يكن هناك ضريبة دخل ، أو ضريبة مؤسسات ، ولا ضريبة زيادة رأس المال ، أو ضرائب العقارات والهبات . وقد مُنِحَت شركات محددة وعدد من المستثمرين إعفاءات من الضرائب تصل إلى خمسين سنة . كانت الجزر تحت السيادة البريطانية وبها حكومة مستقرة بشكل غير عادى . وكانت الضرائب المفروضة على الواردات وعائدات السياحة هي أهم مصدر لتمويل الإنفاق الحكومى الضرورى . تكاد تخلو الجزر من الجرائم ونسبة البطالة معدومة .

تبلغ مساحة جراند كايمان ثلاثة وعشرين ميلاً طولاً وثمانية أميال عرضا في بعض المناطق ، لكن عند النظر إليها من أعلى على متن الطائرة كانت تبدو أصغر حجماً بكثير . كانت تبدو كصخرة صغيرة تحيط بها مياه صافية بدت أشبه بالياقوت الأزرق .

بدا كأن الطائرة سوف تهبط داخل بحيرة صغيرة ولكن ظهر ممر صغير من الإسفلت في اللحظة الأخيرة وأحاط بالطائرة أثناء هبوطها . نزل ميتش وتولار من الطائرة وشقا طريقهما عبر الجمارك . اختطف طفل أسود حقائب ميتش ووضعها إلى جانب حقائب تولار داخل صندوق سيارة تاكسى من طراز فورد ١٩٧٢ . أعطاه ميتش إكرامية سخية .

" شاطئ سفن ميلز" قال تولار ذلك مخاطباً السائق .

أجاب السائق : " حسناً يا صديق " . انطلق السائق بالسيارة متجها نحو جورج تاون . كان الراديو يبث بعض الموسيقى المحلية ، بينما أخذ السائق يهتز ويتمايل وهو ينقر بأصابعه نقرات إيقاعية فوق عجلة القيادة . كان يسير على الناحية العكسية من الطريق ، ولكن كانت كل السيارات الأخرى تفعل ذلك . استرخى ميتش داخل المقعد البالى ووضع إحدى قدميه فوق الأخرى . لم يكن بالسيارة أى مصدر للهواء سوى النوافذ المفتوحة . اندفع الهواء الاستوائى الرطب عبر النافذة وصار يرتطم بوجهه ويطير خصلات شعره . أحس ميتش بشعور رائع .

كانت الجزيرة مستوية ، وامتلأ الطريق إلى جورج تاون بسيارات صغيرة الحجم من الطراز الأوروبى ، والدراجات العادية والبخارية . أما المنازل فكانت صغيرة ، من طابق واحد ، وأسطحها مغطاة بالقصدير ومطلية بألوان زاهية براقة . كانت حدائق المنازل صغيرة وبها قليل من العشب ، لكنها كانت مرتبة ونظيفة . وكلما اقتربوا من المدينة تحولت المنازل الصغيرة إلى متاجر كبرى ، ومبان بيضاء بارتفاع طابقين أو ثلاثة ، حيث وقف السائحون يحتمون من الشمس الحارقة أسفل ظلالها . انعطف السائق بشكل حاد وفجأة صاروا فى وسط مركز المدينة المزدحم بالمبانى الشاهقة التى تحتلها البنوك .

تقمص تولار دور المرشد السياحى وقال : " هناك بنوك هنا من كل بلدان العالم . من ألمانيا ، فرنسا ، بريطانيا العظمى ، كندا ، اسبانيا ، اليابان والدانمارك . ثلاثمائة بنك حسب الإحصاء الأخير . لقد أصبحت الجزيرة ملاذا من الضرائب . إن مسئولى البنوك هنا يعملون بهدوء وسرية تامة . لقد تفوقوا على السويسريين فى السرية والكتمان " .

أبطأ التاكسى خلال ازدحام مرورى ، وتوقفت نسمات الهواء المنعشة . قال ميتش : " إننى أرى الكثير من البنوك الكندية " .

" هذا المبنى هناك هو بنك مونتريال الملكى . سوف نأتى إلى هنا فى العاشرة صباحا . معظم أعمالنا سوف تتم مع بنوك كندية " .

" هل من سبب محدد لذلك ؟ "

" إنها بنوك آمنة للغاية وفى شدة التكتم " .

انعطفت السيارة من الشارع المزدحم إلى داخل طريق مزدحم آخر . ومن خلف التقاطعات التى تفصل الشوارع والمبانى لاحت أمواج البحر الكاريبى الزرقاء فى الأفق . كان هناك سفينة رحلات ترسو فى داخل الخليج .

قال تولار : " هذا هو خليج هوجستى باى . كان القراصنة يرسون بسفنهم فى هذا المكان منذ ثلاثمائة عام . لقد كان القرصان العظيم بلاكبيرد يطوف حول هذه الجزر وكان يخفى غنائمه بالقرب منها . لقد عثروا على بعض هذه الكنوز منذ عدة سنوات فى كهف يوجد فى شرق هذا المكان بالقرب من مدينة بودين " .

أومأ ميتش كأنه يصدق هذه الحكاية ، وظهرت ابتسامة السائق فى المرآة الخلفية .

مسح تولار العرق من فوق جبهته وقال : " لقد كان هذا المكان دائما ما يجذب القراصنة . فى الماضى كان بلاكبيرد ، والآن صار قراصنة العصر الحديث من هؤلاء الذين ينشئون مؤسسات ويقومون بإخفاء أموالهم هنا . أليس كذلك يا صديقى ؟ "

أجاب السائق : " نعم يا صديقى " .

قال تولار : " هذا هو شاطئ سيفين مايل ، أحد أجمل وأشهر الشواطئ فى العالم . أليس كذلك يا صديقى ؟ "

أجاب السائق " نعم يا صديقى " .

أردف تولار : " رماله بيضاء ناصعة ومياهه دافئة وصافية ، ونساؤه دافئات وحسناوات ، أليس كذلك يا صديقى ؟ "

أجابه السائق : " نعم يا صديقى " .

تساءل تولار : " هل سيقدمون حفل العشاء بالخارج هذه الليلة فى بالمز ؟ "

" نعم يا صديقى . فى الساعة السادسة " .

" سيكون ذلك بجانب استراحة الشركة . إن بالمز هو فندق شهير وتجرى أكثر الاحتفالات إثارة ومتعة على شاطئه " .

ابتسم ميتش وشاهد الفنادق وهى تمر أمام عينيه . أخذ يتذكر أن لامبرت أخذ يلقى عليه محاضرة أثناء المقابلة التى عقدها معه فى هارفارد كان مفادها أن هذه الشركة تنزعج للغاية من حالات الطلاق ومطاردة النساء وشرب الكحوليات . ربما لم يحضر آفرى تولار أحد هذه المحاضرات . وربما حضرها .

كانت استراحتا الشركة تقعان فى منتصف شاطئ سيفين مايل ، إلى جانب استراحات أخرى وفندق بالمز . وكما توقع ميتش ، كانت الاستراحات التى تملكها الشركة متسعة للغاية ومزدانة بأفخر الأثاث . قال تولار إن ثمن كل استراحة يتخطى نصف المليون ولكنهما غير معروضتين للبيع ، أو التأجير . لقد كانتا ملاذا مخصصا للمحامين المرهقين فى العمل بشركة بنديني ، لامبرت آند لوك . وقلة مختارة من عملاء الشركة .

من شرفة غرفة النوم بالطابق الثانى ، أخذ ميتش يشاهد القوارب الصغيرة وهى تسبح مع التيار بلا وجهة فوق صفحة الماء المتلألئ . بدأت الشمس رحلة هبوطها نحو البحر ، وأخذت الأمواج الصغيرة تعكس أشعة الشمس فى كل اتجاه . أخذت سفينة الرحلات تتحرك فى بطء بعيداً عن الجزيرة . اندفع مئات من الناس نحو الشاطئ ، يركلون الرمل ، ويسبحون فى الماء ، ويطاردون سرطانات البحر ويشربون العصائر الاستوائية المنعشة . بدأت الضربات الإيقاعية التى تميز

موسيقى الكاريبى تنساب إلى الآذان من فندق بالمز ، حيث امتدت حانة كبيرة من القش مفتوحة الأبواب ومكشوفة السقف تجذب أعداداً كبيرة من المصطافين كأنها مغناطيس قوى . ومن كوخ قش بالقرب من الحانة أخذ المصطافون يستأجرون معدات الغطس ، والقوارب الصغيرة وكرات الشاطئ .

خطا تولار إلى داخل الشرفة يرتدى سروالاً قصيراً من اللونين الأصفر والأخضر ورسمت فوقه الأزهار . كان جسده قوياً ورشيقاً وخالياً من أية ترهلات . كان يمتلك حصة من أسهم ناد رياضى فى ممفيس وكان يواظب على التدريب فيه كل يوم . من الواضح أن النادى به بعض معدات اكتساب السمرة . كان ميتش مبهورا .

قال تولار : " هل يعجبك ملبسى ؟ "

" رائع للغاية . إنه مناسب للمكان بشكل جيد " .

" لدى سروال آخر إذا كنت تريد مثله " .

" كلا ، شكراً . سوف أتمسك بسروال نادى ويسترن كينتاكى الرياضى " .

أخذ تولار يرتشف شرابه ويتطلع إلى منظر الأفق وهو يقول : " لقد حضرت إلى هنا عشرات المرات ، ومازلت أشعر بالإثارة فى كل مرة . لقد فكرت أن أتقاعد وأعيش فى هذا المكان يوما ما " .

" سيكون ذلك رائعا . سيكون بإمكانك أن تتمشى على الشاطئ وتطارد سرطان البحر " .

" وأن ألعب الدومينو وأتناول مشروب ريد سترايب الاستوائى . هل جربته من قبل ؟ "

" لا أظن ذلك " .

" هيا لنشرب سوياً " .

كان الملهى المفتوح الموجود على الشاطئ يسمى رومهيدس . كان يمتلئ بالسائحين وبعض السكان المحليين الذين جلسوا فوق موائد خشبية يلعبون الدومينو . شق تولار طريقه عبر الأجساد المتدافعة وعاد يحمل زجاجتين . وجدا مقعداً شاغراً بجانب طاولة تجرى فوقها مباراة فى الدومينو .

قال تولار : " أظن أن هذا هو ما سوف أفعله عندما أتقاعد . سوف آتى إلى هنا وألعب الدومينو طيلة النهار . وسوف أتناول هذا المشروب الاستوائى " .

" إنه مشروب جيد " .

" وعندما أملّ لعب الدومينو ، سأمارس لعبة رشق السهام " . أشار إلى أحد الأركان حيث يقف مجموعة من الرجال الانجليز السكارى يرشقون السهام نحو لوحة خشبية ويتشاجرون . أكمل تولار يقول : " وعندما أسأم رشق السهام ، حسناً ، من يعلم ماذا سأفعل بعد ذلك . بعد إذنك " . اتجه نحو طاولة عند الشرفة الأمامية حيث جلست فتاتان جميلتان ترتديان ملابس البحر . قدم نفسه إليهما ، وطلبتا منه أن يجلس . طلب ميتش زجاجة أخرى من المشروب ثم اتجه ناحية الشاطئ . وعلى مسافة بعيدة ، كان بإمكانه أن يرى مبنى بنك جورج تاون . وإلى ذلك الاتجاه سار ميتش .

وُضِعَ الطعام على موائد مطوية حول حمام السباحة . السمك المنشارى المشوى ، لحم سمك القرش المدخن ، اسماك البومبانو ، الجمبرى المقلى ، السلاحف والمحار ، سرطان البحر وأسماك البلطى الحمراء . كان الطعام كله من البحر ، وكله طازج . تجمع الضيوف حول الموائد وقدموا الطعام لأنفسهم بينما كان السقاة يروحون ويغدون حاملين جالونات من الشراب . كان الجميع يتناول الطعام على موائد

صغيرة فى ساحة تطل على ملهى رومهيدس والبحر من خلفه . وكانت إحدى فرق الموسيقى تعزف الألحان الاستوائية . غابت الشمس خلف إحدى السحب ، ثم اختفت فى الأفق البعيد .

تبع ميتش تولار خلال القاعة ، وكما توقع ، إلى مائدة جلست عليها الفتاتان تنتظران . كانت الفتاتان شقيقتين ، وكانت كلتاهما فى نهاية العشرينات من العمر ، وكانت كلتاهما مطلقتين ، وكلتاهما طائشتين . كانت الفتاة التى تدعى كارى قد بدت منجذبة إلى تولار ، أما الأخرى ، وتدعى جوليا ، فبدأت على الفور فى النظر إلى ميتش . تساءل ميتش ماذا قال لهما تولار عن نفسه وعن ميتش .

" أرى أنك متزوج " همست جوليا بذلك وهى تتحرك لكى تجلس بجانب ميتش .

" نعم ، وسعيد فى زواجى " .

ابتسمت وكأنها قد قبلت التحدى . تبادل تولار وفتاته الغمزات . أمسك ميتش بزجاجة الشراب وتجرعها دفعة واحدة .

أخذ يأكل طعامه بغير شهية ولم يستطع أن يفكر فى أى شىء سوى آبى . سيكون من الصعب أن يشرح لها هذا الأمر ، إذا أصبح من الحتمى أن يشرح لها . أن يتناول العشاء مع امرأتين جميلتين ترتديان ملابس مغرية للغاية . سيكون من المستحيل أن يشرح لها ذلك . أصبحت المحادثة محرجة ، ولم يضف ميتش أى كلمة أخرى . وضع أحد السقاة إبريقاً من الشراب فوق المائدة ، وبسرعة فرغ الإبريق مما فيه . أصبح تولار مزعجاً . أخبر السيدتين أن ميتش كان يلعب فى فريق نيويورك جيانتس لكرة القدم ، وأنه قد ربح جائزة أحسن لاعب مرتين ، وأن ميتش كان يكسب مليون دولار فى السنة قبل أن تضطره إصابة بالركبة إلى أن يغير مستقبله المهنى . هز ميتش رأسه وأخذ يشرب أكثر . نظرت إليه جوليا فى إعجاب واقتربت منه أكثر .

تغير اللحن الذى تعزفه الفرقة وعلا صوت الموسيقى أكثر ، وبدا من الواضح أن وقت الرقص قد حان . تحرك نصف الحشد إلى ساحة رقص خشبية أسفل شجرتين ، فيما بين حمام السباحة والشاطئ . " هيا لنرقص " . صرخ تولار ، وجذب فتاته من ذراعها . اندفعا يركضان بين الموائد وسرعان ما اختفيا داخل زحام السائحين المترنحين والمتمايلين مع الموسيقى .

شعر ميتش بالفتاة تقترب منه أكثر ، ثم أصبحت يدها فوق ساقه . تساءلت : " أتريد أن ترقص ؟ "

" كلا " .

" جيد . ولا أنا أيضا . ماذا تحب أن تفعل ؟ " التصقت به واضعة يدها الأخرى فوق ذراعه ورسمت على وجهها أكثر الابتسامات إغراء ، وصار وجهها على بعد بوصة واحدة من وجهه .

" أنا لا أخطط أن أفعل أى شيء " قال ميتش ذلك وهو يزيح يدها بعيدا عن ساقه .

" أوه ، بحق السماء . هيا نمرح قليلاً . إن زوجتك لن تعرف أبداً " .

" استمعى إلىّ ، إنك فتاة رائعة الجمال ، لكنك تضيعين وقتك معى . مازال الوقت مبكرا . ولديك الكثير من الوقت لكى تجدى لنفسك رفيقاً آخر " .

" أنت لطيف للغاية " .

عادت يدها فوق ساقه مرة أخرى ، وأخذ ميتش يتنفس بقوة ثم قال : " لماذا لا تذهبين إلى الجحيم ! "

قالت وهى تسحب يدها : " ماذا تقول ؟ "

" قلت ، اذهبى إلى الجحيم " .

تراجعت للوراء وهى تقول : " ما هى مشكلتك ؟ "

" لـدى شـعور بـالاشمئزاز مـن الأمـراض المعديـة . اذهبـى إلى الجحيم " .

" لماذا لا تذهب أنت إلى الجحيم ! "

" هذه فكرة رائعة . أظن أننى سوف أذهب من هنا على الأقل . لقد استمتعت بتناول الطعام معك " .

اختطف ميتش زجاجة الشراب وانطلق يمر بـين المتراقصين حتـى وصل إلى المقصف . طلب زجاجة من المشروب الاستوائي وجلس بمفـرده فى ركن مظلم من الشرفة . كان الشاطئ أمامه مهجـورا . تألقـت أضـواء عشرات القوارب التى تسير ببطء على صفحة الماء . ومن خلفـه انطلقت أصوات الأطفال الحفاة وهـم يرقصـون وضـحكات ليـالى الكـاريبى التـى تفيض بالحياة . أخذ يفكر ، كم رائع هذا ، لكنه سيكون أروع إذا كانت آبى بصـحبته . ربمـا يمضـون الإجـازة هنـا فـى الصـيف القـادم . كانـا يحتاجان بعض الوقت معـا ، بعيـدا عـن المنـزل والمكتـب . لقـد صـارت هنـاك مسـافة بينهمـا ـ مسـافة لم يعـرف كيـف يفسـرها . مسـافة لم يستطيعا أن يناقشاها لكن كليهما كان يشـعر بهـا . مسـافة كـان يحـس بالخوف منها .

" ما الذى تشاهده ؟ " أفزعه الصوت . سارت تتهادى تجاه الطاولة ثم جلست بجانبه . قالت ملامحها إنها من سكان الجزيرة ، ببشـرتها الداكنة وعينيها الزرقاوين أو الفيروزيتين . كان من المستحيل أن يتـبين لونهما خلال الظلام . لكنهما كانتا عينين جميلـتين ، يملؤهمـا الـدفء والبراءة . كان شعرها الأسود المموج معقـوص إلى الخلـف ويتـدلى حتـى خاصـرتها . كانـت مزيجـا مـثيرا مـن السـود ، والبـيض ، وربمـا اللاتينيين . وربما أكثر من ذلـك . كانـت ترتـدى ثـوب سـباحة أبـيض اللون من قطعة علوية بالكاد تغطى صـدرها ، وتنـورة طويلـة مزركشـة

الألوان بها شق جانبي من أول الخصر ، أظهرت كل ساقيها عندما جلست ووضعت ساقا فوق الأخرى . وكانت حافية القدمين .

قال ميتش : " لا شيء في الواقع " .

كانت صغيرة السن ، ولها ابتسامة طفولية تكشف عن أسنانها الجميلة . تساءلت : " من أين أنت ؟ "

" الولايات المتحدة " .

اتسعت ابتسامتها وقالت : " بالتأكيد أنت من الولايات المتحدة . كنت أقصد أين تعيش في الولايات المتحدة ؟ " كانت تتحدث بإنجليزية محددة ورقيقة وناعمة في لكنة سكان الكاريبي .

أجاب ميتش : " ممفيس " .

" هناك أناس كثيرون يأتون إلى هنا من سكان ممفيس . الكثير من محبي الغوص " .

تساءل ميتش : " هل تعيشين هنا ؟ "

" نعم . طيلة حياتي . أمي من سكان الجزيرة . أما أبي فهو من انجلترا . لقد رحل الآن . عاد إلى المكان الذى جاء منه " .

تساءل : " هل تودين شرابا ؟ "

" نعم . صودا بالليمون " .

وقف أمام المقصف وانتظر الشراب . أحس بشعور غريب وعصبي يضطرب في أمعائه . كان بإمكانه أن يندس داخل الظلام ، يختفي داخل جموع المتراقصين وينطلق في طريقه إلى الاستراحة حيث الأمان . بإمكانه أن يغلق الباب ويقرأ كتاباً عن البلاد التي تعتبر ملاذاً دولياً من الضرائب . لكن ذلك سيكون مملاً للغاية . إلى جانب أن تولار لابد أن يكون هناك في هذه اللحظة بصحبة صديقته المثيرة . هذه الفتاة لا تمثل أية خطورة ، هكذا أخبره عقله المشوش بفعل الصخب والموسيقى التي

تحيطه . قال لنفسه إن كل ما سيفعله هو أن يجلس معها قليلاً ثم يودعها ويذهب .

عاد يحمل الشراب وجلس على الطرف الآخر من الفتاة ، فى أبعد مكان ممكن . لقد كانا بمفردهما فى الشرفة الأرضية .

تساءلت : " هل أنت غواص ؟ "

" كلا . لا أظنك ستصدقين ذلك ، ولكنى هنا فى رحلة عمل . أعمل محامياً ولدى اجتماع مع بعض مسئولى البنوك غداً صباحا " .

" كم ستظل هنا ؟ "

" يومين " كان يتحدث بأدب ولكن بكلمات مختصرة . كلما قل كلامه ، أصبح أكثر أماناً . وضعت ساقاً فوق الأخرى وابتسمت فى براءة . أحس ميتش بالضعف .

تساءل : " كم تبلغين من العمر ؟ "

" عشرين عاماً ، واسمى إيلين . أنا كبيرة بما يكفى " .

" أنا ميتش " . أخذت أمعاؤه تضطرب وأحس ببعض الدوار . أخذ يتجرع شرابه بسرعة ، واختطف نظرة سريعة إلى ساعته .

أخذت تشاهده وعلى وجهها نفس الابتسامة المغرية . قالت : " أنت وسيم للغاية " .

إن الموقف لا يزال بريئاً . عليك أن تظل هادئاً ، هكذا أخبر نفسه ، عليك أن تظل هادئاً .

قال : " شكراً لك " .

" هل أنت رياضى ؟ "

" نوعا ما . لماذا تسألين ؟ "

" تبدو كشخص رياضى . عضلاتك قوية وجسمك صلب " . لقد كانت الطريقة التى نطقت بها تلك الكلمات هى التى جعلت أمعاءه تضطرب

مرة أخرى . نظر إلى جسدها فى إعجاب وحاول أن يفكر فى عبارة مجاملة بريئة يستطيع أن يقولها لها . لم يجد شيئاً .

" أين تعملين ؟ " تساءل فى محاولة منه لتغيير دفة الحديث إلى منطقة أقل حساسية .

" أعمل موظفة فى متجر مجوهرات بالمدينة " .

" أين تسكنين ؟ "

" فى جورج تاون . أين تقيم أنت ؟ "

" فى استراحة بجانب الفندق " أشار برأسه باتجاه الاستراحة ، ونظرت إلى يسارها . كانت تريد أن ترى الاستراحة ، يمكنه تخمين ذلك . أخذت ترتشف شرابها .

تساءلت : " لماذا لست فى الحفلة ؟ "

" لست من هواة الحفلات " .

" هل يعجبك الشاطئ ؟ "

" إنه رائع " .

عادت الابتسامة مرة أخرى وهى تقول : " إنه يبدو أجمل فى ضوء القمر " .

لم يستطع أن يرد على عبارتها .

قالت : " هناك ملهى أفضل على بعد ميل على طول الشاطئ . دعنا نتمشى إلى هناك " .

" لا أدرى ، ربما يجب أن أعود . هناك بعض الأعمال التى يجب أن أقوم بها قبل الصباح " .

ضحكت ووقفت على قدميها وهى تقول : " لا أحد يذهب للنوم فى هذه الساعة المبكرة فى جزر كايمان . هيا . أنا مدينة لك بشراب " .

" كلا . أُفَضِل ألا أفعل " .

جذبته من يده ، وتبعها إلى خارج الشرفة واتجها نحو الشاطئ .
سارا في صمت حتى أصبح فندق بالمز بعيداً عن الرؤية وصار صوت الموسيقى يخفت . ارتفع القمر في كبد السماء وأمسى أكثر بريقا في هذه اللحظة ، وكان الشاطئ مهجورا . ضغطت شيئا ما وأزالت تنورتها ، تاركة قطعة صغيرة من الملابس حول خصرها وسروالا صغيرا يغطى أعلى ساقيها . أخذت تكور التنورة وألقت بها على الرمال ، ثم أمسكت بيده .

أمره صوت خفي أن يجرى . أن يلقى بزجاجة الشراب في المحيط . وأن يجرى كأنه يفر من الموت . أن يجرى إلى الاستراحة . أن يغلق الباب . أن يغلق النوافذ . أن يجرى . ويجرى . ويجرى .

ثم قال له صوت آخر أن يسترخي . إنه مرح برىء . ليسبح قليلاً . وإذا حدث شيء ما ، فليستمتع به . لن يعرف أحد بذلك أبداً . إن ممفيس على بعد آلاف الأميال . وحتى تولار لن يعرف . ماذا يمكنه أن يقول ؟ إن كل الناس يفعلون ذلك . لقد حدث ذلك معه من قبل أثناء الدراسة في الجامعة ، قبل أن يتزوج لكن بعد خطوبته إلى آبى . كان قد ألقي باللائمة على شعوره بالاكتئاب ، وقد نجا من الأمر دون أن يترك تأثيرا كبيراً على علاقته بآبى . لقد تكفل الزمن بنسيان ذلك . إن آبى لن تعرف أبداً .

وعاد الصوت الأول ينادى ، اجر ، اجر ، اجر .

سارا لأكثر من ميل ولم يظهر أى ملهى على مرمى البصر . لقد أصبح الشاطئ أكثر إظلاما . غطت سحابة ضوء القمر وكأنها تزيد الأمر سوءاً . لم يريا أى شخص منذ أن غادرا الملهى . جذبت يده تجاه مقعدين بلاستيكيين على الشاطئ بالقرب ن الماء وقالت : " دعنا نستريح " . أنهى ميتش شرابه .

قالت : " إنك لم تتحدث كثيراً " .

" ماذا تريدين منى أن أقول ؟ "

" أتظن أننى جميلة ؟ "

" أنت جميلة للغاية . ولديك جسم جميل أيضاً " .

جلست على حافة الكرسى وأخذت تضرب الماء بقدميها ثم قالت :
" دعنا نسبح قليلاً " .

" أنا ، أوه ، لا أظن أننى سأستمتع بذلك " .

" هيا يا ميتش . أنا أحب الماء " .

" اذهبى أنت . سأكتفى بالمشاهدة " .

سارت ببطء نحو الماء . لم يعد لباس البحر الذى ترتديه يخفى شيئاً . وصار شعرها الأسود الطويل يتدلى حتى خصرها فى نعومة . خاضت داخل الماء حتى غطت المياه ركبتها ، ثم استدارت تواجه الشاطئ .

" هيا يا ميتش . إن الماء دافئ للغاية " .

وضعت على وجهها تلك الابتسامة الرائعة واستطاع ميتش أن يراها من الشاطئ . وكان يشعر بالخدر والضعف . سيحتاج الهرب إلى قوة لا يستطيع أن يستجمعها . أراد أن يجلس فى مكانه وربما تختفى هى من تلقاء نفسها . ربما تغرق فى البحر . ربما يصبح المد وحشا كاسرا يمد يده وينتزعها إلى أعماق البحر .

" هيا يا ميتش " .

خلع قميصه وخاض بقدميه داخل الماء . شاهدته وعلى وجهها ابتسامة ، وعندما وصل إليها ، أمسكت بيده وقادته نحو الماء العميق . وضعت ذراعيها حول عنقه وقبلته .

" لا أستطيع أن أفعل هذا " . تمتم ميتش من وراء أسنانه التى كان يجز عليها .

" ماذا قلت يا ميتش ؟ "

صرخ قائلاً : " لا أستطيع أن أفعل هذا " .
" ولكننى أريدك " .
" لا أستطيع أن أفعل هذا " .
" هيا يا ميتش . لن يعرف أحد بذلك " .
ترددت كلماتها داخل رأسه . لن يعرف أحد بذلك . لن يعرف أحد بخيانته لزوجته . سار نحوها ببطء وهو يقول لنفسه ، لن يعرف أحد .

كان هناك صمت تام فى المقعد الخلفى للسيارة الأجرة حيث اتجه المحاميان نحو جورج تاون . كانا متأخرين عن الموعد . ناما لوقت طويل وفاتهما الإفطار . ولم يشعر أى منهما أنه بخير . وبدا تولار مرهقا بشكل خاص . كانت عيناه متورمتين وكان وجهه شاحباً . ولم يجد الوقت لكى يحلق ذقنه .
توقف السائق فى ازدحام مرورى أمام بنك رويال بانك ـ أوف مونتريال . كانت الحرارة والرطوبة خانقتين بالفعل .
كان راندولف أوسجود ، مدير البنك ، رجلا ممتلئ الجسم من الطراز الإنجليزى ، يرتدى حُلَّة زرقاء مزدوجة الصدر ونظارة طبية غليظة ، وله جبهة عريضة لامعة وأنف معقوف . رحب بتولار كأنهما صديقان عزيزان وقدم نفسه إلى ميتش . رافقهما أوسجود إلى مكتب واسع بالطابق الثانى تطل نافذته على منظر رائع لخليج هوجستى باى . وكان بانتظارهم اثنان من موظفى البنك .
قال أوسجود متسائلا : " ما الذى تحتاج إليه تحديداً يا تولار ؟ "

" دعنا نبدأ بتناول بعض القهوة . أريد ملخصاً لحسابات كل من سونى كابس ، آل كوسيا ، رودلف هيمبا ، شركة واترلاف بارتنرز ومجموعة شركات جرين جروب " .

" حسناً . إلى أى تاريخ تريد أن ترى كشوف الحسابات ؟ "

" حتى ستة أشهر سابقة . لكل الحسابات " .

أشار أوسجود بإصبعه إلى إحدى الموظفتين . غادرت ثم عادت تحمل صينية القهوة والمعجنات . أما الموظفة الأخرى فكانت تكتب بعض الملاحظات .

" بالتأكيد يا تولار ، سوف نحتاج إلى مستندات التفويض وتوكيلات المحاماة لكل واحد من هؤلاء العملاء " . قال تولار وهو يفتح حقيبة :

" نعم ، ولكنها منتهية الصلاحية . سوف نحتاج إلى مستندات حديثة لكل حساب " .

دفع تولار ملفاً فوق سطح المكتب وهو يقول : " حسناً . كل التفويضات فى هذا الملف . وكلها بتواريخ حديثة " . ثم غمز بعينه إلى ميتش .

أخذت الموظفة الملف ثم نشرت المستندات على طول الطاولة . تم فحص كل مستند جيداً بواسطة الموظفين ، ثم راجعه أوسجود بنفسه. شرب المحاميان القهوة وانتظرا .

ابتسم أوسجود وقال : " يبدو أن كل الأوراق سليمة . سوف نحضر السجلات . ماذا تريد أيضاً ؟ "

" نريد تأسيس ثلاث شركات ، اثنتين من أجل سونى كابس وواحدة من أجل جرين جروب . سوف نتبع الإجراء المعتاد . سيكون البنك هو الوكيل المعتمد ، وهكذا " .

" سوف نحضر كل المستندات الضرورية " . قال أوسجود ذلك وهو يشير إلى الموظفة ثم قال : " أهناك شيء آخر ؟ "

" هذا كل شيء حتى الآن " .

" حسناً . سوف تصل السجلات خلال ثلاثين دقيقة . هل تنضمان إلى في تناول الغداء ؟ "

" آسف يا راندولف . لابد أن أرفض الدعوة . أنا وميتش ملتزمان بمواعيد سابقة . ربما في الغد " .

لم يكن ميتش يعلم شيئاً عن تلك المواعيد السابقة ، أو على الأقل تلك المواعيد التى تشمله .

أجاب أوسجود : " ربما " ثم غادر الغرفة واصطحب الموظفتين معه .

أغلق تولار الباب وخلع سترته . خطا نحو النافذة وهو يحتسى القهوة ثم قال : " اسمع يا ميتش . أنا آسف بشأن ليلة الأمس . آسف للغاية . لقد تماديت وتوقف عقلى عن التفكير . لقد كنت مخطئاً إذ حاولت أن أدفع هذه المرأة نحوك " .

" اعتذار مقبول . لا تجعل هذا يحدث مرة أخرى " .

" لن أفعل . أعدك بذلك " .

" هل كانت الفتاة رائعة إلى هذا الحد ؟ "

" أعتقد ذلك . لا أذكر كثيراً من التفاصيل . ماذا فعلت أنت مع شقيقتها ؟ "

" لقد طلبت منى أن أذهب إلى الجحيم . ذهبت نحو الشاطئ وتمشيت قليلا " .

تناول تولار قطعة من المعجنات ثم مسح فمه . قال : " أنت تعلم أنى منفصل عن زوجتى . سوف نعلن الطلاق خلال سنة أو أقل . أنا أتصرف فى هذا الأمر بسرية شديدة لأن الطلاق بيننا قد يكون قبيحاً .

هناك قاعدة غير مكتوبة في الشركة ـ ما نفعله بعيداً عن ممفيس يظل بعيداً عن ممفيس . هل هذا مفهوم ؟ "

" بالله عليك يا تولار . أنت تعلم أننى لن أخبر أحداً " .

" أعرف . أعرف " .

كان ميتش سعيداً عندما سمع عن هذه القاعدة غير المكتوبة ، على الرغم من أنه كان قد استيقظ وهو يشعر بالأمان لارتكابه الجريمة الكاملة . لقد كان يفكر بها وهو فى فراشه ، أو فى الحمام أو فى التاكسى ، والآن أحس أنه يعانى من عدم القدرة على التركيز فى أى شىء آخر . لقد وجد نفسه ينظر إلى متاجر المجوهرات عندما وصلا إلى جورج تاون .

قال ميتش : " لدى سؤال " .

أومأ تولار وهو يأكل المعجنات إلى ميتش ليكمل كلامه .

قال ميتش : " عندما تم توظيفى منذ عدة أشهر على يد لامبرت ومكنايت وبقية المجموعة ، أخذوا يكررون أمامى أن الشركة تنزعج كثيراً بسبب حالات الطلاق ، ومطاردة النساء ، وإدمان الكحوليات والمخدرات ، وكل شىء آخر لا علاقة له بالمال والعمل الشاق . ولهذا اخترت هذه الوظيفة . ولقد رأيت العمل الشاق والمال ، ولكن الآن أنا أرى بقية الأشياء الأخرى . وأتساءل هل ضللت عن الطريق القويم ؟ أم أن كل الأشخاص يفعلون ذلك ؟ "

" لا يعجبنى هذا السؤال " .

" كنت أعلم أنه لن يعجبك . لكننى أريد إجابة عليه . أنا أستحق إجابة على سؤالى . أشعر أنه قد تم تضليلى " .

" إذن ماذا ستفعل ؟ هل ستترك الشركة لأننى تماديت وأقمت علاقة مع امرأة لا أعرفها ؟ "

" أنا لم أفكر فى ترك الشركة " .

" جيد . لا تفعل إذن " .

" لكننى أستحق إجابة لسؤالى " .

" حسنا . أنت محق . أنا أكبر المشاغبين بالشركة ، وسوف ينقضّون على توبيخاً عندما أذكر لهم أمر الطلاق . أنا أطارد النساء بين الحين والآخر ، ولكن لا أحد يعلم بذلك . أو على الأقل لا يستطيعون الإمساك بى . أنا واثق أن بقية الشركاء يفعلون ذلك ، لكنك لن تمسك بهم أبداً . ليس كلهم يفعل ذلك ، لكن بعضهم يفعله . معظمهم لديهم زيجات مستقرة للغاية ومخلصون لزوجاتهم جداً . لقد كنت دوما الفتى الشقى ، لكنهم تحملوا ذلك لأننى موهوب للغاية . إنهم يعلمون أننى أشرب الكحوليات وأفعل ذلك أحياناً فى مكتبى ، ويعلمون أننى أخالف بعض قواعدهم المقدسة ، لكنهم جعلونى شريكاً لأنهم بحاجة إلى . والآن بعد أن أصبحت شريكاً لا يوجد ما يستطيعون فعله معى . أنا لست رجلا سيئاً يا ميتش " .

" لم أقل أنك كذلك " .

" أنا لست مثالياً . صدقنى ، بعضهم يتصرف بشكل مثالى . إنهم ماكينات ، رجال آليون . إنهم يحيون ، ويأكلون ، وينامون من أجل شركة بنديني ، لامبرت آند لوك . أنا أحب أن يكون بحياتى بعض المرح والمتعة " .

" إذن فأنت الاستثناء ـــــ " .

" الذى يشذ عن القاعدة ، نعم . ولن أعتذر عن هذا " .

" أنا لم أطلب منك اعتذاراً بل توضيحاً " .

قال تولار : " هل هذا واضح بما يكفى ؟ "

" نعم . إن صراحتك تعجبنى دائماً " .

" وأنا يعجبنى انضباطك . إن الرجل القوى فقط هو الذى يستطيع أن يظل وفياً لزوجته فى مواجهة المغريات التى تعرضت لها بالأمس . أنا لست قوياً إلى هذا الحد . ولا أريد أن أكون " .

مغريات ! لقد فكر ميتش أن يبحث عن تلك الفتاة فى متاجر المجوهرات فى وسط المدينة أثناء الغداء .

قال ميتش : " اسمع يا تولار . أنا لست قديساً ، ولم تصعقنى كلماتك . أنا لست فى موضع من يصدر الأحكام ، لقد كان الآخرون يصدرون الأحكام علىَّ طيلة حياتى . لقد كنت متحيراً بشأن القواعد ، هذا كل ما فى الأمر " .

" إن القواعد لا تتغير . إنها منحوتة فى الصخر . مرسومة فوق الجرانيت . منقوشة على الأحجار . خالف الكثير منها وسوف تُطرَد من الشركة . أو خالف على قدر ما تستطيع ، ولكن لا تدع أحد يمسك بك متلبساً " .

" هذا معقول " .

عاد أوسجود إلى الغرفة ومعه مجموعة من الموظفين يحملون أوراقاً مطبوعة وأكواماً من المستندات . وضعوا أكوام المستندات بشكل مرتب فوق الطاولة ومنظم حسب الحروف الأبجدية .

" سوف يكفيكم هذا الكم ليوم أو أكثر " قال أوسجود ذلك وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة . أشار بإصبعه فغادر الموظفون الغرفة على الفور ثم قال : " سأكون فى مكتبى إذا احتجتم أى شىء " .

" حسناً . شكراً لك " . قال تولار ذلك وهو يقلب فى أول مجموعة مستندات . خلع ميتش معطفه وأرخى رابطة عنقه .

تساءل ميتش : " ماذا نفعل هنا تحديداً ؟ "

" شيئين . الأول ، سوف نراجع المدخلات إلى هذه الحسابات . نحن نبحث فى الأساس عن الفائدة المكتسبة ، وما هى نسبتها وما هى

كميتها ، إلخ . سوف نجرى عملية تدقيق حسابى أولى لكل حساب من أجل أن نتأكد أن الفائدة توجه نحو المواضع المفروضة من البداية . على سبيل المثال ، يقوم رولف هيمبا بإرسال الفوائد التى تدر حساباته إلى تسعة بنوك مختلفة فى جزر البهاما . إنه تصرف غبى ، لكنه يشعره بالسعادة . كذلك فهو يجعل من المستحيل متابعة هذه الحسابات ، ولكن ليس مستحيلاً بالنسبة لى . لديه ما يقرب من اثنى عشر مليون دولار فى هذا البنك ، ولذلك فالأمر يستحق المتابعة المستمرة . يستطيع أن يقوم بذلك بنفسه ، لكنه يُفضل أن أقوم أنا بذلك . ولأنه يدفع لى مائتين وخمسين دولاراً فى الساعة ، فأنا لا أمانع فى ذلك . سوف نتفقد الفائدة التى يمنحها هذا البنك على كل حساب ، إن نسبة الفائدة تتوقف على عدة عوامل . وهى متروكة لتقدير البنك نفسه ، والمراجعات التى نجريها هى الطريقة الوحيدة لكى نبقيهم أمناء فى تعاملهم معنا " .

قال ميتش : " لقد ظننت أنهم أمناء " .

" إنهم كذلك . لكنهم لايزالون رجال بنوك رغم كل شىء " .

" إنك تنظر إلى ما يقرب من ثلاثين حساباً هنا ، وعندما نغادر سوف نكون قد علمنا الرصيد بالكامل ، والفائدة المكتسبة على الرصيد ، والمكان الذى ستذهب إليه تلك الفائدة . ثانياً ، علينا أن نؤسس ثلاث شركات حسب القوانين التجارية الخاصة بجزر كايمان . إنها مجرد إجراءات قانونية بسيطة وكان من الممكن أن نقوم بها من ممفيس . لكن العملاء يظنون أنه ينبغى القيام بها هنا . تذكر أننا نتعامل مع أشخاص يستثمرون الملايين . وبعض الآلاف القليلة التى تدفع كأتعاب للمحامين لن تزعجهم كثيراً " .

أخذ ميتش يقلب المستندات فى الكومة التى تخص دولف هيمبا ، ثم قال : " من يكون هيمبا هذا ؟ أنا لم أسمع به من قبل " .

" لدى الكثير من العملاء لم تسمع بهم . إن هيمبا هذا هو أحد المزارعين الكبار في اركنساس ، بل يعد أحد أكبر ملاك الأراضي في الولاية " .

" اثنا عشر مليون دولار ؟ " .

" في هذا البنك فقط " .

" كل هذا من تجارة القطن وفول الصويا " .

" لنقل إن لديه مشروعات أخرى " .

" مثل ؟ " .

" لا أستطيع أن أقول " .

" مشروعات قانونية أم غير قانونية ؟ " .

" لنقل فقط إنه يخفي عشرين مليون دولار إلى جانب الفوائد في عدة بنوك في جزر الكاريبي بعيدا عن أعين مصلحة الضرائب " .

" هل نحن نساعده في ذلك ؟ " .

فرد تولار المستندات فوق الطاولة وبدأ يتحقق من المدخلات . ظل ميتش يشاهده وهو ينتظر إجابة . صار الصمت ثقيلاً وبدا من الواضح أنه لا توجد إجابة . كان بإمكان ميتش أن يُلّح ، ولكنه قد سأل ما يكفي من الأسئلة لهذا اليوم . شمر أكمامه وبدأ العمل .

عند الظهيرة علم ميتش عن موعد تولار الذى التزم به من قبل . حيث كان سيقابل فتاته ليتناول معها الغداء . اقترح تولار أن يفترق هو وميتش لمدة ساعتين وذكر لميتش اسم مقهى في وسط البلد يمكنه أن يجربه .

بدلاً من الذهاب إلى المقهى ، وجد ميتش مكتبة جورج تاون على بُعد أربعة مربعات سكنية من البنك . في الطابق الثاني ذهب إلى قسم الطبعات الدورية للصحف ، حيث وجد رفاً مليئاً بطبعات قديمة من

جريدة ديلى كايمانيان . أخذ يبحث فى الطبعات التى صدرت من ستة أشهر وأخرج طبعة يوم ٢٧ يونيو . وضعها على طاولة صغيرة بالقرب من النافذة التى تطل على الشارع . ألقى نظرة خاطفة خارج النافذة ثم دقق النظر . كان هناك رجل قد شاهده منذ دقائق فى الشارع المواجه للبنك . كان يجلس خلف مقود سيارة صفراء قديمة من طراز شيفيت كانت متوقفة فى الممر الضيق المقابل للمكتبة . كان ضخم الجثة ، أسود الشعر ، أجنبى الملامح يرتدى قميصاً مزركشاً بالألوان الخضراء والبرتقالية ونظارة شمس رخيصة الثمن من النوع الذى يرتديه السائحون . كانت نفس السيارة الشيفيت وبداخلها نفس السائق تقف أمام متجر الهدايا المجاور للبنك ، والآن ، وبعد عدة دقائق ، صارت تقف على بعد أربعة مربعات سكنية . توقف رجل من السكان المحليين بدراجته إلى جانب السيارة وأخذ سيجارة من السائق . أشار السائق بيده إلى المكتبة . ترك الرجل دراجته وانطلق يعبر الشارع إلى الناحية الأخرى .

ثنى ميتش الجريدة ودسها داخل معطفه . أخذ يسير بين الرفوف ، وعثر على مجلة ناشونال جيوغرافيك ثم جلس على طاولة . أخذ يتفحص الجريدة وينصت جيداً بينما صعد الرجل المحلى سلالم المكتبة ، ولاحظ وجود ميتش ، وسار من خلفه ، وتوقف كأنما أراد أن يخطف نظرة مما كان ميتش يقرأه ، ثم عاد إلى السلالم هابطاً إلى أسفل مرةً أخرى . انتظر ميتش للحظة ، ثم عاد أدراجه نحو النافذة . كان ساكن الجزيرة يأخذ سيجارة أخرى ويتحدث إلى الرجل الذى يجلس داخل السيارة الشيفيت . أشعل الرجل المحلى سيجارته ثم انطلق بالدراجة بعيداً .

فرد ميتش الجريدة فوق الطاولة ثم أخذ يتفحص العناوين التى تشير إلى مصرع محاميين أمريكيين ومرشد الغطس الخاص بهما فى

حادثة غامضة في اليوم السابق . قام ميتش بالاحتفاظ ببعض المعلومات داخل عقله ثم أعاد الجريدة إلى موضعها .

كانت السيارة الشيفيت لاتزال تشاهده . سار ميتش أمامها ، وسار حتى نهاية المربع السكنى ثم اتجه إلى البنك . كانت منطقة المتاجر تقعَ في مساحة ضيقة بين مبانى البنوك وخليج هوجستى باى . كانت الشوارع ضيقة ومكتظة بالسائحين السائرين على أقدامهم ، والسائحين على الزلاجات ، والسائحين داخل سيارات مؤجرة صغيرة الحجم . خلع معطفه ثم دلف إلى متجر لبيع القمصان القطنية به مطعم بالطابق الثانى . صعد الدرجات ، وطلب الكولا ، ثم جلس في الشرفة .

في خلال دقائق كان الرجل المحلى صاحب الدراجة يجلس إلى مقصف المطعم ، يتناول بعض الشراب ويراقب من خلف قائمة أسعار مكتوبة بخط اليد .

أخذ ميتش يرتشف شرابه ويتفحص الزحام بالأسفل . لم يكن هناك أثر للسيارة الـ شيفيت ، لكنه كان يعلم أنها بالقرب من المكان . رأى شخصاً آخر يحدق به من الشارع ، ثم اختفى . ثم جاءت بعده امرأة وحدقت به . أأصابه جنون الارتياب ؟ ثم استدارت السيارة الـ (شيفيت) حول أحد الأركان على بعد مربعين سكنيين وتحركت ببطء أسفل منه .

هبط إلى متجر القمصان واشترى نظارة شمسية . سار لمسافة مربع سكنى ، ثم انحرف داخل أحد الأزقة . أخذ يركض داخل ظلال المبانى إلى الشارع التالى ، ومنه إلى داخل متجر هدايا . غادر المتجر عبر الباب الخلفى ، إلى أحد الأزقة . رأى متجر ملابس كبيراً مخصصاً للسائحين فدخل إليه عبر باب جانبى . أخذ يراقب الشارع بحرص ولم ير أى أحد . كانت الرفوف مليئة بالسراويل القصيرة والقمصان من كل الألوان ـ ملابس لم يكن السكان المحليون ليشتروها ولكنها تعجب

السائحين الأمريكان . بقى على تحفظه فى اختيار الملابس ـ اختار سروالاً قصيراً أبيض اللون وكنزة حمراء مصنوعة يدوياً . وجد صندلا من القش يتماشى إلى حد ما مع القبعة التى أعجبته . ضحكت البائعة ورافقته إلى غرفة تغيير الملابس . نظر إلى الشارع مرة أخرى . لا شيء . كانت الملابس تناسبه ، وسأل البائعة إذا كان بإمكانه أن يترك ملابسه وحذاءه فى خزانة المتجر لعدة ساعات . قالت البائعة : " لا توجد مشكلة " . دفع لها نقداً وأعطاها عشر دولارات إكرامية وطلب منها أن توقف له سيارة أجرة . قالت إنه يبدو وسيماً للغاية .

أخذ يراقب الشارع فى عصبية حتى وصلت سيارة الأجرة . اندفع يعبر الرصيف إلى المقعد الخلفى للسيارة وهو يقول : " نادى ابانكس للغطس " .

أجاب السائق : " إنها مسافة طويلة يا صديقى " .

ألقى إليه ميتش عشرين دولارا وقال : " انطلق . راقب المرآة العكسية . لو أن أحدهم يتبعنا ، دعنى أعرف " .

أمسك الرجل بالورقة المالية وقال : " حسناً ، يا صديقى " .

جلس ميتش منخفضاً أسفل قبعته الجديدة فى المقعد الخلفى بينما انطلق السائق بالسيارة عبر طريق شيدين رود ، بعيداً عن منطقة المتاجر والتسوق ، ثم دار حول خليج هوجستى باى ، متجهاً شرقاً ، ماراً بخليج ريد باى ، إلى خارج مدينة جورج تاون والى الطريق المؤدى إلى بودين تاون .

قال السائق : " ممن تهرب يا صديقى ؟ "

ابتسم ميتش وقام بفتح زجاج النافذة المجاورة ثم قال : " من مصلحة الضرائب " . ظن أن رده كان ظريفاً ، لكن بدا أن السائق قد شعر بالحيرة . تذكر أنه ليست هناك ضرائب ولا محصلو ضرائب فى هذه الجزر . استمر السائق يقود السيارة فى صمت .

طبقا لما نشرته الجريدة ، فقد كان مرشد الغطس الذى قُتِلَ فى الحادث يدعى فيليب ابانكس ، الابن الأصغر لبارى ابانكس ، الذى يمتلك نادياً للغطس . كان فيليب فى التاسعة عشرة عندما لقى مصرعه غرقاً مع اثنين من المحامين عندما أصاب انفجار من نوع ما قاربهم . وقد وصفت الصحيفة ذلك الانفجار بأنه غامض للغاية ، حيث وُجِدَت أجسادهم على عمق ثمانين قدماً ويرتدون عدة الغطس كاملة . لم يكن هناك شهود على حدوث الانفجار ولم يكن هناك أية تفسيرات عن سبب وقوع الحادث على بعد ميلين من الشاطئ فى منطقة لا يرتادها محبو الغطس . وقال المقال إن هناك الكثير من الأسئلة الغامضة تتعلق بالحادث .

كانت بودين تاون عبارة عن قرية صغيرة على بعد عشرين ميلاً من جورج تاون . كان نادى الغطس يقع جنوب المدينة عند امتداد أحد الشواطئ المنعزلة .

تساءل ميتش : " هل تبعنا أحد ؟ "

هز السائق رأسه نفياً .

" أحسنت . هاك أربعون دولاراً . " نظر ميتش إلى ساعته . وقال : " الساعة الآن تكاد تبلغ الواحدة . هل يمكنك أن تأتى إلى هنا فى تمام الثانية والنصف ؟ "

أجاب السائق : " لا توجد مشكلة " .

انتهى الطريق عند حافة الشاطئ وأصبح ساحة انتظار من الصخور البيضاء تظللها عشرات من النخل الاستوائى . كان المبنى الأمامى لنادى الغطس عبارة عن منزل رحب من طابقين به سقف من صفائح القصدير وسلم خارجى يقود إلى منتصف الطابق الثانى . وكان يسمى جراند هاوس . وقد طلِى المنزل باللون الأزرق الفاتح وكان مزركشا بخطوط بيضاء أنيقة ، وكاد يختفى وراء كرمة العنب وأشجار الزنبق

المتشابكة . وكانت النقوش الشبكية يدوية الصناعة قد طُليتَ باللون الوردى . أما النوافذ الخشبية فقد طُليت باللون الزيتونى . لقد كان ذلك المبنى يمثل مكتب وقاعة طعام نادى ابانكس للغطس . وعلى يمينه قلت أعداد النخل وشَق ممر صغير للسيارات يقود إلى جراند هاوس وينحدر نحو منطقة مفتوحة واسعة من الصخور البيضاء . وعلى كل جانب كانت هناك مجموعة من عشرات الأكواخ مغطاة بالقش حيث يقيم الغطاسون . وكان هناك متاهة من الأرصفة الخشبية التى تبدأ عند الأكواخ وتقود إلى المنطقة المركزية لنادى الغطس ، وكان هناك ملهى بجانب الشاطئ .

اتجه ميتش ناحية الملهى وانساب إلى سمعه صوت موسيقى الكاريبى والضحكات المألوفة . كان هذا الملهى يشبه رومهيدس ، لكن بدون الحشود المزدحمة . بعد دقائق ، قدم هنرى ، ساقى الملهى ، مشروباً إلى ميتش .

تساءل ميتش : " أين بارى ابانكس ؟ "

أشار هنرى إلى المحيط وعاد إلى مقصفه . وعلى بعد نصف ميلٍ كان هناك قارب يشق طريقه فى بطء فوق صفحة الماء الساكن متجهاً نحو نادى الغطس . تناول ميتش شطيرة لحم بقرى بالجبن وأخذ يشاهد مباريات الدومينو .

رسا القارب عند رصيف خشبى بين الملهى وكوخ كبير الحجم كتب فوق نافذته " متجر الغطس " بخط اليد . قفز الغواصون من القاربٍ وفى أيديهم حقائب معدات الغطس ، وبدون استثناء اتجهوا جميعاً نحو الملهى . وقف شخص قصير قوى البنية إلى جوار القارب وأخذ يصرخ وهو يوزع الأوامر للمساعدين ، الذين كانوا يفرغون اسطوانات الأكسجين الفارغة إلى الرصيف الخشبى . كان يرتدى قبعة رياضية بيضاء و لاشيء آخر سوى سروال أسود قصير للغاية . ومن النظرة الأولى

إلى بشرته البنية اللامعة تدرك أنه لم يكن يرتدى الكثير من الملابس خلال الخمسين عاما السابقة . دلف إلى متجر الغطس ، وصرخ فى وجوه مدربى الغطس والمساعدين ثم شق طريقه إلى الملهى . تجاهل الحشود واتجه مباشرة إلى المبرد ، حيث التقط زجاجة مياه غازية ، وانتزع غطاءها ثم أخذ جرعة طويلة .

قال ساقي الملهى شيئًا إلى ابانكس وأومأ تجاه ميتش . فتح الرجل زجاجة أخرى وسار إلى طاولة ميتش .

لم يبتسم وقال بطريقة أشبه بالسخرية : " هل تبحث عنى ؟ "

" هل أنت السيد ابانكس ؟ "

" نعم . ماذا تريد ؟ "

" أود أن أتحدث إليك لبضع دقائق " .

أخذ يتجرع مشروبه وقال : " أنا مشغول للغاية . لدى قارب غطس سينطلق بعد أربعين دقيقة " .

" اسمى ميتش ماكدير وأعمل محامياً فى مدينة ممفيس " .

حدق به ابانكس بعينيه البنيتين الضيقتين . لقد جذبت كلمات ميتش انتباهه . رد قائلا : " وماذا تريد ؟ "

" إن المحاميين اللذين لقيا مصرعهما مع ولدك كانا صديقين لى . لن آخذ من وقتك سوى بضع دقائق " .

جلس ابانكس فوق كرسي وأسند مرفقيه إلى الطاولة . قال : " هذا ليس موضوعا أحب أن أتكلم فيه " .

" أعلم هذا . وأشعر بالأسف " .

" لقد طلب منى رجال الشرطة عدم التحدث إلى أحد " .

" سيكون حديثنا سرياً . أقسم لك " .

ضاقت عينا ابانكس وهو ينظر إلى سطح الماء الأزرق . كان وجهه وذراعاه يحملان ندوبا تشهد على حياة فى رحاب البحر ، حياة

أمضاها على عمق ستين قدماً أسفل سطح البحر يرشد المبتدئين داخل وحول الشعاب المرجانية وحطام السفن الغارقة .

قال ابانكس بصوت خافت : " ماذا تريد أن تعرف ؟ "

" هل يمكننا أن نتحدث في مكانٍ آخر ؟ "

" بالتأكيد . دعنا نتمشى قليلاً . " صرخ في وجه هنرى وتحدث إلى بعض الغواصين فوق إحدى الموائد في طريقه للخارج . ثم سارا تجاه الشاطئ .

قال ميتش : " أود أن أتحدث إليك بشأن الحادثة " .

" يمكنك أن تسأل . لكن ربما لا أجيب " .

" ماذا كان سبب ذلك الانفجار ؟ "

" لا أدرى . ربما جهاز ضغط الهواء . ربما تسرب بعض الوقود . نحن غير متأكدين . لقد تضرر القارب بشدة ومعظم الأدلة ضاعت في الحريق " .

" هل كان أحد قواربك ؟ "

" نعم . أحد قواربى الصغيرة . طوله ثلاثون قدماً . لقد قام صديقاك باستئجاره لفترة الصباح " .

" أين وَجِدَت الجثث ؟ "

على عمق ثمانين قدماً . لم يكن هناك ما يثير الشك بشأن الجثث ، سوى أنه لم يكن هناك حروق ولا إصابات تشيرٍ إلى تعرضهم إلى الانفجار . وأظن أن هذا يجعل مسألة الجثث أمراً مثيراً للشبهات " .

قال ميتش : " لقد أثبت التشريح أنهم تعرضوا للغرق " .

" نعم ، لقد غرقوا . لكن صديقيك كانا يرتديان معدات الغطس الكاملة ، ولقد تم فحص هذه المعدات فيما بعد بواسطة أحد خبراء الغطس لدى . لقد كانت المعدات تعمل بكفاءة تامة . ولقد كان صديقاك يسبحان جيداً أيضا " .

" وماذا عن ولدك ؟ "

" لم يكن يرتدى معدات الغطس الكاملة . لكنه كان يسبح مثل السمكة " .

" أين حدث الانفجار ؟ "

" لقد كان من المقرر أن يقوموا بالغطس على طول تشكيلةٍ من سلاسل الحيد البحرى عند نقطة روجر ريك . أتعرف الجزيرة جيداً ؟ "

" كلا " .

" إنها منطقة بالقرب من الخليج الشرقى . عند الحافة الشمالية الشرقية . لم يكن صديقاك قد غاصا بهذه المنطقة من قبل واقترح عليهما ابنى أن يجرباها . نحن نعرف صديقيك جيداً . لقد كانا غواصين ماهرين وكانا يأخذان مسألة الغطس بمنتهى الجدية . لقد كانا دوماً يريدان قاربا لهما فقط ولم يمانعا فى دفع قيمة إيجاره . ولقد كانا دائماً يرغبان أن يكون فيليب هو مدرب الغطس الذى يرافقهما . نحن لا نعلم إذا كانا قد قاما بالغطس عند هذه النقطة . لقد وُجِدَ القارب يحترق على بعد ميلين فى عرض البحر ، بعيداً عن أى موقَع من مواقع الغطس الخاصة بنا " .

تساءل ميتش : " هل من الممكن أن يكون القارب قد انجرف مع التيار ؟ "

" مستحيل . لو كانت هناك أية متاعب فى المحرك لكان فيليب قد استعمل الراديو لطلب النجدة . إن لدينا معدات حديثة ، ومدربو الغطس لدينا دائماً ما يظلون على اتصال مع متجر الغطس . لا يمكن أن يكون الانفجار قد وقع عند نقطة الغطس . لم يره أو يسمعه أحد ، وغالباً ما يكون هناك أشخاص على مسافة قريبة من الغطاسين . ثانياً ، لا يمكن لقارب متعطل أن ينجرف لمسافة ميلين فى هذا الماء . والأهم من ذلك ، أن الجثث لم تكن موجودة على القارب كما ذكرت لك . لنفترض

أن القارب قد انجرف ، كيف تفسر أن الجثث قد وُجِدَت على عمق ثمانين قدما أسفل الماء . لقد عثروا على الجثث على مسافة عشرين مترا من القارب " .

" من الذى عثر عليهم ؟ "

" بعض رجالى . لقد سمعنا الأخبار عبر الراديو ، فأرسلت طاقم بحث . كنا نعلم أن الأمر يخص قاربنا ، ولذلك بدأ رجالى فى الغوص على الفور . لقد عثروا على الجثث خلال دقائق " .

" أعلم أن الحديث عن هذا الأمر يزعجك " .

أنهى ابانكس شرابه وألقى الزجاجة فى صندوق قمامة خشبى وهو يقول : " نعم ، إنه كذلك . لكن الوقت يتكفل بالألم . لماذا تهتم بهذا الأمر ؟ "

" إن عائلتى الضحيتين لديهما الكثير من التساؤلات " .

" أشعر بالأسى من أجلهم . لقد قابلت زوجتيهما العام الماضى . لقد أمضوا أسبوعاً معنا . أناس لطاف للغاية " .

" هل تظن أنهم كانوا يستكشفون منطقة غطس جديدة عندما حدث الانفجار ؟ "

" هذا محتمل . لكنه غير مرجح . إن قوارب الغطس لدينا تقدم تقريراً بواسطة الراديو عن تحركاتهم من نقطة غطس إلى أخرى . إنه إجراء متبع . بدون استثناءات . لقد قمت بفصل مدرب غطس لأنه لم يقدم تقريره من نقطة الغطس قبل أن يتحرك تجاه النقطة التالية . لقد كان ابنى أفضل مدرب غطس فى هذه الجزيرة . لقد شب فى هذه المياه . لم يكن لينسى أن يبلغ عن تحركاته داخل البحر . إن الأمر بهذه البساطة . إن الشرطة تصدق أن هذا هو ما حدث ، لأنهم كانوا بحاجة إلى أن يصدقوا شيئاً ما . لقد كان ذلك هو التفسير الوحيد الذى توصلوا إليه " .

" لكن كيف يفسرون الحالة التى كانت عليها الجثث ؟ "

" لا يجدون لها تفسيراً . إنه مجرد حادث غطس آخر بالنسبة لهم " .

" أكان مجرد حادث بالفعل ؟ "

" لا أعتقد ذلك " .

كان صندل ميتش قد آلم قدمه فى تلك اللحظة ، فأزاله ميتش . استدارا من أجل العودة إلى نادى الغطس .

قال ميتش : " إذا لم تكن حادثة ، فماذا كانت إذن ؟ "

سار ابانكس وأخذ ينظر إلى أمواج البحر وهى تزحف على طول الشاطئ . قال : " ما هى الاحتمالات الأخرى ؟ "

" هناك شائعة فى ممفيس أن الأمر قد يتعلق بالمخدرات " .

" حدثنى عن هذه الشائعة " .

" لقد سمعنا أن ولدك كان عضواً نشطاً فى شبكة لتجارة المخدرات ، ومن المحتمل أنه كان يستخدم القارب ذلك اليوم لكى يقابل أحد موردى المخدرات فى عرض البحر ، وأن نزاعاً قد حدث بينهما وراح ضحيته صديقاى بالمصادفة البحتة " .

ابتسم ابانكس وهز رأسه نفياً قائلاً : " ليس فيليب من يفعل ذلك . على قدر علمى لم يتعاط المخدرات يوماً ، وأعرف أنه لم يكن يتاجر بها . لم يكن مهتماً بالمال . فقط النساء والغطس " .

" هل أنت متأكد من ذلك ؟ "

" بالطبع ، فهذا غير ممكن . أنا لم أسمع بهذه الشائعة من قبل ، وأشك أن يكون من فى ممفيس يعرفون أكثر مما أعرف . هذه جزيرة صغيرة ، وكنت لأسمع بهذا الأمر لو كان صحيحاً . إنها مجرد أكاذيب " .

انتهت المحادثة وتوقفا بالقرب من الملهى .

قال ابانكس : " سوف أطلب منك معروفا . لا تذكر أياً مما أخبرتك به لعائلتي الضحيتين . لست متأكداً من أن ما أعرفه هو الحقيقة ، ولهذا فمن الأفضل ألا يعلم به أحد ، وخاصة عائلاتهما " .

" لن أخبر أي شخص . وأطلب منك أن تفعل نفس الشيء ، قد يتبعني شخص إلى هنا ويسألك عن سبب زيارتي . فقط أخبره أنني كنت أتحدث معك عن الغوص " .

" كما تشاء " .

" سوف نأتي أنا وزوجتي إلى هنا في الربيع القادم لتمضية الإجازة . سوف آتي لكي أبحث عنك " .

١٤

. . . .

كانت مدرسة سانت أندرو تقع خلف دار عبادة فوق ضيعة أنيقة كثيفة الأشجار تبلغ مساحتها خمسة أفدنة وتستقر في وسط مدينة ممفيس . كانت الأحجار البيضاء والصفراء التي بنيت بها المدرسة تظهر في بعض الأماكن التي لم يغزها نبات اللبلاب لسبب أو لآخر . وكانت صفوف مرتبة من الشجيرات القصيرة المقلمة ببراعة تحيط بأرصفة المدرسة وأرض الملعب الصغيرة . كانت المدرسة عبارة عن مبنى من طابق واحد على شكل حرف " ل " يقع بين ظلال أشجار البلوط العتيقة . وطبقاً لخصوصية المدرسة ، فقد كانت مدرسة سانت أندرو واحدة من أغلى المدارس الخاصة بأطفال الحضانة وحتى الصف السادس . وكان الآباء الأثرياء يسجلون أسماء أطفالهم في قوائم الانتظار بعد ولادتهم مباشرة .

أوقف ميتش سيارته الـ بي . إم . دبليو في ساحة الانتظار بين المدرسة ودار العبادة . وكانت سيارة آبي البيجو الحمراء متوقفة على بعد ثلاثة صفوف في هدوء تام . لم تكن آبي تتوقع قدومه . كانت الطائرة قد هبطت منذ ساعة ، وقد مر ميتش بالمنزل لكي يغير ملابسه لتكون أكثر ملاءمة للعمل . سوف يراها ، ثم ينطلق إلى مكتبه ليعمل لعدة ساعات قليلة في مقابل مائة وخمسين دولارًا لكل ساعة عمل .

أراد أن يراها هنا ، في المدرسة ، بدون أن تتوقع حضوره ، كأنه هجوم مفاجئ أو تحرك مضاد . سوف يقول لها مرحبا . سيقول إنه قد اشتاق إليها ، ولم يطق صبرا لرؤيتها ، ولذلك مر عليها في المدرسة . سيكون موجزا ، في لمسته الأولى ، وكلماته الأولى بعد حادثة الشاطئ . هل من الممكن أن تعرف ما حدث من مجرد النظر إليه ؟ ربما تستطيع أن تقرأ عينه . هل ستلاحظ تغييرا بسيطا في صوته ؟ ليس إذا تفاجأت بحضوره . ليس إذا شعرت بالإطراء جراء زيارته .

أخذ يعتصر عجلة القيادة بين يديه وهو يحدق بسيارتها ، ويصرخ في نفسه . أيها الأحمق ! أيها المغفل الغبي ! لماذا لم تجر ؟ كان عليه أن يجرى كمن تلاحقه شياطين الجحيم . لكنه بالطبع لم يفعل . لقد قال لنفسه وما المشكلة ، لن يعرف أحد بذلك . والآن هل من المفترض أن يهز أكتافه في استهانة ويقول إن كل الرجال يفعلون ذلك . كان قد أعد خططه وهو على متن الطائرة . أولاً ، سوف ينتظر حتى آخر المساء ثم يخبرها بالحقيقة . لن يكذب عليها ، لأنه لا رغبة عنده أن يعيش حياته في أكذوبة . فسوف يعترف بالأمر ويخبرها بكل ما حدث تحديدا . ربما تتفهم الأمر . ولماذا لا تفعل ؟ إن معظم الرجال - اللعنة ، بل في الواقع كل الرجال كانوا ليفعلون ما فعله . سوف تتوقف حركته التالية على رد فعلها . إذا تقبلت الأمر بهدوء وأظهرت نوعاً من التعاطف ، سوف يخبرها أنه آسف ، في قمة الأسف ، وأن هذا الأمر لن يحدث أبداً مرة أخرى . أما إذا انهارت تماماً ، فسوف يتوسل ، سوف يتوسل بشكل حرفي من أجل أن تغفر له وسوف يقسم لها أن الأمر كان مجرد خطأ وأنه لن يحدث أبداً مرة أخرى . أما إذا بدأت في توضيب حقائبها ، فسوف يدرك في هذه اللحظة أنه كان عليه ألا يخبرها من البداية .

الإنكار . الإنكار . الإنكار . كان أستاذ القانون الجنائى فى جامعة هارفارد رجلاً راديكالياً يدعى موسكفيتش ، وكان قد صنع شهرة لنفسه من خلال الدفاع عن الإرهابيين والقتلة والمتحرشين بالأطفال . كانت نظريته الدفاعية : الإنكار . الإنكار . الإنكار . لا تعترف بأى حقيقة أو بأى دليل قد يشير على ارتكاب الذنب .

لقد تذكر موسكفيتش عندما هبطت الطائرة في ميامي ، وعندها بدأ العمل على الخطة الاحتياطية ، والتى دعت إلى هذه الزيارة المفاجئة إلى المدرسة وعشاء رومانسى متأخر فى مطعمها المفضل ، وعدم ذكر أى شيء عن جزر كايمان سوى العمل الشاق الذى أتمه هناك . فتح باب السيارة ، وفكر فى ابتسامتها الجميلة ، ووجهها البرىء وأحس بالتقزز من نفسه . شعر بألم حاد في أمعائه . سار فى بطء فى الجو الخريفى ونسماته المنعشة ، متجهاً نحو الباب الأمامي .

كان الرواق خالياً وهادئاً . على يمينه كانت حجرة مدير المدرسة . انتظر للحظة داخل القاعة ، انتظر لكى يراه أحد ، لكن لم يكن هناك أحد . سار فى هدوء إلى الأمام حتى وصل إلى حجرة الدراسة الثالثة ، وسمع صوت زوجته الرائع . كانت تتحرك جيئة وذهاباً بين عدة مناضد عندما أدخل رأسه خلال الباب وابتسم . تسمرت مكانها ، ثم ضحكت . استأذنت للخروج ، وطلبت من الأطفال أن يبقوا فى مقاعدهم وأن يقرأوا الصفحة التالية . ثم أغلقت الباب .

" ماذا تفعل هنا ؟ " تساءلت آبى بينما جذبها ميتش إليه ودفعها برفق ملصقاً ظهرها بالحائط . أخذت تنظر بعصبية إلى يمين ويسار القاعة .

" لقد اشتقت إليك " قال ميتش ذلك بصدق . احتضنها بقوة لدقيقة كاملة . قبلها واشتم رائحة عطرها الجميل ثم عادت فتاة جزر كايمان

إلى رأسه ، وعاد معها صوت عقله يصرخ فيه ، أيها الحقير ، لماذا لم تهرب ؟

" متى عدت ؟ " تساءلت وهى تعدل شعرها وتلقى نظرات خاطفة على نهاية القاعة .

" منذ ساعة مضت . إنك تبدين رائعة الجمال " .

كانت عيناها تدمعان . تلك العينان الصادقتان الرائعتان . قالت : " كيف كانت رحلتك ؟ "

" بخير لقد اشتقت إليك . لا يمكن أن يكون هناك متعة وأنت غائبة عنى " .

اتسعت ابتسامتها وأشاحت بوجهها بعيداً وهى تقول : " لقد اشتقت إليك أيضاً " .

أمسك كل منهما بيد الآخر وسارا تجاه الباب الأمامى . قال ميتش : " أود الخروج معك الليلة " .

" ألن تعمل الليلة ؟ "

" كلا . لن أعمل . سوف أصطحب معى زوجتى إلى مطعمها المفضل . سوف نتناول الطعام الفاخر ونسهر طيلة الليل خارج البيت ، ثم نعود إلى المنزل ونعوض الأيام التى كنا بعيدين فيها عن بعضنا البعض " .

" يبدو أنك اشتقت إلىَّ بالفعل " . قبلته مرة أخرى ، ثم نظرت إلى نهاية القاعة وقالت : " لكن من الأفضل أن تذهب من هنا قبل أن يراك أحد " .

سارا مسرعين إلى الباب الأمامى بدون أن يراهما أحد .

أخذ يتنفس بعمق فى ذلك الجو البارد ثم سار مسرعاً إلى سيارته . لقد فعلها . لقد نظر إلى عينيها ، واحتضنها وقبلها كعادته . لم تشك فى أى شيء . بل إنها قد تأثرت بما فعله وفرحت به .

راح ديفاشر يتحرك يميناً ويساراً خلف مكتبه في عصبية وهو يدخن سيجارة بسرعة . جلس على مقعده الدوّار البالى وحاول أن يركز فى إحدى المذكرات الموضوعة أمامه ، ثم قفز على قدميه وأخذ يمشى مرة أخرى . نظر إلى ساعته . اتصل بسكرتيرته ، ثم بسكرتيرة أوليفر لامبرت . ثم أخذ يروح ويجىء مرة أخرى .

أخيراً ، وبعد سبع عشرة دقيقة تأخير عن موعده الافتراضى ، عبر أوليفر لامبرت بوابة الأمن ثم سار نحو مكتب ديفاشر .

وقف ديفاشر خلف مكتبه ينظر إلى أولى فى غضب ثم قال : " لقد تأخرت كثيراً " .

" أنا مشغول للغاية " أجاب أولى بذلك وهو يجلس على مقعد جلدى متهالك ثم أضاف : " ما هو الأمر المهم ؟ "

تحولت ملامح ديفاشر إلى ابتسامة مكرٍ شريرة . وبشكل مسرحى ، فتح أحد أدراج مكتبه ثم ألقى مظروفاً كبيراً فوق سطح المكتب حتى سقط فى حجر أولى قائلاً فى فخر : " أحد أفضل الأعمال التى قمنا بها " .

فتح لامبرت المظروف وأخذ يحدق فى عدد من الصور الملتقطة بالأبيض والأسود . كان يطيل النظر إلى كل صورة ، ويحملها على بعد بوصة من أنفه ، وهو يحفظ كل التفاصيل . أخذ ديفاشر يشاهده فى فخر . شاهد لامبرت الصور مرة أخرى وبدأ يتنفس بصعوبة وهو يقول : " هذه صور رائعة " .

" نعم . لقد ظننا ذلك " .

" من هذه الفتاة ؟ " تساءل أولى ، وهو لا يزال ينظر .

" عاهرة من سكان الجزيرة . تبدو رائعة الجمال ، أليس كذلك ؟ " نحن لم نستخدمها من قبل ، لكن من الواضح أننا سنستخدمها مرة أخرى " .

" أريد أن أقابلها ، وبسرعة " .

" لا توجد مشكلة . لقد توقعت أن ترغب بذلك " .

" هذا رائع للغاية . كيف تمكنت من فعلها ؟ "

" لقد بدا الأمر صعباً في البداية . قال ميتش للفتاة الأولى أن تذهب إلى الجحيم . أخذ آفرى تولار الفتاة الأخرى . لكن رجلك لم يرغب أن يقترب من صديقتها . غادر المكان وذهب إلى ذلك الملهى الصغير على الشاطئ . وفي هذا المكان ظهرت هذه الفتاة . إنها محترفة للغاية " .

" وأين كان رجالك ؟ "

" منتشرين في كل مكان . لقد أخذت هذه الصور من خلف نخلة ، على بعد ثمانين قدماً من موضع ميتش والفتاة . إنها صور رائعة ، أليس كذلك ؟ "

" رائعة للغاية . أعط المصور مكافأة . كم بقي ميتش والفتاة سوياً ؟ "

" وقتاً كافياً . لقد كان بينهما تناغم خاص " .

" أظن أنه قد استمتع بوقته جيداً " .

قال ديفاشر : " لقد كنا محظوظين . كان الشاطئ مهجوراً والتوقيت كان مثالياً " .

رفع لامبرت إحدى الصور إلى أعلى أمام عينيه وسأل من خلفها : " هل صنعتم نسخة من أجلي ؟ "

" بالطبع يا أولى . أنا أعلم كم تستمتع بهذه الأشياء " .

" لقد ظننت أن ماكدير أقوى من هذا " .

" إنه قوى بالفعل . لكنه مجرد إنسان . وهو ليس غبياً أيضاً . لسنا متأكدين ، لكننا نعتقد أنه قد علم أننا نراقبه أثناء غداء اليوم التالى . بدا التشكك عليه واضحاً وبدأ يجرى بسرعة حول منطقة المتاجر . ثم اختفى تماماً . لقد تأخر ساعة كاملة عن موعده مع تولار عند البنك " .

" إلى أين ذهب ؟ "

" لا نعلم . لقد كنا نراقبه لمجرد الفضول فقط ، ولم تكن مراقبة جدية . اللعنة ، ربما يكون قد ذهب إلى أحد النوادى فى وسط المدينة . لكنه اختفى عن الأنظار " .

" راقبه عن كثب . إنه يشعرنى بالقلق " .

لوح ديفاشر بمظروف آخر وقال : " توقف عن القلق يا أولى . لقد صار تحت سيطرتنا الآن ! سوف يقتل من أجلنا إذا علم بهذه الصور " .

" ماذا عن تارانس ؟ "

" لا أثر له . إن ماكدير لم يذكر اسمه إلى أى أحد ، على الأقل من هؤلاء الذين نتنصت عليهم . من الصعب مراقبة تارانس أحياناً ، ولكن أعتقد أنه لم يتحرك حتى الآن " .

" لتكن أعينكم مفتوحة " .

" لا تقلق نفسك حول وسائلى يا أولى . أنت المحامى والمستشار المالك ، وقد أخذت صورك المفضلة . إنك تدير الشركة . وأنا أدير أمور المراقبة والتتبع " .

" كيف حال الأمور فى منزل عائلة ماكدير ؟ "

" ليست على ما يرام . لقد تصرفت زوجته بهدوء شديد عندما علمت بأمر رحلة العمل " .

" وماذا فعلت أثناء غيابه ؟ "

" حسناً . إنها ليست من الطراز الذى يظل حبيس المنزل . لقد خرجت بصحبة زوجة لامار كوين مرتين لتناول إحدى الوجبات السريعة ثم ذهبتا إلى السينما بعد ذلك . خرجت فى ليلة أخرى بصحبة صديقة لها من المدرسة . وقامت بعمل بعض التسوق .

إلى جانب أنها تتصل بوالدتها كثيراً ، مكالمات مدفوعة الأجر ، من الواضح أن العلاقة بين زوجها ووالديها سيئة للغاية ، وهى تحاول تحسين الأمور بينهم . علاقتها بأمها قوية للغاية وهى منزعجة للغاية

لأنها لا تستطيع جمع شمل الجميع فى عائلة كبيرة وسعيدة . تريد تمضية عيد الميلاد فى كينتاكى ، وتخشى أن ميتش لن يوافق على هذا . هناك الكثير من الحسابات ، والكثير من الاضطراب أسفل ذلك السطح الراكد في علاقتهما . إنها تخبر أمها أنه يعمل كثيراً ، وأمها تقول إنه يفعل ذلك لكي يثبت نفسه أمامهم . لا يعجبني ما يحدث يا أولى . هذه المظاهر تنذر بحدوث كارثة " .

" استمر فى المراقبة فقط . لقد حاولنا أن نجعله يبطئ العمل قليلاً ، لكنه يعمل مثل الآلة " .

" هكذا ! أريد أن تقنعنى أنكم تريدون منه أن يبطئ العمل وهو الذى يدر لكم مائة وخمسين دولاراً كل ساعة . لماذا لا تجعلون كل المحامين يعملون لأربعين ساعة فقط أسبوعياً حتى يتمكنوا من تمضية بعض الوقت مع عائلاتهم . يمكنك أن تقلل من راتبك ، وتبيع كلباً أو كلبين من كلابك ، وتبيع مجوهرات زوجتك ، وربما تبيع قصرك وتشترى منزلاً صغيراً بجوار النادى الريفى " .

" اخرس يا ديفاشر " .

اندفع لامبرت إلى خارج المكتب . تحول وجه ديفاشر إلى الحمرة مع ضحكته العالية ، وعندما أصبح المكتب خالياً ، وضع الصور داخل خزانة الملفات ثم أغلقها بإحكام .

اتسعت ابتسامته وقال محدثاً نفسه : " ميتشل ماكدير ، لقد صرت تحت رحمتنا الآن " .

١٥

. . . .

في ظهيرة أحد أيام الجمعة ، قبل أسبوعين من الأعياد ، ودعت آبى تلاميذها وغادرت مدرسة سانت أندرو لقضاء إجازة الأعياد . في تمام الواحدة ، أوقفت سيارتها في داخل ساحة انتظار ممتلئة بسيارات فولفو و بى . إم . دبليو وساب ومزيد من السيارات البيجو ، وسارت مسرعة خلال الأمطار الباردة نحو ذلك المطعم المزدحم حيث يتجمع شباب الأغنياء لكى يتناولوا فطائر الخضراوات واللحوم المشوية وشوربة اللوبيا السوداء بين النباتات التى أحاطت بالمطعم . كان ذلك هو المطعم المفضل لكاى كوين فى هذه السنة ، وكانت تلك هى المرة الثانية التى يتناولان فيها الغداء هناك خلال ذلك الشهر . وكانت كاى قد تأخرت كعادتها .

لقد كانت صداقتهما لا تزال فى مراحل تطورها الأولى . ولطبيعتها الحذرة ، لم تكن آبى تندفع فى صداقتها مع شخص غريب . وقد مرت سنواتها الثلاث فى هارفارد بلا أصدقاء ، وقد تعلمت قدراً كبيراً من الاعتماد على نفسها . وخلال ستة أشهر فى ممفيس قابلت عدة شخصيات مرشحة لصداقتها فى دار العبادة وواحدة فى المدرسة ، ولكنها كانت تقترب من الجميع بحذر .

فى البداية كانت كاى تضغط بقوة لكى تقرب المسافات . كانت تتصرف كمرشدة سياحية ، ومستشارة تسوق وحتى مصممة ديكور .

لكن آبي كانت تتحرك ببطء ، وتتعلم القليل في كلٍ زيارة وتشاهد صديقتها الجديدة في حذر . كانتا قد تناولتا الطعام معاً عدة مرات في منزلٍ عائلة كوين ، وتقابلتا في حفلات الشركة وتجمعاتها ، ولكن دائماً وسط الزحام . وقد استمتعت كل منهما بصحبة الأخرى في تناول وجبات الغداء الطويلة الأمد في أحد تلك المطاعم المثيرة التي يرتادها سيدات المجتمع الصغيرات الجميلات ممن يحملن بطاقات الائتمان الذهبية في ممفيس . كانت كاى تلاحظ السيارات والمنازل والملابس ، لكنها كانت تظهر أنها لا تهتم بذلك وتتجاهله . أرادت كاى أن تكون صديقة مقربة ، وموضع ثقة ، وشخصاً قريباً من القلب . أبقت آبي على المسافة بينهما ، وفي بطء سمحت لكاى أن تقترب .

كان هناك صندوق موسيقي من طراز الخمسينات يستقر أسفل مائدة آبي في الطابق الأول من المطعم ، حيث احتشد الأشخاص يتناولون المشروبات وينتظرون أن تفرغ الموائد . بعد عشر دقائق ، وبعد أن عزف صندوق الموسيقي أغنيتين للمغنى روى أوربينيون ، ظهرت كاى من بين الحشد المتزاحم عند باب المطعم الأمامي ورفعت عينها إلى الطابق الثالث . ابتسمت آبي ولوحت بيدها .

احتضنت كل منهما الأخرى وقبلتها على الخد ، دون أن تترك أثراً لأحمر الشفاه كما تقتضي قواعد اللياقة .

قالت كاى : " أعتذر عن التأخير " .

" لا داعي . لقد تعودت على ذلك " .

" هذا المكان مزدحم للغاية " . قالت كاى ذلك وهي تنظر حولها في انبهار ، رغم أن المكان دائمًا ما يكون مزدحماً . أضافت قائلة : " هل حصلتِ على الإجازة ؟ "

" نعم . منذ ساعة مضت . لقد أصبحت متفرغة حتى السادس من يناير " .

نظرت كل منهما إلى ملبس الأخرى فى إعجاب ، ثم علقت كلاهما على جمال ورشاقة الأخرى .

أصبح التسوق من أجل الأعياد الموضوع الرئيسى للمحادثة ، وتحدثنا عن المحال والمبيعات والأطفال حتى وصلت المشروبات . طلبت آبى الجمبرى المقلى ، ولكن كاى التزمت بطبقها المفضل من فطائر البروكلى .

تساءلت كاى : " ما هى خططك لقضاء الإجازة ؟ "

" لا شيء حتى الآن . أود الذهاب إلى كينتاكى لزيارة أهلى ، لكن أخشى أن ميتش لن يوافق . لقد لمحت له بالأمر مرتين ، لكنه تجاهل التلميح فى كل مرة " .

" ألا يزال على كرهه لوالديكِ ؟ "

" لم يتغير أبداً . فى الواقع ، لقد توقفنا عن التحدث فى الأمر . لا أدرى كيف أتصرف فى هذه المشكلة " .

" أظن أن عليك التصرف بحذر شديد " .

" نعم ، وبمزيد من الصبر . لقد كان والداى على خطأ ، لكننى مازلت بحاجة إليهما . إن الأمر مؤلم بشدة أن يكون الرجل الوحيد الذى أحببته لا يطيق والدى . إننى أصلى كل يوم من أجل أن تحدث معجزة صغيرة " .

" يبدو أنكِ بحاجة إلى معجزة كبيرة . هل يعمل لساعات طويلة كما يقول لامار ؟ "

" لا أعرف كيف يمكن لإنسان أن يعمل لكل هذا الوقت . إنه يعمل ثمانى عشرة ساعة كل يوم من الاثنين وحتى الجمعة ، وثمانى ساعات يوم الجمعة ، وبما أن الأحد هو يوم الراحة ، فهو يعمل لخمس أو ست ساعات فقط . إنه يحتفظ لى بالقليل من الوقت أيام الأحد " .

" أحس بلمحة من الإحباط فى كلامك " .

" بل الكثير من الإحباط يا كاى . لقد صبرت كثيراً على هذا الوقت ، لكن الأمور تسوء . لقد بدأت أشعر كأننى أرملة . لقد مللت من النوم فوق الأريكة انتظاراً لوصوله إلى المنزل " .

" أتحسين أنك قد أصبحت أداة للطعام وإشباع رغباته ؟ "

" يا ليت . إنه متعب للغاية وليس لديه قدرة على ممارسة العلاقة الحميمة . لم يعد ذلك من أولوياته . أعنى ، لقد كنا نفعل ذلك طوال الوقت فى كلية الحقوق . أما الآن ، فأصبحنا لا نفعله سوى مرة كل أسبوع إذا كنت محظوظة . إنه يأتى إلى البيت ، يأكل إذا كان لديه القدرة على ذلك ثم يذهب للنوم على الفور . إذا كنت محظوظة للغاية ربما يتحدث إلىَّ لبعض الدقائق قبل أن يسقط مغشياً عليه . إننى أتوق إلى التحدث مع أحد الراشدين يا كاى . إننى أمضى سبع ساعات كل يوم أتحدث إلى أطفال فى سن الثامنة ، وأشعر بالاشتياق إلى التحدث بكلمات غير تلك الكلمات البسيطة التى أتحدث بها إلى الأطفال . إننى أحاول أن أشرح له هذه الأشياء ، وإذا به يغط فى نوم عميق . هل مرت عليك أيام كهذه مع لامار ؟ "

" نوعاً ما . لقد كان يعمل لمدة سبعين ساعة أسبوعياً خلال السنة الأولى . أظن أن جميعهم يفعلون ذلك . يبدو أنه تقليد لابد أن يتبع عند الانضمام إلى هذه الشركة . نوع من الطقوس الذكورية التى على كل فرد منهم أن يثبت رجولته من خلالها . لكن معظمهم تخور عزيمته بعد السنة الأولى ، فتجدينهم يعودون إلى ستين أو خمس وستين ساعة أسبوعياً . سوف يستمرون فى العمل الشاق ولكن ليس بتلك الطريقة الانتحارية التى يمارسها المبتدئون فى العام الأول " .

" هل لامار مازال يعمل كل أيام السبت ؟ "

" معظم أيام السبت ، لساعات معدودة فقط . لا يعمل أبداً يوم الأحد . لقد ضغطت عليه حتى استسلم لذلك . بالطبع عند اقتراب

المواعيد النهائية للقضايا أو عند موسم تحصيل الضرائب سوف تجدينهم جميعاً يعملون طوال الوقت . أظن أن ميتش قد أصابهم بالحيرة " .

" إنه لا يبطئ في عمله على الإطلاق . في الواقع ، لقد تملكه العمل تماماً . من وقت لآخر لا يعود إلى المنزل حتى الفجر . بعدها يأخذ حماما سريعاً ثم يعود إلى المكتب مرة أخرى " .

" يقول لامار إن ميتش قد صار أسطورة في أنحاء الشركة " .

ارتشفت آبي شرابها ونظرت إلى الملهى عبر السياج . ثم قالت : " هذا رائع للغاية ! لقد تزوجت أسطورة " .

" هل فكرت في إنجاب الأطفال ؟ "

" أظن أن هذا يتطلب ممارسة العلاقة الحميمة ، أليس كذلك ؟ "

" بحقك يا آبي . لا يمكن أن يكون الوضع بهذا السوء " .

" أنا غير مستعدة لإنجاب الأطفال . لا أستطيع أن أكون أماً وحيدة . أنا أحب زوجي ، ولكن في هذه المرحلة من حياته ، ربما سيكون لديه اجتماع مهم للغاية ويتركني بمفردي في غرفة الولادة وأنا على وشك الوضع . إنه لا يفكر في أي شيء سوى شركة المحاماة اللعينة تلك " .

مدت كاي يدها على طول الطاولة وفي رفق أمسكت بيد آبي ثم قالت وعلى وجهها ابتسامة ثابتة ونظرة حكيمة : " ستكون الأمور بخير . إن العام الأول هو الأصعب . سوف تتحسن الأمور ، أعدك بذلك " .

ابتسمت آبي وقالت : " أنا آسفة " .

وصل النادل يحمل الطعام وطلبتا مزيداً من المشروبات . كان الجمبرى مغموراً في صلصة الزبد والثوم وتفوح منه رائحة شهية . وجاءت الفطائر الباردة على طبق قطِعَت فيه شرائح الطماطم السميكة فوق فراش من نبات الخس الطازج .

تناولت كاى قطعة من فطيرة البروكلى وأخذت تمضغ فيها وهى تقول : " أتعلمين يا آبى ، إن الشركة تشجع موظفيها على إنجاب الأطفال " .

أجابتها آبى : " لا أهتم بذلك . فى هذه اللحظة أنا أكره هذه الشركة . أحس أنى فى منافسة مع هذه الشركة ، وأشعر أننى أتلقى هزيمة نكراء . ولهذا لا أهتم بما يريدون . إنهم لن يخططوا أسلوب حياتى وسلوك أسرتى بالنيابة عنى . لا أفهم لماذا يهتمون كثيراً بأشياء لا تخصهم على الإطلاق . إن هذا المكان مريب يا كاى . لا أستطيع أن أضع إصبعى على دليل ، ولكن هؤلاء الأشخاص يجعلون جسدى يقشعر " .

" إنهم يريدون محامين سعداء وعائلات مستقرة " .

" وأنا أريد أن يعود إلىَّ زوجى . إنهم فى طريقهم لأخذه منى إلى الأبد ، ولذلك فالعائلة ليست مستقرة تماما . إذا خففوا الضغوط عنه فربما نستطيع أن نتصرف بشكل طبيعى مثل الآخرين ونملأ المنزل بالأطفال . لكن ليس الآن " .

وصلت المشروبات ، وبرد الجمبرى قليلاً . أخذت آبى تأكل طعامها فى بطء وترتشف مشروبها من وقت لآخر . بحثت كاى عن موضوع أقل حساسية لكى تتحدث فيه .

قالت كاى : " قال لامار إن ميتش ذهب إلى جزر كايمان الشهر الماضى . "

" نعم . لقد ذهب بصحبة آفرى تولار لمدة ثلاثة أيام . مجرد رحلة عمل ، أو هكذا يقول . هل ذهبت إلى هناك ؟ "

" كل عام . إنه مكان رائع وبه شواطئ فى غاية الجمال ومياه دافئة منعشة . نحن نذهب فى يونيو من كل عام ، عندما ينتهى العام الدراسى . إن الشركة تمتلك استراحتين كبيرتين على الشاطئ " .

" يريد ميتش أن نذهب إلى هناك في مارس ، أثناء العطلة الدراسية في الربيع " .

" أنتما بحاجة إلى ذلك . قبل أن ننجب الأطفال ، لم نكن نفعل أى شيء سوى الاسترخاء فوق رمال الشاطئ ، نشرب العصائر الاستوائية ونستمتع بالوقت . لهذه الأسباب قامت الشركة بتجهيز الاستراحات بالأثاث وتوفير طائرة خاصة ، إذا كنت من المحظوظين . إنهم يعملون بجد ولكنهم يقدرون قيمة الحاجة إلى الاستمتاع بملذات الحياة " .

" لا تذكرى هذه الشركة أمامي يا كاى . أنا لا أريد أن أسمع عما يحبون ويكرهون ، أو ما يفعلون وما لا يفعلون ، أو ما يشجعون أو لا يشجعون " .

" سوف يتحسن الوضع يا آبى . أعدك بذلك . يجب أن تفهمى أن زوجك وزوجى محاميان جيدان ، لكنهما لم يكونا ليحصلا على هذه الأموال في أى مكان آخر . أنا وأنت كنا لنقود سيارات بويك حقيرة بدلاً من سيارات بيجو أو مرسيدس " .

قطعت آبى قطعة جمبرى إلى نصفين وأخذت تَغمِسها داخل الزبد والثوم . التقطت قطعة منها بالشوكة ، ثم أزاحت الطبق جانباً . قالت : " أعرف ذلك يا كاى . لكن هناك أمورًا أخرى في الحياة أهم من المنزل الكبير والسيارات البيجو . يبدو أنه لا أحد هنا يدرك ذلك . أقسم لك ، إننى أعتقد أننا كنا أسعد حالاً ونحن نعيش فى شقة من غرفتين فقط في كامبريدج " .

" لم يمض عليكما هنا سوى بضعة أشهر . سوف يقلل ميتش من ساعات عمله في النهاية ، وسوف تكون الحياة حسبما تحبين . قبل وقت طويل سيكون هناك ماكدير صغير يجرى في أرجاء الفناء الخلفي ، وسوف يصبح ميتش شريكا فى وقت قصير . صدقيني يا

آبى ، سوف تتحسن الأمور كثيراً . إنك تمرين بمرحلة مررنا بها جميعاً ، وقد اجتزناها بنجاح " .

" شكرا لك يا كاى . أتمنى أن تكونى محقة " ..

كانت الحديقة صغيرة الحجم ، مجرد فدانين أو ثلاثة على أرض جرف يعلو النهر . كان هناك صف من المدافع الأثرية وتمثالان من البرونز لتمجيد ذكرى شجاعة جنود التحالف الذين قاتلوا لإنقاذ النهر والمدينة خلال الحرب الأهلية . وأسفل تمثال أثرى لأحد الجنرالات كان هناك سكير متشرد يغطى نفسه من البرد . كان الصندوق المصنوع من الكرتون والبطانية البالية يوفران مأوى بسيطًا من البرد القارص ونسمات الهواء المتجمد . والى خمسين ياردة بالأسفل ، انطلقت السيارات مندفعة عبر المرور المزدحم فى طريق ريفرسايد . كان الجو مظلماً .

سار ميتش إلى صف المدافع الأثرية ووقف ينظر إلى النهر والى الكبارى التى تقود إلى أركنساس . أغلق معطف المطر وقلب ياقته إلى أعلى لكى تغطى أذنيه . نظر إلى ساعته وانتظر .

كان مبنى بنديني يكاد يظهر أمام عينيه على بعد ستة مربعات سكنية . كان قد أوقف سيارته فى مرآب بوسط المدينة ثم استقل سيارة أجرة عائداً إلى النهر . كان على يقين أنه لا يوجد من يتبعه . وانتظر .

أخذت الرياح المتجمدة القادمة من النهر تعصف بقوة جاعلة وجهه يحمر من البرد وذكرته بفصول الشتاء التى قضاها فى كينتاكى بعد وفاة والديه . فصول شتاء طويلة وحيدة . فصول شتاء باردة ومريرة . كان يرتدى معطف شخص آخر ، أعطاه إياه ابن عم أو صديق ، ولم تكن تلك المعاطف ثقيلة بما يكفى . ملابس مستعملة وبالية . أزاح من عقله تلك الأفكار .

تحولت قطرات المطر المتجمد إلى قطع صغيرة من الثلج وارتطمت تلك القطرات بشعره ثم ارتدت إلى الرصيف من حوله . نظر إلى ساعته .

كان هناك وقع أقدام ، وظل الرجل يمشي مسرعا تجاه المدافع . توقف الرجل المجهول قليلا ، ثم تقدم نحوه ببطء .

" ميتش ؟ " . لقد كان الرجل هو ايدى لوماكس ، يرتدى الجينز ومعطف مطر طويلاً . وبشاربه الكثيف وقبعة رعاة البقر البيضاء التى يضعها ، بدا أشبه بذلك الرجل الذى يضعون صورته فى إعلان سجائر مارلبورو .

" نعم ، إنه أنا " .

اقترب لوماكس أكثر ، إلى الناحية الأخرى من المدافع . وقفا مثل حارسين من جنود التحالف يراقبان النهر .

تساءل ميتش : " هل تبعك أحد ؟ "

" كلا ، لا أظن ذلك . ماذا عنك ؟ "

" لا " .

حدق ميتش بالمرور فى طريق ريفرسايد وإلى النهر من ورائه . دس لوماكس يديه داخل جيوبه بقوة وقال متسائلا : " هل تحدثت إلى راى مؤخراً ؟ "

" كلا " كانت الإجابة مختصرة للغاية ، وكأن ميتش أراد أن يقول : " أنا لم آت لأقف فى هذا الصقيع من أجل الدردشة " .

" ماذا وجدت ؟ " تساءل ميتش دون أن ينظر .

أشعل لوماكس سيجارة ، وفى تلك اللحظة أصبح نسخة مطابقة لرجل إعلان مارلبورو . قال لوماكس : " فيما يخص المحامين الثلاثة ، لقد وجدت بعض المعلومات القليلة . لقيت اليس كناوس مصرعها فى حادث سيارة فى عام ١٩٧٧ . قالت تقارير الشرطة إن سيارة يقودها سائق مخمور صدمت سيارتها ، ولكن الغريب فى الأمر

أن ذلك السائق المخمور لم يُعثَر عليه أبداً . وقعت الحادثة فى منتصف الليل تقريباً فى أحد أيام الأربعاء . كانت تعمل لوقت متأخر فى المكتب فى تلك الليلة وكانت تقود سيارتها عائدة إلى منزلها . كانت تسكن فى الجانب الشرقى من المدينة ، فى منطقة سيكامور فيو ، وعلى بعد ميل من منزلها صدمتها شاحنة ثقيلة من الأمام . وقعت الحادثة على طريق نيو لندن . كانت تقود سيارة فيات صغيرة غالية الثمن وأدى الحادث إلى تحطم السيارة تماماً . لم يكن هناك شهود . عندما وصل رجال الشرطة إلى موقع الحادث ، كانت الشاحنة خالية . ولم يكن هناك أى أثر للسائق . قاموا بمراجعة أرقام لوحات الشاحنة ووجدوا أنها قد تم الإبلاغ عن سرقتها فى سانت لويس قبل ثلاثة أيام من الحادث . لم يكن هناك بصمات ولا أية أدلة أخرى " .

" هل فحصوا السيارة بحثاً عن بصمات ؟ "

" نعم . أنا أعرف المحقق الذى تولى القضية . كان هناك بعض الشكوك ولكن لم يكن هناك ما يكفى من الأدلة لاستمرار التحقيق . كان هناك زجاجة شراب مكسورة فوق أرضية الشاحنة ، فألقوا باللائمة على السائق المخمور وأغلقوا ملف القضية " .

" أكان هناك تشريح ؟ "

" كلا . لقد كان واضحاً للغاية طريقة وفاتها " .

" يبدو الأمر مثيراً للشبهات " .

" بشكل كبير . كل الحوادث الثلاث كانت مثيرة للشبهات . كان روبرت لام صياد غزلان فى أركنساس . كان يقيم مخيماً لصيد الغزلان مع بعض أصدقائه فى مقاطعة ايزارد التى تطل على جبال اوزاركس . كانوا يخيمون هناك مرتين أو ثلاث مرات فى السنة خلال موسم الصيد . عاد الجميع إلى كابينة المخيم بعد قضاء الصباح بالغابة فيما عدا روبرت لام . ظلوا يبحثون عنه لمدة أسبوعين وعثروا عليه ملقى فى أحد

الوديان العميقة ، مغطى جزئياً بأوراق الأشجار . كان أحدهم قد أطلق النار على رأسه ، وهذا هو كل ما عرفوه . استبعدوا احتمال الانتحار ولكن لم يكن هناك أية أدلة لبدء التحقيق فى الحادثة " .

" إذن فقد تم قتله ؟ " .

" يبدو ذلك . أظهر التشريح أن الرصاصة أصابت الجمجمة من الخلف وخرجت من الأمام مما دمر معظم الوجه . كان من المستحيل أن تكون حادثة انتحار " .

" ربما كانت مجرد حادث عارض " .

" محتمل . ربما تكون الطلقة التى إصابته كانت قد أُطلقَت نحو أحد الغزلان ، لكن ذلك غير مرجحٍ . لقد عثروا عليه على بعد مسافة كبيرة من المعسكر ، وفي منطقة نادراً ما يستخدمها الصيادون . قال أصدقاؤه إنهم لم يروا أو يسمعوا أى صيادين آخرين فى المنطقة فى صباح اليوم الذى اختفى فيه . لقد تحدثت إلى المأمور ، الذى أصبح مأمورًا سابقًا الآن ، وهو مقتنع للغاية أنها كانت جريمة قتل . يدعى أنه كانت هناك أدلة تشير إلى أن الجثة تمت تغطيتها بشكل متعمد " .

" هل هذا كل شيء ؟ "

" نعم ، فيما يخص روبرت لام " .

" ماذا عن ميكل ؟ "

" أمر مؤسف . لقد انتحر في عام ١٩٨٤ عن عمر يناهز الرابعة والثلاثين . أطلق النار علىٍ صدغه الأيمن مستخدما مسدس سميث ٣٥٧ . ترك خطاب وداع طويلاً طلب فيه من زوجته السابقة أن تغفر له إلى نهاية هذا الكلام الفارغ . ثم كتب بعض كلمات الوداع لأولاده وأمه . أمر مؤثر للغاية " .

" هل كان الخطاب مكتوباً بخط اليد ؟ "

" كلا . لقد كان مكتوباً على الآلة الكاتبة ، ولم يكن ذلك غير معتاد ، لأنه كان كثيراً ما يُكتب بهذه الطريقة . كانت لديه آلة كاتبة من طراز آى . بى . إم فى مكتبه ، وقد كتب الخطاب على نفس الآلة الكاتبة . لقد كان خط يده سيئاً للغاية " .

" إذن ما الذى يثير الشبهات فى الأمر ؟ "

" المسدس . لم يكن قد اشترى مسدسًا فى حياته من قبل . لم يعلم أحد من أين أتى هذا المسدس . لم يكن له رخصة ، ولا رقم مسلسل ، ولا أى شيء . يقال إن أحد أصدقائه بالشركة قد ادعى أن مايكل قد أخبره أنه قد اشترى مسدساً من أجل الحماية . من الواضح أنه كان يعانى بعض المشاكل العاطفية " .

قال ميتش : " ماذا تعتقد أنت ؟ "

ألقى لوماكس عقب سيجارته فى الهواء القارص على الرصيف . وضع يديه أمام فمه ثم نفخ داخلهما . قال : " لا أدرى . لا أظن أن محامى ضرائب ليس له خبرة بالمسدسات يستطيع أن يشترى مسدسًا بدون رخصة أو رقم مسلسل . إذا أراد رجل كهذا مسدساً ، سوف يذهب ببساطة إلى متجر الأسلحة النارية ، ثم يقوم بملء الاستمارات الرسمية ويشترى مسدسًا جديدًا . ذلك المسدس كان عمره عشر سنوات على الأقل وتم إخفاء معالمه بواسطة محترفين " .

" هل أجرت الشرطة تحقيقاً ؟ "

" ليس بشكل حقيقى . لقد فتح تحقيق ثم أغلق " .

" هل قام بالتوقيع على الخطاب ؟ "

" نعم ، لكن لا أعلم من الذى شهد على صحة التوقيع . كان قد حصل على الطلاق من زوجته قبل الحادث بعام ، ولقد عادت زوجته للعيش بمسقط رأسها فى بالتيمور " .

أغلق ميتش الزر العلوى لمعطفه وأزال الثلج عن ياقته . صارت قطرات الثلج أكبر حجماً ، وامتلأ بها الرصيف . بدأت طبقة رقيقة من الثلج تتكون أسفل ماسورة المدفع . صارت حركة المرور أبطأ فى طريق ريفرسايد حيث بدأت عجلات السيارات تنزلق وتدور حول نفسها .

" إذن ما رأيك في شركتنا الصغيرة ؟ " تساءل ميتش وهو يطيل النظر إلى النهر الذى يجرى على مسافة بعيدة .

" إنها مكان خطر لكى تعمل به . لقد فقدوا خمسة محامين خلال الخمسة عشر عاماً الماضية . هذا ليس معدل أمان جيداً " .

" خمسة ؟ "

" إذا وضعت هودج وكوزنسكي . لدىَّ بعض المصادر التى أخبرتنى أن هناك بعض الشكوك تحيط بحادثة مصرعهما " .

" أنا لم أستأجرك لتحرى أمر هذين الاثنين " .

" وأنا لن أجعلك تدفع قيمة تلك التحريات . لقد غلبنى الفضول ، هذا هو كل ما فى الأمر " .

" بكم أدين لك ؟ "

" بستمائة وعشرين دولاراً " .

" سأدفع نقداً . بدون سجلات ، اتفقنا ؟ "

" هذا يناسبنى . أنا أفضل النقد " .

استدار ميتش من أمام النهر وأخذ يحدق في المبانى الشاهقة التى تبعد ثلاثة مربعات سكنية من الحديقة . كان يشعر بالبرد فى تلك اللحظة ، لكنه لم يكن متعجلاً للمغادرة . أخذ لوماكس ينظر إليه بجانب عينيه .

قال لوماكس : " أنت واقع في مشكلة ، أليس كذلك ؟ "

أجاب ميتش : " هل الأمر واضح لهذه الدرجة ؟ "

" ما كنت لأعمل فى مكان كهذا . أعنى ، أنا لا أعلم كل ما تفعله ، وأشك أنك تعلم أكثر بكثير مما تخبرنى . لكننا نقف هنا فى هذا البرد القارص لأننا لا نرغب فى أن يرانا أحد . ولا يمكننا التحدث عبر الهاتف . ولا يمكننا أن نتقابل فى مكتبك . والآن لا تريد أن تقابلنى فى مكتبى . وتشعر أنك مراقب طوال الوقت . وتطلب منى أن أتصرف بحرص وأنا أراقب خط سيرى جيداً لأنهم ، أيا كانوا ، ربما يقومون بتتبع حركاتى . هناك خمسة محامين فى هذه الشركة كلهم قد لقوا مصرعهم فى ظروف مثيرة للشبهات ، وأنت تتصرف كما لو أنك ستكون الضحية التالية . نعم ، سأقول إن لديك مشاكل . مشاكل كبيرة " .

" ماذا عن تارانس ؟ "

" أحد أفضل عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالية ؛ لقد انتقل للعمل هنا منذ سنتين " .

" من أين ؟ "

" نيويورك " .

تدحرج المتشرد السكير من أسفل قاعدة التمثال البرونز وسقط على الرصيف . أخذ يغمغم ، ووقف على قدميه ، وجمع بطانيته وصندوقه الكرتون وغادر المكان متجها ناحية وسط المدينة . تحرك لوماكس فى عصبية حول المكان وأخذ يراقب الرجل فى عصبية . قال ميتش : " إنه مجرد شحاذ " . أحس الرجلان بالاسترخاء .

تساءل لوماكس : " ممن نختفى ؟ "

" أتمنى لو أعرف " .

أخذ لوماكس يدرس ملامح ميتش جيدا وقال : " أظن أنك تعلم بالفعل " .

لم يقل ميتش شيئاً .

" اسمع يا ميتش ، أنت لا تدفع لى أتعاباً لكى أتورط فى الأمر . أنا أدرك ذلك . لكن حدسي يخبرنى أنك واقع فى متاعب ، وأظن أنك بحاجة إلى صديق ، شخص تثق به . أستطيع أن أساعدك ، إذا احتجت إلىَّ . أنا لا أعرف من هم الأشرار هنا ، ولكن أنا مقتنع أنهم خطرون للغاية " .

" شكرا لك " . قال ميتش ذلك فى صوت خافت دون أن ينظر ، وكأن الوقت قد حان لكى يغادر لوماكس ويتركه يقف بمفرده فى هذا الصقيع لبعض الوقت .

قال لوماكس : " أنا مستعد أن أقفز فى هذا النهر من أجل راى ماكدير ، وأستطيع بالتأكيد مساعدة أخيه الصغير " .

أومأ ميتش برأسه قليلاً ، لكنه لم يقل شيئاً . أشعل لوماكس سيجارة أخرى وركل الثلج من فوق حذائه الجلدى الطويل .

قال لوماكس : " اتصل بى فى أى وقت . وكن حريصًا . إنهم هناك بالخارج ، وهم يمارسون لعبة فى منتهى الخطورة " .

١٦

. . . .

عند تقاطع شارع ماديسون مع شارع كـوبر بوسـط المدينـة ، تحولـت المبانى القديمة ذات الطابقين بعد تجديدها إلى مطاعم للوجبات السريعة وملاه ليلية ومحلات لبيـع الهـدايا وبعـض المطـاعم الجيـدة . كـان هـذا التقاطع يعرف باسم ميدان اوفرتـون ، وكـان يمثـل مركـزا للسـهرات الليلية المثيرة فى مدينة ممفيس . وعنـدما أنشـئ بالمكـان مسـرح صـغير ومتجر لبيع الكتب أضيفت لمسة ثقافية للميدان . اصطفت الأشـجار فـى الرصيف الأوسط لشارع ماديسون . كانت الإجازات الأسبوعية دائمـا مـا تجعل المكـان يكـتظ بطلبـة الجامعـات والبحـارة مـن القاعـدة البحريـة القريبة ، لكن فى بقية ليالى الأسبوع كانت المطاعم ممتلئـة لكـن هادئـة وغير محتشدة . كان هناك مطعم فرنسي جذاب يسمى باوليت ويقع فـى مبنـى أبـيض اللـون مـزركش بـالجص ، وكـان المطعـم مشـهورا بقائمـة المشروبات والحلوى الفاخرة التى يقـدمها ، والصـوت الرقيـق للمطـرب الذى يغنـى فـوق خشـبة مسـرحه . وعنـدما زاد أعـداد الأثريـاء الـذين يقصدون المطعم زاد معهم تنوع كروت الائتمـان ، ولقـد اسـتخدم ميـتش وآبى ماكدير بطاقاتهما الائتمانية فى هذا المكان أثنـاء بحثهمـا المضـنى عن أفضل المطاعم فى المدينـة . وحتى هذه اللحظة لا يزال باوليت المطعـم المفضل لديهما .

جلس ميتش في ركنٍ من المطعم ، يشرب القهوة وينظر إلى الباب الأمامي . لقد جاء مبكراً ، وقد خطط لذلك مسبقاً . كان قد اتصل بها منذ ثلاث ساعات وسألها إذا كان من الممكن أن يتقابلا في السابعة . سألته عن السبب ، وقال إنه سيشرح لها الأمر لاحقاً . منذ رحلته إلى جزر كايمان وهو يعلم أن هناك من يتبعه ، ويراقبه ، ويتنصت عليه . وخلال الشهر الماضي كان يتحدث في الهاتف بحرص ، ووجد نفسه أكثر من مرة يراقب المرآة العكسية لسيارته ، حتى أنه كان يختار كلماته بحرص وهو في المنزل . كأن أحدهم يراقب ويستمع ، وكان هو على يقين من هذا .

اندفعت آبى إلى داخل المطعم تحتمي من البرد القارص بالخارج وأخذت تقلّب النظر في أرجاء القاعة بحثاً عن زوجها . قابلها ميتش عند الباب وقبّلها على وجنتها . خلعت آبى معطفها وتبعا النادل الذى قادهما إلى طاولة صغيرة في صف من الموائد الصغيرة التى كانت تمتلئ بالناس في مساحة تسمح باستراق السمع . أخذ ميتش ينظر من حوله بحثاً عن طاولة أخرى ، ولكنه لم يجد أى طاولة شاغرة . شكر ميتش النادل وجلس في المقعد المقابل لزوجته .

تساءلت آبى في تشكك : " ما هى المناسبة ؟ "

" هل أحتاج إلى سبب لتناول العشاء بصحبة زوجتى ؟ "

" نعم . إنها السابعة مساء في ليلة الاثنين ، وأنت لست في المكتب . إن هذه بالتأكيد مناسبة خاصة " .

وقف النادل في المساحة الضيقة التى تفصل مائدتهما عن التى تليها ، وتساءل إذا كانا يرغبان في تناول بعض المشروبات . طلبا مشروباً ثم أخذ ميتش يقلّب عينيه في أرجاء قاعة الطعام مجدداً ولمح رجلا مهندم الملبس يجلس بمفرده على بعد خمس موائد منهما . بدا

وجه الرجل مألوفاً عندما نظر إليه ميتش مرة أخرى ، كان الوجه قد اختبأ خلف قائمة الطعام .

" ماذا هناك يا ميتش ؟ "

وضع يده فوق يدها وظهر العبوس فى وجهه وهو يقول : " آبى ، لابد أن نتحدث سوياً " .

ارتعشت يدها قليلاً وتوقفت عن الابتسام ثم تساءلت : " نتحدث عن ماذا ؟ "

خفض ميتش صوته وقال : " عن أمر غاية فى الجدية " .

زفرت بعمق وقالت : " هل يمكن أن ننتظر حتى نتناول الطعام ، إننى أشعر بالجوع " .

نظر ميتش إلى الوجه المتخفى خلف قائمة الطعام وقال : " لا يمكننا التحدث هنا " .

" إذن لماذا نحن هنا ؟ "

" استمعى إلىَّ يا آبى ، أتعرفين مكان الحمامات ؟ هناك عند نهاية القاعة إلى اليمين " .

" نعم ، أعرف مكانها " .

" هناك باب خلفى عند نهاية القاعة . إنه يقود إلى شارع جانبى خلف المطعم . أريد منك أن تذهبى إلى الحمامات ، ومنها إلى الباب الخلفى . سوف أكون بانتظارك فى الشارع الجانبى " .

لم تقل آبى شيئاً . انخفض حاجباها وضاقت عيناها . ومال رأسها قليلاً إلى اليمين .

" ثقى بى يا آبى . سوف أشرح لك لاحقاً . سنتقابل بالخارج ونجد مكاناً آخر لنأكل فيه . لا أستطيع التحدث هنا " .

" أنت تخيفنى " .

قال في هدوء وهو يمسك يدها بقوة : " من فضلك . سيكون كل شيء بخير . سوف أحضر لك معطفك " .

وقفت آبى ممسكةً بحقيبتها وغادرت قاعة الطعام . نظر ميتش من خلف ظهره إلى الرجل ذى الوجه المألوف الذى وقف فجأة واستقبل سيدة عجوزًا وصلت إلى طاولته . لم يكن يستطيع أن يلاحظ آبى وهى تغادر .

وفى الشارع المتاخم لمطعم باوليت ، وضع ميتش المعطف فوق كتف آبى وأشار ناحية الشرق وهو يكرر أكثر من مرة : " سوف أشرح لك كل شيء " . سارا لمسافة مائة قدم على طول الشارع ، ثم أخذا يمشيان بين مبنيين إلى أن وصلا إلى المدخل الأمامي لـ " بومباى بيسكل كلوب " وهو مطعم يرتاده العزّاب يقدم طعاماً جيداً وتعزف فرق الموسيقى البلوز بداخلها . نظر ميستش إلى رئيس النـدّل ، وفحص بعينيه قاعتى الطعام ، ثم أشار إلى مائدة في مؤخرة القاعة قائلاً : " هذه " .

جلس ميتش وظهره إلى الحائط ووجهه فى مقابلة قاعة الطعام والباب الأمامي . كان الركن مظلماً . ووضعت شمعة فوق المائدة من أجل الإضاءة . طلبا المزيد من المشروبات .

جلست آبى بلا حراك ، تحدق فى وجهه ، وتراقب كل حركة يفعلها وتنتظر .

قال ميتش : " هل تذكرين رجلاً يدعى ريك اكلين من جامعة ويسترن كينتاكى ؟ "

" كلا " . ردت آبى دون أن تحرك شفتيها .

" كان يلعب البيسبول ويقيم فى المدينة الجامعية . أظن أنك قد تكونين قابلته مرة أو مرتين . كان طالباً مجتهداً وشاباً لطيفاً ومهذباً . أعتقد انه كان من سكان بولينج جرين . لم نكن أصدقاءً مقربين . لكن كان كل منا يعرف الآخر " .

هزت رأسها وانتظرت .

" حسنًا ، لقد أنهى دراسته قبلى بعام والتحق بكلية الحقوق فى ويك فورست . والآن يعمل مع مكتب التحقيقات الفيدرالية هنا فى ممفيس " . أخذ يراقب ملامحها جيدا ليرى إذا كانت كلمات " مكتب التحقيقات الفيدرالية " سيكون لها تأثير عليها . لكن لم ير لها أى تأثير . أكملَ يقول : " واليوم كنت أتناول الغداء فى مطعم للوجبات السريعة بشارع ماين ستريت ، وإذا بـ " ريك " يظهر فجأة دون مقدمات ويلقى علىَّ التحية . كأن الأمر كان مجرد مصادفة . ظللنا ندردش لدقائق ، ثم ظهر عميل مباحث آخر يدعى تارانس وجلس إلى طاولتنا . وهذه هى المرة الثانية التى يطاردنى فيها ذلك المدعو تارانس منذ أن اجتزت امتحان النقابة " .

" المرة الثانية ... ؟ " .

" نعم . منذ أغسطس " .

" وهذان الرجلان ... هل هما عميلان للمباحث الفيدرالية ؟ "

" نعم ، يحملان الشارات وكل شيء . تارانس عميل محنك من مدينة نيويورك . وانتقل إلى ممفيس منذ سنتين . أما أكلين فهو عميل مبتدئ انتقل إلى مكتب ممفيس منذ ثلاثة أشهر فقط " .

" وماذا يريدان ؟ "

وصلت المشروبات وأخذ ميتش ينظر فى أرجاء المطعم . كانت هناك فرقة موسيقية تعزف لحناً فوق مسرح صغير بأحد أركان القاعة . كان المطعم مكتظاً بأشخاص يتسمون بالأناقة جلسوا يتحدثون بلا توقف . أشار النادل إلى قائمة الطعام التى لم تفتح . رد ميتش فى وقاحة : " فيما بعد " .

قال ميتش : " أنا لا أعلم ماذا يريدون يا آبى . لقد كانت الزيارة الأولى فى شهر أغسطس ، بعد أن نشرت الجريدة اسمى بين الذين

اجتازوا امتحان النقابة " . أخذ يرتشف مشروبه ويقص على آبى تفاصيل الزيارة الأولى التى قام بها تارانس بمطعم لانسكى فى شارع يونيون ، والتحذيرات التى أعطاها له بشأن الأشخاص الذين لا يجب أن يثق بهم والأماكن التى لا يجب أن يتحدث فيها ، ومقابلة ميتش ولامبرت وبقية الشركاء . أخذ يشرح لها تفسيراتهم حول أسباب اهتمام المباحث الفيدرالية بشئون الشركة وأنه قد ناقش الأمر مع لامار وصدق كل ما قاله لوك ولامبرت .

كانت آبى تستمع جيداً إلى كل كلمة ، لكنها كانت تنتظر لكى تبدأ فى طرح الأسئلة .

أكمل ميتش يقول : " واليوم ، وبينما أجلس بمفردى ، أتناول شطيرة اللحم بالبصل ، يأتى ذلك الرجل الذى زاملته فى الجامعة ويخبرنى أن رجال المباحث الفيدرالية يعلمون أن هاتفى مُراقب وأن هناك أجهزة تنصت مزروعة فى منزلى . وأن هناك شخصاً فى شركة بنديني ولامبرت آند لوك يعلم متى أعطس ومتى أذهب إلى الحمام . فكرى فى الأمر يا آبى . لقد نقل ريك اكلين إلى مكتب ممفيس بعد أن اجتزت امتحان النقابة تماماً . مصادفة لطيفة ، أليس كذلك ؟ "

" ولكن ماذا يريدون ؟ "

" لم يقولا . لا يمكنهما أن يخبرانى الآن . فقط يريدان منى أن أثق بهما وكل هذا الهراء . لا أدرى يا آبى . ليس لدىَّ أى فكرة عما يسعيان خلفه . لكنهما قد اختارانى لسبب محدد " .

" هل أخبرت لامار بأمر هذه الزيارة الجديدة ؟ "

" كلا . لم أقل لأى شخص سواكِ . ولا أخطط أن أخبر أى أحد " .

تجرعت مشروبها وقالت : " هواتفنا مراقبة ؟ "

" هذا ما قاله رجل المباحث الفيدرالية . ولكن كيف يعلمون ذلك ؟ "

" إنهم ليسوا أغبياء يا ميتش . إذا أخبرني رجال المباحث أن هاتفي مراقب سأصدقهم بالتأكيد . ألا تصدقهم أنت ؟ "

" أنا لا أعلم من أصدق . لقد تحدث لامبرت ولوك بشكل مقنع وبليغ للغاية عندما شرحا لي أن الشركة دائماً ما تدخل في معارك مع مصلحة الضرائب ورجال المباحث الفيدرالية . أنا أريد أن أصدق كلامهم ، لكن معظمه لا يشرح الأمر أو يضيف إليه . انظري إلى الأمر من هذه الوجهة - إذا كانت الشركة لها عميل غني محل شكوك ويستحق أن تحقق المباحث في أمره ، لماذا تختارني المباحث الفيدرالية ، المحامي المبتدئ ، المحامي الأقل خبرة ومعلومات ، ثم تبدأ في مراقبتي وتتبع خطواتي ؟ ما الذي لا أعرفه أنا ويستحق هذا الجهد ؟ إنني أعمل على قضايا يسلمني إياها شخص آخر . ليس لدى عملاء خاصون بي . أنا أفعل ما يُطلَب مني فقط . لماذا لا يلاحقون أحد الشركاء ؟ "

" ربما يريدون منك أن تفشي أسرار العملاء " .

" مستحيل . أنا محام وأقسمت أن أحافظ على السرية فيما يخص شئون عملائي . إن كل ما أعرفه عن العميل يعد سراً لا يمكن كشفه . إن رجال المباحث الفيدرالية يعلمون ذلك . لا أحد يتوقع من محام أن يتحدث عن أسرار عملائه " .

" هل رأيت صفقات غير قانونية تتم بالشركة ؟ "

طرقع ميتش أصابعه وأخذ ينظر في أرجاء قاعة الطعام . ابتسم تجاه آبي وقال : " ليس من المفترض أن أجيب على سؤال كهذا ، حتى إذا جاء منك يا آبي . لكن الإجابة هي كلا . لقد عملت على قضايا تخص عشرين من عملاء تولار وبعض العملاء الآخرين من هنا وهناك ، ولم أر أي شيء يثير الشبهات . ربما بعض الإعفاءات الضريبية ذات المخاطرة الكبيرة ، لكن لا شيء غير قانوني . لدى بعض التساؤلات حول الحسابات البنكية التي رأيتها في جزر كايمان ، ولكن ليس منها أي

شيء جدى " . جزر كايمان ! اضطربت أمعاؤه وهو يفكر فى فتاة الشاطئ . وشعر بالاشمئزاز من نفسه .

كان النادل يقف بالقرب منهما وعيناه معلقتان بقوائم الطعام التى لم تفتح . قال له ميتش : " نريد قدحين من القهوة " .

انحنت آبى إلى الأمام ، بالقرب من الشموع وبدت الحيرة على وجهها ثم قالت : " حسناً ، من الذى يراقب هواتفنا ؟ "

" على افتراض أنها مراقبة، ليس لدى أدنى فكرة . فى المقابلة الأولى فى أغسطس ، لَمّح تارانس أنه أحد الأشخاص بالشركة . أقصد أننى فهمت ذلك من كلامه . لقد طلب منى ألا أثق بأى أحد بالشركة ، وأن كل ما أقوله عرضة للتسجيل والتنصت . لقد افترضت أنه يعنى أن الشركة هى من يقوم بذلك " .

" وماذا قال السيد لوك عن ذلك ؟ "

" لا شيء . لم أخبره بذلك . لقد احتفظت ببعض الأشياء لنفسى " .

" إذن فأحدهم قد زرع أجهزة التنصت فى هواتفنا وفى منزلنا ؟ "

" وربما فى سياراتنا . لقد أثار ريك اكلين جلبة كبيرة بخصوص هذا الأمر . ظل يطلب منى ألا أقول أى شيء أخشى أن يتم تسجيله " .

" هذا لا يصدق يا ميتش . لماذا تقوم شركة قانونية بأمر مثل هذا ؟ "

هز رأسه فى بطء ونظر إلى الكأس الفارغ ثم قال : " ليس لدى أية فكرة يا عزيزتى . ليس لدى أية فكرة على الإطلاق " .

وضع النادل قدحى القهوة فوق الطاولة ووقف واضعاً يديه خلف ظهره ثم تساءل : " هل ستطلبان الطعام الآن ؟ "

قالت آبى : " بعد دقائق " .

أضاف ميتش : " سوف نطلبك عندما نكون مستعدين " .

قالت آبى : " هل تصدق هذا الأمر يا ميتش ؟ "

" أظن أن هناك شيئاً يحدث . هناك المزيد في هذه القصة " .

أطبقت آبى يديها فوق المائدة ببطء ونظرت إليه طويلاً وعلى وجهها بدت نظرة خوف ترتسم . أخبرها ميتش بقصة كوزنسكى وهودج ، بادئاً بما قاله تارانس في اللقاء الأول في المطعم ، ثم ما حدث في جزر كايمان وقيام أحدهم بمراقبته هناك ، ثم لقائه مع ابانكس . أخبرها بكل ما قاله ابانكس . ثم قص عليها أمر ايدى لوماكس وحوادث مصرع اليس كناوس ، روبرت لام وجون ميكيل .

قالت آبى عندما انتهى : " لقد فقدت شهيتى " .

" وكذلك أنا . ولكننى أشعر أننى أفضل الآن " .

" لماذا لم تخبرنى من قبل ؟ "

" تمنيت أن ينتهى الأمر . تمنيت أن يتركنى تارانس وشأنى ويجد شخصاً آخر لكى يعذبه . لكنه لن يذهب إلى أى مكان . ولهذا السبب تم نقل ريك اكلين إلى ممفيس . لكى يتولى متابعة قضيته . لقد تم اختيارى من قبل المباحث الفيدرالية من أجل مهمة لا أعرف شيئاً عنها " .

" أشعر بالضعف " .

" يجب أن نتصرف بحرص يا آبى . يجب أن نستمر فى حياتنا كأننا لا نشك فى شيء " .

" أنا لا أصدق أذنى . أنا أجلس هنا ، أنصت إليك ، لكننى لا أستطيع أن أصدق ما تخبرنى به . هذا ليس حقيقياً يا ميتش . هل تتوقع منى أن أعيش فى منزل ممتلئ بأجهزة التجسس وأن أستخدم هواتف مراقبة وأن هناك شخصاً ما فى مكان ما يستمع إلى كل ما نقوله ؟ "

" هل لديكِ فكرة أفضل ؟ "

" نعم ، دعنا نستأجر ذلك الرجل لوماكس لكى يفحص منزلنا " .

" لقد فكرت في هذا . ولكن ماذا إذا وجد شيئاً ؟ فكرى فى الأمر . ماذا إذا علمنا تأكيداً أن المنزل به أجهزة تنصت ؟ ماذا سنفعل حينها ؟ ماذا إذا كسر أحد الأجهزة المزروعة ؟ سوف يعلمون ، أيا كانوا من وضعوا تلك الأشياء ، أننا قد أصبحنا نعلم . إن الأمر شديد الخطورة ، على الأقل في هذه المرحلة . ربما فيما بعد " .

" هذا جنون يا ميتش . أظن أنه من المفروض أن نخرج إلى الفناء الخارجي كلما أردنا أن نتحدث " .

" بالطبع لا . يمكننا أن نستخدم الساحة الأمامية " .

" في هذه اللحظة لا يعجبني حس الدعابة لديك " .

" آسف . استمعي إليَّ يا آبي . دعينا نتحلى بالصبر ونتصرف بشكل طبيعي لبعض الوقت . لقد أقنعني تارانس أنه يتصرف بمنتهى الجدية وأنه لن يتركني وشأني . وأنا لا أستطيع أن أجعله يتوقف . تذكرى أنه يعثر عليَّ في كل مكان . أظنهم يتبعونني وينصبون لى الكمائن . في الوقت الحالى ، من المهم أن نتصرف بشكل طبيعي " .

" طبيعي ؟ إذا فكرت في الأمر ، ستجد أنه لا توجد محادثات تتم في هذا المنزل هذه الأيام . إنني أحس بالأسى من أجلهم وهم ينتظرون لساعات طويلة لكي يسمعوا حواراً له معنى . ربما يمكنهم الإنصات لأحاديثي مع هيرساي " .

١٧

. . . .

زال الثلج قبل وقت طويل من الأعياد ، تاركا الأرض مبتلة ومفسحا الطريق للطقس التقليدى للجنوب فى وقت الأعياد من سماء رمادية ومطر باردٍ . لقد رأت ممفيس الثلج فى الأعياد مرتين فقط خلال التسعين عاماً الماضية ، وخبراء الطقس لا يتوقعون حدوث ذلك ثانية خلال هذا القرن .

كان هناك ثلج فى كينتاكى ، لكن الطرق كانت نظيفة . اتصلت آبى بوالديها فى صبيحة العيد بعد أن أعدت حقيبتها . قالت إنها قادمة لزيارتهما ، لكنها ستكون بمفردها . قالا إن أملهما قد خاب ، واقترحا عليها أن تبقى إذا كان قدومها سيسبب المتاعب . لكنها أصرت على الحضور . لقد كانت الرحلة تستغرق عشر ساعات بالسيارة . سيكون المرور خفيفاً ، وربما تصل هناك بحلول المساء .

لم يقل ميتش سوى قليل من الكلمات . فرد جريدة الصباح على الأرض وتظاهر بالتركيز بينما كانت آبى تضع الحقائب داخل سيارتها . اختبأ الكلب أسفل أحد الكراسى القريبة ، وكأنه ينتظر انفجارا . كانت الهدايا قد فُتِحَت ورُتِبَت بشكل أنيق فوق الأريكة . كانت هناك ملابس وعطور وألبومات صور ، وتلقت آبى معطفاً طويلا من فرو الثعلب كهدية بمناسبة الأعياد . ولأول مرة خلال حياتهما الزوجية القصيرة يكون معهما أموال لينفقاها فى الأعياد .

وضعت آبى معطفها فوق ذراعها وسارت إلى موضع الجريدة ثم قالت بصوت خافت ، لكن فى ثبات : " سأغادر الآن " .

وقف ببطء ونظر إليها .

قالت : " أتمنى لو تأتى معى " .

أجابها : " ربما فى العام القادم " . كانت كذبة ، وكان كلاهما يعلم ذلك . لكنها بدت أمراً جيداً ومشجعاً أيضاً .

قال : " قودى بحذر من فضلك " .

قالت : " اعتن بكلبى جيداً " .

" سنكون بخير " .

أمسك بكتفيها وقبلها على وجنتها . نظر إليها وابتسم . كانت تبدو جميلة ، أكثر جمالاً من وقت زواجهما . فى الرابعة والعشرين ، كانت تبدو على قدر سنها ، لكنها كانت تزداد جمالاً كلما مرت السنون .

سارا إلى ظُلّة السيارة ، وساعدها على الدخول . قبلها مرة أخرى ، ثم تراجعت السيارة إلى الوراء داخل ممر السير . قال لنفسه ، عيد سعيد . ثم قال للكلب ، عيد سعيد .

بعد ساعة من التحديق بالحوائط ، وضع طاقمين من الملابس داخل سيارته الـ بى . إم . دبليو ، ثم وضع هيرساى فى المقعد الأمامى وانطلق بالسيارة مغادرا المدينة . اتجه جنوباً على الطريق رقم ٥٥ بين الولايات ، إلى خارج ممفيس وباتجاه مسيسبى . كان الطريق مهجوراً ، لكنه أبقى إحدى عينيه على المرآة العكسية . كان الكلب يئن كل ستين دقيقة تماما ، وكان ميتش يتوقف على الفور - إذا كان ذلك ممكناً ، فوق أحد التلال . كان يعثر على مجموعة من الأشجار يختبئ بها ويراقب الطريق بينما هيرساى يلبى نداء الطبيعة . لم يلاحظ أى شيء مريب .

بعد خمس وقفات ، كان على يقين أن أحداً لا يتبعـه . يبـدو أنهـم فـى إجازة بمناسبة الأعياد .

خلال ست ساعات كان قد وصل إلى موبيل ، وبعد ساعتين مـن ذلـك عبر الخليج في بنسلفانيا واتجه إلى ساحل ايميرالد فـى فلوريـدا . كـان الطريق الساحلى رقم ٩٨ يمر عبر المدن الساحلية مثل نافـارى ، فـورت والتون بيتش ، دستين ، وساندستين . وكان الطريق يمتلئ بأعـداد مـن الاستراحات والفنادق الرخيصة ، وأميال من مراكز التسوق ، ثم سلسلة من مدن الملاهي القديمـة ومحـلات بيـع القمصـان القطنيـة الرخيصـة ، وكانت معظمها مغلقة ومهملة منذ عيد العمال . ثم يمتد الطريق لأميال بدون ازدحام ، أو تفرعات ، مجرد منظر رائع للشواطئ ثلجية البياض ومياه الخليج الفيروزية الرائعة . وفى شرق ساندستين ، ضـاق الطريـق السريع وتحرك بعيدًا عن الساحل ، ولساعة كاملة قـاد ميـتش السـيارة وحيدًا فى طريق مزدوج دون أن يجد شيئاً ينظر إليـه سـوى الغابـات أو من وقت لآخر محطة وقود ذات خدمة ذاتية ، أو متجر عاديات .

عند الغسق ، عبر فوق مرتفع ، كانت هناك علامة طريـق تشـير إلى أن شاطئ بنما سيتى على بعد ثمانية أميال . تقابل الطريق السـريع مـع الساحل مجدداً عند نقطة تمثل مفـترق طـرق وتـوفر لديـه اختيـار بـين الطريـق الجـانبى إلى الشـمال أو الطريـق الأمـامى ذى المنـاظر الطبيعيـة والذى يعرف باسم ميراكل سـتريب . اختـار ميـتش الطريـق ذا المنـاظر الطبيعيـة المتـاخم للشـاطئ ـ ذلـك الطريـق الـذى يمتـد لخمسـة عشـر ميلاً بمحاذاة الشاطئ والذى اصطفت على جانبيه الاستراحات والفنـادق الرخيصـة ، وسـاحات عربـات النـوم المتحركـة . وأكـواخ الإجـازات ، ومحلات الوجبات السريعة ، ومتاجر القمصان القطنية . كـان هـذا هـو شاطئ بنما سيتى .

كانت معظم الاستراحات ، التى انتشرت بالملايين ، خالية من السكان ، لكن كان هناك بعض السيارات المتوقفة فى الجوار وافترض ميتش أن بعض العائلات تمضي إجازة العيد فوق رمال الشاطئ ، فى طقس حار . على الأقل كانوا يقضونها معا ، هكذا قال ميتش لنفسه . نبح الكلب ، وتوقف ميتش إلى جانب رصيف بحرى حيث كان هناك بعض الرجال من بنسلفانيا وأهايو وكندا يصطادون السمك ويشاهدون المياه المظلمة .

ظل ميتش يطوف طريق ميراكل ستريب بصحبة كلبه . وضع هيرساى قدميه فوق الباب يتطلع إلى المناظر الخارجية ، وينبح من وقت لآخر على أضواء النيون التى تضىء إعلانا عن افتتاح فندقٍ جديد بأسعار مخفضة . كان كل شيء فى طريق ميراكل ستريب مغلقا بسبب إجازة الأعياد فيما عدا قلة من المقاهي والفنادق .

توقف فى إحدىٍ محطات وقود تيكساكو التى تعمل طوال الليل وكان بها موظف بدا ودوداً بشكل زائد .

تساءل ميتش : " أين شارع سان لويس ؟ "

قال الموظفٍ فى لكنة غريبة وهو يشير إلى الغرب : " نعم ، نعم . اتجه يميناً بعد إشارة المرور الثانية . ثم اتجه إلى أول شارع إلى اليسار . هذا هو سان لويس " .

كان الحي عبارة عن ضاحية غير منظمة من المنازل المتحركة عتيقة الطراز . نعم ، كانت منازل متحركة ، لكن بدا واضحاً أنها لم تتحرك من مكانها منذ عقود . كانت مقطورات النوم مكدسة بجوار بعضها وكأنها صفوف من الدومينو . بدا ممر السير الضيق القصير وكأن عرضه مجرد بوصات وكان يمتلئ بأجهزة التسجيل القديمة وقطع الأثاث البالية . كانت الشوارع تكتظ بالسيارات المتوقفة ، والسيارات الخردة ، والسيارات المهجورة . أما الدراجات العادية والبخارية فكانت تستند

على جوانب المقطورات وقد ظهرت مقابض ماكينات جز الحشائش من أسفل كل مقطورة . كان هناك لافتة تطلق على المكان لقب قرية المتقاعدين ــ " عقارات سان بيدرو ـ على بعد نصف ميل من ساحل ايميرالد " . بدا المكان أشبه بحي الفقراء المتنقل على عجلات ، أو مشروع إسكان من المقطورات المتحركة .

وصل ميتش إلى شارع سان لويس وفجأة شعر بالتوتر . كان شارعاً لولبيًا ضيقًا وبه مقطورات صغيرة وفي حالة أسوأ بكثير من " منازل المتقاعدين " الأخرى . كان يقود سيارته ببطء ، وينظر في قلق إلى أرقام الشوارع ويلاحظ أرقام اللوحات الكثيرة التي تشير إلى سيارات من خارج الولاية . كان الشارع خالياً إلا من السيارات المتوقفة والمهجورة .

كانت المقطورة رقم ٤٨٦ بشارع سان لويس أقدم وأصغر من المنازل في الشارع . كان حجمها لا يزيد كثيرا على حجم خيمة في معسكر . كان الطلاء الأصلي للمقطورة يبدو فضي اللون ، لكن الطلاء كان متشققاً ومتصدعاً ، وكان هناك طبقة من العفن الأخضر تغطي قمة المقطورة وتمتد إلى أسفل حتى تكاد تصل إلى النوافذ . لم يكن هناك غطاء للنوافذ . كانت إحدى النوافذ فوق باب المقطورة متصدعة للغاية وملصقة بشريط لصق أسلاك كهربية رمادي اللون . كانت هناك شرفة صغيرة مغطاة السقف تحيط بالمدخل الوحيد . كان الباب الخارجي مفتوحاً ، ومن خلال زجاج النافذة استطاع ميتش أن يرى تلفازاً ملونا صغير الحجم وظِل رجل يمشي أمامه .

لم يكن ذلك هو ما يريد . باختياره ، لم يرد ميتش أبداً أن يرى زوج أمه ، ولم يكن الآن هو الوقت المناسب لذلك . استمر بالقيادة ، شاعراً بالندم لمجيئه .

عثر على أحدٍ فنادق " هوليداى إن " فوق طريق ميراكل ستريب . كان الفندق خالياً ، لكنه مفتوح . أخفى سيارته بعيداً عن الطريق السريع ، وحجز بالفندق تحت اسم ايدى لوماكس من مدينة دانسبورو ، كينتاكي . قام بالدفع نقداً من أجل غرفة بسرير واحد تطل على المحيط .

كان سجل الهاتف الخاص بشاطئ بنما سيتي يحوى ثلاثة أرقام مدرجة تحت اسم مطعم وافل هات على طريق ميراكل ستريب . رقد ميتش فوق السرير وطلب الرقم الأول . كان الرقمَ خاطئاً . طلب الرقم الثانى ، وللمرة الثانية سأل عن إيفا إينسورث . أخبره أحدهم أن ينتظر قليلاً . أغلق ميتش السماعة . لقد كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساء ولم يكن قد نام سوى ساعتين فقط .

وصل التاكسى إلى هوليداى إن خلال عشرين دقيقة ، وبدأ السائق يشرح كيف أنه كان فى منزله يستمتع بتناول ما تبقى من الديك الرومى بصحبة زوجته وأطفاله وبعض أفراد العائلة عندما تم استدعاؤه ، وكيف أنها ليلة العيد وأنه قد كان يأمل أن يمضى اليوم بالكامل بصحبة عائلته وألا يشغل باله بالعمل ليوم واحد فى السنة . ألقى إليه ميتش عشرين دولارًا وطلب منه أن يصمت .

تساءل السائق : " ماذا يوجد فى مطعم وافل هات يا رجل ؟ "

" فقط استمر بالقيادة " .

" مطعم لفطائر الوافل ، حسناً " . ضحك السائق وأخذ يتمتم فى نفسه . قام بتعديل مستوى صوت الراديو وأخذ يقلب المحطات حتى وصل بمحطته المفضلة . ألقى نظرة خاطفة على المرآة ، ثم نظر إلى خارج النافذة ، ثم أخذ يفكر للحظة ، وأخيرا قال : " ما الذى أتى بك إلى هنا فى عشية العيد ؟ "

" أبحث عن شخص ما " .

" عمن تبحث ؟ "

" امرأة " .

" ألسنا جميعاً نبحث عنهن . هل هي امرأة بعينها ؟ "

" صديقة قديمة " .

" أتعمل في مطعم وافل هات ؟ "

" أعتقد ذلك " .

" هل أنت محقق خاص أو شيء من هذا القبيل ؟ "

" كلا " .

" يبدو الأمر مثيراً للشبهات " .

" لماذا لا تقود السيارة وحسب ؟ " .

كان مطعم وافل هات مبنى صغيراً مربع الشكل وبه عشرات الموائد ونضد طويل يواجه المشواة ، حيث تطهى كل الأطعمة في الهواء الطلق . كان هناك نوافذ زجاجية كبيرة تحيط بالموائد من أحد الجوانب حتى يتمكن الزبائن من رؤية الطريق والاستراحات البعيدة بينما يستمتعون بتناول فطائر الوافل بالجوز واللحم المقدد . كانت ساحة الانتظار الصغيرة شبه ممتلئة ، ووجه ميتش السائق إلى ركن شاغر بالقرب من المبنى .

تساءل السائق : " ألن تخرج من السيارة ؟ "

" كلا . أبق العدّاد يعمل " .

" ذلك أمر غريب يا هذا " .

" سوف تأخذ أجرتك " .

" كما تشاء " .

مال ميتش إلى الأمام واضعاً ذراعيه على المقعد الأمامي . أخذ العدّاد ينقر في صوت خافت بينما ميتش يتطلع إلى الزبائن بالداخل . هز

السائق رأسه ، واسترخي في مقعده ، لكن ظل يراقب الموقف بدافع الفضول .

في أحد الأركان بجانب ماكينة بيع السجائر كان هناك طاولة جلس فوقها عدد من السائحين البيض يرتدون القمصان الطويلة والجوارب السوداء وقد جلسوا يشربون القهوة ، ويتحدثون طوال الوقت بينما أعينهم معلقة بقوائم الطعام . أما قائدهم ، فكان يرتدى قميصاً غير مزرر ، ويضع حول عنقه سلسلة ذهبية تتدلى فوق شعر صدره ، وله سوالف رمادية عريضة وفوق رأسه استقرت قبعة رياضية ، وكان يكرر النظر إلى المشواة ، بحثاً عن النادلة .

تساءل السائق : " هل تراها ؟ "

لم يقل ميتش شيئا ، ثم مال إلى الأمام وظهر العبوس على ملامحه . لقد ظهرت فجأة أمام الطاولة وهى تمسك بالقلم ودفتر الطلبات . قال قائد المجموعة شيئا طريفا فضحك السائحون البدناء . لكنها لم تبتسم ، فقط وقفت تنتظر . كانت تبدو ضعيفة وأكثر نحافة من ذى قبل . بل إنها أصبحت شديدة النحافة . كان الزى الرسمى المصنوع من اللونين الأبيض والأسود يناسب قوامها جيداً وإن بدا ضيقا من منطقة الخصر . كان شعرها الرمادى معقوصاً بإحكام ومختفياً أسفل قلنسوة مطعم وافل هات . كانت في الواحدة والخمسين ، ومن تلك المسافة بدت ملامحها تتناسب مع سنها تماماً . لم تكن تبدو أكبر سناً . كانت تبدو حادة الملامح . عندما انتهت من تدوين طلباتهم اختطفت قوائم الطعام من أيديهم ، وقالت شيئاً مهذباً ، وكادت تبتسم ، ثم اختفت . كانت تتحرك بسرعة بين الموائد ، تصب القهوة ، تناول الزبائن زجاجات الصلصة ، وتلقى الأوامر إلى الطاهى .

استرخى ميتش في مقعده . ظل العدّاد ينقر ببطء .

تساءل السائق : " أهذه هى ؟ "

" نعم " .

" ماذا سنفعل الآن ؟ " .

" لا أدرى " .

" حسنا ، لقد وجدناها ، أليس كذلك ؟ "

تتبع ميتش تحركاتها بعينيه ولم ينطق بشيء . كانت تصب القهوة لرجل يجلس وحيداً . قال الرجل شيئاً ، فابتسمت . ابتسامة لطيفة رائعة . ابتسامة رآها آلاف المرات فى الظلام وهو يحدق فى سقف حجرته . ابتسامة أمه .

بدأ ضباب رقيق فى السقوط وأخذت ماسحات الزجاج تنظف النافذة الأمامية كل عشر ثوان . كادت الساعة تشير إلى منتصف الليل ، فى عشية العيد .

أخذ السائق ينقر فوق عجلة القيادة وهو يتململ فى مقعده . هبط فى مقعده أكثر ، ثم غير محطة الراديو قائلا : " إلى متى سنظل نجلس هكذا يا رجل ؟ "

" ليس لوقت طويل " .

" غريب أمرك يا رجل " .

" سوف تتقاضى أجرك " .

" المال ليس كل شيء يا رجل . إنها عشية العيد . لدىَّ أطفال فى المنزل ، وأفراد من العائلة يزورون ، وطعام وشراب ، وها أنا ذا أجلس أمام مطعم وافل هات حتى يمكنك أن تنظر إلى امرأة عجوز خلال النافذة " .

" إنها أمى " .

" إنها ماذا ؟ " .

" لقد سمعت ما قلته " .

" يا إلهى . لقد رأيت كل أنواع البشر " .

" لماذا لا تخرس فقط ، اتفقنا ؟ "

" حسنا ، ألن تتحدث إليها ؟ أقصد أنها عشية العيد ، وقد عثرت على أمك . يجب أن تذهب إليها ، أليس كذلك ؟ "

" كلا . ليس الآن " .

تراجع ميتش فى مقعده ونظر إلى الشاطئ المظلم خلف الطريق العام وقال : " هيا نذهب " .

عند الفجر ، ارتدى ميتش الجينز وقميصاً قطنياً خفيفاً ، دون حذاء أو جوارب ، واصطحب هيرساى فى تمشية على الشاطئ . سارا جهة الشرق ، تجاه أشعة الشمس البرتقالية التى ظهرت من وراء الأفق . كانت الأمواج تتكسر برفق على بُعد ثلاثين ياردة ثم تسبح فى هدوء نحو الشاطئ . كانت الرمال مبتلة وباردة . كانت السماء صافية ومليئة بطيور النورس التى كانت تتحدث إلى بعضها دون انقطاع . جرى هيرساى بجرأة نحو البحر ، ثم تراجع فى غضب عندما اقتربت الموجة التالية . بالنسبة إلى كلب تربى داخل المنازل ، كانت الرمال الممتدة ومياه البحر أمراً يتطلب الاستكشاف . كان هيرساى يجرى أمام ميتش بمسافة مائة ياردة .

بعد ميلين اقتربا من رصيف بحرى ، هيكل كبير من الأسمنت يمتد لمسافة مائتى قدم داخل المحيط . وبشجاعة متهورة ، جرى هيرساى فوق الرصيف حتى وصل إلى دلو من طُعم الأسماك . وقف إلى جانبه رجلان ساكنان يحدقان فى الماء . سار ميتش من خلفهما ، حتى وصل إلى نهاية الرصيف ، حيث يقف عشرات من صيادى السمك يتحدثون مع بعضهم من وقت لآخر وهم ينتظرون أن تلتقط صناراتهم بعض الأسماك . ظل الكلب يفرك شعره فى ساق ميتش ثم توقف

ساكنا . كانت الشمس تعود إلى الحياة فى مشهد مهيب ، ولأميال صارت المياه تلمع وتتحول من اللون الأسود إلى الأخضر .

استند ميتش إلى الحاجز وارتجف جسده بسبب الرياح الباردة . صارت قدماه العاريتان متجمدتين وغطتهما الرمال . ولأميال على طول الشاطئ ، فى كلا الاتجاهين ، كانت الاستراحات والفنادق تستقر فى هدوء فى انتظار اليوم الجديد . لم يكن هناك أحد على الشاطئ . كان هناك رصيف آخر يمتد داخل الماء على أميال .

كان الصيادون يتحدثون فى كلمات حادة ومحددة تميز هؤلاء القادمين من الشمال . أنصت إليهم ميتش ما يكفى من الوقت لكى يعرف أن السمك لم يكن يلتقط الطعم . أخذ ميتش يتفحص البحر ، ناظراً تجاه الجنوب الشرقى ، وسرحت أفكاره فى جزر كايمان ، والبنوك ، ومرت فتاة الشاطئ بأفكاره للحظة ثم ذهبت . سوف يعود إلى الجزر فى مارس ، من أجل تمضية الإجازة مع زوجته . لتذهب فتاة الشاطئ إلى الجحيم . بالتأكيد لن يراها ثانية . سوف يغطس فى أعماق الماء بصحبة ابانكس ويستمتع بصداقته . سوف يتناولون المشروبات الاستوائية ويتحدثون عن هودج وكوزنسكى . سوف يراقب هؤلاء الذين يراقبونه . والآن بعد أن صارت آبى تعلم كل شىء ، فسوف تساعده فى كل هذا .

انتظر الرجل فى قلب الظلام بجانب سيارة لينكولن محلية . تفقد ساعته بعصبية ونظر إلى الرصيف المعتم الذى يختفى أمام المبنى . انطفأ نور أحد الغرف بالطابق الثانى من المبنى . بعد دقيقة ، خرج المحقق الخاص من المبنى متجها إلى سيارته . سار الرجل تجاهه .

تساءل الرجل فى عصبية : " هل أنت ايدى لوماكس ؟ "

أبطأ لوماكس من سيره ثم توقف تماماً . صارا يقفان وجهاً لوجه . قال ايدى : " نعم . من تكون ؟ "

احتفظ الرجل بيديه داخل جيوبه . كان الجو بادراً ورطباً ، وكان الرجل يرتجف . قال : " اسمى آل كيلبورى . أحتاج إلى مساعدتك بشدة يا سيد لوماكس . سوف أدفع لك الآن ونقداً ، أياً كانت أتعابك . فقط ساعدنى " .

" لقد تأخر الوقت يا هذا " .

" من فضلك . لدى الكثير من المال . فقط أخبرنى كم تريد . يجب أن تساعدنى يا سيد لوماكس " . اخرج الرجل رزمة من المال من جيب بنطلونه الأيسر وبدا مستعداً للعد .

نظر لوماكس إلى المال ، ثم نظر خلف ظهره وقال : " ما هى المشكلة ؟ "

" المسألة تتعلق بزوجتى . من المفروض أنها ستقابل رجلا فى فندق رخيص فى جنوب ممفيس . معى رقم الغرفة واسم الفندق . أريد منك أن تذهب إلى هناك وتلتقط لهما بعض الصور خلال ذهابهما الفندق وأثناء العودة " .

" كيف عرفت بهذا الأمر ؟ "

" لقد تنصتُ على هاتفها . إن ذلك الرجل زميلها فى العمل ، ولقد كنت أشك فى الأمر . أنا رجل ثرى يا سيد لوماكس ، ومن الضرورى أن أكسب قضية الطلاق . سوف أدفع لك ألف دولار الآن ونقداً " .

بسرعة أخذ عشر ورقات من ذات المائة دولار من الرزمة وقدمها إلى لوماكس .

أخذ لوماكس المال قائلاً : " حسناً . دعنى أحضر الكاميرا " .

" أسرع من فضلك . سأدفع كل المصاريف نقداً ، بدون فواتير ، اتفقنا ؟ "

" هذا يناسبني تماماً " . قال لوماكس ذلك وهو يسير تجاه المبنى .

بعد عشرين دقيقة ، سارت السيارة اللينكولن ببطء بين السيارات المتوقفة فى ساحة انتظار فندق (دايز إن) . أشار كيلبورى إلى غرفة بالطابق الثالث من الجهة الخلفية للفندق ، ثم إلى مكان انتظار شاغر إلى جوار شاحنة شيفي بنية اللون . بحرص شديد تراجع لوماكس بالسيارة للخلف ، سائرا بمحاذاة الشاحنة ثم أوقف سيارته المحلية . لمرة أخرى أشار كيلبورى إلى الغرفة ، ولمرة أخرى تفقد ساعته ، ولمرة أخرى أخبر لوماكس أنه يقدر هذه الخدمة التى يقدمها له . أما لوماكس فكان يفكر فى المال . ألف دولار مقابل عمل ساعتين فقط ليس أمراً سيئاً . أخرج الكاميرا ، ووضع الفيلم بداخلها وأخذ يختبر الإضاءة . شاهده كيلبورى فى عصبية ، وعيناه تنتقلان من الكاميرا إلى الغرفة التى تقع فى الناحية الأخرى من ساحة الانتظار . كان يبدو متألما . كان يتحدث عن زوجته وعن أيامهما الجميلة معاً ، وعن حيرته فى تفسير سبب قيامها بهذا الأمر .

أنصت لوماكس إليه وهو ينظر إلى صفوف السيارات المتوقفة أمامه ، وأمسك بالكاميرا جيدًا .

لم يكن يلاحظ باب الشاحنة البنية . لقد انزلق الباب مفتوحا فى هدوء وبطء ، على بعد ثلاثة أقدام من خلفه .انحنى رجل يرتدى كنزة ذات رقبة طويلة ويضع في يديه قفازان داخل الشاحنة ثم انتظر . عندما خيم السكوت على ساحة الانتظار ، قفز الرجل من الشاحنة ، وفتح الباب الخلفى الأيسر للسيارة اللينكولن ثم أطلق النار ثلاث مرات على مؤخرة رأس ايدى لوماكس . خرج صوت الطلقات خافتاً بواسطة كاتم الصوت ، ولم يكن من الممكن سماعه خارج السيارة .

ارتطم ايدى بعجلة القيادة ، وخر ميتاً . قفز كيلبورى من السيارة ، وجرى إلى داخل الشاحنة ثم انطلق مسرعاً بصحبة القاتل .

١٨

. . . .

بعد ثلاثة أيام من عدم تحصيل الفواتير ، وعدم الإنتاج . بعد ثلاثة أيام فى المنفى بعيداً عن معقلهم المقدس ، والانشغال بتناول الديك الرومى واللحم المقدد وصلصة التوت البرى ، واللعب الجديدة التى قدمتَ ، عاد محامو شركة بندينى ، لامبرت آند لوك المستريحون ومتجددو النشاط إلى الحصن القابع فوق شارع فرونت ستريت وكلهم حماس للعمل . امتلأت ساحة انتظار السيارات عند السابعة والنصف . جلس المحامون فى تركيز وارتياح خلف مكاتبهم الضخمة ، وتناولوا جالونات من القهوة ، وكلهم يراجع بريده ومراسلاته ومستنداته ويتحدث بكلمات غير مفهومة وصارخة فى أجهزة الهاتف الداخلى . كانوا يلقون بالأوامر إلى سكرتيراتهم وموظفيهم والمساعدين القانونيين وإلى بعضهم البعض . كان هناك قليل من التحيات القصيرة على شاكلة " كيف أمضيت إجازة العيد ؟ " يتبادلها البعض فى الطرقات وحول ماكينات صنع القهوة ، لكن المحادثات القصيرة كانت رخيصة الثمن ولا تدر أرباحاً . امتزجت أصوات الآلات الكاتبة مع رنين أجهزة الهاتف الداخلى وأصوات السكرتيرات صانعة همهمة متناغمة أشارت إلى أن مصنع صك الأموال قد استفاق من حلم العيد . سار أوليفر لامبرت داخل القاعات ، مبتسماً فى رضا ومنصتاً إلى الأصوات التى تصنع الثراء على مدار الساعة .

عند الظهيرة ، دلف لامار إلى حجرة المكتب ومال بجسمه فوق طاولة المكتب . كان ميتش غارقاً حتى أذنيه فى تفحص مستندات صفقة بترول فى أندونيسيا .

تساءل لامار : " هل تريد الذهاب لتناول الغداء ؟ "

" كلا ، شكراً . أنا متأخر فى عملى " .

" كلنا كذلك . لقد فكرت أن نذهب إلى ذلك المطعم فى شارع فرونت ستريت لتناول بعض الأطعمة الحريفة " .

" أظننى سأفوت ذلك . شكراً لك " .

نظر لامار إلى الباب خلف ظهره ومال مقترباً أكثر وكأن لديه أنباء غير عادية يود مشاركتها . قال : " أنت تدرى ما هو تاريخ اليوم ، أليس كذلك ؟ "

نظر ميتش إلى ساعته وقال : " الثامن والعشرون " .

" نعم . وهل تعلم ماذا يحدث فى يوم الثامن والعشرين من ديسمبر من كل عام ؟ "

" إنه اليوم الذى تحس فيه بالجوع الشديد " .

" نعم . ولكن ماذا غير ذلك ؟ "

" حسنا . لقد استسلمت . ماذا يحدث ؟ "

" فى هذه اللحظة ، فى قاعة الطعام بالطابق الخامس ، يجتمع كل الشركاء لتناول وجبة غداء من البط المشوى والمشروبات الفاخرة " .

" بط مشوى ، فى العمل ؟ "

" نعم . إنها مناسبة خاصة للغاية " .

" وماذا بعد ؟ "

" بعد أن يأكلوا لمدة ساعة ، سوف يغادر روزفلت فرانسيس وزوجته جيسى وسوف يقوم لامبرت بإغلاق الباب . بعدها يتحول الأمر إلى اجتماع مخصص للشركاء . فقط للشركاء . سيوزع لامبرت

تقريراً مختصراً عن الحالة المالية لهذا العام . سيحتوى التقرير على قائمة بأسماء كل الشركاء والى جانب اسم كل شريك الرقم الإجمالى للأموال التى جلبها للشركة هذا العام . وفوق الصفحة التالية سيكون هناك مجمل الربح الصافى بعد خصم المصاريف . بعد ذلك ، وطبقاً لنسبة الإنتاج ، سوف يقسمون الكعكة بينهم ! " .

أصغى ميتش جيدا لكل كلمة ثم قال : " ثم ؟ "

" ولقد كان متوسط ربح كل شريك فى العام الماضى حوالى ثلاثمائة وثلاثين ألف دولار . ومن المتوقع بالتأكيد أن يزيد الرقم عن ذلك هذا العام . إن الرقم يرتفع فى كل عام " .

" ثلاثمائة وثلاثون ألفاً ؟ " كرر ميتش الرقم ببطء .

" نعم . وهذا هو متوسط الربح فقط . سوف تصل أرباح لوك إلى المليون تقريبًا . وسوف يحل فيكتور ميليجان بشكل قريب فى المرتبة الثانية " .

" ماذا بشأننا نحن المحامين ؟ "

" سوف نحصل على قطعة من الكعكة . قطعة صغيرة للغاية . فى العام الماضى كان متوسط ربح المحامى تسعة آلاف . ويتوقف الأمر على الفترة الزمنية التى عملها المحامى بالشركة ومدى إنتاجيته " .

" هل يمكننا أن نشاهد ما يحدث ؟ "

" لن يبيعوا التذاكر ولا حتى لرئيس البلاد . من المفترض انه اجتماع سرى ، لكننا جميعاً نعلم بشأنه . سوف تنتقل الأخبار بسرعة بعد عصر هذا اليوم " .

" متى يصوتون لاختيار من سيصبح الشريك الجديد ؟ "

" بشكل طبيعى ، من المفترض أن يتم ذلك اليوم . لكن طبقاً للشائعة السائدة ، لن يكون هناك شريك جديد هذا العام بسبب ما حدث لمارتى

وجو . أظن أن الدور كان على مارتى ومن بعده جو . الآن قد ينتظرون عامًا آخر أو عامين " .

" إذن من سيصيبه الدور بعد ذلك ؟ "

وقف لامار منتصباً وابتسم فى فخر قائلاً : " بعد عام من الآن يا صديقى ، سوف أصبح الشريك الجديد فى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك . الدور علىّ أنا ، ولذلك لا تقف فى طريقى خلال هذا العام " .

" لقد سمعت انه ماسينجل - أحد خريجى هارفارد " .

" إن ماسينجل هذا لا أمل له . أنوى أن أقدم مائة وأربعين ساعة عمل أسبوعياً خلال الاثنين والخمسين أسبوعاً القادمة ، وهؤلاء الصقور فى الأعلى سوف يتوسلون إلىّ لكى أصبح شريكاً . سوف أصعد إلى الطابق الرابع مع الشركاء وسوف يهبط ماسينجل إلى البدروم مع المساعدين القانونيين " .

" سوف أراهن على ماسينجل " .

" إنه شخص ضعيف . سوف أسحقه أسفل قدمى . دعنا نذهب لتناول الأطعمة الحريفة ، وسوف أشرح لك إستراتيجيتى " .

" شكراً ، لكن لابد أن أعمل " .

خرج لامار من المكتب ومر على نينا التى كانت تحمل كومة من المستندات . وضعت المستندات على ركن من المكتب تعمه الفوضى وقالت : " سأذهب لتناول الغداء . أتريد شيئاً ما ؟ "

قال ميتش : " كلا . شكراً . نعم ، كولا بدون سكر " .

عم الهدوء أرجاء قاعات المبنى أثناء الغداء حيث هربت السكرتيرات من المبنى وسرن إلى وسط المدينة متجهات إلى المقاهى الصغيرة ومتاجر الأطعمة المعلبة القريبة من الشركة . وبينما نصف المحامين فى الطابق الخامس يعدون أموالهم ، أخذ الجنس الناعم فترة استراحة من الأشغال الشاقة .

عثر ميتش على تفاحة فوق مكتب نينا وقام بتنظيفها . فتح أحد الكتيبات الدورية لتشريعات مصلحة الضرائب على الدخل ، ووضعه على ماكينة نسخ الورق التى تستقرٍ خلف مكتب نينا ولس زر الطباعة الأخضر . أضاء زر تحذيرى ضوءاً أحمر وأخذ يبرق برسالة تقول : ادخل رقم الملف . تراجع ميتش إلى الوراء وأخذ ينظر إلى ماكينة النسخ . نعم ، لقد كانت ماكينة جديدة بالفعل . إلى جانب زر الطباعة كان هناك زر آخر كتب فوقه طباعة الطوارئ . وضع ميتش إبهامه فوق الزر . انطلقت صفارة إنذار من داخل الماكينة وتحولت كل أزرار لوحة التحكم إلى الضوء الأحمر البراق . نظر حول نفسه في يأس ، ولم ير أى شخص وفي غضب تناول كتيب تعليمات ماكينة النسخ .

" ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟ " تساءل صوت ما من خلف ذلك العويل الذى تصدره الماكينة .

" لا أدرى " . صرخ ميتش وهو يلوح بكتيب التعليمات فى يده .

مدت ليلا بوينتر ، وهى سكرتيرة عجوز لا تقوى على السير إلى وسط المدينة أثناء الغداء ، يدها خلف ماكينة النسخ وقامت بالضغط على أحد الأزرار . توقفت صفارات الإنذار .

قال ميتش وهو يلهث : " ما الذى حدث بحق السماء ؟ "

" ألم يخبرك أحد ؟ " تساءلت ليلا ، وهى تخطف كتيب التعليمات من يده وتعيده إلى مكانه السابق . كادت نظرات عينيها الضيقتين تخترق رأسه ، وكأنها قد ضبطته يعبث فى حقيبة يدها .

" من الواضح أن أحداً لم يخبرنى . ما هى المشكلة ؟ "

أخذت تلقى عليه المحاضرات وهى تنظر من وراء أنفها قائلة : " لدينا نظام جديد للنسخ . لقد تم تركيبه فى اليوم التالى للعيد . يجب عليك أن تدرك الرقم الكودى للملف قبل أن تبدأ الماكينة فى النسخ . كان من المفترض أن تخبرك سكرتيرتك بهذا " .

" أتقصدين أن هذه الماكينة لن تقوم بنسخ المستندات إلا إذا وضعت الرقم الكودى الذى يتألف من عشرة أعداد ؟ "

" هذا صحيح " .

" ماذا عن النسخ العادية ، تلك التى لا تتعلق بملف محدد ؟ "

" لا يمكن نسخها . لقد قال السيد لامبرت إننا نخسر أموالاً كثيرة على النسخ التى لا تضاف إلى مصاريف العميل . ولذلك ، ومن الآن فصاعداً ، سيتم إدراج كل نسخة أوتوماتيكيا إلى ملف كل عميل . ويجب عليك أن تضع رقم الملف أولاً . سوف تقوم الماكينة بتسجيل رقم الملف وعدد الصفحات المنسوخة وترسله إلى الكمبيوتر الرئيسى ، حيث يتم إدراجه داخل مصاريف وحساب العميل " .

" ماذا عن النُسخ الشخصية ؟ "

هزت ليلا رأسها فى إحباط تام وقالت : " لا أصدق أن سكرتيرتك لم تبلغك بكل هذا " .

" حسناً ، إنها لم تفعل ، لماذا لا تساعدينى فى هذا الأمر ؟ "

" لديك رقم شخصى يتكون من أربعة أعداد لنسخك الشخصية . فى نهاية كل شهر سوف تخصم تكاليف هذه النسخ الشخصية من مرتبك " .

حدق ميتش فى ماكينة النسخ وهز رأسه قائلاً : " ولماذا يوجد نظام الإنذار هذا ؟ "

" يقول السيد لامبرت إنهم سيفصلون جهاز الإنذار بعد شهر . أما الآن ، فإنهم بحاجة إليه من أجل الأشخاص الذين على شاكلتك . إنه جاد للغاية بشأن هذا الأمر ، ويقول إن الشركة تخسر آلاف الدولارات بسبب النسخ التى لا تضاف إلى حساب العملاء " .

" حسنًا . أفترض أن كل الطابعات بالشركة قد تم استبدالها " .

ابتسمت في رضا وقالت : " نعم ، كل ماكينات النسخ السبع عشرة " .

" شكراً " قال ميتش ذلك وعاد إلى مكتبه بحثاً عن رقم أحد الملفات .

في الثالثة من عصر ذلك اليوم ، وصل الاحتفال المُقام في الطابق الخامس إلى نهايته المبهجة ، وبدأ الشركاء ، الذين أصبحوا أكثر ثراء إلى حد ما ، يغادرون قاعة الطعام ويهبطون درجات السلم متجهين إلى مكاتبهم بالأسفل . سار آفرى تولار ومعه أوليفر لامبرت وناثان لوك داخل الممر القصير حتى بوابة الأمن ثم ضغطوا الزر . كان ديفاشر بانتظارهم .

أشار ناحية المقاعد في غرفة مكتبه وطلب منهم الجلوس . مرر لامبرت سيجاراً يدوى الصنع من جزيرة هندوراس إلى الآخرين ، وأشعل كل منهم سيجاره .

قال ديفاشر وعلى وجهه ابتسامة شريرة : " أرى أنك ما زلت في حالة احتفال . كم بلغت أرباحك ؟ ثلاثمائة وتسعون ألف دولار ؟ "

قال لامبرت : " هذا صحيح يا ديفاشر . لقد كانت سنة جيدة للغاية " . أخذ يدخن في بطء وينفث دوائر من الدخان تجاه سقف الحجرة " .

تساءل ديفاشر : " هل مر عليكم جميعاً عيد سعيد ؟ "

تساءل لوك بحدة : " ماذا يدور برأسك ؟ "

" عيد سعيد لك أيضاً يا ناث ، بضعة أشياء لا أكثر . لقد قابلت لازاروف منذ يومين في نيو أورليانز . إنه لا يحتفل بالأعياد كما تعلمون . لقد شرحت له مستجدات الموقف هنا ، مع التركيز على مسألة ماكدير ومكتب التحقيقات الفيدرالية . لقد طمأنته إنه لم تحدث

أية اتصالات منذ المقابلة الأولى . لم يصدق كلامي تماماً وقال انه سوف يتأكد من مصادره داخل مكتب التحقيقات . لم أفهم ماذا كان يقصد بذلك ، ولكن من أكون حتى أطرح عليه الأسئلة ؟ لقد أصدر إليّ تعليمات بمراقبة ميتش طوال أربع وعشرين ساعة في اليوم خلال الستة أشهر القادمة . أخبرته أننا نفعل ذلك ، نوعا ما . إنه لا يريد أن يتكرر موقف هودج وكوزنسكي مرة أخرى . إنه مغموم للغاية بشأن هذا الأمر . لا يجب أن يغادر ماكدير المدينة في رحلات عمل إلا إذا صاحبه اثنان من رجالنا " .

قال تولار : " سوف يذهب إلى واشنطن خلال أسبوعين " .

" من أجل ماذا ؟ " .

" المعهد الأمريكي للضرائب . هناك منتدى تدريبي يعقد لمدة أربعة أيام ونحن نطلب من كل المحامين الجدد حضوره . لقد وعدناه بذلك ، وسوف ينتابه الشك بشدة إذا ألغينا الرحلة " .

أضاف لامبرت : " لقد تم الحجز من أجله منذ سبتمبر " .

قال ديفاشر : " سأرى إذا كنت أستطيع أن أقنع لازاروف بهذه الرحلة . أريد تاريخ الذهاب ورقم رحلة الطائرة واسم الفندق الذى تم الحجز به . لن يعجب هذا الأمر لازاروف " .

تساءل لوك : " ماذا حدث أثناء إجازة الأعياد ؟ " .

" لم يحدث الكثير . لقد ذهبت زوجته إلى منزل والديها في كينتاكي . ومازالت هناك . اصطحب ماكدير كلبه وقاد سيارته إلى شاطئ بنما سيتي ، في فلوريدا . نعتقد أنه ذهب لرؤية والدته ، لكننا غير متأكدين . لقد أمضى ليلة واحدة في أحد فنادق هوليداى إن على الشاطئ . هو والكلب فقط . يا له من شيء ممل . ثم قاد السيارة إلى برمنجهام ، وأقام في فرع آخر من فندق هوليداى إن ، ثم انطلق

بسيارته في الصباح المبكر من يوم السبت إلى مقاطعة براشي ماونتين لزيارة أخيه داخل السجن . لقد كانت رحلة عادية " .

تساءل تولار : " ماذا قال لزوجته ؟ "

" لا شيء ، على حسب ما نعرف . من الصعب أن نستمع إلى كل شيء " .

تساءل تولار : " من تراقب إلى جانب ماكدير ؟ "

" نحن نتنصت عليهم جميعاً ، بشكل متفرق . لا يوجد أي مشتبهين آخرين سوى ماكدير ، وذلك بسبب تارانس فقط . تبدو الأمور هادئة الآن " .

قال تولار في إلحاح : " لابد أن يذهب ماكدير إلى واشنطن يا ديفاشر " .

" حسناً ، حسناً . سوف أسوى الأمر مع لازاروف . سيجعلني أرسل خمسة رجال من أجل مراقبة ماكدير . يا للحماقة " .

كان ملهى مطار ايرني بالقرب من المطار بالفعل . عثر عليه ميتش بعد ثلاث محاولات وأوقف سيارته بين شاحنتين بدتا أشبه بمستنقعين متحركين بذلك الطين الذى يغمر عجلاتهما وأنوارهما الأمامية . كانت ساحة الانتظار مليئة بشاحنات على نفس الشاكلة . أخذ ميتش ينظر من حوله وبحركة غريزية انتزع رابطة عنقه . لقد كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة تقريباً . كانت صالة الانتظار طويلة وعميقة ومعتمة وتتألق نوافذها المطلية بإعلانات المشروبات الغازية .

نظر إلى الرسالة مرة أخرى ، فقط لكي يتأكد . " عزيزى السيد ماكدير : أرجو أن تقابلني في ملهى ايرني في وينشستر الليلة - في

وقت متأخر . إن الأمر يخص ايدى لوماكس ، وهو فى غاية الأهمية . تامي هيمفيل ، سكرتيرة ايدى لوماكس " .

كانت الرسالة مثبتة فوق باب المطبخ عندما وصل إلى منزله . كان يتذكر تامي من الزيارة الوحيدة التي قام بها إلى مكتب ايدى ، في نوفمبر الماضي . كان يتذكر تنورتها الجلدية الضيقة ، وشعرها الأشقر المائل إلى البياض ، وشفتيها الملطختين بأحمر الشفاه ودخان السجائر التي كانت تنفثه من أنفها . وكذلك كان يتذكر قصة زوجها ، إلفيس .

انفتح الباب فجأة ودلف ميتش إلى الداخل . كان هناك صف من طاولات البلياردو تغطي النصف الأيسر من القاعة . وخلال الظلمة والدخان الأسود ، استطاع ميتش أن يميز صالة رقص في الخلف . إلى اليمين كان يوجد طاولة ممتدة على شكل صالون مزدحم برجال وسيدات يرتدون جميعا قبعات رعاة البقر ويتناولون المشروبات . لم يبد أن أحداً قد لاحظ وجوده . سار بسرعة إلى نهاية الطاولة وجلس فوق أحد الكراسي قائلاً للساقي : " أريد مشروباً غازياً " .

وصلت تامي قبل أن يصل المشروب . كانت تجلس وتنتظر فوق أريكة مزدحمة بالقرب من إحدى طاولات البلياردو . كانت ترتدى بنطلون جينز متآكلا ، وقميصاً قطنياً باهت اللون وحذاء ذا كعب عال غريب التصميم . بدا وكأن شعرها الأشقر قد صبغ باللون الأبيض تواً .

قالت تامي أمام وجهه مباشرة : " شكراً على حضورك . لقد كنت أنتظر منذ أربع ساعات . لم أعرف غير هذه الوسيلة لكى أعثر عليك " .

أومأ ميتش برأسه وابتسم كأنه يقول : " لا عليك . لقد فعلت الصواب " .

قال ميتش : " ماذا هناك ؟ "

نظرت تامي حولها وقالت : " نحتاج إلى أن نتحدث ، ولكن ليس هنا " .

" أين تقترحين أن نفعل ذلك ؟ "

" هل يمكن أن نتجول بالسيارة قليلاً ؟ "

" بالتأكيد ، ولكن ليس في سيارتي . إنها ، أوه ، قد لا تكون سيارتي مكاناً مناسباً " .

" معي سيارة . قديمة بعض الشيء ، لكنها ستفي بالغرض " .

دفع ميتش ثمن المشروب وتبعها إلى باب الملهى . قال أحد رعاة البقر ، وكان يجلس بالقرب من الباب : " اللعنة على هؤلاء الفتيات . يأتي رجل من أصحاب الملابس الأنيقة ويصطحب الفتاة معه خلال ثلاثين ثانية " . ابتسم إليه ميتش وأسرع إلى الباب . كانت هناك سيارة صغيرة مستعملة من طراز فولكس فاجن تختبئ بين صفوف الشاحنات القذرة . فتحت تامي باب السيارة ، وقفز ميتش إلى الداخل معتصراً جسده داخل المقعد الضيق المتهالك المجاور للسائق . ضغطت تامي فوق دواسة البنزين خمس مرات ثم أدارت مفتاح الإشعال . حبس ميتش أنفاسه حتى دار المحرك .

تساءلت تامي : " أين تحب أن تذهب ؟ "

إلى حيث لا يرانا أحد ، فكر ميتش بهذا قبل أن يقول : " أنت من يقود السيارة " .

تساءلت تامي : " أنت متزوج ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، وأنت ؟ "

" نعم ، ولن يتفهم زوجي ذلك الموقف إذا شاهدنا في مكان كهذا . لهذا اخترت ذلك الملهى الحقير . أنا وزوجي لا نذهب إلى أماكن كهذه " .

كانت تتحدث وكأنها وزوجها نُقاد مُحايدون على جودة الملاهي الليلية الرخيصة .

" لا أظن زوجتي سوف تتفهم الأمر أيضاً . إنها خارج المدينة على أية حال " .

قادت تامي السيارة باتجاه المطار . " لدى فكرة . " قالت تامي ذلك ثم أمسكت بعجلة القيادة بإحكام وبدت العصبية واضحة في كلماتها .

تساءل ميتش : " ماذا يدور بعقلك ؟ "

" حسناً ، هل سمعت بأمر ايدى ؟ "

" نعم " .

" متى رأيته لآخر مرة ؟ " .

" لقد تقابلنا قبل عشرة أيام من العيد . لقد كان لقاؤنا سرياً نوعا ما " .

" هذا ما ظننته . لم يكن يسجل الأعمال التي يقوم بها من أجلك . قال إن ذلك ما كنت تريده . لم يكن يخبرني بالكثير . لكن العلاقة بيني وبين ايدى كانت ... ، أوه ، لقد كنا ... متقاربين " .

لم يستطع ميتش أن يعثر على رد مناسب لكلماتها .

أضافت تامي : " أقصد ، لقد كانت هناك علاقة قوية للغاية بيننا . هل تفهم ما أقصده ؟ "

تنحنح ميتش ثم ارتشف مشروبه ولم يرد .

قالت تامي : " ولقد أخبرني ايدى بأشياء لم يكن من المفترض أن يخبرني بها . قال إن لديك قضية غريبة للغاية ، وإن بعض المحامين في شركتك قد لقوا مصرعهم في ظروف غامضة ومثيرة للشبهات . وإنك تعتقد أن هناك من يتبعك ويراقبك دائماً . إن ذلك شيء غريب بالنسبة لشركة قانونية " .

يا لها من سرية تلك التي يوفرها ايدى لعملائه ، هكذا قال ميتش . مخاطباً تامي : " هذا هو الحال " .

استدارات تامي بالسيارة ، إلى داخل المنعطف المؤدى إلى المطار ثم اتجهت إلى تلك المساحات الواسعة المليئة بالسيارات المتوقفة .

قالت تامي : " وبعد أن أنهى ايدى العمل الذى طلبته منه ، أخبرني مرة ، مجرد مرة واحدة ، أنه يظن أن هناك من يتبعه . كان ذلك قبل ثلاثة أيام من العيد . ولقد سألته عمن يتبعه ، فقال إنه لا يدرى ، لكنه ذكر لى قضيتك وقال إن الأمر ربما يكون متعلقاً بنفس الأشخاص الذين كانوا يتبعونك . لم يخبرنى بالكثير حينها " .

أوقفت تامي السيارة فى قسم الانتظار المؤقت بالقرب من صالة الانتظار بالمطار .

تساءل ميتش : " من يمكن أن يتبع ايدى غير هؤلاء ؟ "

" لا أحد . لقد كان محققاً جيداً ولم يكن يترك آثاراً خلفه . أقصد ، لقد كان شرطياً سابقاً وسجيناً سابقاً . لقد كان ذكياً ومحنكاً . لقد كان يتقاضى أجره ليتبع الناس ويجمع أسرارهم القذرة . لم يكن أحد يتبعه . أبدًا " .

" من قتله إذن ؟ "

" هؤلاء الذين كانوا يتبعونه . لقد أظهرت الصحف الأمر كأن أحدهم قد ضبطه يتلصص على شخص من الأثرياء وتم التخلص منه لذلك . هذا غير صحيح " .

وفجأة ، وبدون مقدمات ، أخرجت إحدى السجائر وأشعلت النار فى مقدمتها . فتح ميتش زجاج النافذة .

تساءلت : " أتمانع إذا قمت بالتدخين ؟ "

" كلا ، فقط انفثى الدخان فى هذه الاتجاه " قال ميتش ذلك ، وهو يشير بإصبعه إلى النافذة القريبة منها .

" على أية حال ، أنا أشعر بالرعب . لقد كان ايدى مقتنعاً أن الأشخاص الذين يراقبونك شديدو الذكاء والخطورة . أشخاص

محنكون للغاية ، هكذا وصفهم ايدى . وإذا كانوا قد تمكنوا من قتل ايدى ، فماذا سيفعلون معى ؟ ربما يظنون أنى أعلم شيئاً . لم أذهب إلى المكتب من يوم مقتله . ولا أخطط أن أذهب إلى هناك مرة أخرى " .

" ما كنت لأذهب إذا كنت في موضعك " .

" أنا لست غبية . لقد عملت لدى ايدى لعامين ولقد تعلمت الكثير من الأشياء . هناك الكثير من المخبولين في المدينة . لقد رأينا كل أنواع البشر " .

" كيف أطلقوا النار عليه ؟ " .

" لقد كان لدى ايدى صديق في المباحث الجنائية . لقد أخبرنى ذلك الرجل بشكل سرى أنهم قد أطلقوا النار على مؤخرة رأسه ثلاث مرات ، من مسافة قريبة للغاية ، باستخدام مسدس عيار ٢٢ . والشرطة لا تمتلك أى دليل . لقد أخبرنى ذلك الرجل أنها كانت عملية نظيفة ، وتمت بشكل محترف للغاية " .

أنهى ميتش شرابه ووضع الزجاجة على أرضية السيارة إلى جانب نصف دستة من علب الشراب الفارغة . وكلماتها مازالت ترن فى عقله ، لقد كانت عملية نظيفة وتمت بشكل محترف للغاية .

أضافت تامى : " هذا الأمر غير مفهوم على الإطلاق . أقصد ، كيف يمكن لأى شخص أن يتسلل إلى المقعد الخلفى لسيارة ايدى ثم يطلق النار على مؤخرة رأسه ثلاث مرات ؟ ولم يكن من المفترض أن يكون ايدى فى ذلك المكان " .

" ربما استغرق في النوم ونصبوا له كميناً " .

" كلا . لقد كان ايدى يتناول كل أنواع المنبهات عندما كان يعمل ليلاً فى قضية ما . لقد كان يظل متيقظاً " .

" هل هناك أية سجلات فى المكتب ؟ "

" أتقصد بشأنك " .

" نعم ، بشأنى " .

" أشك فى ذلك . لم أره يكتب أى شيء عن قضيتك . لقد قال إنك كنت تريد أن يتم الأمر هكذا " .

" نعم ، هذا صحيح . " قال ميتش ذلك فى نبرة ارتياح .

أخذا يتطلعان إلى طائرة بوينج ٧٢٧ وهى تقلع متجهة نحو الشمال . اهتزت ساحة الانتظار لهدير الطائرة .

" أنا أشعر بالخوف الشديد يا ميتش . هل يمكن أن أناديك ميتش دون ألقاب ؟ "

" بالطبع . لم لا ؟ "

" أعتقد أنهم قتلوه بسبب الأعمال التى أداها لك . هذا هو الاحتمال الأقرب . وإذا كانوا قد قتلوه لأنه علم شيئاً ، فربما يفترضون أننى أعلم هذا الأمر أنا الأخرى . ماذا تعتقد ؟ "

" ما كنت لأخاطر وأترك الأمر للصدف لو كنت مكانك " .

" ربما أختفى لبعض الوقت . إن زوجى يقوم ببعض الاستعراضات فى النوادى الليلية ، ويمكننا أن نتنقل بين عدة أماكن إذا اضطررنا إلى ذلك . أنا لم أخبره بكل هذا ، لكن أظن أن علىَّ أن أخبره . ماذا تعتقد ؟ " .

" إلى أين ستذهبين ؟ " .

" ليتل روك ، سانت لويس ، ناشفيل . لقد طُرد زوجى من وظيفته ، ولذلك أظن أننا نستطيع أن نتجول قليلاً " . توقفت كلماتها وأشعلت سيجارة جديدة .

عملية نظيفة وتمت بشكل محترف للغاية ، كرر ميتش الكلمات لنفسه . نظر إليها ولمح دمعة صغيرة تنساب على وجنتها . لم تكن قبيحة ، لكن أعواماً من السهر فى النوادى الليلية والملاهى قد بدأت تترك أثرها على وجه تامي . كانت ملامحها قوية ، وبدون ذلك الشعر المصبوغ والزينة المبالغ فيها كانت ستبدو أكثر جاذبية بالنسبة لعمرها . ظن ميتش أنها تبدو في الأربعين .

أخذت نفساً طويلاً من سيجارتها ثم نفثت سحابة ضخمة من الدخان . وقالت : " أظن أننا في نفس القارب ، أليس كذلك ؟ أقصد ، أنهم يسعون خلفنا نحن الاثنين . لقد قتلوا أولئك المحامين ، والآن ايدى ، وأظن أن الدور علينا نحن الاثنين " .

لا تحاولى كتم مخاوفك يا عزيزتى ، فقط أفصحى عما تريدين ، هكذا دارت أفكار ميتش قبل أن يقول : " استمعى إلىَّ ، دعينا نقوم بهذا الأمر . نحتاج إلى أن نظل على صلة . لا يمكنك أن تتصلى بى عبر الهاتف ، ولا يمكن أن نشاهد سوياً . إن زوجتى تعرف كل شيء عن هذا الأمر ، وسوف أخبرها عن لقائنا هذا . لا تقلقى بشأن زوجتى . أرسلى إلىَّ رسالة كل أسبوع وأخبرينى بمكانك . ما هو اسم والدتك ؟ "

" دوريس . "

" حسناً . هذا هو اسمك الحركى . وقعى كل الرسائل باسم دوريس " .

" هل يقرأون بريدك أيضاً ؟ "

" ربما يفعلون ذلك يا دوريس . ربما يفعلون " .

١٩

. . . .

فى تمام الخامسة مساء أغلق ميتش أنوار مكتبه والتقط حقيبتى مستنداته وتوقف أمام مكتب نينا . كانت سماعة الهاتف ملتصقة فوق أحد كتفيها بينما كانت تنقر على الآلة الكاتبة . عندما رأته مدت يدها داخل أحد الأدراج وناولته مظروفاً . قالت وهى تتحدث عبر الهاتف : " هذا هو تأكيد الحجز الخاص بك فى فندق كابيتال هيلتون " .

قال ميتش : " المستندات المطلوب كتابتها فوق سطح المكتب ، أراك يوم الاثنين " . صعد درجات السلم إلى الطابق الرابع ، إلى مكتب آفرى تولار القابع فى أحد الأركان ، والذى كان عبارة عن ساحة قتال من نوع غريب . كانت إحدى السكرتيرات تحشر الملفات داخل حقيبة مستندات كبيرة ، وسكرتيرة أخرى تتحدث بصوت حاد إلى تولار ، الذى كان بدوره يصرخ فى أحد الأشخاص عبر الهاتف . وكان هناك مساعد قانونى يلقى بالأوامر فى عصبية إلى السكرتيرة الأولى .

أغلق تولار سماعة الهاتف بقوة وقال مخاطباً ميتش : " هل أنت مستعد ؟ " .

أجاب ميتش : " أنا بانتظارك " .

صرخت السكرتيرة فى وجه المساعد القانونى : " لا أستطيع العثور على ملف جرين مارك " .

قال المساعد القانونى : " لقد كان مع ملف روكونى " .

صاح تولار : " لا أحتاج إلى ملف جرين مارك . كم مرة يجب أن أخبرك بذلك؟ هل أنت صماء ؟ "

نظرت السكرتيرة إلى تولار بغضب وقالت : " كلا ، أستطيع أن أسمع جيداً . لقد سمعتك بوضوح وأنت تقول : ضعى ملف جرين مارك داخل الحقيبة " .

قالت السكرتيرة الأخرى : " السيارة الليموزين تنتظر " .

صرخ تولار : " لا أحتاج إلى ملف جرين مارك " .

تساءل المساعد القانونى : " ماذا عن ملف روكونى ؟ "

" نعم ! نعم ! للمرة العاشرة . أحتاج إلى ملف روكونى ! " .

قالت السكرتيرة الأخرى : " إن الطائرة تنتظر أيضًا " .

أغلقت الحقيبة الأولى بعد أن مُلئت بالمستندات . أخذ تولار يقلب فى كومة من المستندات المبعثرة فوق مكتبه وقال صارخاً : " أين ملف فندر ؟ أين ملفاتى جميعها ؟ لماذا لا أستطيع أن أعثر على ملف ؟ "

" ها هو ملف فندر . " قالت السكرتيرة الأولى ذلك وهى تحشر الملف فى حقيبة مستندات ثانية .

حدق تولار النظر فى مذكرة صغيرة وقال : " حسناً . هل معى ملفات فندر ، روكونى ، شركة كامبريدج بارتنرز ، مجموعة جرين جروب ، سونى كابس ، شركة بروتون برازرز ، جالفستون فريت ، وماكواد ؟ "

" نعم ، نعم ، نعم " قالت السكرتيرة الأولى ذلك .

قال تولار وهو يلتقط معطفه : " لا أصدق هذا . هيا بنا " .

اندفع عبر باب المكتب يتبعه المساعد القانونى والسكرتيرتان وميتش . كان ميتش يحمل حقيبتى مستندات ، وكان المساعد القانونى يحمل اثنتين أخريين ، والأخيرة تحملها السكرتيرة الأولى . أما السكرتيرة الأخرى فكانت تكتب بعض الملاحظات بينما كان تولار يلقى

بالأوامر والتعليمات الخاصة بالأعمال التى يرغب فى إتمامها أثناء فترة غيابه عن المكتب . انحشرت الحاشية داخل مصعد كهربى صغير من أجل النزول إلى الطابق الأول . وفى الخارج ، اندفع السائق إلى العمل على الفور ، فقام بفتح الأبواب ، ووضع الحقائب داخل صندوق السيارة .

دلف ميتش وتولار إلى المقعد الخلفى .

قال ميتش : " اهدأ يا تولار . أنت ذاهب إلى جزر كايمان لمدة ثلاثة أيام . فقط استرح قليلاً " .

" حسناً ، حسناً . لقد أخذت معى عملا يكفى لشهر كامل . وهناك عملاء يصرخون مطالبين بسلخ جلدى ، وبعضهم يهدد برفع دعاوى إهمال فى أداء العمل القانونى . أنا متأخر عن جدول الأعمال لشهرين ، والآن سوف تغادر لأربعة أيام لحضور منتدى ضرائب ممل فى واشنطن . إن توقيتك عظيم يا ميتش . عظيم للغاية " .

فتح تولار خزانة صغيرة وأخرج مشروباً . لكن ميتش امتنع عن مشاركته . كانت الليموزين تتحرك حول طريق ريفرسايد خلال المرور المزدحم فى ساعة الذروة . بعد ثلاث رشفات من المشروب ، بدأ الشريك يتنفس بقوة .

قال تولار : " استكمال التعليم . يا لها من نكتة سخيفة " .

" لقد فعلت ذلك عندما كنت محامياً مبتدئاً . وإذا لم تَخُنّى الذاكرة فقد أمضيت أسبوعاً فى حضور المنتدى الدولى للضرائب فى هونولولو . أم أنك قد نسيت ذلك ؟ " .

" لقد كان ذلك جزءاً من العمل . كان كله عملاً فى الواقع . هل ستأخذ ملفاتك معك ؟ " .

" بالطبع يا تولار . من المفترض أن أحضر منتدى الضرائب لمدة ثمانى ساعات يوميا ، وأن أتعلم التعديلات الضريبية التى أقرها

الكونجرس وفرضها على الشركات القانونية ، وفى وقت فراغى سوف أعمل لمدة خمس ساعات يوميا " .

" اجعلها ست ساعات ، إذا استطعت . نحن متأخرون فى العمل يا ميتش " .

" نحن دائماً متأخرون يا تولار . تناول مشروباً آخر . أنت بحاجة إلى الاسترخاء " .

" أنوى أن أسترخى فى ملهى رومهيدس " .

سرحت أفكار ميتش فى الملهى ومشروب الريد ستريب الاستوائى ، ولعب الدومينو ، ولعبة رشق السهام ، وبالطبع ملابس البحر المثيرة . وفتاة الشاطئ .

تساءل تولار ، وقد صار أكثر استرخاء : " هل هذه أول رحلة لك على متن طائرة الشركة الخاصة ؟ "

" نعم . إن لى سبعة أشهر أعمل بالشركة ، وهذه أول مرة أرى فيها الطائرة . لو كنت أعلم هذا فى مارس الماضى ، لذهبت للعمل فى وول ستريت " .

" لست شخصاً مناسباً للعمل فى وول ستريت . هل تعرف ماذا يفعل هؤلاء الأشخاص ؟ إن لديهم ثلاثمائة محام فى كل شركة ، أليس كذلك ؟ وكل سنة يعينون ثلاثين محامياً مبتدئاً ، وربما أكثر . وكل شخص يرغب فى العمل هناك لأنه وول ستريت ، شارع المال والأعمال ، أليس كذلك ؟ وبعد شهر يضعون هؤلاء المحامين الثلاثين فى غرفة واحدة كبيرة ويخبرونهم أنهم يتوقعون منهم أن يعملوا تسعين ساعة أسبوعيا لمدة خمس سنوات ، وفى نهاية تلك السنوات الخمس سيكون نصفهم قد غادر الشركة أو تم الاستغناء عنه . إن معدل الاستغناء عن الموظفين مرتفع بشكل لا يصدق . إنهم يحاولون قتل المحامين المبتدئين ، حيث يجعلونهم يُحَصِّلون للشركة مائة أو مائة

وخمسين دولاراً في الساعة ، ويكسبون ثروة من ورائهم ، ثم يتخلصون منهم بعد ذلك . هذا ما يحدث في وول ستريت . ولا يتمكن المحامون الجدد من رؤية طائرة الشركة الخاصة ولا سيارتها الليموزين . إنك محظوظ يا ميتش . يجب أن تشكر الرب كل يوم لأننا اخترنا أن نقبلك هنا في شركة بنديني ، لامبرت آند لوك الطيبة " .

" يبدو العمل لتسعين ساعة أسبوعياً أمراً مريحاً . يمكنني أن أستغل الوقت المتبقي في الاسترخاء والاستمتاع " .

" سوف تجني ثمار جهودك . هل سمعت عن قيمة الحوافز التي حصلت عليها في العام الماضي ؟ " .

" كلا " .

" ما بين أربعمائة وثمانين ألفاً إلى خمسمائة ألف . ليس رقماً سيئاً ، أليس كذلك ؟ وهذه هي الحوافز الإضافية فقط " .

قال ميتش : " لقد حصلت على ستة آلاف . "

" استمر بالعمل معي وسوف تنضم إلى نادى الكبار قريباً " .

" نعم ، لكن عليَّ أن أستكمل تعليمي القانوني أولاً " .

بعد عشر دقائق استدارت الليموزين داخل طريق يقود إلى صف من حظائر الطائرات . مطار ممفيس ، هكذا أشارت اللافتة . كانت هناك طائرة فضية لامعة من طراز لير ٥٥ تتحرك ببطء تجاه صالة الانتظار . قال تولار : " هذه هي طائرة الشركة " .

وضعت حقائب السفر والمستندات داخل الطائرة بسرعة ، وفي خلال دقائق صدر الإذن للطائرة بالإقلاع . أحكم ميتش ربط حزام مقعده وتطلع في إعجاب إلى كابينة الطائرة التي كانت مزيجاً من الجلد والنحاس . كانت في شدة الفخامة والرفاهية ، ولم يكن ميتش يتوقع أقل من ذلك . تناول تولار مشروباً آخر ثم ربط حزام مقعده .

بعد ساعة وربع ، بدأت الطائرة هبوطها نحو مطار بالتيمور ـ واشنطن الدولى . بعد أن توقفت الطائرة هبط ميتش وتولار إلى أرضية المطار وفتحا باب الأمتعة . أشار تولار إلى رجل يرتدى زياً رسمياً ويقف بجوار البوابة وقال : " هذا هو السائق الخاص بك . ستجد السيارة الليموزين تنتظر بالخارج . فقط اتبع ذلك الرجل . إن المطار يبعد عن فندق كابيتال هيلتون حوالى أربعين دقيقة " .

قال ميتش فى تساؤل : " سيارة ليموزين أخرى ؟ "

" نعم . ما كانوا ليفعلوا ذلك من أجلك فى وول ستريت " .

تصافحا ، وعاد تولار إلى الطائرة . استمرت عملية التزود بالوقود لمدة ثلاثين دقيقة ، وعندما أقلعت الطائرة واتجهت نحو الجنوب ، استغرق تولار فى النوم مرة أخرى .

بعد ثلاث ساعات ، هبطت الطائرة فى جورج تاون ، عاصمة جزر كايمان . توقفت الطائرة بعد أن تخطت صالة الانتظار ، إلى جانب حظيرة طائرات صغيرة حيث من المفترض أن تقضى الليلة . كان هناك رجل أمن ينتظر تولار وحقائبه ورافقه خلال صالة الانتظار حتى مر من الجمارك ، كذلك مر الطيار ومساعده بإجراءات ما بعد الطيران ورافقهما رجال الأمن عبر صالة الانتظار .

بعد منتصف الليل ، انطفأت الأنوار داخل حظيرة الطائرات وقبعت نصف دستة من الطائرات داخل الظلام . فُتح أحد الأبواب الجانبية ، ودلف إلى الداخل ثلاثة رجال بينهم تولار ، وساروا مسرعين نحو الطائرة لير ٥٥ . فتح تولار باب مخزن الحقائب ، وأسرع الرجال الثلاثة يفرغون خمسة وعشرين صندوقاً ثقيلاً من الكرتون . فى ذلك الجو الاستوائى الحار ، كانت حظيرة الطائرات أشبه بالفرن . تصبب العرق الغزير فوق الوجوه لكن أحداً لم ينطق بكلمة حتى صارت جميع الصناديق خارج الطائرة .

" من المفترض أن يكون هناك خمسة وعشرون صندوقاً . قُم بالعد " . قال تولار ذلك مخاطباً رجلاً من سكان الجزيرة مفتول العضلات يرتدى قميصاً قطنياً بدون أكمام ويضع مسدساً فى حزام حول خصره . أما الرجل الآخر فكان يحمل لوحًا للكتابة ويشاهد ما يحدث بانتباه وكأنه أمين مخازن فى إحدى الشركات . أخذ الرجل المحلى يعد الصناديق بسرعة ، والعرق يتصبب منه فوق الصناديق .

قال الرجل أخيرًا : " نعم . إنها خمسة وعشرون " .

تساءل الرجل الذى يحمل لوح الكتابة : " كم يساوى هذا ؟ "

" نحو ستة ملايين ونصف " .

" كلها نقداً " .

" نعم كلها . دولارات أمريكية من فئة المائة أو العشرين . هيا نقوم بتحميلها " .

" إلى أين ستذهب هذه الشحنة ؟ " .

" كيبيكبانك . إنهم ينتظرون قدومنا " .

حمل كل منهم صندوقا وسار داخل الظلام إلى الباب الجانبى ، حيث كان ينتظرهم أحد الرفقاء يحمل مدفعاً رشاشا . وضعت الصناديق داخل شاحنة متهالكة كتب عليها من الجانب " صناعة جزر كايمان " . جلس الرجال المحليون يحملون البنادق بينما قاد أمين المخزن الشاحنة منطلقاً من حظيرة الطائرات ومتجهاً إلى وسط مدينة جورج تاون .

بدأ التسجيل لحضور المنتدى فى الساعة الثامنة خارج قاعة سينشرى روم بالطابق الأوسط . وصل ميتش مبكراً ، وسجل اسمه والتقط مذكرة المواد الدراسية الثقيلة والتى كتب اسمه على غلافها بشكل أنيق ثم دلف إلى الداخل . اتخذ لنفسه مقعداً بالقرب من وسط الحجرة الكبرى . كان التسجيل مقصوراً على مائتى شخص ، كما قال

كتيب الدعاية . كان أحد السقاة يقدم أقداح القهوة ، وفرد ميتش جريدة واشنطن بوست أمامه . كانت معظم المقالات عن فريق ريد سكينس الشهير وعن عودتهم إلى المباريات النهائية فى كرة القدم الأمريكية .

امتلأت القاعة ببطء حيث بدأ محامو الضرائب يتوافدون من جميع أنحاء البلاد لكى يسمعوا التعديلات الحديثة فى قوانين الضرائب التى كانت تتغير يومياً . قبل دقائق من التاسعة ، جلس إلى يسار ميتش محام حسن المظهر ، طفولى الملامح ولم ينطق بكلمة . ألقى ميتش نظرة خاطفة إليه ثم عاد إلى جريدته . عندما امتلأت القاعة ، رحب رئيس الجلسة بجميع الحاضرين وقدم إليهم المتحدث الأول ، وهو عضو مجلس النواب عن ولاية أوريجون ورئيس اللجنة الفرعية للتشريعات واللوائح . وبينما وقف النائب أمام المنصة لكى يلقى مقدمة من المفترض أن تستمر لمدة ساعة ، مال المحامى الجالس إلى يسار ميتش قليلاً ومد يده مصافحاً .

قال بصوت هامس : " مرحباً يا ميتش . أنا جرانت هاربيسون ، من المباحث الفيدرالية " . ثم قدم بطاقته إلى ميتش .

بدأ عضو مجلس النواب مقدمته بدعابة لم يسمع ميتش منها شيئاً . أخذ يدرس البطاقة ، ممسكاً بها بالقرب من صدره . كان هناك خمسة أشخاص يجلسون فى مساحة ثلاثة أقدام من حوله . لم يكن يعرف أى شخص بالقاعة ، لكن الأمر سوف يكون محرجاً إذا علم أى شخص أنه يمسك ببطاقة هوية لرجل مباحث بين يديه . بعد خمس دقائق ، نظر ميتش محدقاً فى وجه هاربيسون .

همس هاربيسون : " أحتاج إلى رؤيتك لمدة دقائق " .

تساءل ميتش : " ماذا لو كنت مشغولاً ؟ " .

مدير مكتبها بنفسه ، ومن يدرى من بصحبته . ولابد أن تارانس قريب للغاية .

وفجأة انفجرت القاعة بالضحك على دعابة قالها عضو مجلس النواب. مال هاربيسون بسرعة ناحية ميتش وهمس قائلاً : " وافنى إلى حمام الرجال عند نهاية القاعة بعد عشر دقائق " . غادر عميل المباحث تاركاً دفتر مذكراته على الطاولة وانصرف وهو يتظاهر بالضحك .

قلب ميتش القسم الأول من دفتر المذكرات وتظاهر بقراءة المحتويات . كان عضو الكونجرس يروى تفاصيل معركته الباسلة من أجل المحافظة على الإعفاءات الضريبية من أجل الأغنياء وفى نفس الوقت تخفيف العبء عن كاهل الطبقات الكادحة . وتحت مشورته الحكيمة ، رفضت اللجنة الفرعية بالكونجرس تمرير قانون يحد من الإعفاءات الضريبية الممنوحة للشركات المنقبة عن البترول والغاز الطبيعى . لقد كان يواجه المعوقات بمفرده كأنه جيش كامل .

انتظر ميتش لمدة خمس عشرة دقيقة ، ثم خمس دقائق أخرى ، وبعدها بدأ يسعل . كان يحتاج إلى الماء ، بدأ يتراجع إلى مؤخرة القاعة وهو يضع يديه فوق فمه ، ثم خرج عبر الباب الخلفى . كان هاربيسون فى حمام الرجال يغسل يديه للمرة العاشرة .

سار ميتش إلى الحوض المجاور له وفتح صنبور الماء البارد . تساءل ميتش : " ماذا تريدون منى الآن ؟ "

نظر هاربيسون إلى ميتش عبر المرآة وقال : " أنا فقط أتبع الأوامر . يريد المدير فويلس مقابلتك شخصياً ، ولقد تم إرسالى من أجل إحضارك " .

" وماذا يريد مدير المباحث منى ؟ "

" لا يمكننى أن أخمن ما يريد ، ولكنى أظن انه أمر مهم " .

أخذ ميتش يتلفت في حذر في أرجاء الحمام . كان الحمام خالياً .
قال ميتش : " ماذا إذا كنت مشغولاً ولا أستطيع لقاءه ؟ "
أغلق هاربيسون صنبور المياه وأخذ يهز يديه داخل الحوض ثم قال : " إن اللقاء أمر لا مهرب منه يا ميتش . لا داعي لممارسة الألاعيب . عندما يتوقف المنتدى في استراحة الغداء ، سوف تجد سيارة أجرة ، رقمها ٨٦٦٧ ، خارج المدخل الأمامي إلى اليسار . سوف تأخذك إلى النصب التذكارى لأبطال حرب فيتنام ، وسوف نكون بانتظارك هناك . يجب أن تكون على حذر . هناك اثنان منهم يتبعونك منذ أن غادرت ممفيس " .
" اثنان ممن ؟ "
" من رجال ممفيس . فقط افعل ما أقوله لك ولن يشعروا بأى شيء " .

شكر رئيس الجلسة المتحدث الثانى ، وكان بروفيسور من جامعة نيويورك ، وصرف الحضور لاستراحة الغداء .
لم يقل ميتش شيئاً لسائق سيارة الأجرة . كان السائق يقود بسرعة جنونية ، وسرعان ما تاهت السيارة وسط الزحام . بعد خمس عشرة دقيقة ، توقفت السيارة بالقرب من النصب التذكارى .
" لا تخرج الآن " قال السائق ذلك بلهجة آمرة . لم يتحرك ميتش من موضعه . لعشر دقائق ، لم يتحرك أو ينطق بشيء . أخيرًا ، توقفت سيارة فورد بيضاء بجوار سيارة الأجرة وأطلقت نفيرها . ثم انطلقت مبتعدة .
نظر السائق إلى الأمام وقال : " حسناً . اذهب إلى الحائط . سوف يجدونك بعد خمس دقائق " .

قفز ميتش من السيارة إلى الرصيف ، وانطلقت سيارة الأجرة بعد ذلك . وضع ميتش يديه داخل جيوب معطفه الصوفى وسار ببطء تجاه النصب التذكارى . كانت الرياح القارصة التى هبت من الشمال تبعثر أوراق الشجر فى كل اتجاه . ارتجف ميتش وقلب ياقة معطفه حول أذنيه .

كان هناك أحد الزائرين يجلس فى سكون فوق كرسى متحرك ويحدق بالحائط . كان يضع حول جسده بطانية ثقيلة . وكانت هناك نظارة شمسية تغطى عينيه . كان يجلس بالقرب من نهاية الحائط ، بالقرب من القائمة المحفورة التى تحمل أسماء الأبطال الذين قُتِلوا فى عام ١٩٧٢ . تتبع ميتش الأعوام المحفورة على طول الرصيف حتى توقف بالقرب من الكرسى المتحرك . أخذ يتفحص الأسماء عندما أحس بوجود الرجل .

كان ميتش يتنفس بعمق وكان مدركاً لذلك الخدر الذى يجتاح قدميه ومعدته . نظر إلى أسفل فى بطه ، ثم إلى نهاية الحائط ، وهناك رآه . كان الاسم محفوراً بأناقة ، ودقة ، تماماً مثل بقية الأسماء ، راستى ماكدير .

كان هناك باقة من الزهور الذابلة المتجمدة موضوعة على جانبها بالقرب من النصب ، على بعد بوصات من الاسم . وضعها ميتش برفق على أحد الجوانب وركع على ركبته بجوار الحائط . أخذ يلمس الحروف المحفورة لاسم راستى . راستى ماكدير . ثمانية عشر عاماً ، إلى الأبد . بعد سبعة أسابيع فى فيتنام داست قدماه فوق لغم أرضى . كان الموت فورياً ، أو هكذا قالوا . إنهم دائماً ما يقولون هذه الكلمات ، طبقاً لما قاله راى . مسح ميتش دمعة صغيرة ووقف يتطلع إلى طول الحائط . أخذ يفكر فى ثمان وخمسين ألف عائلة قيل لها إن مصرع أبنائها كان فورياً وإن أحداً لم يتألم فى فيتنام .

" إنهم ينتظرونك يا ميتش " .

استدار ميتش ونظر إلى الرجل الجالس فى المقعد المتحرك ، الإنسان الوحيد فى المنطقة . كانت النظارة الشمسية تحدق فى الحائط ولم يرفع صاحبها عينيه إلى أعلى . أخذ ميتش يتلفت حوله فى كل الاتجاهات .

" اهدأ يا ميتش . لقد أحكمنا إغلاق هذا المكان . إنهم لا يراقبونك هنا " .

تساءل ميتش : " ومن تكون أنت ؟ "

" مجرد فرد من أفراد المكتب . يجب أن تثق بنا يا ميتش . إن المدير لديه بعض الكلمات المهمة ، كلمات قد تنقذ حياتك " .

" وأين هو المدير ؟ "

أدار الرجل القعيد رأسه ونظر إلى نهاية الرصيف قائلاً : " ابدأ السير بهذا الاتجاه . سوف يجدونك " .

نظر ميتش للحظات إلى اسم أخيه وسار إلى خلف الكرسى المتحرك . مر بجانب التمثال الذى يمثل جنوداً ثلاثة . سار ببطء ، وانتظار ، واضعاً يديه داخل جيوبه . بعد خمسين ياردة من النصب التذكارى ، خرج وين تارانس من خلف إحدى الأشجار وسار إلى جانبه قائلاً : " استمر بالمشى " .

قال ميتش : " لماذا لا أشعر بالمفاجأة لرؤيتك هنا ؟ "

" فقط استمر بالمشى . لقد رصدنا تحركات رجلين على الأقل من مخبريهم فى ممفيس ، ولقد استقلا الطائرة إلى هنا قبلك . إنهما يقيمان بنفس الفندق ، وفى الحجرة المجاورة لك . لم يتبعاك إلى هنا . أعتقد أنهما قد فقدا أثرك " .

" ما الذى يحدث بحق الجحيم يا تارانس ؟ "

" أنت على وشك أن تعرف . استمر بالمشى . لكن استرخ ، لا أحد يراقبك هنا ، فيما عدا عشرين عميلاً من رجالنا " .

" عشرين ؟ " .

" نعم . لقد أحكمنا إغلاق هذا المكان . نريد أن نتأكد من عدم ظهور هؤلاء السفلة من ممفيس فى هذا المكان . أنا لا أتوقع حضورهما " .

" من هم هؤلاء الأشخاص ؟ "

" سوف يشرح لك المدير " .

" ولماذا يتورط المدير فى هذا الأمر ؟ " .

" أنت تطرح الكثير من الأسئلة يا ميتش " .

" وأنت لا تمتلك ما يكفى من الإجابات " .

أشار تارانس تجاه اليمين . غادرا الرصيف واتجها إلى مقعد أسمنتى ضخم بالقرب من جسر للمشاة يقود إلى داخل غابة صغيرة . كان الماء فى البركة بالأسفل قد تجمد وتحول إلى اللون الأبيض الناصع .

قال تارانس : " تفضل بالجلوس " ثم جلس الرجلان . كان هناك رجلان يسيران على الجانب الآخر من الجسر . تعرف ميتش على فويلس ، وكان الأقصر بين الرجلين . إف . دينتون فويلس ، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية خلال فترة حكم ثلاثة رؤساء للولايات المتحدة . ذلك الرجل الصارم فى كلماته ، ذو اليد الحديدية فى محاربة المجرمين والمشهور بجبروته وقلة رحمته .

وقف ميتش احتراماً عندما توقف الرجلان أمام المقعد . أخرج فويلس يداً باردة وحدق النظر فى ميتش بنفس ذلك الوجه الضخم المستدير ، الشهير فى كل مكان بالعالم . تصافح الرجلان وتعرف كل منهما على الآخر . أشار فويلس إلى المقعد . سار تارانس إلى الجسر وأخذا يشاهدان الأفق البعيد . نظر ميتش خلف البركة ورأى رجلين ، من المباحث الفيدرالية بلا شك بمعاطفهما السوداء المتطابقة وتسريحة الشعر القصيرة ، وكانا يقفان بجانب شجرة على بعد مائة ياردة من المكان .

جلس فويلس قريباً من ميتش ، وكانت قدماهما تتلامسان . كانت هناك قبعة بنية تستقر على جانب من رأس فويلس الأصلع . كان في السبعين من عمره على الأقل ، لكن تلك العينين الخضراوين كانتا تنطقان بالقوة ولم يكن يغيب عنهما شيء . جلس الرجلان في سكون على المقعد وكل منهما واضع يده في جيب معطفه .

بدأ فويلس الحوار قائلا : " أقدر حضورك إلى هنا " .

" لم أشعر أن لدى خيارًا آخر . لقد كان عملاؤك في قمة الإصرار والعناد " .

" نعم . إن الأمر شديد الأهمية لنا " .

تنفس ميتش بقوة وقال : " هل لديك أى فكرة كم أشعر بالارتباك والخوف . أنا في حيرة تامة من أمرى . أود أن أحصل على تفسير يا سيدى " .

" سيد ماكدير ، هل يمكن أن أخاطبك بميتش ؟ "

" بالتأكيد ، ولم لا " .

" حسناً يا ميتش . أنا لا أحب كثرة الحديث والخطب . وما أنا على وشك أن أخبرك به سوف يصدمك بالتأكيد . سوف تشعر بالرعب ، وقد لا تصدقني . لكن أؤكد لك أن كل ما أقوله حقيقي ، وبمساعدتك لنا سوف نتمكن من أن ننقذ حياتك " .

عدّل ميتش من جلسته وانتظر .

" ميتش ، لم يغادر أى محامٍ تلك الشركة التى تعمل بها حياً . لقد حاول ثلاثة محامين أن يفعلوا ذلك ، ولقد تم قتلهم . كان هناك اثنان على وشك المغادرة ، ولقد لقيا مصرعهما في الصيف الماضى . ما إن ينضم محامٍ إلى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك ، لن يغادر أبداً ، إلا إذا تقاعدٍ وأبقى فمه مغلقا . وفي الوقت الذى يتقاعدون فيه يكونون قد أصبحوا جزء من المؤامرة ولا يمكنهم التحدث . لدى الشركة مركز

مراقبة مكثف بالطابق الخامس . إن منزلك وسيارتك مليئان بأجهزة التنصت . وهاتفك مراقب طوال الوقت . وقد زُرعَت أجهزة تسجيل فى حجرة مكتبك بالشركة . فى الواقع ، كل كلمةً تقولها تتم مراقبتها وتسجيلها فى الطابق الخامس . إنهم يتبعونك ، وأحياناً يتبعون زوجتك . إنهم هنا فى واشنطن الآن . أترى يا ميتش ، إن هذه المؤسسة أكبر بكثير من مجرد شركة قانونية . إنها جزء من مشروع أكبر بكثير ، مشروع مربح للغاية . مشروع غير قانونى على الإطلاق . إن الشركة لا يمتلكها الشركاء كما تظن " .

استدار ميتش ونظر إليه بتركيز . كان المدير ينظر إلى البركة وهو يتحدث .

أكمل المدير يقول : " ميتش ، إن شركة بنديني ، لامبرت آند لوك القانونية تمتلكها عائلة مورولتو الإجرامية فى شيكاغو . أو ما يعرف باسم المافيا . إنهم يصدرون الأوامر من هناك . ولهذا نحن هنا " . وضع يديه بحزم على ركبة ميتش ونظر إليه طويلاً من تلك المسافة القريبة ثم قال : " إنهم مافيا يا ميتش ، وكل أعمالهم غير قانونية " .

" أنا لا أصدق ما تقول " . قال ميتش ذلك ، وقد جمده الخوف . كان صوته ضعيفاً ومرتعشاً .

ابتسم المدير وقال : " أنت تصدق يا ميتش ، أنت تصدق بالفعل . لقد كانت الشكوك تنتابك منذ مدة . لهذا تحدثت مع ابانكس فى جزر كايمان . ولهذا استعنت بذلك المحقق الفاشل وتسببت فى قتله على يد أولئك الرجال فى الطابق الخامس . أنت تعلم أن الشركة تفوح منها رائحة القذارة يا ميتش " .

مال ميتش إلى الأمام وأسند مرفقيه إلى ركبتيه . أخذ يحدق فى الأرض أسفل قدميه وهو يتمتم بصوت ضعيف : " لا أصدق ذلك " .

" على قدر علمنا ، فإن خمسة وعشرين بالمائة من عملائهم ، أو ربما يجب أن أقول عملائك ، هم رجال أعمال ملتزمون بالقوانين . هناك محامون جيدون للغاية بالشركة ، وهم يقومون بأعمال ضرائب ومعاملات بنكية من أجل عملاء في غاية الثراء . إنها واجهة جيدة للغاية . معظم الملفات التى عملت عليها حتى الآن كانت قانونية . هكذا يمارسون أعمالهم . إنهم يجلبون محاميا مبتدئاً ، ويغدقون عليه الأموال ، ويشترون له السيارة الفخمة ، والمنزل الواسع ، وكل هذه الدعوات إلى النوادى وسهرات العشاء ورحلات جزر كايمان ، ثم يجعلونه يعمل كالآلة فى ملفات قانونية حقيقية ومن أجل عملاء حقيقيين . أعمال يقوم بها المحامي الحقيقي . يستمر هذا الأمر لبضع سنوات ، ولا يشك المحامى المبتدئ فى أى شيء ، أليس كذلك ؟ يظل يقول لنفسه يا لها من شركة عظيمة ، ويا لهم من رجال عظماء . ويظل المال الوفير يغْدَق عليه . ويبدو كل شيء رائعاً للغاية . ثم بعد خمس أو ست سنوات ، وعندما يصبح طعم المال شهياً للغاية ، وعندما يمتلكون الرهن العقارى لمنزلك ، عندما يصبح لديك زوجة وأولاد ويصبح كل شيء فى حياتك مؤمناً ، سوف يلقون القنبلة ويخبرونك بكل شيء . ولا تجد أى وسيلة للهرب . إنها مافيا يا ميتش . هؤلاء الأشخاص لا يلعبون . سوف يقتلون أحد أطفالك أو زوجتك ، دون أن تطرف لهم عين . إنك تكسب معهم أموالاً لم تكن لتكسبها فى أى مكان آخر . سوف تتعرض للابتزاز لأن لديك عائلة لن يمثل التخلص منها أى مشكلة بالنسبة للمافيا ، فماذا تفعل حينها يا ميتش ؟ سوف تبقى . لا يمكنك أن تغادر . إذا بقيت سوف تجنى الملايين وتتقاعد وأنت صغير السن ومعك عائلتك ولن يمسك سوء . إذا أردت أن تغادر ، سوف ينتهي بك الحال إلى أن تصبح مجرد صورة على حائط مكتبة الطابق الأول . إنهم مقنعون للغاية " .

فرك ميتش صدغه وبدأ يرتجف .

" اسمع يا ميتش . أعلم أن لديك آلاف الأسئلة . ولذلك سأظل أتحدث وأخبرك بكل ما أعرفه . كل المحامين الخمسة الذين لقوا مصرعهم حاولوا مغادرة الشركة بعد أن علموا بالحقيقة . لم نتحدث إلى الثلاثة الأوائل لأننا بصراحة لم نكن نعلم شيئاً عن الشركة حتى سبع سنوات مضت . لقد كانوا يتصرفون بمهارة شديدة ولم يتركوا وراءهم أى آثار . لقد أراد المحامون الثلاثة مغادرة الشركة ، ولقد غادروا بالفعل ، فى أكفان . أما هودج وكوزنسكى فكانا قصة مختلفة . لقد اتصلا بنا ، وخلال مدة تصل إلى سنة كان بيننا عدة اجتماعات . لقد أخبروا كوزنسكى بالحقيقة بعد مرور سبع سنوات على عمله بالشركة . وقد أخبر هودج بالأمر . ظلا يتهامسان حول الأمر لمدة عام تقريباً . كان كوزنسكى على وشك أن يصبح شريكاً وقد أراد ترك الشركة قبل حدوث ذلك . ولذلك اتخذ هو وهودج قراراً مصيرياً بمغادرة الشركة . لم يشكا أن المحامين الثلاثة الأوائل قد قتلوا على يد رجال الشركة ، أو على الأقل لم يخبرونا بذلك الأمر . لقد أرسلنا تارانس إلى ممفيس من أجل إحضارهما . إن تارانس عميل متخصص فى مكافحة الجريمة المنظمة وكان يعمل فى مكتب نيويورك . لقد كانت علاقته مع كوزنسكى وهودج قد بدأت تتوطد عندما وقع ذلك الحادث فى جزر كايمان . إن هؤلاء الأشخاص فى ممفيس شديدو الكفاءة يا ميتش . لا تنس ذلك أبداً . إن لديهم المال ويقومون بتعيين أفضل الرجال . وبعد أن لقى كوزنسكى وهودج مصرعهما اتخذت قراراً بالنيل من تلك الشركة . إذا استطعنا القبض على من بتلك الشركة ، نستطيع أن نوجه الاتهام إلى كل عضو بارز فى عائلة مورولتو . قد يكون هناك أكثر من خمسمائة تهمة يمكن توجيهها لهم . التهرب الضريبى ، غسيل الأموال ، ممارسة الجريمة المنظمة ، وأى قضية تتخيلها . قد

نتمكن من تدمير عائلة مورولتو ، وسوف يصبح ذلك أكبر وأقوى ضربة توجه إلى شبكات الجريمة المنظمة خلال الثلاثين عاماً الماضية . وكل ذلك موجود فى تلك الملفات التى تستقر فى شركة بنديني الهادئة فى ممفيس يا ميتش " .

" لماذا وقع اختيارهم على ممفيس ؟ "

" سؤال جيد . من سيشك فى شركة صغيرة فى ممفيس ، بولاية تينسى ؟ لا يوجد أى نشاطات للمافيا هناك . إنها مدينة هادئة ، جميلة ، ومسالمة على شاطئ النهر . كان من الممكن أن تكون دورهام أو توبيكا أو وشيتا فولس . لكنهم اختاروا ممفيس . إنها كبيرة بما يكفى لكى تخفى شركة قوامها أربعون محامياً . لقد كان اختياراً ممتازاً " .

قال ميتش : " أتقصد أن كل الشركاء ... " ثم احتبست الكلمات فى حلقه ولم يكمل .

" نعم كل الشركاء يعلمون ويلعبون أدوارهم حسب قواعد اللعبة . نحن نشك أن معظم المحامين يعلمون أيضاً ، لكن من الصعب التأكد من ذلك . هناك كثير من الأشياء لا نعلمها يا ميتش . لا أستطيع أن أشرح لك كيف تعمل هذه الشركة ولا من يصدر الأوامر فيها . لكن نشك بقوة فى وجود الكثير من النشاطات الإجرامية هناك " .

" مثل ماذا ؟ "

" الاحتيال الضريبى . إن الشركة تقوم بالإجراءات الضريبية لعائلة مورولتو . إنهم يقدمون ملفات فى غاية التنظيم وإقرارات ضريبية محكمة وسليمة كل سنة ويقدمون فيها جزءاً صغير للغاية من الدخل بينما يستمرون فى غسيل الأموال طوال الوقت . إنهم يقيمون مشروعات قانونية بأموال قذرة . ذلك البنك فى سانت لويس ، عميل كبير لديكم ، ما اسمه ؟ "

" بنك كوميرشال جارنتى " .

" نعم ، هذا هو . إنه ملك للمافيا . والشركة تقوم بكل أعماله القانونية . إن عائلة مورولتو تربح ما يقرب من ثلاثمائة مليون دولار سنوياً من وراء القمار والمخدرات والكثير من العمليات المشبوهة . ولكنها تتم نقداً ، أليس كذلك ؟ ومعظم هذه الأموال تذهب إلى تلك البنوك في جزر كايمان . لكن كيف يتم توصيلها من شيكاغو إلى جزر كايمان ؟ ألديك فكرة عن هذا ؟ نشك أنهم يستخدمون الطائرة . إن تلك الطائرة الذهبية التي حلقت بها فى طريقك إلى هنا تذهب فى رحلات أسبوعية إلى جورج تاون " .

جلس ميتش معتدلاً وأخذ يراقب تارانس ، الذى كان بعيداً عن مستوى السمع ، وقد صار يقف فوق الجسر . قال ميتش : " إذن لماذا لا تستصدر أوامر بالقبض عليهم وتحبط كل هذه العمليات ؟ "

" لا نستطيع . أؤكد لك أننا سنفعل . لقد كلفت خمسة عملاء فيدراليين بالعمل على القضية فى ممفيس ، وهناك ثلاثة آخرون هنا في واشنطن . سوف أنال منهم يا ميتش وأعدك بذلك . لكن لابد أن يكون لدىَّ شخص داخل الشركة . إنهم أذكياء للغاية ، ولديهم الكثير من الأموال . إنهم حريصون جداً ، ولا يرتكبون أية أخطاء . أنا مقتنع بضرورة وجود مساعدة من أحد أعضاء الشركة . نحن بحاجة إلى نسخ من الملفات ، ونسخ من سجلات البنوك ، ونسخ من ملايين المستندات التي لا يمكن الحصول عليها سوى من الداخل . أى شيء آخر سيكون مستحيل التنفيذ " .

قال ميتش : " ولقد تم اختيارى لأداء هذه المهمة " .

" هذا صحيح . وإذا رفضت أن تساعدنا ، بإمكانك أن تستمر في طريقك وتجمع الكثير من المال وأن تصبح بشكل عام محامياً ناجحاً . لكننا سوف نستمر في المحاولة . سوف ننتظر المحامي المبتدئ الجديد ونحاول أن نضمه إلينا . وإذا لم ينجح هذا الأمر ، سوف نغير

استراتيجيتنا ونحاول مع أحد المحامين الأقدم نسبياً . شخص لديه من الشجاعة والأخلاقيات والجرأة لكى يقوم بالشيء الصواب . سوف نعثر على رجلنا المنشود يوما ما يا ميتش ، وعندما نصل إليه سوف ندينك مع بقية المحامين الأثرياء ونرسلك إلى غياهب السجون . سوف يحدث ذلك يا بنى ، صدقنى " .

فى تلك اللحظة ، وفى ذلك الزمان والمكان ، صدقه ميتش . قال ميتش : " أشعر بالبرد يا سيد فويلس ، هل يمكننا أن نتمشى فى الجوار ؟ "

" بالتأكيد يا ميتش " .

سارا فى بطء إلى الرصيف واتجها إلى النصب التذكارى لضحايا فيتنام . نظر ميتش خلف ظهره . كان تارانس وبقية العملاء يتبعونهما على مسافة . كان هناك عميل آخر يرتدى معطفا بنياً غامقاً وقد جلس بشكل يثير الشبهات فوق مقعد بالحديقة المقابلة للرصيف .

تساءل ميتش : " من كان أنتونى بنديني ؟ "

" لقد تزوج من عائلة مورولتو فى عام ١٩٣٠ . لقد كان زوج ابنة مورولتو زعيمهم . كان لديهم مركز لتجارتهم فى فيلادلفيا فى ذلك الحين ، وكان مكتبه هناك . وفى الأربعينيات ، ولسبب ما ، أُرسل إلى ممفيس لكى يؤسس أحد المشروعات . لقد كان محامياً جيداً على الرغم من كل ذلك ، وذلك من المعلومات التى عرفناها عنه " .

كانت هناك آلاف الأسئلة تجتاح رأس ميتش وتتصارع لكى يسألها . حاول أن يبدو هادئاً ، مسيطرًا على مشاعره ، ومتشككا .

قال ميتش : " ماذا عن أوليفر لامبرت ؟ "

" ذلك الذى يرتدى قناع النبلاء . الشريك الأقدم المثالى ، الذى تصادف أنه كان يعلم كل شيء عن هودج وكوزنسكى والخطط التى أُعِدَت من أجل التخلص منهما . فى المرة القادمة التى ترى فيها السيد

لامبرت في أرجاء الشركة حاول أن تتذكر أنه قاتل بارد المشاعر ، بالطبع لم يكن لديه خيار . لو أنه لم يتعاون ، لكانوا عثروا على جثته طافية على سطح الماء في مكان ما . إنهم جميعاً على نفس الشاكلة يا ميتش . لقد بدأوا العمل مثلك تماماً . شباب ، أذكياء ، طموحين ، وفي يوم ما وجدوا أنفسهم فجأة غارقين حتى آذانهم في هذا الأمر ولم يجدوا لأنفسهم مهربا . ولذلك استمروا في مسايرة التيار ، والعمل بجد واجتهاد ، وبذل المستحيل من أجل المحافظة على هذه الواجهة ولضمان ظهورها بمظهر الشركة القانونية المحترمة . في كل عام يجندون طالب حقوق صغير السن وشديد الذكاء ، ومن الأفضل أن يكون له خلفية فقيرة ، وبدون أي مصدر آخر للدخل ، وله زوجة تريد إنجاب الأطفال ، ثم يغدقون عليه بالمال ويجعلونه يقبل العمل بالشركة " .

سرحت أفكار ميتش في المال ، في المرتب الضخم الذي تدفعه شركة صغيرة في ممفيس ، في السيارة الفخمة والرهن العقاري ذي الفائدة البسيطة . لقد كان في طريقه إلى وول ستريت وحاد عن الطريق فقط بسبب المال . المال فقط .

تساءل ميتش : " ماذا عن ناثان لوك ؟ "

ابتسم المدير وقال : " إن لوك قصة أخرى . لقد نشأ كطفل فقير في شيكاغو وكان يقوم ببعض المهام الصغيرة من أجل مورولتو الكبير وهو في العاشرة . لقد كان إنسانا وصولياً طيلة حياته . حسّن من وضعه الاجتماعي بالدراسة في كلية الحقوق ، وقد أرسله الرجل الكبير إلى الجنوب لكي يعمل مع أنتوني بنديني في ذلك الجزء المتأنق من العائلة الإجرامية . لقد كان دائماً من المفضلين لدى مورولتو العجوز " .

" متى توفي مورولتو ؟ "

" منذ إحدى عشرة سنة وعن عمر يناهز الثامنة والثمانين . لديه ولدان حقيران . ميكي وشهرته الحوت وجوى وشهرته الزعيم . يعيش ميكي في لاس فيجاس وله دور محدود في إدارة شئون العائلة . أما جوى فهو الزعيم الأوحد " .

وصل الرصيف إلى نقطة تقاطع مع رصيف آخر . على مسافة إلى اليسار ، كان نصب واشنطن التذكاري يرتفع في قلب السماء التي تعوى بها الرياح القارصة . وإلى اليمين ، كان الرصيف يقود إلى حائط النصب . صار هناك قلة من الناس ينظرون إليه ، بحثاً عن أسماء الأزواج والأبناء والأصدقاء . اتجه ميتش إلى الحائط ، وسار بصحبة المدير نحوه في بطء .

قال ميتش : " لست أفهم كيف يمكن للشركة أن تقوم بكل هذه الأعمال غير القانونية وتنجح في إخفاء الأمر . إن المبنى ملىء بالسكرتيرات والموظفين والمساعدين القانونيين " .

" هذه نقطة مهمة ، وهي نقطة لا يمكنني الإجابة عليها بشكل كامل . نعتقد أن الشركة تعمل كأنها شركتان منفصلتان . واحدة منهما تعمل بشكل قانوني ، ويعمل بها المحامون الجدد ، ومعظم السكرتيرات والمساعدين . بعد ذلك ، يقوم المحامون القدامى والشركاء بالأعمال القذرة وغير القانونية . كان هودج وكوزنسكي على وشك إمدادنا بالكثير من المعلومات ، لكنهما لم يجدا الوقت لذلك . لقد قال هودج يوماً لتارانس إن هناك مجموعة من المساعدين القانونيين يعملون في البدروم ولم يعلم هودج شيئاً عن طبيعة عملهم . كانوا يعملون من أجل لوك وميليجان ومكنايت وقلة من الشركاء الآخرين دون أن يعرف أحد ماذا يفعلون بالتحديد . السكرتيرات يعلمن كل شيء ونحن نعتقد أن بعضهن مشتركات في الأمر . إذا كان ذلك حقيقياً ، فأنا متأكد أنهن يتلقين مبالغ كبيرة وخائفات للغاية من التحدث عما يحدث . فكر في

الأمر يا ميتش . إذا كنت تعمل هناك وتجنى الكثير من المال وتتمتع بمنافع كثيرة ، وكنت تعلم أنك إذا طرحت الكثير من الأسئلة أو بدأت تتحدث عما يحدث بالشركة سوف ينتهي بك الأمر إلى أن يجدوك جثة طافية على سطح النهر ، ماذا ستفعل ؟ سوف تغلق فمك وتأخذ المال " .

توقفا عند بداية النصب التذكارى ، عند نقطة تبدأ عندها الصخور الجرانيتية عند المستوى الأرضى وتبدأ فى الارتفاع لمسافة ٢٤٦ قدماً حتى تميل فى زوايا حادة مكونة الصف الثانى من الألواح المتماثلة . على بعد ستين قدماً ، كان هناك زوج من العجائز يحدقان النظر إلى الحائط ويبكيان فى هدوء . كان كلاهما يحتضن الآخر من أجل الدفء واستلهام القوة . انحنت الأم إلى الأرض ووضعت صورة من اللونين الأبيض والأسود موضوعة داخل إطار عند قاعدة الحائط . أما الأب فوضع صندوق كرتون صغيراً مليئًا بذكريات المدرسة الثانوية إلى جانب الصورة . كان الصندوق يحتوى على تذاكر مباريات كرة القدم وصور مدرسية ، وخطابات عاطفية ، وسلسلة مفاتيح وسلسلة ذهبية . صار بكاؤهما أعلى صوتاً .

أعطى ميتش ظهره للحائط ونظر إلى المسلة التى تمثل النصب التذكارى لمدينة واشنطن . أخذ المدير يراقب عينى ميتش .

تساءل ميتش : " إذن ، ماذا يُفترَض أن أفعل ؟ "

" أولاً وقبل أى شيء ، أغلق فمك تماماً . إذا بدأت تطرح الأسئلة ، سوف تعرض حياتك للخطر . وحياة زوجتك أيضاً . لا تنجبا أى أطفال فى الوقت الحالى . إن الأطفال هدف سهل . من الأفضل أن تتصرف كما لو أن كل شيء يسير على ما يرام وأنك مازلت تخطط لكى تكون أعظم محامٍ فى العالم . ثانياً ، يجب أن تتخذ قراراً . ليس الآن ، ولكن قريبا . يجب أن تقرر إذا كنت ستتعاون معنا أم لا . إذا اخترت أن تساعدنا ، سوف نحرص على تعويضك عن التضحيات والتعب الذى

ستخوضه . إذا اخترت ألا تساعدنا ، حينها سوف نستمر في مراقبة الشركة حتى نقرر الاتصال بمحام آخر . كما قلت لك سابقاً ، في يوم من الأيام سوف نجد شخصاً ما لديه من الجرأة ما يُمَكِننا من النيل من هؤلاء الأشرار . وسوف تنتهى عائلة مورولتو الإجرامية من الوجود تماماً . سوف نحميك يا ميتش ، ولن تضطر إلى العمل فى حياتك بعد ذلك " .

" أى حياة ؟ سوف أعيش فى خوف إلى الأبد ، إن كُتِبت لى النجاة . لقد سمعت قصصاً عن شهود كان من المفترض أن تخفيهم المباحث الفيدرالية عن العيون . وبعد عشر سنوات ، تنفجر بهم السيارة فى ممر السير أثناء انطلاقهم إلى أعمالهم . وتتناثر أشلاؤهم على امتداد ثلاثة مربعات سكنية . إن المافيا لا تنسى أبداً أيها المدير . أنت تعلم ذلك " .

" إنهم لا ينسون يا ميتش . لكن أعدك أنك ستكون تحت حمايتنا أنت وزوجتك " .

نظر المدير إلى ساعته وقال : " من الأفضل أن تعود وإلا سيشكون فى الأمر . سوف يبقى تارانس على اتصال بك . ضع ثقتك فيه يا ميتش ، إنه يحاول إنقاذ حياتك . إن لديه الصلاحيات الكاملة للتصرف بالنيابة عنى . إذا أخبرك بشيء ، فاعلم أنه صادر عنى . وبإمكان تارانس التفاوض أيضا " .

" التفاوض فى ماذا ؟ "

" على شروط الاتفاق يا ميتش . ماذا سنعطيك فى مقابل ما ستعطيه لنا . نحن نريد القبض على عائلة مورولتو ، وبإمكانك أن تقدمهم لنا . يمكنك أن تحدد الثمن الذى تريده ، وسوف تقوم الحكومة ، ممثلة فى مكتب التحقيقات ، فى تلبية مطالبك . إذا كانت معقولة بالطبع . وهذا الكلام أنا المسئول عنه يا ميتش " . سارا ببطء على طول الحائط وتوقفا

أمام العميل الذى يجلس على الكرسى المتحرك . أخرج فويلس يده من جيبه وقال : " انظر، هناك سيارة أجرة تنتظرك فى المكان الذى جئت منه ، رقم ١٠٧٣ . ويقودها نفس السائق . من الأفضل أن تغادر الآن . لن نتقابل مرة أخرى ولكن تارانس سوف يتصل بك خلال أسبوعين . فكر فيما قلته من فضلك . لا تقنع نفسك أن الشركة لا يمكن قهرها وأنها ستظل تعمل إلى الأبد ، لأننى لن أسمح بذلك . سوف نضرب ضربتنا في المستقبل القريب ، أعدك بذلك . أنا فقط أتمنى أن تكون فى جانبنا " .

" أنا لم أفهم ماذا سأفعل ؟ " .

" لدى تارانس الخطة الكاملة . سوف تتوقف أشياء كثيرة عليك وعلى المعلومات التى ستصل إليك بعد أن تلتزم " .

" ألتزم ؟ "

" هذه هى الكلمة المناسبة يا ميتش . ما إن تلتزم بالتعاون معنا ، لن يكون هناك مكان للتراجع . إن هؤلاء الأشخاص أشد قوة من أى منظمة أخرى على وجه الأرض " .

" لماذا اخترتمونى ؟ "

" كان علينا أن نختار شخصاً ما . كلا ، هذه ليست الحقيقة . لقد اخترناك لأن لديك الجرأة لكى تترك الشركة . ليست لديك عائلة سوى زوجتك . ليست لديك أصول ولا روابط . لقد تعرضت للأذى على يد كل شخص اهتممت به ، فيما عدا آبى . لقد ربيت نفسك ، وعندما فعلت ذلك أصبحت مستقلاً ومعتمداً على ذاتك . لست بحاجة إلى الشركة . يمكنك أن تتركها . لقد جعلتك الأيام والخبرات أكثر صلابة وشدة من سنك الحقيقية . وأنت ذكى بما يكفى لإتمام هذه العملية يا ميتش . لن يمكنهم الإمساك بك . لهذا اخترناك . يوم سعيد يا ميتش . وشكراً على حضورك . من الأفضل أن تعود الآن " .

استدار فويلس وسار مبتعداً بسرعة . انتظر تارانس عند نهاية الحائط ، وأعطى ميتش تحية سريعة ، وكأنه يقول : " وداعاً ، حتى نلتقي " .

٢٠

. . . .

بعد توقف إجبارى في مدينة أطلانطا ، هبطت الطائرة دلتا دى . سى ـ ٩ فى مطار ممفيس الدولى فى وسط الأمطار الباردة . توقفت الطائرة في البوابة ١٩ ، وسرعان ما هبط الحشد القليل من رجال الأعمال الذين كانوا على متنها . كان ميتش يحمل حقيبة مستنداته وطبعة من مجلة ايسكوير فقط . رأى آبى وهى تقف بجوار كبائن الهاتف العامة وتحرك بسرعة نحوها مخترقا الزحام . ألقى بالحقيبة والمجلة إلى جوار الحائط واحتضنها . بدت الأيام الأربعة فى واشنطن كأنها شهر . تبادلا القبلات مرة بعد مرة ، وتهامسا فى صوت خافت .

تساءل ميتش : " ما رأيك فى ميعاد غرامى ؟ "

قالت آبى : " لقد وضعت الطعام على المائدة والشراب فى المبرد " . أمسك كل منهما بيد الآخر وسارا يخترقان الحشود فى طريقهما إلى صالة التقاط حقائب السفر .

تحدث ميتش فى خفوت قائلاً : " حسناً ، نحتاج إلى أن نتحدث ، ولا يمكننا أن نفعل ذلك فى المنزل " .

ضغطت آبى على يده بقوة وقالت : " ماذا ؟ "

" نعم . فى الواقع نحن بحاجة إلى حديث طويل " .

" ماذا حدث ؟ "

" سوف يستلزم الأمر وقتاً طويلاً " .

" لماذا أشعر بالتوتر فجأة ؟ "

" فقط احتفظى بهدوئك . استمرى فى الابتسام . إنهم يراقبوننا الآن " .

ابتسمت وألقت نظرة سريعة إلى يمينها وقالت : " من الذى يراقبنا ؟ "

" سوف أشرح لك الأمر بعد لحظة " .

جذبها ميتش فجأة إلى يساره . أخذا يخترقان تلك الموجة من الزحام البشرى ، ودلفا إلى صالة انتظار معتمة ومزدحمة برجال الأعمال الذين جلسوا يحتسون الشراب ويتطلعون إلى التلفاز الموضوع فوق المنضدة بينما ينتظرون موعد انطلاق رحلاتهم . كانت هناك طاولة صغيرة مستديرة عليها أقداح شراب فارغة قد خلت تواً ، فجلسا عليها وأعطيا ظهريهما للحائط ووجهيهما إلى المنضدة والزحام المتكدس حولها . جلس كل منهما بالقرب من الآخر وعلى بعد ثلاثة أقدام من الطاولة المجاورة . حدق ميتش النظر إلى الباب وأخذ يفحص كل الوجوه التى تدخل من خلاله . تساءلت آبى : " إلى متى سنظل فى هذا المكان ؟ "

" لماذا تسألين ؟ "

خلعت آبى معطفها الطويل المصنوع من فرو الثعلب ووضعته على المقعد المقابل لها ثم قالت : " ما الذى تبحث عنه بالتحديد ؟ "

" فقط استمرى بالابتسام للحظات . تظاهرى أنك قد اشتقت إلىَّ للغاية . والآن قبلينى " . أعطاها قبلة صغيرة على شفتيها ، وظل كلاهما يبتسم وهو ينظر فى عينى الآخر . قبَّل ميتش وجنتها ثم عاد بنظراته إلى الباب . اندفع نادل إلى الطاولة وقام بتنظيفها . طلبا بعض الشراب .

ابتسمت آبى إلى ميتش وقالت : " كيف كانت رحلتك ؟ "

" مملة . لقد كنا نمضى ثمانى ساعات يومياً فـى قاعـات الدراسـة ، لمدة أربعة أيام . بعد اليوم الأول نادراً ما كنت أغادر الفندق . لقد قـاموا بتلخيص ستة أشهر من التعديلات الضريبية فى محاضرات استغرقت اثنتين وثلاثين ساعة " .

" هل استمتعت برؤية المناظر الطبيعية ؟ " .

ابتسم ميتش ونظر إليها بعينين حالمتين وقال : " لقد اشتقت إليـك يا آبى . أكثر من اشتياقى إلى أى إنسان آخر فى حياتى . أحبـك كـثير . أظن أنك تبدين رائعة ، بـل سـاحرة الجمـال . أنـا لا أحـب أن أرتحـل بمفردى وأستيقظ فى سرير غريب بأحد الفنادق ولا أجدك إلى جـوارى . ولدى شىء رهيب يجب أن أخبرك به " .

توقفت آبى عن الابتسام . تفحص ميتش أرجاء الغرفة بـبطء . كـان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون عند نهاية المنضدة ويصرخون بصوت عـال وهم يشاهدون مباراة فريق نـيكس لاكـرز . علـت الضوضـاء فـى الصـالة فجأة .

قال ميتش : " سوف أخبرك بالأمر . لكـن هنـاك احتمـالاً قويـاً أن شخصاً ما يراقبنا الآن . لا يمكنهم سماع ما نقول ولكن يمكنهم مراقبـة حركتنا وتعبيرات وجوهنا . فقط ابتسمى من وقت لآخر ، مـع أن ذلـك سيكون أمراً عسيراً " .

وصل الشراب وبدأ ميتش يقص حكايته . لم يترك شيئا مما حدث . تحدثت آبى مرة واحدة . أخبرهـا عـن أنتـونى بنـدينى وعـن موررولتـو العجوز ، وعن نشأة ناثان لوك فى ضواحى شيكاغو وعن أوليفر لامـبرت وعن رجال المراقبة والتحرى بالطابق الخامس .

احتسـت آبـى شـرابها فـى عصـبية وحاولـت فـى شجاعة أن تبـدو كزوجـة طبيعيـة محبـة اشـتاقت إلى زوجهـا وتجلـس الآن فـى سـعادة تسـتمتع بذكرياتـه عـن منتـدى الضـرائب . كانـت تتطلـع إلى أولئـك

الجالسين على النضد ، وتحتسى قليلاً من شرابها ، ومن وقت لآخر تبتسم إلى ميتش بينما يقص عليها موضوع غسيل الأموال والمحامين الذين لقوا حتفهم على يد رجال الشركة . كان جسدها يرتجف من الخوف . وصار تنفسها ثقيلاً بشكل غير طبيعي . لكنها أنصتت ، وتظاهرت بالابتسام .

جلب النادل مزيداً من الشراب بينما أخذ الحشد يقل . وبعد ساعة من بدء كلامه ، أنهى ميتش حكايته فى صوت هامس .

" ولقد قال فويلس إن تارانس سوف يتصل بى خلال أسبوعين ليرى إذا كنت سأتعاون معهم . ودعنى ثم سار مبتعداً " .

تساءلت آبى : " وكان ذلك يوم الثلاثاء ؟ "

" نعم . فى اليوم الأول " .

" وماذا فعلت فى بقية الأيام ؟ "

" نمت قليلاً ، وأكلت قليلا ، وكنت أمشى وفى رأسى صداع سخيف معظم الوقت " .

" اعتقد أننى سأصاب بصداع أنا الأخرى " .

" أنا آسف يا آبى . لقد أردت أن أعود وأخبرك على الفور . لقد كنت فى صدمة لمدة ثلاثة أيام " .

" وأنا الآن فى صدمة . أنا لا أصدق هذا يا ميتش . إنه أشبه بكابوس ، لكن هذا أسوأ بكثير " .

" وهذه هى البداية فقط . إن المباحث الفيدرالية جادة للغاية بشأن هذا الأمر . وإلا لماذا يقابلنى المدير بنفسه ، وأنا مجرد محام مبتدئ عديم الأهمية من مدينة ممفيس ، فى جو شديد البرودة وعلى مقعد صخرى داخل إحدى الحدائق ؟ لقد أوكل القضية إلى خمسة عملاء مباحث فى ممفيس وثلاثة فى واشنطن ، وقال إن المباحث سوف تدفع كل ما يلزم للنيل من الشركة . إذن ، إذا أبقيت فمى مغلقاً ، وتجاهلت

ما قالوه وظللت أمارس عملى كعضو مخلص وناجح فى شركة بنديني ، لامبرت ، آند لوك ، فإنهم سينقضون على المكان فى يوم ما ومعهم مذكرات اعتقال ثم يلقون القبض على الجميع . أما إذا اخترت أن أتعاون ، فسوف أغادر أنا وأنت ممفيس فى جنح الظلام بعد أن أكون قد سلمت الشركة إلى المباحث الفيدرالية ، وسوف يخفوننا فى مدينة ما مثل بويس أو ايداهو تحت اسم السيد ويلبار جاتس وحرمه . سيكون لدينا الكثير من المال ولكن سنضطر إلى العمل حتى لا نثير الشبهات . بعد أن أجرى عملية تجميل لتغيير ملامح وجهى ، سوف أحصل على وظيفة سائق رافعة فى مخزن للأخشاب ، وسوف يمكنك العمل بدوام جزئى فى روضة أطفال . سوف يكون لدينا طفلان ، أو ربما ثلاثة أطفال وسوف نقضى الليل ندعو الله أن يغلق هؤلاء الناس الذين لم نقابلهم من قبل أفواههم وألا يتحدثوا بشأننا . سوف نعيش كل ساعة من كل يوم فى خوف دائم أن يكتشف أحدهم أمرنا " .

قالت آبى ، وهي تحاول بشدة لكى لا تبكى : " هذا رائع للغاية يا ميتش . رائع تماماً " .

ابتسم ميتش ونظر فى أرجاء القاعة ثم قال : " لدينا خيار ثالث . يمكننا أن نخرج من هذا الباب ، ونشترى تذكرتين إلى سان دييجو ، ونتسلل عبر الحدود ونظل نأكل الخبز المكسيكى لبقية حياتنا " .

" هيا نذهب " .

" لكنهم سوف يلحقون بنا . وبحظى هذا ، سوف نجد أوليفر لامبرت ينتظرنا فى تيجوانا ومعه فرقة من القتلة . لن يفلح هذا الأمر . لقد كانت مجرد فكرة " .

" ماذا عن لامار ؟ "

" لا أدرى . إن له ست أو سبع سنوات بالشركة ، ومن المرجح أنه يعلم بالأمر . أما تولار فهو شريك ، ولذلك فهو بالتأكيد جزء من المؤامرة " .

" ماذا عن كاى ؟ "

" لا أدرى . من المرجح أن كل الزوجات لا يعلمن شيئاً عن الأمر . لقد فكرت بالأمر لأربعة أيام يا آبى ، ووجدت أن الشركة واجهة رائعة . إن الشركة تبدو كما يجب أن تكون تماماً . كان بإمكانهم أن يخدعوا أى شخص . أقصد ، كيف لك أو لى أو أى محام مرشح للعمل أن يفكر فى أن عملية كهذه تجرى بالشركة . إن الأمر محكم بشكل رائع ، فيما عدا أن المباحث قد صارت تعلم بالأمر " .

" والآن تتوقع المباحث منك أن تقوم بعملهم القذر . لماذا انتقوك لهذا الأمر يا ميتش ؟ هناك أربعون محامياً بالشركة " .

" لأننى لا أعرف شيئا عن الأمر . لقد كنت صيداً سهلاً . إن المباحث لا تعرف تأكيداً متى يلقى الشركاء بالقنبلة فوق رؤوس المحامين ، لذلك لم يستطيعوا المجازفة مع شخص آخر . لقد تصادف أننى الشخص الجديد ، ولذلك قاموا بإعداد الفخ فور أن نجحت فى امتحان النقابة " .

عضت آبى شفتيها ومنعت دموعها من النزول . نظرت فى شرود إلى الباب فى نهاية القاعة المعتمة . قالت : " وهم ينصتون إلى كل ما نقوله " .

" كلا . فقط المكالمات الهاتفية وأحاديثنا فى المنزل والسيارة . يمكننا التحدث بحرية هنا أو فى معظم المطاعم التى نتقابل فيها ، وهناك دائماً الشرفة الخارجية للمنزل . لكن أقترح أن نبتعد كثيرا عن الباب المنزلق . لكى نكون بمأمن ، يمكننا أن نتسلل إلى خلف المخزن ونتحدث بهمس شديد " .

" أتحاول أن تكون خفيف الظل ؟ أتمنى ألا تفعل . ليس هذا وقتاً مناسباً للنكات . أنا في شدة الخوف والغضب والحيرة ، وأكاد أصاب بالجنون ولست واثقة أين ألتفت . أنا أخشى التحدث في منزلى . وأراقب كل كلمة أنطقها في التليفون ، حتى لو كان رقماً خاطئاً . كل مرة يرن فيها الهاتف ، أقفز فزعًا وأحدق فيه . والآن تخبرني بكل هذه الأمور " .

" هل تحتاجين إلى مشروب آخر ؟ " .

" احتاج إلى عشرة مشروبات " .

جذب ميتش رسغها وضغط عليه بقوة قائلا : " انتظرى لحظة . لقد رأيت وجهاً مألوفاً . لا تستديرى أو تنظرى للخلف " .

حبست آبى أنفاسها وقالت : " أين ؟ "

" عند الناحية الأخرى من المطعم . ابتسمى وانظرى إلىَّ " .

كان هناك رجلٍ يجلس على مقعد أمام المنضدة ويحدق إلى التلفاز بتركيز . كان رجلاً أشقر الشعر تعلو وجهه سمرة ويرتدى سترة من اللونين الأبيض والأزرق السماوى تخص متسلقى الجبال . كان يبدو كمن أتى من جبال الألب توا . لكن ميتش قد رأى تلك السمرة وذلك الشعر والشارب الأشقر في مكان ما في واشنطن . راقبه ميتش جيداً . كانت أنوار النيون الزرقاء داخل القاعة تلقى بظلالها على وجهه . اختبأ ميتش داخل الظلام . رفع الرجل زجاجة من الشراب ، تردد للحظة ، وهناك ، ألقى نظرة خاطفة على ذلك الركن الذى كان يتعانق فيه ميتش وآبى .

تساءلت آبى من خلف أسنانها المطبقة : " هل أنت متأكد ؟ "

" نعم . لقد كان في واشنطن ، لكن لا أذكر أين رأيته تحديداً . في الواقع ، لقد رأيته مرتين " .

" هل هو من رجال الشركة ؟ "

" كيف يمكن أن أعرف ذلك ؟ "

" دعنا نخرج من هنا " .

وضع ميتش عشرين دولاراً فوق الطاولة وغادر المطار مع آبى .

انطلق ميتش يقود سيارة آبى البيجو مسرعاً خلال ساحة الانتظار القصيرة ، ودفع تعريفة الانتظار ، ثم أطلق العنان للسيارة متجهاً إلى وسط المدينة . بعد خمس دقائق من الصمت ، مالت آبى قليلاً وهمست فى أذنه : " هل يمكننا أن نتحدث ؟ "

هز ميتش رأسه نفياً وقال : " حسناً ، كيف كان الطقس وأنا فى الرحلة ؟ "

قلبت آبى عينيها ونظرت من النافذة ثم قالت : " بارد . هناك احتمال قوى لتساقط بعض الثلوج القليلة هذه الليلة " .

" لقد كانت درجات الحرارة تحت الصفر طوال الأسبوع الذى قضيته فى واشنطن " .

بدا الذهول على وجه آبى من تصريحه وتساءلت وهى ترفع حاجبيها وتفتح عينيها كأنما المحادثة تمتعها للغاية : " هل كانت هناك ثلوج ؟ "

" كلا . مجرد برودة قارصة " .

" يا لها من مصادفة ! برد هنا وبرد هناك " .

ضحك ميتش فى داخله . انطلقت السيارة فى صمت على الطريق الذى يربط بين الولايات . تساءل ميتش : " إذن ، من سيربح مباراة نهائى كرة القدم ؟ "

" فريق أويلرس " .

" أتظنين ذلك ؟ أعتقد أنه فريق ريدسكينز . لقد كان هذا هو مجمل أحاديث الناس فى واشنطن " .

" يا إلهى . لابد أنها مدينة تعشق المرح " .

مزيد من الصمت . وضعت ظهر يدها على فمها وأخذت تركز نظرها على الأضواء التى تسطع أمامها . فى تلك اللحظة من الحيرة والذهول ، كانت لتقبل أن تجرب حظها فى الهروب إلى تيجوانا . لقد قام زوجها - الذى كان الثالث على دفعته فى هارفارد ، والذى كانت الشركات القانونية فى وول ستريت تستجديه وترحب به ، والذى كان بإمكانه الذهاب إلى أى مكان والانضمام إلى أى شركة - بتوقيع عقد مع ... المافيا ! وإذا كان لديهم سجل فى قتل المحامين يحمل رقم خمسة ، فهم لن يترددوا بالتأكيد فى التخلص من رقم ستة . زوجها ! سرحت أفكارها بعد ذلك فى تلك الأحاديث القصيرة التى دارت بينها وبين كاى كوين وأخذت كلمات كاى ترن فى أذنيها . إن الشركة تشجع إنجاب الأطفال . إن الشركة تسمح للزوجات بالعمل ، ولكن ليس للأبد . الشركة لا تعين محامياً من أسرة غنية . الشركة تطلب الولاء التام لها . الشركة لديها أقل معدل فى الاستغناء عن محاميها . كانت كلها عبارات تثير التساؤل .

كان ميتش يراقبها جيداً . وبعد عشرين دقيقة من مغادرة المطار ، توقفت السيارة البيجو فى المرآب بجانب الـ بى . إم . دبليو . أمسك ميتش بيد آبى وسارا إلى نهاية الممر المؤدى إلى المنزل .

قالت آبى : " هذا جنون يا ميتش " .

" نعم ، لكنه حقيقى . ولن ينتهى الأمر من تلقاء نفسه " .

" ماذا سنفعل ؟ "

" لا أدرى يا عزيزتى . لكن لابد أن نتحرك بسرعة ، ولا يمكننا أن نرتكب أية أخطاء " .

" أنا خائفة " .

" وأنا مرعوب " .

لم ينتظر تارانس طويلاً . بعد أسبوع من توديعه لميتش عند حائط النصب التذكارى ، لمح ميتش وهو يمشي مسرعاً فى البرد باتجاه المبنى الفيدرالى فى شارع نورث ماين ، على بعد ثمانية مربعات سكنية من مبنى بنديني . تبعه لمسافة مربعين سكنيين ، ثم دلف إلى مقهى صغير به صف من النوافذ تطل على الشارع ، أو مركز التسوق ، كما كانوا يسمونه . كانت السيارات ممنوعة فى شارع ماين ستريت فى ممفيس . وكان إسفلت الشارع قد تمت تغطيته بالبلاط عندما توقف الشارع المشجر عن كونه مجرد شارع وتحول إلى مركز تسوق أمريكى . ومن وقت لآخر كانت تظهر شجرة منعزلة عديمة الفائدة من بين ألواح البلاط وتمد أطرافها العقيمة بين المبانى . كان الشحاذون والمشردون يتجولون بدون هدف بين جوانب مركز التسوق ، يتسولون المال والطعام .

جلس تارانس فوق طاولة أمامية وشاهد ميتش من مسافة وهو يختفى داخل المبنى الفيدرالى . طلب القهوة وكعكة محلاة بالشيكولاته . تفقّد ساعته . كانت تشير إلى العاشرة صباحاً . طبقاً لجدول الأعمال ، كان لدى ميتش جلسة استماع قصيرة فى محكمة الضرائب فى هذه اللحظة . من المفترض أن تكون جلسة قصيرة للغاية ، لقد أخبر حاجب المحكمة تارانس بذلك . جلس تارانس ينتظر .

لاشيء ينتهى بسرعة فى قاعة المحكمة . بعد ساعة ، قرّب تارانس وجهه من النافذة وأخذ يراقب الأجساد المبعثرة التى تخطو بسرعة فوق رصيف الشارع على بعد مسافة من المقهى . أنهى قدح القهوة لثالث مرة ، ثم وضع دولارين فوق الطاولة ووقف مختفيا بجانب الباب . بينما اقترب ميتش من الجانب الآخر لمركز التسوق ، تحرك تارانس بسرعة تجاهه .

رآه ميتش وأبطأ للحظة واحدة .

" مرحباً يا ميتش . أتمانع أن أسير معك قليلاً ؟ "

" نعم ، أمانع يا تارانس . ألا تظن أن هذا الأمر يمثل بعض الخطورة ؟ "

سارا بسرعة دون أن ينظر أحدهما إلى الآخر . قال تارانس وهو يشير إلى اليمين : " انظر إلى ذلك المتجر . أحتاج إلى شراء زوج من الأحذية " . دلفا إلى متجر دون بانجز للأحذية . خطا تارانس إلى مؤخرة المتجر الضيق وتوقف بين صفين من الأحذية المقلدة من ماركة ريبوك العالمية والتى تباع بمبلغ ٤,٩٩ دولار للزوج . تبعه ميتش وانتقى زوجاً من الأحذية مقاس عشرة . نظر إليهما دون بانجز أو شخص كورى آخر نظرة شك لكنه لم يقل شيئاً . كانا يراقبان الباب الأمامى خلال صفوف الأحذية .

قال تارانس دون أن يحرك شفتيه : " لقد اتصل بى المدير بالأمس . كان الأمر بخصوصك . قال إن الوقت قد حان لتتخذ قرارك " .

" قل له إننى ما زلت أفكر " .

" هل أخبرت رجال الشركة بما حدث ؟ "

" كلا . ما زلت أفكر " .

" هذا أمر جيد . لا أظن أنه يجب أن تخبرهم " . ناول ميتش بطاقة شخصية وقال : " احتفظ بهذه . هناك رقمان على ظهر البطاقة . استخدم أياً منهما من هاتف عمومى . سوف ترد عليك آلة تسجيل ، فقط اترك رسالة وأخبرنى متى وأين تريد أن نتقابل " .

وضع ميتش البطاقة داخل جيبه .

فجأة ، انحنى تارانس إلى أسفل . تساءل ميتش : " ماذا حدث ؟ "

" أظن أن أحدهم رآنا . لقد رأيت أحد مخبرى الشركة يسير أمام المتجر وينظر إلى الداخل . استمع إلىَّ يا ميتش ، واستمع جيداً . اخرج معى من المتجر الآن ، وفى اللحظة التى نخرج فيها من الباب ، اصرخ

" عند المركز التجارى . شمال شارع يونيون . لقد كنت أمشى بمفردى ، لا أنوى على شيء " .

" هل هذا هو الاتصال الأول منذ المرة الماضية ؟ "

" نعم . لم أتعرف على الرجل فى البداية " .

تحدث تولار فى سماعة الهاتف : " أنا آفرى تولار . أحتاج إلى الحديث مع اوليفر لامبرت على الفور .... لا أهتم إذا كان يتحدث فى الهاتف . قاطعى المكالمة ، والآن " .

تساءل ميتش : " ما الذى يحدث يا تولار ؟ "

" مرحباً أوليفر . أنا آفرى تولار . آسف لمقاطعتك . إن ميتش ماكدير فى مكتبى . منذ عدة دقائق كان يسير فى الشارع عائداً من المبنى الفيدرالى عندما تعرض له عميل من المباحث بالقرب من المركز التجارى ... ماذا ؟ نعم ، لقد دخل مكتبى من لحظة وأخبرنى بالأمر ... حسناً ، سوف نكون هناك خلال خمس دقائق " . أغلق تولار سماعة الهاتف وقال : " استرخ يا ميتش . لقد خضنا هذا الأمر من قبل " .

" أعلم يا تولار ، لكن هذا لا معنى له . لماذا يزعجوننى أنا ، المحامى الجديد بالشركة ؟ "

" إنها مجرد مضايقة يا ميتش . ببساطة شديدة . ليست أكثر من مجرد مضايقة . اجلس " .

سار ميتش إلى النافذة ونظر إلى النهر وهو يجرى من بعيد . لقد كان تولار كاذباً بارد الدم . لقد كان الوقت مناسباً لاستخدام أسلوب " إنهم فقط يتربصون بنا " . استرخ يا ميتش . ولكن كيف ؟ هناك ثمانية عملاء للمباحث يتولون قضية الشركة والمدير ، السيد دينتون فويلس ، يتابع القضية بنفسه يومياً . كيف يسترخى ميتش ؟ لقد شوهد وهو يتهامس مع عميل للمباحث فى داخل متجر للأحذية الرخيصة . والآن

صار عليه أن يتصرف كمواطن جاهل وقع فريسة لقوى الشر التى تمثلها الحكومة الفيدرالية . مجرد مضايقات ؟ فلماذا كان ذلك المخبر يتبعه أثناء زيارة روتينية لمبنى المحكمة ؟ لماذا لا تجيب على ذلك يا تولار ؟

" أنت خائف ، أليس كذلك ؟ " تساءل تولار وهو يضع ذراعه حول كتف ميتش وينظر إلى خارج النافذة .

" لست خائفاً حقاً . لقد شرح لوك كل شيء فى المرة السابقة . أنا فقط أتمنى لو يتركوننى وشأنى " .

" إنها مسألة جادة يا ميتش . لا تأخذ الأمور باستخفاف . دعنا نذهب ونرى لامبرت " .

تبع ميتش تولار فى الدوران حول الركن إلى نهاية القاعة . فتح الباب بواسطة شخص غريب يرتدى ملابس سوداء ، ثم أغلق بعد دخولهم . كان لامبرت ، لوك ، ورويس مكنايت يقفون إلى جوار طاولة الاجتماعات . ومرة أخرى كان هناك جهاز تسجيل فوق الطاولة . جلس ميتش على الناحية المقابلة لجهاز التسجيل . جلس صاحب العيون السوداء عند نهاية الطاولة وأخذ يحدق النظر إلى ميتش .

أخذ لوك يتحدث وعلى وجهه عبوس ينذر بخطر . لم يكن هناك أية ابتسامات فى الغرفة . قال لوك : " ميتش ، هل قام تارانس أو أى عميل آخر من المباحث الفيدرالية بالاتصال بك منذ نهاية أغسطس ؟ "

" كلا " .

" هل أنت واثق ؟ "

ضرب ميتش الطاولة بيده صارخاً : " اللعنة ! لقد قلت لا ! لماذا لا تضعنى على منصة الشهود وتجعلنى أقسم أن أقول الحقيقة ؟ "

تفاجأ لوك بما حدث . كلهم تفاجأوا برد فعله . ساد صمت ثقيل لمدة نصف دقيقة . حدق ميتش النظر إلى صاحب العيون السوداء ، الذى تراجع عن المواجهة ، على الأقل بتلك الحركة التلقائية من رأسه .

ولأن لامبرت دائماً ما يعشق دور الوسيط الدبلوماسى ، فقد تدخل فى الأمر قائلا : " انظر يا ميتش . إننا نعلم أن الأمر مخيف " .

" إنه كذلك بحق السماء . أنا لا يعجبنى كل هذا الأمر . إننى أنشغل بأعمالى ، وأكدح أسبوعياً لمدة تسعين ساعة ، محاولاً أن أكون محامياً جيداً وعضواً نشيطاً فى هذه الشركة ، ولسبب لا أعلمه أظل أتلقى تلك الزيارات من المباحث الفيدرالية . والآن سيدى ، أتمنى لو أحصل على بعض الإجابات " .

ضغط لوك زر التسجيل الأحمر وقال : " سوف نتحدث فى ذلك خلال دقائق . أولاً ، يجب أن تخبرنا بكل ما حدث " .

" إن الأمر بسيط للغاية يا سيد لوك . لقد ذهبت إلى مبنى المحكمة فى الساعة العاشرة من أجل حضور قضية مالكولم ديلانى التى كانت معروضة أمام القاضى كوفر . لقد ظللت هناك ما يقرب من الساعة حتى انتهيت من أعمالى . غادرت المبنى الفيدرالى وسرت فى اتجاه المكتب - مسرعاً . كانت الحرارة تصل إلى عشرين درجة بالخارج . على بعد مربع سكنى أو اثنين شمال شارع يونيون ، ظهر ذلك الرجل تارانس فجأة ، وجذبنى من ذراعى ثم دفعنى إلى داخل متجر صغير . بدأت أتعارك معه بشدة ، لكنه ، رغم كل شىء ، أحد عملاء المباحث . لم أرد أن أحدث جلبة داخل المتجر . أخبرنى أنه يريد التحدث معى لدقيقة داخل المتجر . انتزعت نفسى من قبضته ، وركضت إلى الباب . لحق بى مرة أخرى ، وحاول أن يمسك بى ، لكنى دفعته بعيداً عنى . ثم أسرعت بالجرى إلى هنا ، وذهبت مباشرة إلى مكتب تولار ، وها نحن قد جئنا إلى هنا . هذا هو كل ما حدث بالحرف الواحد " .

" بأى شأن أراد أن يتحدث إليك ؟ "

" لم أعطه فرصة لكى يشرح الأمر يا سيد لوك . ليس لدىَّ استعداد لأن أتحدث إلى أى عميل مباحث إذا لم يكن بحوزته مذكرة استدعاء من المحكمة " .

" هل أنت واثق أنه نفس العميل ؟ "

" أعتقد ذلك . لم ألاحظه جيداً فى البداية . لم أره منذ أغسطس الماضى . لكن ما إن دلفنا إلى داخل المتجر حتى أخرج شارته وعرفنى بنفسه مرة أخرى . فى تلك اللحظة بدأت الجرى " .

ضغط لوك زرا آخر فى جهاز التسجيل وجلس مسترخياً فى مقعده . جلس لامبرت خلفه وابتسم ابتسامته الدافئة المعهودة وقال : " اسمع يا ميتش . لقد شرحنا لك الأمر فى المرة السابقة . لقد ازداد هؤلاء العملاء جرأة ووقاحة . فى الشهر الماضى تعرضوا إلى جاك ألدريش بينما كان يتناول طعام الغداء فى أحد مطاعم المشويات فى شارع سيكوند ستريت . نحن غير متأكدين مما يخططون له ، لكن تارانس قد فقد عقله تماماً . هذا كله ليس أكثر من مجرد مضايقات " .

راقب ميتش شفتى لامبرت تتحركان ولكنه لم يسمع سوى القليل . بينما كان لامبرت يتحدث ، كان ميتش يتذكر كوزنسكى وهودج ومنظر أرملتيهما وأطفالهما وقت الجنازة .

تنحنح صاحب العينين السوداوين وقال : " إنها مسألة خطيرة يا ميتش ، ولكن ليس لدينا ما نخفيه . لقد كان من الأفضل للمباحث الفيدرالية أن يحققوا فى شئون عملائنا لو أنهم يتوقعون أية مخالفات . إننا محامون . وقد نمثل بعض الناس ممن يتحايلون على القانون ، ولكننا لم نفعل أى شيء خطأ . إن هذا الأمر يحيرنا للغاية " .

ابتسم ميتش وفتح يديه ، ثم تساءل فى إخلاص : " ماذا تريد منى أن أفعل ؟ "

قال لامبرت : " لا يوجد ما يمكنك عمله يا ميتش . فقط ابتعد عن هذا الرجل ، واهرب منه إذا رأيته . إذا نظر إليك فقط ، فأبلغنا بالأمر على الفور " .

قال تولار بشكل دفاعي : " إن ذلك هو ما فعله ميتش تماماً " .

بدا ميتش في حالة يرثى لها .

قال لامبرت : " يمكنك أن تذهب الآن يا ميتش . وأبلغنا إذا استجد شيء ما " .

غادر ميتش المكتب بمفرده .

أخذ ديفاشر يتحرك جيئة وذهاباً خلف مكتبه متجاهلاً الشركاء وقال : " إنه يكذب ، وأنا واثق من هذا . إنه يكذب بالتأكيد " .

تساءل لوك : " ما الذي رآه رجلك ؟ "

" لقد شاهد رجلي شيئاً مختلفاً . اختلاف طفيف . لكنه اختلاف مهم للغاية . إنه يقول إن ماكدير وتارانس دلفا إلى المتجر في هدوء . بدون أي إجبار أو دفع من قبل تارانس . لم يكن هناك أي تهديد على الإطلاق . لقد سار تارانس بجوار ميتش ، تحدثا قليلاً ثم دلفا معاً إلى داخل متجر الأحذية . يقول رجلي إنهما قد اختفيا في خلفية المتجر ، وظلا هناك لمدة ثلاث أو أربع دقائق . بعد ذلك مر رجل آخر من رجالنا أمام المتجر ونظر إلى الداخل فلم ير أي شيء . من الواضح أنهما قد شاهدا رجلنا ، لأنهما خلال ثوان خرجا من المتجر وكان ماكدير يصرخ ويدفع تارانس بيده . هناك شيء مريب في الأمر ، وأنا أثق من ذلك " .

تساءل لوك ببطء وبشكل محدد : " هل جذب تارانس ذراع ميتش وأجبره على دخول المتجر ؟ "

" كلا بالتأكيد . وهنا تكمن المشكلة . لقد دخل ماكدير طوعا ، وعندما قال ماكدير إن تارانس قد جذب ذراعه فقد كان يكذب

بالتأكيد . يقول رجلنا إنهما كانا سيظلان بالداخل لوقت طويل لو لم يشاهدا رجلنا " .

قال لوك : " لكنك غير متأكد من ذلك " .

" لست متأكداً ، اللعنة ! إنهما لم يدعوانى إلى داخل المتجر " .

ظل ديفاشر يسير جيئةً وذهاباً بينما كان الشركاء ينظرون إلى الأرض . أخرج سيجاراً ضخماً ودسه داخل فمه الغليظ .

وأخيراً تحدث لامبرت : " اسمع يا ديفاشر ، من الممكن أن يكون ماكدير قد قال الحقيقة وأن رجلك قد أخطأ تفسير الأمر . هذا ممكن للغاية . أظن أننا يجب أن نفترض أن ماكدير برىء حتى يثبت عكس ذلك " .

أصدر ديفاشر صوتاً ينم عن الامتعاض وتجاهل ما قاله لامبرت .

تساءل رويس مكنايت : " هل تعلم بوجود أى اتصالات بينهما منذ أغسطس الماضى ؟ "

" لا ندرى بوجود أى اتصالات ، ولكن ذلك لا يثبت أن ذلك لم يحدث ، أليس كذلك ؟ إننا لم نكن نعلم بشأن هودج وكوزنسكى حتى كادت الأمور تخرج عن السيطرة . من المستحيل أن نراقب كل حركة يقوم بها ماكدير وتارانس . مستحيل تماماً " .

استمر ديفاشر يسير جيئة وذهاباً وبدا عليه التفكير العميق وقال أخيراً : " لابد أن أتحدث إليه " .

" من ؟ "

" ماكدير . لقد حان الوقت لكى أتحدث إليه قليلاً " .

" بأى شأن ؟ " تساءل لامبرت بعصبية .

" دعونى أتولى هذا الأمر ، اتفقنا ؟ ولا تعترضوا طريقى " .

قال لوك : " أعتقد أن الأمر مبكر على هذه الخطوة " .

قال ديفاشر : " أنا لا أبالى بما تعتقد . لو أنكم أيها المهرجون كنتم المسئولين عن الأمر ، لكنا الآن جميعا فى غياهب السجون " .

* * *

جلس ميتش فى حجرة مكتبه مغلقا الأبواب ومحدقا بالحوائط . كان هناك صداع نصفى قد بدأ يتكون داخل رأسه ، وكان يشعر بالغثيان . سمع صوت نقر على باب حجرة المكتب .

قال بصوت خافت : " ادخل " .

دس تولار رأسه بالداخل ، ثم سار إلى المكتب وقال : " هل ترافقنى إلى الغداء ؟ "

" كلا ، شكراً . لست جائعاً " .

وضع الشريك يديه داخل جيوب سرواله وابتسم فى دفء ثم قال : " اسمع يا ميتش ، أعلم أنك تشعر بالقلق . دعنا نأخذ استراحة من العمل . يجب أن أسرع لأن لدىَّ اجتماعاً بوسط المدينة . دعنا نتقابل فى مطعم مانهاتن كلوب عند الساعة الواحدة . سوف نتناول وجبة غداء طويلة ونتحدث بالأمر . لقد طلبت الليموزين لتصحبك . سوف تنتظرك السيارة بالخارج قبل الواحدة بربع ساعة " .

وضع ميتش ابتسامة واهنة على وجهه وكأنه تأثر بهذه اللفتة وقال : " بالطبع يا تولار . لم لا " .

فى الواحدة إلا الربع فتح ميتش الباب الخارجى للمبنى وسار نحو الليموزين . فتح السائق الباب ، ودلف ميتش إلى الداخل . وكان هناك من ينتظره بداخل السيارة .

كان هناك رجل ضخم الجثة ، أصلع الرأس ، ذو عنق منتفخ يتدلى بترهل إلى أسفل ، يجلس فى ثقة كبيرة فى ركن المقعد الخلفى . مد الرجل يده وقال : " اسمى ديفاشر يا ميتش . أنا سعيد بمقابلتك " .

تساءل ميتش : " هل هذه هى الليموزين الخاصة بالشركة ؟ "

" بالتأكيد يا ميتش . اهدأ واسترخ قليلاً " . انطلق السائق مبتعداً عن حاجز الطريق .

تساءل ميتش : " ماذا يمكن أن أفعل من أجلك ؟ "

" يمكنك أن تنصت لبعض الوقت . نحن بحاجة إلى أن نتحدث سوياً " . انعطف السائق إلى طريق ريفرسايد درايف واتجه إلى كوبرى هيرناندو ديسوتو .

تساءل ميتش : " إلى أين نحن متجهون ؟ "

" سنذهب في جولة صغيرة . استرخ قليلاً يا بنى " .

فكر ميتش ، إذن فسوف أكون الضحية السادسة . لابد أن هذا هو ما سيحدث . كلا ، لا أظن . لقد كانوا أكثر إبداعاً من هذا ، فيما يتعلق بعمليات القتل .

" ميتش ، هل يمكن أن أخاطبك بلقب ميتش ؟ "

" بالطبع . "

" حسنا يا ميتش . أنا المسئول عن جهاز الأمن بالشركة ، و ــــ " .

" ولماذا تحتاج الشركة إلى جهاز أمن ؟ "

" فقط استمع إلىَّ يا بنى ، وسوف أوضح لك . إن الشركة بها برنامج أمنى على أفضل مستوى ، والفضل في ذلك يعود للسيد بنديني . لقد كان مهووساً بالأمن والسرية . إن وظيفتى هى أن أحمى الشركة ، وللأمانة ، نحن نشعر بالقلق بشأن موضوع المباحث الفيدرالية هذا " .

" وأنا كذلك " .

" نعم . نحن نعتقد أن المباحث الفيدرالية مصممة على اختراق الشركة على أمل جمع بعض المعلومات عن عدة عملاء محددين للشركة " .

" أى عملاء ؟ "

" بعض رجال الأعمال المشاهير ممن لديهم غطاء ضريبي محل شبهة " .

أومأ ميتش برأسه ونظر إلى النهر أسفل السيارة . لقد صاروا في اركنساس ، وأصبح أفق ممفيس يختفي من خلفهم . توقف ديفاشر عن الحديث . جلس مثل الضفدع عاقداً ساعديه أمام معدته . انتظر ميتش ، حتى بدا واضحا أن انقطاع المحادثة ولحظات الصمت المحرجة لا تزعج ديفاشر . على بعد عدة أميال من النهر ، ترك السائق الطريق المؤدى بين الولايات وانطلق داخل طريق دائرى وعر يعود إلى الشرق مرة أخرى . ثم استدار إلى طريق من الحصى يمتد إلى مسافة ميل خلال حقول الفول المنخفضة والتى تمتد بمحاذاة النهر . بدت ممفيس فجأة واضحة للعين ، على الجانب الآخر من الماء .

تساءل ميتش ، في لهجة مشوبة بالحذر : " إلى أين نحن ذاهبون ؟ "

" اهدأ قليلاً . أريد أن أريك شيئاً " .

فكر ميتش ، لابد أنه سيريني المقابر . توقفت الليموزين فوق جرف يرتفع عشرة أقدام فوق منطقة رملية بالقرب من ضفة النهر . كان الأفق يطل بمنظره البديع على الجانب الآخر من النهر . وكانت قمة مبنى بنديني واضحة للأعين .

قال ديفاشر : " دعنا نتمشى قليلاً " .

تساءل ميتش : " إلى أين ؟ "

" هيا يا ميتش . لا تخف " . فتح ديفاشر الباب القريب منه وسار إلى مؤخرة السيارة . وببطء ، تبعه ميتش .

قال ديفاشر : " كما كنت أقول يا ميتش ، إننا نشعر بالقلق الشديد تجاه هذا الاتصال مع المباحث الفيدرالية . إذا تحدثت إليهم ، فسوف

يزدادون جرأة ، ثم من يعلم ماذا سيحاول هؤلاء الحمقى أن يفعلوا . من المهم ألا تتحدث إليهم مرة أخرى يا ميتش ، هل هذا مفهوم ؟ "

" نعم . لقد فهمت هذا منذ أول اتصال أجروه معى فى أغسطس الماضى " .

فجأة اقترب ديفاشر من ميتش واضعاً وجهه أمام وجه ميتش تماماً . ابتسم ديفاشر ابتسامة شريرة وقال : " لدىَّ شيء هنا سوف يجعلك تبقى فى منتهى الصدق والصراحة " . وضع يده فى جيب معطفه وأخرج مظروفاً مغلقاً " .

" ألق نظرة على ما بداخل المظروف " . قال ديفاشر ذلك فى سخرية ثم سار مبتعداً .

استند ميتش إلى الليموزين وفى عصبية فتح المظروف . كان هناك أربعة صور ، بالأبيض والأسود ، من الحجم المتوسط ، واضحة للغاية . وبها كل ما حدث على الشاطئ . مع فتاة الشاطئ .

صرخ ميتش فى ديفاشر : " يا إلهى ! من التقط هذه الصور ؟ "

" وهل يمثل ذلك فارقاً ؟ إنه أنت من يظهر فى هذه الصور ، أليس كذلك ؟ .

لم يكن هناك شك فى شخصية من كان بالصور . مزق ميتش الصور إلى أجزاء صغيرة وألقى بها فى اتجاه ديفاشر .

قال ديفاشر فى هدوء : " لدينا الكثير منها فى المكتب . أعداد كبيرة منها . نحن لا نريد أن نستخدم هذه الصور ، لكن إذا تحدثت مرة أخرى إلى السيد تارانس أو أى عميل من المباحث فسوف نرسلها بالبريد إلى زوجتك . ما رأيك فى هذا يا ميتش ؟ تخيل أن تفتح زوجتك صندوق البريد وهى تتوقع عدداً جديداً من مجلة ريدبوك أو بعض كتالوجات الدعاية وتجد ذلك المظروف الغريب مرسلا إليها . حاول أن تفكر فى ذلك يا ميتش . فى المرة القادمة التى تقرر أنت والسيد

تارانس أن تتسوقا داخل متاجر الأحذية البلاستيكية ، فكر فى هذا الأمر يا ميتش . لأننا سوف نراقبكما جيداً " .

تساءل ميتش : " من يعلم بأمر هذه الصور ؟ "

" أنا والمصور ، والآن أنت . لا أحد فى الشركة يعلم بهذا الأمر ، وأنا لا أنوى أن أخبرهم . لكن إذا تلاعبت بنا مرة أخرى ، أظن أن المحامين سوف يتبادلون تلك الصور أثناء راحة الغداء . أنا ألعب بقسوة يا ميتش " .

جلس ميتش على مؤخرة السيارة وأخذ يفرك صدغيه . سار ديفاشر ووقف إلى جانبه ثم قال : " اسمع يا بنى . أنت شاب واعد للغاية ، وأنت على الطريق السليم نحو الثراء السريع . لا تفسد الأمر . فقط اعمل بجد ، ومارس دورك فى اللعبة ، قم بشراء سيارات جديدة ، أو ابن منزلاً أكثر اتساعاً ، وهكذا . افعل كما يفعل بقية المحامين . لا تحاول أن تكون بطلاً . أنا لا أريد أن أستخدم هذه الصور " .

قال ميتش : " حسنا ، لقد فهمت " .

٢١

. . . .

لمدة سبعة عشر يوماً وسبع عشرة ليلة ، سارت حياة ميتش وآبى ماكدير المثقلة بالمشاكل بشكل هادئ دون تدخل من واين تارانس أو أحد من رجال المباحث . عاد الروتين مرة أخرى إلى حياة ميتش . كان يعمل لمدة ثمانى عشرة ساعة يوميا ، كل أيام الأسبوع ، ولم يكن يغادر المكتب لأى سبب سوى للذهاب إلى المنزل . كان يتناول غداءه بمكتبه . وكان تولار يرسل أى محام آخر للقيام بالمهمات الخارجية أو رفع الالتماسات والظهور فى المحكمة . نادرا ما كان ميتش يغادر حجرة مكتبه ، الملاذ ذى المساحة التى لا تتعدى خمسة عشر قدماً مربعاً حيث يطمئن أن تارانس لن يستطيع أن يصل إليه . على قدر الإمكان ، كان يتحاشى التواجد فى الطرقات ، واستراحات الرجال وغرفة القهوة . لقد كانوا يراقبونه ، كان على يقين من ذلك . لم يكن متأكداً ممن يقوم بمراقبته ، ولكن بدون شك هناك جماعة من الأشخاص بالشركة مهتمون بمراقبة تحركاته . ولذلك بقى فى مكتبه ، مغلقاً الباب معظم الوقت ، وكان يعمل فى دأب ، محصلا ساعات عمل جنونية وهو يحاول أن ينسى أن هناك طابقاً خامساً بالمبنى وأن ذلك الطابق الخامس به وغد قذر اسمه ديفاشر يمتلك مجموعة من الصور الفوتوغرافية يمكنها أن تدمر حياة ميتش إلى الأبد .

ومع كل يوم ينقضى دون أحداث ، كان ميتش يتراجع إلى ملاذه أكثر وينمو الأمل فى داخله بشكل أكبر أن الحادثة الأخيرة التى جرت فى متجر الأحذية الكورى ربما تكون قد أخافت تارانس أو ربما تسببت فى فصله . ربما سينسى المدير فويلس العملية برمتها ، وأن ميتش سوف يتمكن من الاستمرار فى طريقه السعيد نحو الثراء والوصول إلى درجة الشريك وشراء كل ما تقع عليه عيناه . لكنه كان يعلم باستحالة ذلك .

بالنسبة لآبى ، كان المنزل يمثل سجناً ، مع أنها كانت تأتى وتذهب كما تحب . كانت تعمل لوقت أطول بالمدرسة ، وتمضى وقتا أطول فى التسوق والتجول فى المراكز التجارية ، وكانت تذهب مرة واحدة على الأقل يومياً إلى متجر البقالة . كانت تراقب كل الناس ، وخاصة الرجال ذوى الحلل الداكنة ، الذين كانوا ينظرون إليها . كانت ترتدى نظارة شمسية سوداء حتى لا يتبين أحدهم أين تنظر عيناها . كانت ترتديها حتى أثناء هطول المطر . وفى الليل ، وبعد تناول العشاء بمفردها وبينما كانت تنتظر وصول ميتش ، كانت تنظر إلى الحوائط وتقاوم رغبتها فى البحث والتقصى . يمكن أن تفحص الهواتف بعدسة مكبرة . لا يمكن أن تكون الأسلاك والسماعات غير مرئية ، هكذا كانت تقول لنفسها . وأكثر من مرة كانت تفكر فى شراء كتاب عن هذه الأجهزة حتى يمكنها معرفة كيفية العثور عليها . لكن ميتش رفض الفكرة . لقد كانت هناك أجهزة تنصت بالمنزل ، وقد أكد لها ذلك ، وأى محاولة للعثور عليها قد تؤدى إلى حدوث كارثة .

كانت تمشى فى صمت فى أرجاء منزلها ، وهى تشعر أن أحدهم يتعدى على حريتها وتعلم أنها لن تتحمل هذا الوضع كثيراً . كان كلاهما يعلم أهمية التصرف بشكل طبيعى ، أو الحديث بشكل طبيعى . كانا يحاولان الانخراط فى أحاديث طبيعية حول سير اليوم ، حول

المكتب وتلاميذها ، حول الطقس ، حول هذا وذاك . لكن المحادثات كانت سطحية ، وغالبا ما تكون مصطنعة أو ممطوطة . عندما كان ميتش في كلية الحقوق كانت علاقتهما الحميمة متكررة وعفوية ؛ الآن صارا تقريبا لا يمارسانها . لقد أصبح هناك من يستمع .

أصبحت نزهات منتصف الليل حول المربع السكنى عادة يومية . بعد تناول ساندويتش سريع كل ليلة ، كان كل منهما ينطق بالعبارات المتفق عليها حول الحاجة إلى التمارين الرياضية ثم يتجهان إلى الشارع . كانا يسيران متشابكي الأيدى داخل الجو البارد ، يتحدثان عن الشركة وعن المباحث الفيدرالية ، وعن أى طريق يجب أن يسلكوه ؛ ودائماً ما يصلان إلى نفس النتيجة : لا يوجد مهرب من هذا الأمر . ولا أمل واحد . هكذا استمر الحال سبعة عشر يوماً وليلة .

جلب اليوم الثامن عشر تحولاً جديداً في الأحداث . شعر ميتش بالإرهاق حوالى الساعة التاسعة مساء . قرر أن يعود إلى المنزل . كان قد عمل دون توقف لمدة خمس عشرة ساعة ونصف . بمعدل مائتى دولار لكل ساعة . وكالعادة ، سار في ممرات الطابق الثانى ثم صعد السلالم إلى الطابق الثالث . تفقد كل المكاتب بسرعة ليرى من يعمل حتى الآن . لم يكن هناك أحد بالطابق الثالث . تبع ميتش السلالم إلى الطابق الرابع وسار داخل القاعة المستطيلة كأنه يبحث عن شيء ما . كانت الأنوار كلها مطفأة إلا نور مكتب واحد . كان رويس مكنايت يعمل لوقت متأخر . مر ميتش بجوار مكتبه دون أن يراه أحد . كان باب حجرة مكتب تولار مغلقاً ، فأمسك ميتش بمقبض الباب وأداره . كان الرتاج مغلقاً . سار إلى المكتبة في آخر القاعة بحثاً عن كتاب لم يكن يحتاج إليه . بعد أسبوعين من التحرى الليلى البسيط ، لم يجد ميتش أية كاميرات مزودة بدوائر مغلقة فوق الحوائط أو حجرات المكاتب . إنهم ينصتون فقط ، هكذا ظن ميتش . إنهم ينصتون لكن لا يرون أى شيء .

ودع داتش عند البوابة الأمامية وقاد سيارته متجهاً إلى المنزل . لم تكن آبى تتوقع قدومه فى تلك الساعة المبكرة . فتح البابَ بهدوء من أسفل مظلة السيارة ودلف إلى داخل المطبخ . قام بضغط مفتاح الإضاءة . كانت آبى فى غرفة النوم . بين المطبخ وغرفة القراءة كان هناك ممر صغير به مكتب حائطى متحرك حيث كانت آبى تترك بريد كل يوم . وضع حقيبة مستنداته برفق فوق المكتب ، ثم رآه . مظروف بنى كبير مكتوب فوقه بالحبر الأسود وموجه إلى آبى ماكدير . لم يكن هناك عنوان للمرسل . وقد كتب بحروف سوداء كبيرة فوق المظروف كلمات : صور فوتوغرافية — لا تقم بثنى المظروف . توقف قلبه أولاً ، ثم تبعته أنفاسه . أمسك المظروف بيده . كان المظروف مفتوحاً .

تكونت طبقة ثقيلة من العرق فوق جبهته . صار فمه جافاً ولم يعد يستطيع أن يبتلع ريقه . عاد قلبه إلى الدق بسرعة كأنه مطرقة حدّاد . أصبح التنفس ثقيلاً ومؤلماً . شعر بالغثيان . ببطء ، تراجع إلى الوراء بعيداً عن المكتب ، وهو يحمل المظروف . إنها داخل الفراش ، هكذا فكر . لابد أنها مجروحة ، متألمة ، محبطة ، وغاضبة للغاية . مسح جبهته وحاول أن يستجمع رباطة جأشه . واجه الأمر كالرجال ، هكذا قال لنفسه .

كانت آبى ترقد فى الفراش ، تقرأ كتاباً بينما كان التلفاز مفتوحاً . كان الكلب فى الفناء الخلفى . فتح ميتش باب حجرة النوم ، وقفزت آبى إلى أعلى فى رعب . كادت تصرخ فى وجه من اقتحم الباب ، حتى أدركت من هو .

" لقد أرعبتنى يا ميتش " .

تألقت عيناها بالخوف ، ثم بالسعادة . لم يبد عليها أثر البكاء . بدت عيناها رائعتين ، كعادتهما . دون وجود أثر للألم أو الغضب . لم يستطع ميتش أن ينطق بشيء .

" لماذا عدت إلى المنزل ؟ " تساءلت آبى وهى تجلس داخل الفراش ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عذبة .

هل تبتسم ؟ تساءل ميتش فى نفسه ، ثم قال بصوت ضعيف : " أنا أعيش هنا " .

" لماذا لم تتصل لتعلمني بقدومك ؟ "

" هل لابد أن أتصل قبل أن أعود إلى المنزل ؟ " أصبح تنفسه شبه طبيعي الآن . لقد كانت آبى بخير !

" سيكون ذلك أمراً لطيفاً . تعال إلى هنا وأعطنى قبلة " .

انحنى ميتش فوق الفراش وقبلها . ناولها ميتش المظروف وتساءل فى عدم اكتراث : " ما هذا ؟ "

" أخبرنى أنت . إنه مرسل إلى ، ولكن لا يوجد أى شيء بداخله . لاشيء على الإطلاق " . أغلقت آبى كتابها ووضعته على الطاولة .

لاشيء على الإطلاق ! ابتسم ميتش إليها وقبلها مرة أخرى ثم تساءل فى براءة تامة : " هل تتوقعين أن تصلك صور من شخص ما ؟ "

" لا أعرف عن ذلك شيئاً . لابد أنها غلطة " .

كان بإمكانه أن يتخيل وجه ديفاشر وهو يضحك فى هذه اللحظة فى الطابق الخامس . لابد أن الوغد السمين يقف الآن فى حجرة مظلمة مليئة بالأسلاك والأجهزة وعلى أذنيه سماعة ضخمة تحيط برأسه الذى يشبه كرة بولينج كبيرة ، ويضحك ملء شدقيه .

قال ميتش : " أمر غريب " . ارتدت آبى سروالاً من الجينز وأشارت إلى الفناء الخلفى . أومأ ميتش برأسه . كانت الإشارة بسيطة ، مجرد إيماءة بالرأس أو إشارة بالأصابع تجاه الشرفة الخلفية .

وضع ميتش المظروف على المكتب المتحرك وللحظة أخذ يلمس الكلمات المكتوبة بالحبر فوقه . ربما يكون خط يد ديفاشر نفسه . كان

" لماذا عدت إلى المنزل ؟ " تساءلت آبى وهى تجلس داخل الفراش ، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عذبة .

هل تبتسم ؟ تساءل ميتش فى نفسه ، ثم قال بصوت ضعيف : " أنا أعيش هنا " .

" لماذا لم تتصل لتعلمنى بقدومك ؟ "

" هل لابد أن أتصل قبل أن أعود إلى المنزل ؟ " أصبح تنفسه شبه طبيعى الآن . لقد كانت آبى بخير !

" سيكون ذلك أمراً لطيفاً . تعال إلى هنا وأعطنى قبلة " .

انحنى ميتش فوق الفراش وقبلها . ناولها ميتش المظروف وتساءل فى عدم اكتراث : " ما هذا ؟ "

" أخبرنى أنت . إنه مرسل إلى ، ولكن لا يوجد أى شيء بداخله . لاشيء على الإطلاق " . أغلقت آبى كتابها ووضعته على الطاولة .

لاشيء على الإطلاق ! ابتسم ميتش إليها وقبلها مرة أخرى ثم تساءل فى براءة تامة : " هل تتوقعين أن تصلك صور من شخص ما ؟ "

" لا أعرف عن ذلك شيئاً . لابد أنها غلطة " .

كان بإمكانه أن يتخيل وجه ديفاشر وهو يضحك فى هذه اللحظة فى الطابق الخامس . لابد أن الوغد السمين يقف الآن فى حجرة مظلمة مليئة بالأسلاك والأجهزة وعلى أذنيه سماعة ضخمة تحيط برأسه الذى يشبه كرة بولينج كبيرة ، ويضحك ملء شدقيه .

قال ميتش : " أمر غريب " . ارتدت آبى سروالاً من الجينز وأشارت إلى الفناء الخلفى . أومأ ميتش برأسه . كانت الإشارة بسيطة ، مجرد إيماءة بالرأس أو إشارة بالأصابع تجاه الشرفة الخلفية .

وضع ميتش المظروف على المكتب المتحرك وللحظة أخذ يلمس الكلمات المكتوبة بالحبر فوقه . ربما يكون خط يد ديفاشر نفسه . كان

بإمكانه أن يسمع صوت ضحكاته الآن . كان بإمكانه أن يرى وجهه القبيح وابتسامته القذرة . ربما تكون الصور قد صارت تنتقل بين الأيادى داخل قاعة طعام الشركاء أثناء استراحة الغداء . كان بإمكانه أن يرى لامبرت وماكنيت وربما تولار يحدقون بالصور فى إعجاب وهم يتناولون القهوة والحلويات .

من الأفضل لهم أن يستمتعوا بالصور ، اللعنة . من الأفضل لهم أن يستمتعوا بالشهور القليلة المتبقية فى مستقبلهم القانونى الناجح والمشرق والثرى .

سارت آبى بجانبه وأمسكت بيده . " ماذا يوجد للعشاء ؟ " تساءل ميتش من أجل أن يسمعه هؤلاء المتنصتون .

" لماذا لا نخرج الليلة ، يجب أن نحتفل بقدومك إلى المنزل فى ساعة مناسبة " .

سارا خلال حجرة القراءة . قال ميتش : " فكرة جيدة " . خرجا عبر الباب الخلفى ، خلال الشرفة الخلفية إلى قلب الظلمة .

تساءل ميتش : " ماذا هناك ؟ "

" وصلك خطاب من دوريس . تقول إنها فى ناشفيل ، ولكنها سوف تعود إلى ممفيس فى السابع والعشرين من فبراير . تقول إنها بحاجة إلى رؤيتك . وإن الموضوع مهم للغاية . لقد كان خطاباً قصيراً جداً " .

" السابع والعشرين . لقد كان ذلك هو يوم الأمس . "

" أعرف ذلك . أفترض أنها موجودة فى المدينة بالفعل . أتساءل عما تريده " .

" نعم . وأنا أتساءل أين هى الآن " .

" لقد قالت إن زوجها لديه مهمة عمل هنا فى المدينة " .

قال ميتش : " حسناً . سوف تعثر هى علينا " .

أغلق ناثان لوك باب حجرة مكتبه وأشار إلى ديفاشر تجاه طاولة اجتماعات صغيرة بالقرب من النافذة . كان كلا الرجلين يكرهان بعضهما البعض ولم يحاولا أبداً أن يتصرفا معاً بلباقة . لكن العمل فوق كل شيء وقد كانا يتلقيان الأوامر من نفس الشخص .

قال ديفاشر : " لقد أمرني لازاروف أن أتحدث إليك ، بشكل منفرد . لقد أمضيت اليومين السابقين معه في لاس فيجاس ، وهو يشعر بقلق شديد . إنهم جميعاً يشعرون بالقلق يا لوك ، ولازاروف يثق بك أكثر من أى شخص آخر هنا . إنه يحبك أكثر مما يحبني أنا " .

" هذا مفهوم " . قال لوك ذلك دون أن يبتسم . وقد ضاقت تلك التجاعيد السوداء التى تحيط بعينيه وتركزت نظراته على ديفاشر .

" على أية حال ، هناك بعض الأشياء التى يريد أن يناقشها معك " .

" أنا منصت " .

" إن ماكدير يكذب علينا . أنت تعرف كم كان لازاروف دائماً ما يتباهى أن له مصدراً للمعلومات داخل مكتب التحقيقات الفيدرالية . حسناً ، لم أصدق ذلك أبداً ، ومازلت حتى الآن لا أصدق معظم ما يقوله . لكن طبقاً لما قاله لازاروف ، فإن مصدر معلوماته قد أخبره بحدوث اجتماع سرى بين ماكدير وبين بعض المسئولين الكبار فى مكتب التحقيقات عندما كان ماكدير فى واشنطن فى يناير الماضى . لقد كان رجالنا هناك ، ولكنهم لم يروا أى شيء ، لكن من المستحيل أن تراقب شخصاً لمدة أربع وعشرين ساعة دون أن يكتشفَ أمرك . من الممكن أن يكون ماكدير قد هرب قليلاً من المراقبة دون أن ندرك ذلك " .

" هل تصدق هذا الكلام ؟ "

" ليس مهماً إذا كنت أصدقه أم لا . إن لازاروف يصدقه ، وهذا هو المهم . على أية حال ، لقد طلب منى أن أعِد خطة مبدئية للتخلص من ماكدير " .

" اللعنة يا ديفاشر ! لا يمكننا الاستمرار فى التخلص من الناس بهذا الشكل " .

" إنها مجرد خطة مبدئية ، ليست أمراً جدياً بعد . لقد أخبرت لازاروف أن الأمر مبكر جدا لمثل هذا الإجراء وأن ذلك سيكون خطأ . لكنهم يشعرون بقلق شديد يا لوك " .

" لا يمكن لهذا أن يستمر يا ديفاشر . أقصد ، اللعنة ! إن لدينا سمعة يجب أن نفكر فيها . إن لدينا معدل إصابات أكبر من حفارات البترول . سوف يبدأ الناس في التحدث . سوف نصل إلى مرحلة لن يقبل فيها خريج كلية حقوق فى كامل قواه العقلية أن ينضم إلينا " .

" لا أظن أن عليك أن تقلق بشأن ذلك . لقد أصدر لازاروف أمراً بوقف تعيين المحامين الجدد . وقد أخبرنى أن أبلغك بهذا الأمر . وهو أيضاً يريد أن يعرف كم من المحامين لا يعرفون شيئاً عما يحدث فى الشركة " .

" خمسة ، حسبما أعتقد . دعنا نرى ، لاينش ، سوريل ، بونتين ، مايرس ، وماكدير " .

" دعك من ماكدير . إن لازاروف مقتنع أنه يعرف أكثر بكثير مما نعتقد . هل أنت واثق أن الأربعة الآخرين لا يعرفون شيئاً ؟ "

أخذ لوك يفكر للحظات ثم تمتم فى خفوت : " حسناً ، نحن لم نخبرهم بعد . وأنتم تراقبونهم . ماذا تسمعون فى أحاديثهم ؟ "

" لاشيء من هؤلاء الأربعة . يبدو عليهم الجهل التام ويتصرفون كما لو كانوا لا يشكون بشيء على الإطلاق . هل يمكنك أن تفصلهم من الشركة ؟ "

" أفصلهم ! إنهم محامون يا ديفاشر . نحن لا نفصل المحامين . إنهم أعضاء مخلصون للشركة " .

" إن الشركة ستتغير يا لوك . يريد لازاروف أن يتم الاستغناء عن هؤلاء الذين لا يعرفون شيئاً والتوقف عن تعيين محامين جدد . من الواضح أن رجال المباحث الفيدرالية يغيرون استراتيجيتهم ، وقد حان الوقت لكي نغير استراتيجيتنا نحن الآخرين . يريد لازاروف أن نحكم السيطرة على العملية وأن نقوم بسد الثغرات التي بها . لا يمكن أن نجلس باسترخاء وندع الفيدراليين يلتقطون محامينا " .

" نقوم بفصلهم ! " أخذ لوك يكرر الكلمة فى عدم تصديق وأضاف قائلاً : " إن هذه الشركة لم تقم يوماً بفصل أى محام " .

" أمر مؤثر يا لوك . لقد قتلنا خمسة ، لكننا لم نفصل أى أحد . هذا رائع للغاية . لديك شهر لتقوم بهذا الأمر ، ولذلك ابدأ التفكير فى سبب . أقترح عليك أن تقوم بفصل الأربعة مرة واحدة . أخبرهم أنكم قد خسرتم حساباً ضخماً وأنكم تقللون من النفقات " .

" نحن نتعامل مع عملاء لا حسابات " .

" حسناً . أخبرهم أن أكبر عملائكم قد طلب منكم الاستغناء عن لاينش ، سوريل ، بونتين ومايرس . والآن ابدأ فى إعداد الخطط " .

" كيف يمكن أن نفصل هؤلاء دون الاستغناء عن ماكدير ؟ "

" سوف تفكر فى حل لذلك يا لوك . لديك شهر كامل . تخلص من هؤلاء الأربعة ولا تقم بتعيين أى محامين جدد . إن لازاروف يريد شركة صغيرة محكمة حيث يمكن أن نثق بكل فرد . إنه يشعر بالرعب يا لوك . إنه مرتعب وغاضب . لست بحاجة إلى أن أخبرك ماذا يمكن أن يحدث إذا بدأ أحد محاميك الإدلاء بأسرار الشركة إلى المباحث الفيدرالية " .

" كلا ، لست بحاجة إلى أن تخبرني . ماذا يخطط لازاروف بشأن ماكدير ؟ "

" لاشيء حتى الآن ، سوى المراقبة المعتادة . نحن نراقبه ونسمع أحاديثه طوال الأربع والعشرين ساعة ، ولم يتحدث الفتى بأى شيء مع زوجته أو مع أى شخص آخر . ولا حتى كلمة واحدة ! لقد تعرّض له تارانس مرتين ، وقد أبلغكم بالحادثتين . مازلت أظن أن اللقاء الثانى كان مثيراً للشبهات ، ولذلك يجب أن نكون أكثر حرصاً . على الجانب الآخر ، فإن لازاروف يصر على وجود لقاء فى واشنطن . إنه يحاول التأكد من الأمر . قال إن مصادره لا تعلم سوى القليل ، ولكنهم مازالوا يتحرون الأمر . إذا تأكد أن ماكدير قد قابل عملاء المباحث الفيدرالية هناك ولم يقم بإبلاغنا بالأمر ، فأنا واثق أن لازاروف سوف يصدر إلىّ التعليمات بالتحرك بسرعة . ولذلك هو يريد خطة مبدئية للتخلص من ماكدير " .

" كيف تخطط لتنفيذ الأمر ؟ "

" إن الوقت لا يزال مبكرًا . لم أفكر بالموضوع جدياً بعد " .

" أتعلم أنه سيصطحب زوجته إلى جزر كايمان بعد أسبوعين لقضاء الإجازة ؟ سوف يقيمان فى إحدى استراحات الشركة كالعادة " .

" لن نقوم بذلك هناك مرة أخرى . سيكون أمراً مثيرا للشبهات . لقد أعطى لازاروف تعليمات بأن نجعلها تحبل فى طفل " .

" زوجة ماكدير ؟ "

" نعم . إنه يريد أن يكون لديهما طفل ، كوسيلة تأثير إضافية . إنها تتناول حبوب منع الحمل ، ولذلك علينا أن نتدخل فى الأمر ، أن نأخذ شريط حبوبها ، ثم نقوم باستبدال الحبوب بأى حبوب مزيفة لها نفس اللون " .

في هذه اللحظة ، ظهر الحزن على صاحب العينين السوداوين قليلاً ونظر إلى خارج النافذة ثم تساءل في خفوت : " ماذا يحدث بحق السماء يا ديفاشر ؟ "

" هذا المكان على وشك التغير يا لوك . من الواضح أن المباحث الفيدرالية مهتمة للغاية ، وهم مستمرون في دس أنوفهم في شئوننا . من يدرى ، قد يلتقط أحد محاميكم الطعم في أحد الأيام ، وسوف تضطرون جميعاً إلى مغادرة المدينة في منتصف الليل " .

" لا أصدق ذلك يا ديفاشر . إن أى محام هنا سيكون مغفلاً لكى يخاطر بحياته وعائلته من أجل بعض الوعود من المباحث الفيدرالية . لا أصدق أن هذا سوف يحدث . إن هؤلاء الشباب أذكياء للغاية ويكسبون الكثير من المال " .

" أتمنى أن تكون محقاً " .

٢٢

. . . .

أسند سمسار العقارات ظهره إلى مؤخرة المصعد الكهربى وأخذ يتطلع إلى التنورة الجلدية القصيرة من الخلف . تبعت عيناه التنورة حتى الركبتين تقريباً ، حيث انتهت ، وبدأت عيناه رحلة أخرى مع الخيوط التى تتلألأ فى قلب الجوارب الحريرية السوداء والتى بدأت عند هذه النقطة واستمرت حتى كعبى الحذاء الأسود . كان كعبا الحذاء غريبى الشكل ، بخيوط حمراء صغيرة تمتد فوق أطراف الأصابع . صعدت عيناه ببطء مرة أخرى إلى خيوط الجوارب ، عابرة التنورة الجلدية ، ومتوقفة فى إعجاب أمام استدارة الساقين من الخلف ، ثم ارتفعت إلى السترة الحمراء المصنوعة من الكشمير ، والتى كانت لا تظهر سوى القليل من جسمها من هذه الزاوية ، لكن من الناحية الأخرى ، فإن المنظر رائع للغاية ، كما لاحظ أثناء وقوفهما بالردهة . كان الشعر ينسدل فى نعومة أسفل الكتفين قليلاً ويتباين فى أناقة مع لون السترة الأحمر . كان يعلم أن الشعر قد تمت صباغته باللون الأشقر الفاتح ، ولكن ذلك اللون المصبوغ إلى جانب التنورة الجلدية القصيرة وخيوط الجوارب اللامعة وكعب الحذاء الغريب والسترة الضيقة التى تحيط بذلك الجسم الرشيق قد جعلاه يعلم أن هذه المرأة يمكن أن تناسبه . لكم يحب أن تكون له عندما تستقر بهذا

المبنى . أما هى فكانت تريد مكتباً صغيراً . وكان الإيجار لا يزال محل نقاش .

توقف المصعد . وفتح الباب ، وتبعها إلى داخل الردهة الضيقة . " هذا الاتجاه " قال ذلك وهو يشير بيده ، ثم قام بالضغط على مفاتيح الإضاءة . وفى الركن ، تحرك أمامها ودس أحد المفاتيح داخل باب خشبى قديم .

قال وهو يضغط مفتاح إضاءة آخر : " إن المكتب مكون من حجرتين فقط . ما يقرب من مائتى قدم مربعة " .

سارت مباشرة إلى النافذة ثم قالت تامى وهى تحدق النظر بالخارج : " هذا المنظر جيد " .

" نعم ، إنه منظر لطيف . إن السجاد جديد . وقد تم طلاء المكتب فى الخريف الماضى . الحمام فى نهاية الردهة . إنه مكان جميل . لقد تم تجديد المبنى بالكامل خلال الثمانى سنوات الماضية " . كان الرجل يتحدث وعيناه متعلقتان بخيوط الجوارب السوداء .

" ليس سيئاً " . قالت تامى ذلك ، ليس تعليقاً على أى شيء مما ذكره . ظلت تحدق النظر خارج النافذة ثم تساءلت : " ما اسم هذا المكان ؟ "

" مبنى كوتون ايكسشنج . أحد أقدم الأبنية فى ممفيس . إنه حقاً مكان مميز " .

" وهل الإيجار مميز أيضاً ؟ "

تنحنح وأمسك أحد الملفات أمام وجهه . لم يكن ينظر إلى الملف . كانت عيناه تنظران إلى كعبى حذائها فى تلك اللحظة . قال : " حسنا ، إنه مكتب صغير للغاية . فى أى شيء سوف تستخدمينه ؟ "

" أعمال سكرتارية حرة " . تحركت إلى النافذة الأخرى ، متجاهلة إياه . أما هو فكان يتبع كل حركاتها .

" حسناً . كم من الوقت ستحتاجين إلى المكتب ؟ "
" ستة شهور ، قد تزيد إلى سنة " .
" حسناً ، لمدة ستة شهور يمكننا أن نؤجر المكان مقابل ثلاثمائة وخمسين دولاراً فى الشهر " .

لم تجفل أو تبعد عيناها عن النافذة . أخرجت قدمها اليمنى من الحذاء ثم فركت بها ساقها اليسرى . لاحظ أن الخيوط السوداء للجورب تمتد أسفل الكعب وعلى طول باطن القدم . كان طلاء أظافرها ... أحمر اللون ! مالت بجذعها إلى اليسار وانحنت إلى الأمام مستندة إلى حاجز النافذة . صار الملف يرتجف فى يده .

قالت فى ثقة : " سوف أدفع مائتين وخمسين فى الشهر " .

تنحنح مرة أخرى . لم يكن الطمع منطقاً سليماً . إن الحجرات الضيقة كانت تمثل مساحة شاغرة بالمبنى ، وغير ذات نفع لأى شخص آخر ، ولم يشغلها أحد خلال سنوات . إن المبنى قد يحتاج إلى سكرتيرة تعمل بشكل حر . اللعنة ، هو نفسه قد يحتاج إلى سكرتيرة حرة .

" ثلاثمائة دولار ، وليس سنتاً أقل . إن المبنى عليه طلب كبير . تسعون بالمائة من مساحة المبنى مشغولة الآن . ثلاثمائة دولار فى الشهر ، وهذا إيجار منخفض للغاية . إننا بالكاد نغطى النفقات بهذا " .

استدارت فجأة ، وظهر وجهها أمام عينيه . كانت عيناها تحدقان به ، وتعلقت عيناه على الفور بسترتها الكشمير الضيقة . قالت : " لقد ذكر الإعلان أن هناك مكاتب مفروشة متاحة للإيجار " .

قال ، وهو يتلهف للمساعدة : " يمكننا أن نقوم بفرش هذا المكتب . ماذا تحتاجين ؟ "

نظرت فى أرجاء المكتب وقالت : " أريد مكتب سكرتيرة مزوداً بصوان هنا . عدة خزائن ملفات . مقعدين من أجل العملاء . لا داعى

للمقاعد الفاخرة . ليس من المهم فرش الغرفة الأخرى . سوف أضع بها ماكينة تصوير مستندات " .

قال وهو يبتسم : " لا توجد مشكلة " .

" وسوف أدفع ثلاثمائة دولار فى الشهر ، بعد فرش المكتب " .

" حسناً " قال ذلك وهو يفتح الملف ويسحب نموذج إيجار فارغاً . وضعه فوق طاولة من النوع المطوى وبدأ الكتابة .

" ما اسمك ؟ "

" دوريس جرين وود . " كان اسم أمها دوريس جرين وود ، وكانت هى تعرف باسم تامى أينز جرين وود قبل أن تتزوج من باستر هيمفيل ، الذى أصبح بعد ذلك (بشكل قانونى) إلفيس آرون هيمفيل ، ومنذ ذلك اليوم صارت حياتها من سيئ إلى أسوأ . كانت أمها تعيش فى ايفنجهام ، بولاية إلينوى .

" حسناً ، دوريس " . قال بشكل مهذب ، وكأنهما قد صارا يخاطبان بعضهما بدون ألقاب ويزدادان قرباً كل لحظة . أضاف قائلاً : " عنوان السكن ؟ "

تساءلت فى توتر : " ولماذا تحتاج إلى هذا ؟ "

" حسناً ، أوه ، نحن فقط نحتاج إلى هذه المعلومات " .

" إنها معلومات لا تخصكم فى شيء " .

" حسناً ، حسناً . لا توجد مشكلة " . قام بالشطب على ذلك الجزء من عقد الإيجار فى حركة مسرحية . مع أنه ظل يفكر بالأمر للحظات . قال أخيراً : " حسناً . سوف نؤجر المكان من اليوم ، الثانى من مارس ، لمدة ستة أشهر حتى الثانى من سبتمبر . اتفقنا ؟ "

أومأت برأسها وأشعلت سيجارة . قرأ المقطع التالى من العقد وقال : " حسناً ، سوف نطلب ثلاثمائة دولار كمقدم تعاقد وإيجار الشهر الأول مقدما " .

من جيب داخل التنورة الجلدية القصيرة ، أخرجت لفة من النقود ، وانتزعت منها ست ورقات من فئة المائة دولار ثم وضعتها أمامه على الطاولة وقالت : " أريد إيصالاً من فضلك " .

" بالطبع " قال ذلك وهو مستمر بالكتابة .

تساءلت وهى تعود إلى النافذة مرة أخرى : " أى طابق هذا ؟ "

" التاسع . ستضاف نسبة عشرة بالمائة إلى الإيجار فى حالة التأخر عن الدفع بعد اليوم الخامس عشر من الشهر التالى . لدينا الحق فى دخول المكتب في أى وقت معقول من أجل التفتيش . لا يمكن استخدام هذا المكتب فى أى أعمال غير قانونية . سوف تدفعين فواتير الماء والكهرباء والهاتف ومبلغ تأمين على محتويات المكتب . سيتم تخصيص مساحة انتظار لسيارتك فى ساحة الانتظار فى الشارع المقابل ، وهذان مفتاحان للمكتب . هل من أسئلة ؟ "

" نعم . ماذا إذا كنت أعمل فى مواعيد غير اعتيادية ؟ أقصد ، فى وقت متأخر بالليل " .

" ليست هناك مشكلة . يمكنك الحضور والمغادرة كما تشائين . فى المساء سوف يقوم الحارس الموجود عند الباب المطل على شارع فرونت ستريت بفتح الباب لك " .

دست تامى سيجارتها بين شفتيها الملطختين بأحمر الشفاه ، وسارت إلى الطاولة . ألقت نظرة خاطفة على عقد الإيجار ، ترددت للحظة ، ثم قامت بالتوقيع باسم دوريس جرين وود .

أغلقا المكتب ، وتبعها السمسار فى حرص على طول الردهة حتى وصلا إلى المصعد .

بحلول منتصف ظهيرة اليوم التالى ، تم تسليم التشكيلة الغريبة من قطع الأثاث وقامت دوريس جرين وود صاحبة شركة جرين وود سيرفس بترتيب وضع الآلة الكاتبة المستأجرة إلى جانب الهاتف

المستأجر فوق مكتب السكرتارية . وهي تجلس فوق مقعدها أمام الآلة الكاتبة ، كان بإمكانها أن تنظر قليلا إلى يسارها إلى خارج النافذة التي تشرف على شارع فرونت ستريت . ملأت أدراج المكتب بأوراق الكتابة ، والدفاتر ، والأقلام الرصاص ، والكثير من الأشياء . وضعت المجلات فوق خزائن الملفات وعلى الطاولة الصغيرة بين المقعدين اللذين من المفترض أن يجلس عليهما العملاء .

كان هناك نقر فوق الباب . تساءلت تامي : " من هناك ؟ "

أجاب شخص ما : " لقد وصلت ماكينة تصوير المستندات " .

أدارت القفل ثم فتحت الباب . اندفع إلى الداخل رجل قصير ، صغير الحجم ، مفرط النشاط ، يدعى جوردى ، وسرعان ما أخذ يتفحص الحجرة وقال في وقاحة : " حسناً ، أين تريدين أن أضع هذه الماكينة ؟ "

" هنالك " . قالت تامي ذلك وهي تشير إلى الحجرة الصغيرة الفارغة والخالية من الأبواب أيضا . دلف إلى الداخل شابان في ملابس العمل الزرقاء يدفعان ويجران العربة التي تحمل ماكينة التصوير .

وضع جوردى المستندات فوق سطح المكتب وقال : " إنها ماكينة تصوير ضخمة بالنسبة لمكان كهذا . إنها تقوم بنسخ تسعين نسخة في الدقيقة مع تجميع النسخ والتزويد بالورق أوتوماتيكيا . إنها ماكينة ضخمة " .

" أين يجب أن أوقّع ؟ " تساءلت تامي ، متجاهلة تعليقاته التافهة .

أشار بالقلم وقال : " مدة الإيجار ستة أشهر ، مقابل مائتين وأربعين دولاراً شهرياً . ويشمل ذلك خدمات التوصيل والصيانة ورزمة ورق عددها خمسمائة ورقة خلال الشهرين الأولين . أتريدين ورقاً له مقاس قانوني أم مقاس الخطابات ؟ "

" ورق قانونى " .

" القسط الأول يُستَحَق فى العاشر من هذا الشهر ، ونفس الميعاد بالنسبة لبقية الشهور الخمسة . كتيب إرشادات الاستعمال موجود فوق الحامل . اتصلى بى إذا كانت لديك أية أسئلة " .

كان رجلا الخدمة يحدقان النظر فى الجينز الضيق والحذاء الأحمر . وفى بطء غادرا المكتب . انتزع جوردى النسخة الصفراء من العقد وأعطاها لها وهو يقول : " شكرًا على تعاملك معنا " .

أغلقت تامى الباب خلفهم . سارت نحو النافذة المجاورة لمكتبها ونظرت تجاه الشمال ، على طول شارع فرونت ستريت . على بعد مربعين سكنيين على الناحية المقابلة ، كان الطابقان الرابع والخامس من مبنى بنديني ظاهرين للأعين .

ظل ميتش بمفرده ، واضعاً رأسه بين الكتب وأكوام الملفات والمستندات . كان مشغولاً جداً ولم يكن لديه وقت لأى شخص منهم ، فيما عدا لامار . كان مدركاً للغاية أن انسحابه لن يمر دون أن يلاحظه أحد . لذلك أخذ يعمل بجد أكثر . ربما لن يصيبهم الشك إذا قدم عشرين ساعة من العمل يومياً . ربما يستطيع المال أن يجعلهم يغفرون له انعزاله .

تركت نينا فطيرة بيتزا باردة عندما غادرت المكتب بعد الغداء . أكل الفطيرة بينما كان يخلى مكتبه . اتصل بزوجته آبى وقال إنه سيذهب لزيارة راى وإنه سيعود إلى ممفيس فى مساء السبت . عبر خلال الباب الجانبى ومنه إلى ساحة انتظار السيارات .

لمدة ثلاث ساعات ونصف ، انطلق مسرعاً بسيارته على الطريق المؤدى بين الولايات رقم ٤٠ وعيناه متعلقتان بالمرآة الخلفية . لا أحد . لم يكن يراهم أبداً . فكر أنهم ربما يكونون قد سبقوه ، وينتظرونه فى

مكان ما على الطريق . فى ناشفيل ، انعطف بشكل مفاجئ من الطريق السريع نحو وسط المدينة . مستخدماً خريطة رسمها بنفسه ، أخذ يدخل ويخرج بين السيارات ، أو يدور حول نفسه دورة كاملة كلما كان ذلك ممكناً ، وبشكل عام أخذ يقود السيارة كالمجنون . فى جنوب المدينة ، استدار منطلقاً داخل مجمع سكنى ضخم وأخذ يسير ببطء بين المبانى . كان المكان لطيفاً بما يكفى . كانت ساحات الانتظار نظيفة وكانت الوجوه كلها بيضاء . دون استثناء . أوقف السيارة بجانب المكتب وأحكم إغلاقها . كان الهاتف العمومى المجاور لحمام السباحة المغطى يعمل جيداً . طلب سيارة أجرة وأعطاهم عنواناً على بعد مربعين سكنيين . أخذ يركض بين المبانى ، على طول أحد الشوارع الجانبية ، ووصل فى نفس الوقت مع سيارة الأجرة . قال للسائق : " محطة حافلات جرايهوند . بسرعة . سوف تنطلق الحافلة بعد عشر دقائق " .

" اهدأ يا صاح . إنها على بعد ستة مربعات سكنية فقط " .

هبط ميتش فى المقعد الخلفي وأخذ ينظر إلى السيارات المارة . تحرك السائق فى بطء ينم عن الثقة وبعد سبع دقائق توقف أمام المحطة . ألقى ميتش ورقتين من فئة خمس دولارات فوق المقعد وأسرع إلى صالة المغادرة . اشترى تذكرة ذهاب فقط فى الحافلة المتجهة إلى أتلانتا الساعة الرابعة والنصف . كانت الساعة المعلقة فوق الحائط تشير إلى الرابعة وإحدى وثلاثين دقيقة . أشارت موظفة التذاكر إلى خارج الأبواب المنزلقة وقالت : " الحافلة رقم ٤٥٤ . سوف تنطلق فى أى لحظة " .

أغلق السائق باب خزانة الأمتعة ، وأخذ تذكرة ميتش ثم تبعه إلى داخل الحافلة . كانت الصفوف الثلاثة الأولى مشغولة بمجموعة من العجائز السود . كان هناك دستة من الركاب يجلسون بشكل متفرق حتى نهاية الحافلة . سار ميتش ببطء داخل الممر ، محدقاً فى كل وجه

دون أن يرى أحداً . جلس في مقعد بجانب النافذة في الصف الرابع من مؤخرة الحافلة . ارتدى نظارة شمسية وألقى نظرة خاطفة خلف ظهره . لا أحد . اللعنة ! هل استقل الحافلة الخطأ ؟ أخذ يحدق النظر خارج النوافذ المعتمة بينما تحركت الحافلة بسرعة داخل المرور . سوف تتوقف الحافلة في نوكسفيل . ربما سيكون الشخص الذى ينتظره هناك .

عندما انطلقت الخافلة على طريق الولايات ووصل السائق إلى السرعة القصوى المسموح بها ، ظهر رجل يرتدى بنطلون جينز وقميصا قطنيا بشكل مفاجئ واندس في المقعد المجاور لـ " ميتش " . لقد كان تارانس . بدأ ميتش يتنفس بشكل أسهل .

تساءل ميتش : " أين كنت ؟ "

" في الحمام . هل جعلتهم يفقدون أثرك ؟ " تحدث تارانس بصوت خافت بينما كان يتفحص مؤخرة رؤوس الراكبين . لم يكن هناك من يستمع . لا يمكن لأحد أن يسمعهم .

قال ميتش : " أنا لا أراهم أبداً وهم يتبعونني يا تارانس . ولذلك لا أستطيع أن أقول إذا كانوا قد فقدوا أثرى أم لا . لكن أظن أنهم لابد أن يكونوا من الخارقين لكي يقتفوا أثرى هذه المرة " .

" هل رأيت رجلنا في صالة الانتظار ؟ "

" نعم . بجانب الهاتف العمومي وكان يرتدى قبعة حمراء خاصة بفريق فالكون لكرة السلة . كان رجلاً أسود " .

" هذا هو . كان سيعطيك إشارة إذا كان أحدهم يتبعك " .

" لقد أشار إلىّ أن أستكمل طريقى " .

كان تارانس يرتدى نظارة شمس فضية عاكسة أسفل قبعة رياضية خضراء تخص فريق ولاية ميتشجان للبيسبول .

قال ميتش دون أن يبتسم : " إنك ترتدى ملابس غير رسمية على الإطلاق ، هل أعطاك فويلس تصريحاً لكى ترتدى هذه الملابس ؟ "

" لقد نسيت أن أسأله . سوف أذكر له الأمر فى الصباح " .

تساءل ميتش : " صباح الأحد ؟ "

" بالطبع . لقد أخبرته بمستجدات الأمور لمدة ساعة قبل أن أغادر المدينة " .

" حسناً ، لنبدأ بالمهم أولاً . ماذا عن سيارتى ؟ "

" سوف يلتقطها رجالنا خلال دقائق ويحرسونها من أجلك . ستكون فى مدينة نوكسفيل عندما تحتاج إليها . لا تقلق " .

" أتظن أنهم سوف يعثرون علينا ؟ "

" مستحيل . لم يتبعك أحد فى ممفيس ولم نلاحظ وجود أى شخص فى ناشفيل . كل شيء على ما يرام " .

" اغفر لى قلقى . لكن بعد هذه المسرحية فى متجر الأحذية ، صرت أعلم أنكم يا رجال المباحث لستم فوق مستوى الغباء " .

" حسناً ، لقد كانت غلطة . نحن ـــ "

" غلطة كبيرة . غلطة كادت تضع اسمى على لائحة الأشخاص المطلوب التخلص منهم " .

" لقد قمت بتغطية الأمر جيداً . لن يحدث هذا مرة أخرى " .

" أعطنى وعداً يا تارانس . عدنى ألا تحاولوا الاتصال بى فى وضح النهار " .

نظر تارانس إلى الممر وأومأ برأسه .

قال ميتش : " كلا يا تارانس . أريد أن اسمع الكلمات وهى تخرج من فمك " .

" حسناً ، حسناً . لن يحدث هذا مرة أخرى . أعدك بذلك " .

" شكرا . الآن أستطيع أن أذهب للمطعم دون أن أخشى أن يمسك بى أحدكم " .

" لقد شرحت وجهة نظرك " .

اقترب منهم رجل عجوز أسود يمسك بعصا فى يده ، ثم ابتسم وعبر من جانبهم . أغلق باب الحمام بعد ذلك بقوة . انطلقت الحافلة تحتل الحارة اليسرى من الطريق واندفعت بسرعة إلى جوار السيارات الملتزمة بقوانين المرور .

أخذ تارانس يقلب في إحدى المجلات . أما ميتش فكان يحدق النظر إلى منظر الريف خارج النافذة . انتهى الرجل الأسود ذو العصا مما كان يفعله بالحمام ثم عاد فى بطء إلى مقعده بالصفوف الأمامية من الحافلة .

تساءل تارانس ، وهو يقلب أوراق المجلة : " إذن ما الذى جاء بك إلى هذه الحافلة ؟ "

" لا أحب ركوب الطائرات . دائما أفضل أن أستقل الحافلة " .

" فهمت . متى تحب أن نبدأ ؟ "

" لقد قال فويلس إن لديك خطة موضوعة للعبة " .

" نعم . فقط أحتاج إلى لاعب فى خط الهجوم " .

" اللاعبون المهرة يتقاضون مرتبات كبيرة " .

" لدينا الأموال اللازمة " .

" سوف يكلفكم الأمر أكثر مما تظن بكثير . بالطريقة التى حسبتها ، وجدت أنى سوف أتخلى عن أربعين عاماً من مستقبلى القانونى ، بمعدل ، دعنا نقول ، نصف مليون دولار فى السنة " .

" هذا يعنى أنك تريد عشرين مليون دولار " .

" أعلم هذا . لكن يمكننا التفاوض بشأن المبلغ " .

" من الجيد سماع هذا . إنك تفترض أنك سوف تعمل ، أو تمارس القانون ، كما تقول ، لمدة أربعين عاماً . إن هذا افتراض غير ثابت . دعنا ، على سبيل التسلية ، نفترض أننا خلال خمسة أعوام سوف نكشف الشركة بالكامل وندينك مع كل زملائك المحامين . وأننا سوف نحصل على حكم المحكمة ، وأنك ستذهب إلى السجن لبضع سنوات . إنهم لن يبقوك فى السجن كثيراً لأنك من طراز الموظفين ولست مجرماً محترفاً ، وبالطبع قد سمعت عن براعة أقلام المباحث فى تلفيق التهم . لكن على أية حال ، سوف تخسر رخصة مزاولة المحاماة ، ومنزلك ، والسيارة الفخمة . وربما تخسر زوجتك . عندما تخرج من السجن ، سوف تفتح مكتب محقق خاص مثل صديقك الراحل لوماكس . إنه عمل سهل ، حتى تتعرض لشخص لا يعجبه تدخلك فى حياته الشخصية " .

" كما قلت من قبل ، الأمر مطروح للتفاوض " .

" حسنا . دعنا نتفاوض . كم تريد ؟ "

" مقابل ماذا ؟ "

أغلق تارانس المجلة ، ووضعها أسفل مقعده وفتح كتاباً له غلاف من الورق المقوى . تظاهر أنه يقرأ فيه . تحدث ميتش من جانب فمه وعيناه تنظران إلى الممر .

قال تارانس ، بصوت خافت ، يكاد يسمع من خلال الهدير المنتظم لمحرك الديزل : " هذا سؤال جيد للغاية . ماذا نريد منك ؟ سؤال جيد . أولا ، سيكون عليك أن تخرق بعض قواعد مهنة المحاماة . سيكون عليك إفشاء أسرار وحسابات تتعلق بعملائك . وهذا بمفرده يكفى لشطبك من النقابة ، لكن ذلك لن يبدو مهما . يجب أن نتفق أنا وأنت على أنك سوف تقدم لنا الشركة على طبق من فضة . ما إن نتفق على ذلك ، إذا اتفقنا ، فإن الباقى سيتم بشكل روتينى . ثانيا ، وهو

الأهم ، يجب أن تعطينا ما يكفي من المستندات لكي ندين كل عضو من أعضاء الشركة ومعظم الكبار من عائلة مورولتو . والسجلات موجودة كلها في ذلك المبنى الصغير بشارع فرونت ستريت " .

" كيف تعرف ذلك ؟ "

ابتسم تارانس وقال : " لأننا أنفقنا ملايين الدولارات من أجل محاربة الجريمة المنظمة . لأننا نتعقب عائلة مورولتو من عشرين سنة . لأن لدينا مصادر داخل العائلة . ولأن هودج وكوزنسكى كانا قد بدآ يتحدثان إلينا عندما تم قتلهما . لا تستهزئ بنا يا ميتش " .

" وتظن أننى أستطيع أن آتيكم بهذه المعلومات من داخل الشركة ؟ "

" نعم ، أيها المحامي . يمكنك أن تبنى لنا قضية من داخل الشركة تكون كافية لهدم الشركة بالكامل والإطاحة بواحدة من أكبر العائلات الإجرامية فى البلاد . يجب أن ترسم لنا خريطة واضحة للشركة . أين مكاتب كل الشركاء ؟ أسماء السكرتيرات والموظفين والمساعدين القانونيين . أسماء الملفات والمحامين الذين يعملون عليها . أسماء العملاء ومَنْ من الشركاء يتولى كل عميل . التسلسل القيادى بالشركة . من يحتل الطابق الخامس ؟ وماذا يحدث فى ذلك الطابق ؟ أين يحتفظون بالسجلات ؟ هل هناك منطقة تخزين مركزية ؟ كم من السجلات يُحفَظ فى أجهزة الكمبيوتر ؟ وكم منها يُحفَظ على شكل ميكروفيلم ؟ والأهم من ذلك ، سيكون عليك أن تخرج هذه المعلومات وتأتينا بها . وما إن يكن لدينا أسباب مقنعة ، سوف نقتحم المكان بجيش صغير ونحصل على كل شيء . لكن ذلك خطوة كبيرة للغاية . يجب أن يكون لدينا قضية سليمة ومحكمة قبل أن نقتحم المكان حاملين مذكرة تفتيش " .

" هل هذا هو كل ما تريد ؟ "

" كلا . سيكون عليك أن تشهد ضد كل زملائك فى محاكماتهم . قد يستغرق ذلك سنوات " .

تنفس ميتش بعمق وأغلق عينيه . أبطأت الحافلة خلف موكب من المنازل المتحركة منقسم إلى جزأين . كان الغبار يقترب ، وواحدة بعد الأخرى ، أخذت السيارات فى الحارة اليسرى من الطريق تبرق أضواؤها . الشهادة فى المحكمة ! لم يفكر ميتش فى هذا من قبل . بهذه الملايين التى ستنفق على أفضل المحامين الجنائيين ، قد تستمر المحاكمات إلى الأبد .

بدأ تارانس يقرأ الكتاب بالفعل ، الذى كان من تأليف لويس لامور . قام بضبط الأنوار المخصصة للقراءة ، كما لو أنه حقاً مسافر حقيقى فى رحلة حقيقية . بعد ثلاثين ميلاً دون حديث ، دون مفاوضات ، خلع ميتش نظارته الشمسية ونظر إلى تارانس .

قال ميتش : " وماذا سيحدث لى ؟ "

" سيكون لديك الكثير من المال ، إذا كان ذلك هو ما يهمك . إذا كان لديك أى حس أخلاقى ، سوف تستطيع أن تنظر إلى نفسك فى المرآة كل يوم . يمكنك أن تعيش فى أى مكان بالبلاد ، مستخدماً هوية جديدة بالطبع . سوف نجد لك وظيفة ، أو نجرى لك عملية تجميل ، سوف نفعل لك كل ما تريد ، حقاً " .

حاول ميتش أن يبقى عينيه على الطريق ولكن ذلك كان مستحيلاً . نظر إلى تارانس بحدة وقال : " حس أخلاقى ؟ لا تذكر لى هذه الكلمة مرة أخرى يا تارانس . أنا ضحية فى هذا الأمر ، وأنت تعلم ذلك جيداً " .

أصدر تارانس صوتا ينم عن السخرية وارتسمت على وجهه ابتسامة غرور .

ساد الصمت بينهما لعدة أميال أخرى .

قال ميتش : " ماذا عن زوجتي ؟ "

" حسناً ، يمكنك أن تحتفظ بها " .

" يا لك من شخص مرح " .

" آسف . سوف تحصل على كل ما تريد . كم تعرف هي عن الأمر ؟ "

" كل شيء " . فكر ميتش في فتاة الشاطئ فأضاف بسرعة : " تقريباً كل شيء " .

سوف نحصل لها على عمل حكومي مرموق في إدارة التأمينات الاجتماعية في أي مكان تريده . لن يكون الأمر بهذا السوء يا ميتش " .

" سيكون الأمر رائعاً . حتى نقطة غير محددة في المستقبل عندما يفتح أحد موظفيك فمه ويدع بعض المعلومات تتسرب إلى الشخص الخطأ ، وبعدها سوف تقرأ عما حدث لي أو لزوجتي في إحدى الصحف . المافيا لا تنسى أبداً يا تارانس . إنهم أسوأ من الفيلة . وهم يحتفظون بالأسرار أفضل من المباحث التي تعمل بها . لقد خسرتم شهوداً من قبل ، فلا تحاول أن تنكر ذلك " .

" لن أنكر . وسوف أعترف لك بأنهم قد يكونون عباقرة عندما يتعلق الأمر بقتل الناس " .

" شكراً لك من أجل هذه المعلومة . إذن أين أذهب ؟ " .

" الأمر متروك لك . لدينا ما يقرب من ألفي شاهد يعيشون في أنحاء البلاد تحت أسماء جديدة ومنازل جديدة ووظائف جديدة . إن الاحتمالات في صفك بشكل كبير للغاية " .

" إذن أجرب حظي مع الاحتمالات ؟ "

" نعم . إما أن تأخذ المال وتهرب ، أو تلعب لعبة المحامي الشهير وتراهن على أننا لن نخترق الشركة أبداً " .

" يا له من خيار صعب يا تارانس " .

" إنه كذلك . أنا سعيد أنه خيارك أنت " .

قامت السيدة المصاحبة للعجوز الأسود من مقعدها فى ضعف وبدأت تسير فى الممر متجهة ناحيتهما . كانت تستند على كل مقعد فى الممر بينما تمشي . مال تارانس ناحية ميتش عندما مرت السيدة بجانبهما . ما كان ليجرؤ على الكلام وتلك السيدة بالقرب منهما هكذا . كانت فى التسعين من عمرها على الأقل ، ونصف مشلولة ، وربما لا تقرأ ولا تكتب ، وما كانت لتهتم كثيراً إذا تحدث تارانس أم لا . لكن تارانس صمت على الفور عندما اقتربت .

بعد خمس عشرة دقيقة ، فُتح باب الحمام وانطلق صوت خرير الماء منطلقاً إلى أسفل بالوعة الحافلة . جرت السيدة أقدامها تجاه مقعدها الأمامى وجلست .

تساءل ميتش : " من يكون جاك ألدريتش ؟ " كان يتوقع عملية تغطية على هذا الأمر ، ولذلك أخذ يراقب بحرص ردة فعل تارانس من طرف خفى . رفع تارانس عينيه عن الكتاب وحدق النظر فى المقعد الذى أمامه .

قال تارانس : " يبدو الاسم مألوفاً ، وإن كنت لا أستطيع أن أحدد متى وأين سمعته من قبل " .

أعاد ميتش نظراته إلى النافذة . كان تارانس يعلم . لقد جفل ، وضاقت عيناه بسرعة قبل أن يجيب . أخذ ميتش يشاهد حركة المرور المتجه نحو الغرب .

تساءل تارانس أخيراً : " إذن من يكون ؟ "

" ألا تعرفه ؟ "

" إذا كنت أعرفه ، ما كنت لأسأل عمن يكون " .

" إنه محامٍ فى شركتنا . كان يجب أن تعلم ذلك يا تارانس " .

" إن المدينة مليئة بالمحامين . أظن أنك تعرفهم جميعاً " .

" أنا أعلم من يعملون في شركة بنديني ، لامبرت آند لوك ، تلك الشركة الهادئة الصغيرة التي تراقبونها أيها الفيدراليون منذ ما يقرب من سبع سنوات . إن ألدريتش يعمل بالشركة منذ ست سنوات ويدّعون أن المباحث الفيدرالية اتصلت به منذ شهرين مضيا . هل هذا صحيح أم خطأ ؟ "

" إنه أمر غير حقيقي . من أخبرك بذلك ؟ "

" لا يهم من أخبرني . إنها مجرد شائعة تسرى في المكتب " .

" إنها كذبة . نحن لم نتحدث مع أحد سواك منذ أغسطس . وهذه كلمة شرف أقولها لك . وليس لدينا أية خطط للتحدث مع أى أحد ، إلا إذا رفضت عرضنا بالطبع ، حينها سوف نبحث عن شخص آخر " .

" ألم تتحدث مع ألدريتش أبداً ؟ "

" هذا ما قلته " .

أومأ ميتش برأسه والتقط إحدى المجلات . سارت الحافلة في صمت لنصف ساعة . ألقى تارانس الرواية التي بيده وقال أخيراً :

" اسمع يا ميتش ، سوف نصل إلى نوكسفيل خلال ساعة أو أقل قليلا . يجب أن نصل إلى اتفاق ، إذا كنا سنتفق . سيكون لدى المدير فويلس آلاف الأسئلة غداً صباحا " .

" كم تعرضون من المال ؟ "

" نصف مليون دولار " .

أى محام مبتدئ يعرف أن العرض الأول يجب أن يُرفَض . دائماً . لقد شاهد تولار يفغر فاه في اندهاش ، ويهز رأسه فى امتعاض وعدم تصديق مع العروض الأولى ، مهما كانت معقولة . سيكون هناك إجراءات مضادة ، وإجراءات مضادة لتلك الإجراءات الأولى ، ومزيد من التفاوض ، لكن العرض الأول دائماً ما يُرفَض .

ولذلك عن طريق هز رأسه والابتسام فى وجه النافذة كما لو أن ذلك كان متوقعاً ، فإن ميتش قد رفض نصف مليون دولار .

" هل قلت شيئاً مضحكاً ؟ " تساءل تارانس ، الذى لم يكن محامياً ، ولا مفاوضاً .

" هذا عرض سخيف يا تارانس . لا يمكن أن تتوقع منى أن أتخلى عن منجم ذهب مقابل نصف مليون دولار . بعد خصم الضرائب ، سيتبقى لى ثلاثمائة وستون ألف دولار ، على أفضل الاحتمالات " .

" وماذا لو أغلقنا منجم الذهب وأرسلناكم أيها العباقرة إلى السجن ؟ "

" لو . لو . لو . لو أنك تعرف الكثير هكذا ، لماذا لم تفعل أى شيء حتى الآن ؟ لقد قال فويلس إنكم تراقبون وتنتظرون من سبع سنوات . رائع جداً يا تارانس . هل تتحركون دوما بهذه السرعة ؟ "

" هل تريد أن تجرب حظك بهذه الطريقة يا ماكدير ؟ لنفترض أن الأمر تطلب منا خمس سنوات أخرى ، اتفقنا ؟ بعد خمس سنوات سوف نقتحم المكان ونلقى بكم جميعاً فى السجن . فى تلك اللحظة لن يصنع فارقاً كبيراً كم أخذنا من الوقت لكى نفعل ذلك ، أليس كذلك ؟ ستكون النتائج واحدة يا ميتش " .

" آسف . لقد ظننت أننا فى مفاوضات ، وليس عملية تهديد " .

" لقد قدمت إليك عرضاً " .

" إن عرضك ضعيف للغاية . هل تتوقع منى أن أعطيك قضية سوف تضمن لك مئات من الإدانات ضد جماعة من أشرس المجرمين فى أمريكا ، قضية قد تكلفنى حياتى بمنتهى السهولة . ثم تأتى وتعرض علىَّ مبلغاً زهيداً . أريد ثلاثة ملايين على الأقل " .

لم يجفل تارانس أو يعبس . تقبل العرض المضاد بوجه هادئ ومعتدل ، وميتش ، الذى يجيد التفاوض ، علم أن عرضه لم يخرج عن حدود المعقول والمتوقع .

قال تارانس ، كأنه يخاطب نفسه : " هذا مبلغ كبير للغاية . لا أظننا قد دفعنا مثل هذا المبلغ من قبل " .

" ولكنكم تستطيعون تدبيره ، أليس كذلك ؟ "

" أشك فى ذلك . سأضطر إلى التحدث إلى المدير فى هذا الأمر " .

" المدير ! ظننت أن لديك الصلاحيات الكاملة فى التعامل مع هذه القضية . هل سنظل نغدو ونجيء من مكتب المدير حتى نصل إلى اتفاق ؟ "

" ماذا تريد غير ذلك ؟ "

" لدىَّ بعض الطلبات الأخرى فى رأسى ، ولكن لن نتناقش فيها حتى تكون مسألة المال قد تمت تسويتها " .

بدا أن العجوز الأسود ذا العصا لديه كلية مريضة . وقف مرة أخرى وبدأ رحلته البطيئة تجاه حمام الحافلة . بدأ تارانس ينظر فى كتابه مرة أخرى . أما ميتش فأخذ يقلب صفحات عدد قديم من مجلة فيلد آند ستريم .

غادرت الحافلة الطريق المؤدى بين الولايات فى مدينة نوكسفيل قبل دقيقتين من الثامنة . مال تارانس قريباً من ميتش وهمس : " اخرج من الباب الأمامى لصالة الانتظار . سوف تجد شاباً يرتدى سترة برتقالية تخص جامعة ولاية تينيس يقف بجانب سيارة برونكو بيضاء اللون . سوف يتعرف عليك ويناديك باسم جيفرى . صافحه كأنكما صديقان قديمان واركب معه السيارة . سوف يصطحبك إلى المكان الذى توجد به سيارتك " .

همس ميتش : " وأين توجد سيارتى ؟ "

" خلف مجمع سكن الطلاب بالحرم الجامعى " .

" هل قمتم بفحصها بحثا عن أجهزة التنصت ؟ "

" أظن ذلك . اسأل الرجل فى السيارة الـ برونكو . إذا كانوا يتعقبونك عندما غادرت ممفيس ، فربما يصيبهم الشك الآن . يجب أن تقود سيارتك إلى كوكفيل . إنها على بعد مائة ميل من هذا الجانب من ناشفيل . ستجد هناك فندق هوليداى إن . أمض الليلة هناك واذهب لزيارة أخيك فى الصباح . سوف نراقبك أيضاً ، وإذا بدت الأمور مريبة ، سوف أعثر عليك صباح الاثنين " .

" متى سنتقابل فى الحافلة ثانياً ؟ "

" عيد ميلاد زوجتك يوم الثلاثاء . قم بحجز مائدة فى الساعة الثامنة فى جريسانتى ، ذلك المطعم الايطالى بالقرب من المطار . فى تمام التاسعة ، اذهب إلى ماكينة بيع السجائر بالقرب من البار . ضع ست عملات نقدية واشتر علبة سجائر من أى نوع . فى الصينية التى توزع فيها السجائر ، سوف تجد شريط كاسيت . قم بشراء جهاز تسجيل صغير ، من ذلك النوع الذى يستعمله العداءون والمزود بسماعات للأذن ، وقم بالاستماع إلى الشريط فى سيارتك ، وليس بمنزلك ، وإياك أن تستمع إليه فى المكتب . استخدم السماعات ، ودع زوجتك تستمع إليه أيضا . ستجد رسالة مسجلة منى على شريط الكاسيت ، وسوف أعطيك عرضنا النهائى . سأشرح لك أيضا بعض الأمور . بعد أن تستمع للكاسيت لعدة مرات ، قم بالتخلص منه " .

" ألا تظن أن هذا شرح مبالغ فيه ؟ "

" نعم ، لكننا لن نحتاج إلى أن نتحدث مع بعضنا لأسبوعين . إنهم يراقبون ويستمعون يا ميتش . وهم فى غاية الكفاءة . لا تنس ذلك أبدا " .

" لا تقلق " .

" ماذا كان رقم قميصك عندما كنت تلعب الكرة فى المدرسة الثانوية ؟ "

" أربعة عشر " .

" وفى الجامعة ؟ "

" أربعة عشر " .

" حسنا . سيكون رقمك السرى ٤ ـ ١ ـ ٤ ـ ١ . فى ليلة الثلاثاء ، اتصل برقم ٦٠٠٠ ـ ٧٥٧ من هاتف عملة عمومى . سيرد عليك صوت وسوف يقودك خلال عملية روتينية تشمل التحقق من رقمك السرى . بعد أن تتم عملية التحقق ، سوف تجد تسجيلاً بصوتى أنا ، وسوف أطرح عليك سلسلة من الأسئلة . من هناك سوف نستكمل الأمر " .

" لماذا لا أستطيع ممارسة القانون فقط ؟ "

توقفت الحافلة داخل صالة انتظار وتوقفت . قال تارانس : " سوف أذهب إلى أتلانتا . لن أراك لمدة أسبوعين . إذا كانت هناك حالة طوارئ ، اتصل بأحد الرقمين اللذين أعطيتهما لك من قبل " .

وقف ميتش داخل الممر ونظر إلى عميل المباحث ثم قال : " ثلاثة ملايين يا تارانس . ليس قرشاً أقل . إذا كنتم تنفقون المليارات على محاربة الجريمة المنظمة ، بالتأكيد يمكنكم أن تجدوا ثلاثة ملايين من أجلى . وهناك خيار ثالث أمامى يا تارانس . يمكننى أن أختفى فى ظلام الليل ، أذوب فى الهواء تماماً . وإذا حدث ذلك ، يمكنكم أن تتعاركوا مع عائلة مورولتو حتى يبرد الجحيم ، وسوف أكون فى جزر الكاريبى ألعب الدومينو " .

" بالتأكيد يا ميتش . ربما تلعب مباراة أو اثنتين ، ولكنهم سوف يعثرون عليك خلال أسبوع . ولن نكون هناك لكى نحميك . وداعاً يا صديقى " .

قفز ميتش من الحافلة واندفع إلى داخل صالة الانتظار .

٢٣

. . . .

في الثامنة والنصف صباح الثلاثاء ، قامت نينا بتنظيم أكوام من الورق والمستندات المبعثرة فوق مكتبه . كانت تستمتع بطقوس الصباح المبكر من تنظيم مكتبه وتخطيط جدول عمله اليومي . كان دفتر المواعيد موضوعاً دون اعتناء فوق ركن من سطح المكتب . أخذت نينا تقرأ منه : " لديك يوم مشحون للغاية يا سيد ماكدير " .

أخذ ميتش يقلب في أوراق أحد الملفات وحاول أن يتجاهلها وهو يقول : " كل الأيام مشحونة " .

" لديك اجتماع في العاشرة بمكتب السيد ماهان بخصوص الاستئناف المقدم في قضية شركة دلتا شيبنج " .

غمغم ميتش : " لا أكاد أطيق الانتظار " .

" لديك اجتماع في مكتب السيد تولار بخصوص تصفية شركة جرين براير ، ولقد أخبرتني سكرتيرته أن الاجتماع سيستمر لمدة ساعتين على الأقل " .

" ولماذا يستمر لساعتين ؟ "

" إنهم لا يدفعون لى راتبي لكي أطرح الأسئلة يا سيد ماكدير . إذا فعلت ذلك ربما أُفصل من عملي . يريد فيكتور ميليجان مقابلتك في الثالثة والنصف " .

" بأي شأن ؟ "

" مرة أخرى يا سيد ماكدير ، ليس من المفترض أن أطرح الأسئلة . والآن من المفترض تواجدك بمكتب فرانك مولهولند بوسط المدينة خلال خمس عشرة دقيقة " .

" نعم ، أعرف ذلك . أين يوجد مكتبه ؟ "

" مبنى كوتون ايكسشنج . على بُعد أربعة أو خمسة مربعات سكنية من شارع فرونت ستريت وعلى مقربة من شارع يونيون . لقد مررت به مئات المرات من قبل " .

" حسناً . ماذا هناك أيضاً ؟ "

" هل أجلب لك شيئا من الطعام عندما أعود من الغداء ؟ "

" كلا ، سوف أتناول بعض الشطائر فى وسط المدينة " .

" رائع . هل معك كل ما يخص ملف مولهولند ؟ "

أشار بيده تجاه حقيبة مستندات سوداء كبيرة الحجم ولم يقل شيئاً . غادرت نينا المكتب ، وبعد ثوان سار ميتش فى داخل الردهة هابطاً السلالم ، ثم خرج من الباب الأمامى . توقف للحظات فى ضوء النهار ، ثم استدار وسار مسرعاً تجاه وسط المدينة . كانت حقيبة المستندات السوداء فى يده اليمنى ، أما حقيبة اليد الحمراء المصنوعة من جلد الثعبان فكانت فى يده اليسرى . وكانت تلك هى الإشارة .

أمام مبنى أخضر اللون ذى نوافذ خشبية ، توقف ميتش إلى جوار صنبور حريق . انتظر للحظة ، ثم عبر شارع فرونت ستريت . إشارة أخرى .

فى الطابق التاسع من مبنى كوتون ايكسشنج ، تراجعت تامى جرين وود من شركة جرين وود سيرفس ، من أمام النافذة وارتدت معطفها . أغلقت الباب خلفها وضغطت زر المصعد . انتظرت . كانت على وشك أن تقابل رجلاً من السهل أن يتسبب فى مقتلها .

دلف ميتش إلى ردهة المبنى وانطلق إلى المصعد مباشرة . لم يلاحظ وجود أى شخص يعرفه . كان هناك نصف دستة من رجال الأعمال يتحدثون بينما كانوا فى طريقهم إلى داخل أو خارج المبنى . وكانت هناك امرأة تهمس فى هاتف عمومى . وحارس أمن يتكئ فى وقفته أمام مدخل شارع يونيون أفينيو . ضغط زر المصعد وانتظر بمفرده . وعندما انفتح باب المصعد ، دلف إلى الداخل شاب وسيم الملامح ، مهندم الملبس ، يرتدى حلة سوداء وحذاء مدبباً براقاً . كان ميتش قد تمنى أن يصعد إلى أعلى بمفرده .

كان مكتب مولهولند فى الطابق السابع . ضغط ميتش زر الطابق السابع وتجاهل الفتى الذى يرتدى الحلة السوداء . وبينما كان المصعد يتحرك ، نظر كلا الرجلين بشكل تلقائى إلى أرقام الطوابق التى تبرق فوق باب المصعد . اتكأ ميتش إلى الحائط الخلفى للمصعد الضيق ووضع حقيبة مستنداته على الأرض ، بجانب قدمه اليمنى . انفتح باب المصعد فى الطابق الرابع ودلفت تامى إلى الداخل . اختطف الفتى نظرة سريعة إليها . كان ملبسها محتشما للغاية . فستان بسيط قصير ، دون فتحات مثيرة عند الرقبة أو حذاء غريب الشكل . كان شعرها مصبوغاً بدرجة خفيفة من اللون الأحمر . نظر الفتى إليها مرة أخرى ثم ضغط زر إغلاق المصعد .

أحضرت تامى حقيبة مستندات سوداء ، مطابقة تماماً لحقيبة ميتش . تجاهلت نظرات عينى ميتش ، وقفت بجانبه ، وبهدوء وضعت حقيبتها بجوار حقيبته . عند الطابق السابع ، التقط ميتش حقيبتها وغادر المصعد . وفى الطابق الثامن ، غادر الفتى الوسيم ذو الحلة السوداء ، وفى الطابق التاسع التقطت تامى حقيبة المستندات السوداء الثقيلة والتى تمتلئ بملفات من شركة بنديني ، لامبرت آند لوك وأخذتها إلى مكتبها . أغلقت الباب بإحكام ، وبسرعة خلعت

معطفها واندفعت إلى الحجرة الصغيرة حيث كانت ماكينة النسخ مستعدة للعمل . كان هناك سبعة ملفات داخل الحقيبة ، وكان سُمك كل ملف لا يقل عن بوصة . وضعتها في ترتيب فوق الطاولة المطوية بجانب ماكينة النسخ وتناولت الملف المكتوب فوقه " كوكر ـ هانكس إلى شركة إيست تكساس بايب " . انتزعت المشبك الألومينيوم ، وأزالت محتويات الملف وفي حرص وضعت كومة المستندات والخطابات داخل فتحة التغذية الأوتوماتيكية بماكينة النسخ . ضغطت فوق زر النسخ وأخذت تشاهد بينما بدأت الماكينة في عمل نسختين متطابقتين من كل مستند .

بعد ثلاثين دقيقة ، عادت الملفات السبعة داخل حقيبة المستندات . أما الملفات الأربعة عشر الجديدة ، فوُضِعَت داخل خزانة ملفات مغلقة ومقاومة للحريق ، مخفية داخل صوان صغير مغلق أيضاً . تركت تامي حقيبة المستندات بالقرب من الباب ، وانتظرت .

كان فرانك مولهولند شريكاً في مكتب قانوني يتكون من عشرة أعضاء ومتخصص في الإجراءات البنكية والحسابات الائتمانية . كان عميله رجلاً عجوزاً قد قام بتأسيس وبناء سلسلة من متاجر أدوات الصيانة وفي وقت ما كانت ثروته تساوي ثمانية عشر مليون دولار قبل أن يتولى ابنه ومجلس إدارة شركته المتآمر مقاليد الأمور ويجبروه على التقاعد . رفع العجوز قضية . ورفع مجلس إدارة الشركة قضية مضادة . صار كل الأشخاص يقاضون بعضهم البعض ، وظلت القضايا والقضايا المضادة تقبع في أروقة المحاكم منذ ثمانية عشر شهراً دون أمل . والآن بعد أن صار المحامون أغنياء وسعداء ، فقد حان الوقت لقبول تسوية النزاع ودياً . كانت شركة بنديني ، لامبرت آند لوك تتولى الإجراءات الضريبية للابن ومجلس الإدارة الجديد ، ومنذ شهرين قام تولار

بتقديم ميتش إلى محامي الخصوم . كانت الخطة أن يعرض على العجوز مبلغ خمسة ملايين دولار على شكل أسهم عادية ، ضمانات قابلة للاستبدال ، وقليل من السندات .

لم يكن مولهولند سعيداً بهذا العرض . كرر أكثر من مرة أن موكله ليس طماعاً ، وأنه يعلم أنه لن يستعيد سيطرته على الشركة أبداً . رغم أنها شركته . لكن خمسة ملايين دولار ليست كافية . إلى جانب أن أى هيئة محلفين سوف تتعاطف مع الرجل العجوز ، وأن أى أحمق يمكنه أن يرى أن هذه الدعوى القضائية تستحق على الأقل ، حسناً ... على الأقل عشرين مليون دولار .

بعد ساعة من العروض والعروض المضادة والاقتراحات التى ظلت تتحرك فوق سطح مكتب مولهولند ، زاد ميتش الصفقة إلى ثمانية ملايين وقال محامى الرجل العجوز إنه قد يقبل بخمسة عشر مليوناً . أعاد ميتش وضع المستندات داخل حقيبته فى أدب وقام مولهولند بمرافقته إلى الباب بأسلوب مهذب . تواعد الرجلان أن يتقابلا مرة أخرى خلال أسبوع . ثم تصافحا فى حرارة كأنهما صديقان حميمان .

توقف المصعد عند الطابق الخامس ، ودلفت تامى إلى الداخل فى هدوء . كان المصعد خالياً ، سوى من ميتش . عندما أُغلق الباب ، قال ميتش : " هل حدثت أية مشاكل ؟ "

" كلا . لقد صنعت نسختين وأغلقت عليهما الخزانة " .

" ما الوقت الذى استغرقته عملية النسخ ؟ "

" نحو ثلاثين دقيقة " .

توقف المصعد عند الطابق الرابع ، والتقطت تامى حقيبة المستندات الخالية ثم تساءلت : " عند ظهيرة الغد ؟ "

أجاب ميتش : " نعم " . انفتح الباب واختفت تامى فى دهاليز الطابق الرابع . بقى ميتش بمفرده داخل المصعد حتى ردهة المبنى ،

التي كانت خالية سوى من رجل الأمن الوحيد . اندفع ميتشل ماكدير ، المحامي والمستشار القانوني ، إلى خارج المبنى وهو يحمل حقيبة مستندات ثقيلة في كل يد وسار في ثقة عائداً إلى مكتبه .

كان الاحتفال بعيد ميلاد آبي الخامس والعشرين بسيطاً إلى حد كبير . وتحت ضوء الشموع في ذلك الركن المعتم من مطعم جريسانتي ، تهامس ميتش وآبي وحاول كل منهما أن يبتسم للآخر . وكم كان ذلك صعباً . ففي مكان ما من المطعم وفي تلك اللحظة كان هناك عميل متخف للمباحث الفيدرالية يحمل شريط كاسيت على وشك أن يضعه في ماكينة السجائر الموجودة بالصالة في تمام الساعة التاسعة ، ومن المفترض أن يكون ميتش هناك بعد ثوان لكي يستلم ذلك الشريط دون أن يراه أو يشعر به أحد من الأشرار ، أينما كانوا يقفون وأياً كانت أشكالهم . وسوف يخبره ذلك الشريط بكم المال الذي سوف يحصل عليه ميتش مقابل الأدلة التي يقدمها ومقابل حياة قادمة مليئة بالهرب والتخفي .

كان كلاهما يأكل طعامه بدون شهية ، وحاولا الابتسام واستكمال المحادثة المطوطة ، لكنهما ببساطة كانا يتململان في مقعديهما ويتخطفان النظرات إلى ساعتيهما . كان العشاء قصيراً . في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة كانا قد انتهيا من الأطباق الموضوعة أمامهما . غادر ميتش الطاولة متجهاً إلى استراحة الرجال ، محدقاً في الصالة المعتمة وهو يمشي . كانت ماكينة السجائر تقبع في الركن ، كما يجب أن تكون تماماً .

طلبا قدحين من القهوة ، وفي تمام التاسعة عاد ميتش إلى الصالة ، إلى ماكينة السجائر ، حيث وضع ست عملات نقدية وجذب الذراع تجاه علبة سجائر مارلبورو ، إحياءً لذكرى ايدى لوماكس . مد يده بسرعة داخل الصينية ، وأخذ علبة السجائر ، ثم أخذ يتحسس

الصينية فى ذلك الظلام حتى وجد شريط الكاسيت . رن جرس هاتف العملة المجاور لماكينة السجائر ، وقفز ميتش فزعاً . استدار وأخذ يمسح الصالة بعينيه . كانت الصالة خالية سوى من رجلين يجلسان ويشاهدان التلفاز الموضوع أعلى رأس الساقى فى خلفية القاعة . وكانت هناك ضحكات لشخص ما تأتى من ركن بعيد ومظلم فى الصالة .

شاهدت آبى كل خطوة وحركة حتى جلس ميتش أمامها . رفعت حاجبيها وقالت : " إذن ؟ "

" لقد حصلت عليه . شريط تسجيل أسود من ماركة سونى " . احتسى ميتش قهوته وابتسم فى براءة بينما كان يفحص قاعة الطعام المزدحمة بسرعة . لا أحد كان يراقبهم . لا أحد يهتم .

ناول شيك الحساب وبطاقته الائتمانية إلى النادل وقال فى فظاظة : " نحن فى عجلة " . عاد النادل خلال ثوان . وقّع ميتش الشيك باسمه .

كانت السيارة بى . إم . دبليو مليئة بأجهزة التنصت بالفعل . مليئة للغاية . لقد فحصها رجال تارانس بهدوء ودقة شديدة بواسطة عدسات مكبرة بينما كانوا ينتظرون وصول الحافلة منذ أربعة أيام . كانت أجهزة التنصت مزروعة باحتراف شديد ، ومن نوعية غالية جداً قادرة على سماع وتسجيل أقل صوت أو حركة . كانت أجهزة التنصت تسمع وتسجل ؛ لكنها لم تكن قادرة على تتبع خط السير . ظن ميتش أن ذلك لطف شديد منهم ، أن يستمعوا دون أن يتعقبوا تحركات السيارة نفسها .

غادرت السيارة ساحة انتظار مطعم جريسانتى دون أى محادثات بين راكبيها . بحرص شديد فتحت آبى جهاز تسجيل محمولاً ووضعت شريط التسجيل بالداخل . ناولته سماعتى الأذن ، فوضعهما حول

رأسه . ضغطت زر التشغيل . أخذت تشاهد ملامح وجهه بينما كان يستمع إلى الشريط وهو يقود السيارة في شرود باتجاه طريق الولايات .

كان الصوت المسجل يخص تارانس : " مرحباً ميتش . اليوم هو الثلاثاء ، ٩ مارس ، في وقت ما بعد التاسعة مساءً . أتمنى لزوجتك الجميلة عيد ميلاد سعيداً . سوف يستمر هذا التسجيل لمدة عشر دقائق ، وأنصحك أن تنصت إليه باهتمام ، مرة أو مرتين ، ثم تخلص منه . لقد كنت في اجتماع مغلق مع المدير فويلس يوم الأحد الماضي وأطلعته على مستجدات الوضع بالكامل . بالمناسبة ، لقد استمتعت بركوب الحافلة معك . المدير فويلس مسرور للغاية بالطريقة التي تسير بها الأمور ، لكنه يظن أننا قد تحدثنا لوقت طويل . إنه يريد عقد صفقة وبشكل سريع أيضاً . لقد شرح لي أن المكتب لم يسبق له تحت أي ظروف أن دفع ثلاثة ملايين دولار وأننا لن نستطيع أن نفعل ذلك من أجلك . لقد كان غاضبا للغاية ، ولكي أختصر لك قصة طويلة ، فإن المدير فويلس قال إن بإمكاننا أن ندفع لك مليون دولار نقداً ، ولا شيء أكثر من ذلك . قال إن المال سوف يوضع في حساب بأحد بنوك سويسرا وإن أحداً لن يعلم عنه شيئاً ، ولا حتى مصلحة الضرائب . مليون دولار ، معفاة من الضرائب . هذا هو أفضل عرض لدينا ، وقد قال فويلس إن بإمكانك أن تذهب إلى الجحيم إذا رفضت ذلك العرض . سوف ننال من تلك الشركة يا ميتش ، بك أو بواسطة غيرك " .

ابتسم ميتش ابتسامة صارمة وحدق النظر بالسيارات المسرعة التي تمر من جانبهما فوق الطريق رقم ٢٤٠ ـ ١ . أخذت آبي تتطلع إليه منتظرة إشارة ـ ضحكة أو عبوس ـ وجهه ، أي شيء يدل على وجود أنباء جيدة أو سيئة . لكنها لم تقل شيئاً .

استمر صوت تارانس عبر التسجيل : " سوف نتولى رعايتك يا ميتش . ستكون لديك حماية من المباحث الفيدرالية في أي وقت تحتاج

إليها . سوف نتفقد أحوالك من وقت لآخر ، إذا أردت ذلك . وإذا أردت أن تنتقل إلى مدينة أخرى بعد عدة سنوات ، فسوف نتولى ذلك . يمكنك أن تنتقل من مدينة إلى أخرى كل خمس سنوات إذا أردت ، وسوف نتولى عملية الانتقال وتدبير وظيفة من أجلك . أعنى وظائف جيدة فى الأعمال المدنية بالمستشفيات أو التأمينات الاجتماعية أو إدارة البريد . قال فويلس إن بإمكاننا الحصول على وظيفة بمرتب مرتفع مع متعهد حكومي مستقل . أى شيء تطلبه يا ميتش سوف نحققه لك . بالطبع سوف نوفر لك ولزوجتك هويات جديدة ، ويمكنك تغيير هويتك كل عدة سنوات إذا أردت ، بدون مشاكل . وإذا كانت لديك أفكار أفضل ، فسوف نستمع لك . إذا أردت أن تعيش فى أوروبا أو أستراليا ، ما عليك سوى أن تطلب . سوف تحصل على معاملة مميزة . أعلم أننا نعد بالكثير يا ميتش ، ولكننا جادون للغاية وسوف نعطيك وعداً مكتوباً بكل شيء . سوف نعطيك مليون دولار نقداً ، وننقلك إلى أى مدينة تختارها . هذه هى الصفقة يا ميتش . وبالمقابل ، يجب أن تسلمنا الشركة وعائلة مورولتو . سوف نتحدث عن ذلك لاحقا . أما الآن ، فقد انتهى وقتك . إن فويلس يضغط عليَّ بشدة ، ولابد من تحريك الأمور بسرعة . اتصل بى فى رقم الهاتف الذى أعطيته لك فى التاسعة من مساء الخميس من هاتف العملة الموجود بجانب استراحة الرجال فى مطعم هوستون بشارع بابولار . وداعاً ميتش " .

مرر ميتش إصبعه أمام حلقه فضغطت آبى زر التوقف ، ثم زر الإرجاع . ناولها ميتش سماعتى الأذن ، وبدأت تستمع بتركيز .

كانت نزهة بريئة فى الحديقة العامة ، اثنان من المحبين يسيران متشابكى الأيدى فى ضوء القمر الذى يشع بالهدوء والسكينة . توقفا بجانب أحد المدافع الأثرية وحدقا النظر إلى أمواج النهر الساحرة والتى

سارت تتهادى فى بطء تجاه نيو أورلينز . كان ذلك هو نفس المدفع الذى وقف بجانبه الراحل ايدى لوماكس فى تلك الليلة العاصفة لكى يقدم إلى ميتش آخر تقرير لتحقيقات قام بها فى حياته .

أمسكت آبى بشريط الكاسيت فى يدها ونظرت إلى النهر بالأسفل . كانت قد أنصتت إليه مرتين ورفضت أن تتركه بالسيارة ، حيث يمكن أن يلتقطه أى من الأشرار . بعد أسابيع من ممارسة الصمت والتحدث خارج المنزل فقط ، صارت الكلمات تخرج بصعوبة .

قال ميتش أخيراً ، وهو ينقر فوق العجلة الخشبية للمدفع : " أتعلمين يا آبى ، لقد أردت دائماً أن أعمل فى مكتب البريد . كان أحد أعمامى يعمل بتوصيل البريد فى الريف . ستكون تلك وظيفة رائعة " .

لقد كان نوعاً من المقامرة ، محاولة استخدام الفكاهة . لكنها نجحت . لقد ترددت آبى لثلاث ثوان ، ثم ضحكت فى صمت ، وكان بإمكان ميتش أن يشعر أن الدعابة قد أعجبتها . ردت آبى : " نعم ، ويمكننى أن أمسح الأرضيات فى إحدى المستشفيات الحكومية " .

" لن تضطرى إلى مسح الأرضيات . يمكنك تغيير الفراش للمرضى ، عمل له قيمته ، عمل لا يلفت الانتباه . سوف نعيش فى منزل صغير بسياج أبيض فى شارع ميبل ستريت فى مدينة أوماها . سيكون اسمى هارفى وسوف تكونين ثيلما ، وسوف نحتاج إلى اسم عائلة قصير وغير مثير للشبهات " .

أضافت آبى : " بوى " .

" رائع للغاية . السيد هارفى بوى وحرمه . عائلة بوى . سيكون لدينا مليون دولار بالبنك ولكن لن نستطيع أن ننفق قرشاً لأن كل شخص فى شارع ميبل ستريت سوف يعرف ذلك ، وحينها سينظرون إلينا بشك ، وهذا آخر ما نحتاج إليه " .

" سوف أجرى عملية تجميل فى أنفى " .

" لكن أنفك جميل للغاية " .

" آبى لديها أنف جميل ، ولكن ماذا عن ثيلما ؟ سيكون علينا أن نصلح أنف ثيلما ، ألا تظن ذلك ؟ "

" نعم ، أظن ذلك " . أصاب ميتش التعب من هذه الدعابات في الحال وأصبح أكثر صمتاً . وقفت آبى أمامه تماماً ، فوضع ميتش ذراعيه حول كتفيها . أخذا يشاهدان مركب سَحْب يجر وراءه مئات القوارب في صمت أسفل الكوبرى . أعتمت سحابة عابرة ضوء القمر ، وهبت الرياح الباردة القادمة من الغرب خلال تلك اللحظة ، ثم هدأت مرة أخرى .

تساءلت آبى : " هل تصدق تارانس ؟ "

" من أى ناحية ؟ "

" لنفترض أنك لم تفعل أى شيء . هل تصدق أنهم فى يوماً ما سوف يخترقون الشركة بشكل نهائى ؟ "

" أخاف ألا أصدق ذلك " .

" إذن ، ماذا إذا أخذنا المال وهربنا ؟ "

" من السهل علىَّ أن آخذ المال وأهرب يا آبى . ليس لدىَّ ما أتركه خلفي . أما بالنسبة لك ، فالأمر مختلف . لن تتمكنى من رؤية عائلتك مرة أخرى " .

" أين يمكننا أن نذهب ؟ "

" لا أعلم . لكننى ما كنت لأرغب فى البقاء فى هذه البلاد . لا يمكن الثقة بالفيدراليين بشكل كامل . سوف أشعر بالأمن أكثر إذا كنت فى بلد آخر ، لكنى لن أخبر تارانس بذلك " .

" ما هى الخطوة التالية ؟ "

" سوف نعقد الاتفاق مع المباحث ، وبسرعة نبدأ عملية جمع ما يكفى من المعلومات لإغراق السفينة بمن فيها . ليس لدىَّ فكرة عن ماذا

يريدون تحديداً ، لكن يمكنني أن أجده من أجلهم : عندما يكون لدى تارانس ما يكفي من المعلومات ، نهرب . نأخذ المال ، ونجرى عمليات التجميل ثم نختفى تماماً " .

" كم سيكون معنا من المال ؟ "

" أكثر من مليون دولار . إنهم يلعبون معنا فيما يتعلق بالمال . إن الأمر لا يزال عرضة للتفاوض " .

" كم من المال سنأخذ منهم ؟ "

" مليونى دولار نقداً ، معفاة من الضرائب . ليس قرشاً أقل " .

" هل سيدفعون لنا ذلك المبلغ ؟ "

" نعم ، لكن ذلك ليس هو السؤال المهم . السؤال هو ، هل سنأخذ المال ونهرب ؟ "

كانت آبى تشعر بالبرد ، فوضع ميتش معطفه فوق كتفيها . احتضنها بقوة . قالت آبى : " إنها صفقة قذرة يا ميتش ، لكن على الأقل سنكون معاً " .

" اسمى هارفى ، وليس ميتش " .

" أتظن أننا سنكون بمأمن يا هارفى ؟ "

" نحن لسنا بمأمن هنا " .

" لا تعجبنى هذه المدينة . أنا وحيدة وخائفة " .

" لقد مللت مهنة المحاماة " .

" دعنا نأخذ المال ونهرب " .

" اتفقنا يا ثيلما " .

ناولته شريط الكاسيت . نظر إليه ، ثم رماه بعيداً إلى أسفل ، خلف طريق ريفرسايد درايف ، باتجاه النهر . أمسك كل منهما بيد الآخر وسارا مسرعين خلال الحديقة متجهين إلى سيارتهما المتوقفة فى شارع فرونت ستريت .

٢٤

. . . .

للمرة الثانية خلال تاريخه المهنى ، سُمح لـ " ميتش ماكدير " أن يزور قاعة الطعام المهيبة بالطابق الخامس . جاءت الدعوة من آفرى تولار بزعم أن الشركاء كلهم أصابهم الانبهار من متوسط ساعات عمل ميتش خلال شهر فبراير والتى بلغت إحدى وسبعين ساعة أسبوعياً ، ولذلك فإنهم أرادوا تقديم مكافأة صغيرة عن طريق دعوته للغداء . لقد كانت دعوة لا يمكن لمحام أن يرفضها ، بغض النظر عن جدول أعماله واجتماعاته وعملائه والمواعيد النهائية وكل الجوانب المهمة للغاية والطارئة بشدة والتى تتعلق بمستقبله المهنى فى شركة بنديني ، لامبرت آند لوك . ولم يحدث أبداً أن رفض أحد المحامين تلبية دعوة لزيارة قاعة الطعام . وكل محامٍ كان يتسلم دعوتين فى السنة . وكانت هناك سجلات لذلك .

كان لدى ميتش يومان ليستعد للأمر . وكانت رغبته الأولى هى الاعتذار عن قبول الدعوة ، وعندما ذكر تولار الأمر للمرة الأولى مرت برأسه عشرات الأعذار الواهية . كان تناول الطعام والابتسام والدردشة ومصاحبة المجرمين ، بغض النظر عن ثرائهم ومظهرهم ، تبدو فكرة أقل جاذبية من مشاركة وعاء من الحساء مع شخصٍ متشرد عند محطة الأتوبيس . ولكن رفضه سيكون خرقاً شديداً للتقاليد المتبعة . ونظراً لسير الأحداث ، فإن تحركاته كانت مثيرة للشبهات بالفعل .

ولذلك جلس وظهره للنافذة ووضع على وجهه ابتسامة مصطنعة وأخذ يتبادل كلمات قليلة مع تولار ، ورويس مكنايت ، وبالطبع ، أوليفر لامبرت . كان يعلم أنه سيتناول الطعام على نفس الطاولة التى يجلس عليها هؤلاء الثلاثة . كان يعلم ذلك منذ يومين . كان يعلم أنهم سيراقبونه بحرص ، ولكن بهدوء ، محاولين أن يكتشفوا أى انخفاض للحماس ، أو السخرية المريرة ، أو اليأس . سيحاولون تبين أى شيء . كان يعلم أنهم سيراقبون كل كلمة ، مهما كان ما يقوله . كان يعلم أنهم سيلقون بالمديح والوعود فوق أكتافه المرهقة .

لم يكن أوليفر يبدو أكثر سحراً من ذلك اليوم . واحد وسبعون ساعة عمل أسبوعيا في شهر فبراير بالنسبة لمحام مبتدئ كان رقماً قياسياً جديداً بالشركة ، هكذا قال لامبرت بينما كان روزفلت يقدم لحم الضلوع المشوى . أخذ لامبرت يقلب النظر فى أنحاء القاعة بينما كان يشرح بصوت خافت كيف أن كل الشركاء مبهورون وسعداء . أجبر ميتش نفسه على الابتسام وأخذ يقطع اللحم فى طبقه . أما الشركاء الآخرون ، سواء كانوا مبهورين أو غير مكترثين ، كانوا يتحدثون فى تكاسل ومنشغلين بالطعام . أحصى ميتش ثمانية عشر شريكاً عاملا وسبعة من المتقاعدين ، الذين كانوا يرتدون السراويل الكاكي والسترات وكانت على وجوههم نظرات الاسترخاء .

قال رويس مكنايت ، وفمه ممتلئ بالطعام : " لديك قدرة تحمل غير عادية يا ميتش " . أومأ ميتش في أدب . نعم ، نعم ، إننى أتدرب على قوة التحمل طوال الوقت ، هكذا قال ميتش لنفسه . على قدر ما تمكن ، أبعد تفكيره عن جو هودج ومارتى كوزنسكى والمحامين الثلاثة الموتى الذين خلدت ذكراهم على حائط مكتبة الطابق الأول . لكن كان من المستحيل أن يبعد عقله عن صور فتاة الشاطئ ، وأخذ يتساءل إذا كانوا جميعا يعلمون . هل كلهم شاهد الصور ؟ هل تناقلوها بينهم

كأحدى وجبات الغداء التى يحضرها الشركاء فقط دون ضيوف ؟ لقد وعد ديفاشر أن يحتفظ بها لنفسه ، ولكن هل يثق فى وعد من مجرم ؟ بالتأكيد قد رأوها . لقد قال فويلس إن كل الشركاء ومعظم المحامين مشتركون بهذه المؤامرة .

بالنسبة لرجل فقد شهيته ، استطاع أن يأكل جيداً . لقد تمادى فى تظاهره وأكل قطعة لحم إضافية ، فقط لكى يبدو طبيعياً . وألا يبدو أن هناك ما يفقده الشهية .

قال أوليفر لامبرت : " إذن فسوف تذهب أنت وآبى إلى جزر كايمان الأسبوع القادم ؟ "

" نعم ، إنها عطلة الربيع فى مدرسة آبى ، ولقد قمنا بحجز إحدى استراحتى الشركة منذ شهرين . نحن نتطلع إلى هذه الإجازة " .

قال تولار فى امتعاض : " إنه وقت فظيع للقيام بإجازة . نحن متأخرون شهراً عن المواعيد النهائية للقضايا " .

" نحن دائماً متأخرون يا تولار . إذن فما الفارق الذى سيحدثه أسبوع آخر ؟ أظن أنك تريد منى أن آخذ ملفاتى معى ؟ "

" ليست فكرة سيئة . دائماً ما أفعل ذلك " .

قال أوليفر لامبرت فى اعتراض ساخر : " لا تفعل ذلك يا ميتش . هذه الشركة ستظل فى مكانها عندما تعود . أنت وآبى تستحقان أسبوعاً تستمتعان به بمفردكما " .

" سوف يعجبك المكان هناك " . قال رويس مكنايت ذلك ، كأن ميتش لم يذهب إلى هناك من قبل وأن ما حدث مع فتاة الشاطئ لم يحدث على الإطلاق وأن لا أحد يعلم بأمر الصور .

تساءل لامبرت : " متى ستغادران ؟ "

" صباح الأحد . فى وقت مبكر " .

" هل ستستقلان طائرة الشركة الخاصة ؟ "

" كلا . سنستقل إحدى رحلات طيران شركة دلتا دون توقف " .

تبادل لامبرت ورويس مكنايت نظرات سريعة كان من المفترض ألا يراها ميتش . كان هناك نظرات أخرى من بقية الموائد ، نظرات خاطفة من وقت لآخر مليئة بالفضول تنبه إليها ميتش منذ أن دخل القاعة . لقد كان هناك لكى يلاحظ الكل وجوده .

" هل تمارس رياضة الغطس الحر ؟ " تساءل لامبرت ، وهو مازال يقارن بين طائرة الشركة الخاصة (لير) في مقابل طائرات شركة طيران دلتا .

أجاب ميتش : " كلا ، لكننا نخطط لممارسة بعض الغطس باستخدام معدات الغطس " .

" هناك مدرب غطس في روم بوينت ، عند النهاية الشمالية ، ويدعى ادريان بينش ، لديه مركز رائع لتعليم الغطس وسوف يمنحك شهادة الغطس خلال أسبوع . سيكون أسبوعاً شاقاً ، مليئاً بالتعليمات ، لكن الأمر يستحق التعب " .

بكلمات أخرى ، ابتعد عن ابانكس ، هكذا فكر ميتش . ثم تساءل : " ما اسم مركز الغطس هذا ؟ "

" روم بوينت ديفرس . مكان رائع " .

ظهرت ملامح التفكير الجدى على وجه ميتش كأنه يسجل هذه النصيحة القيمة داخل عقله . فجأة ، أصاب الحزن أوليفر لامبرت وقال : " احترس يا ميتش . إن ذلك المكان يجلب ذكريات مارتى وجو " .

حدق تولار ومكنايت النظر في أطباقهما لجزء من الثانية حداداً على الشابين الميتين . ابتلع ميتش طعامه بصعوبة وكاد ينظر إلى أوليفر لامبرت نظرة سخرية . لكنه احتفظ بهدوء ملامحه ، لدرجة أنه استطاع أن يتظاهر بالحزن مثل بقيتهم . مارتى وجو وأرملتاهما

الشابتان وأطفالهما الذين سيعيشون بدون أب . مارتى وجو ، محاميان شابان وثريان قتِلا بطريقة محترفة وتم التخلص منهما قبل أن يتمكنا من التحدث . مارتى وجو ، محاميان واعدان تم القضاء عليهما بواسطة زملائهما . لقد أخبر فويلس ميتش أن يفكر فى مارتى وجو كلما رأى وجه أوليفر لامبرت .

والآن ، ومقابل مليون دولار ، من المفترض أن يقوم هو بما كان مارتى وجو على وشك فعله ، دون أن يمسك به أحد . ربما بعد عام من الآن سوف يجلس المحامى الجديد على تلك الطاولة ويشاهد الحزن المرتسم على وجوه الشركاء وهم يتحدثون عن المحامى الشاب ميتش ماكدير وعن قدرة تحمله الرائعة وعن أنه كان من المؤكد أن يصبح محامياً عظيماً لولا الحادثة التى تعرض لها وأودت بحياته . كم محاميا سيقتلون ؟

كان يريد مليونين من الدولارات . إلى جانب أشياء أخرى .

بعد ساعة من الكلام المهم والطعام الجيد ، بدأ الغداء ينفض بينما استأذن الشركاء للمغادرة ، وتحدثوا إلى ميتش قليلاً ثم غادروا القاعة . قالوا إنهم فخورون به . لقد كان نجم المستقبل اللامع . مستقبل شركة بنديني ، لامبرت آند لوك . ابتسم وشكرهم .

فى الوقت الذى قام فيه روزفلت بتقديم فطيرة كريم الموز والقهوة ، قامت تامى جرين وود هيمفيل من شركة جرين وود سيرفس بإيقاف سيارتها البنية القذرة خلف البيجو البراقة فى ساحة انتظار مدرسة سانت اندروز . تركت المحرك يدور . خطت أربع خطوات ، ثم دست مفتاحاً داخل صندوق السيارة البيجو وانتزعت حقيبة المستندات السوداء الكبيرة . أغلقت صندوق السيارة بقوة وأسرعت إلى سيارتها الصغيرة .

من خلال نافذة صغيرة فى حجرة المدرسين ، ارتشفت آبى قهوتها وحدقت النظر خلال الأشجار ، وراء أرض الملعب وإلى ساحة الانتظار البعيدة . كانت بالكاد ترى سيارتها . ابتسمت وتفقدت ساعتها . الثانية عشرة والنصف ، فى الموعد المخطط تماماً .

انطلقت تامي تقود سيارتها بحرص خلال حركة مرور الظهيرة متجهة إلى وسط المدينة . كانت القيادة أمراً مرهقاً عندما تظل تتطلع إلى المرآة الخلفية . وكالعادة ، لم تر أى شيء . أوقفت سيارتها فى المكان المخصص لها فى الناحية المقابلة من الشارع المواجه لمبنى كوتون ايكسشنج .

كان هناك تسعة ملفات فى هذه الحقيبة . رتبتها بدقة فوق الطاولة المطوية ثم بدأت عملية النسخ . شركة سيجالس بارتنرز ، ليتى بلانك تراست ، هاندى مان هاردوير ، وملفان آخران مربوطان دون إحكام بشريط مطاط عريض وكتب فوقهما ملفات تولار . صنعت نسختين من كل مستند داخل الملفات وفى حرص أعادت جمع الأوراق مرة أخرى . فى دفتر تسجيل ، قامت بتسجيلٍ التاريخ والوقت واسم كل ملف . أصبح هناك تسعة وعشرون قيداً فى السجل . قال ميتش إن الرقم النهائى سيكون تقريباً أربعين قيداً . وضعت نسخة من كل ملف داخل الخزانة المخفية فى الصوان ، وأعادت تعبئة حقيبة المستندات بالملفات الأصلية إلى جانب نسخة أخرى من كل ملف .

وبموجب التعليمات التى أعطاها ميتش إليها ، فقد قامت فى الأسبوع الماضى بتأجير حجرة تخزين صغيرة باسمها فى مجمع خزانات سامر أفينيو . كان المجمع يبعد أربعة عشر ميلاً من وسط المدينة ، وبعد ثلاثين دقيقة وصلت إلى المجمع وقامت بفتح الخزانة رقم ٣٨ سى . داخل صندوق من الكرتون المقوى وضعت النسخة الأخرى

من الملفات التسعة وقامت بتسجيل التاريخ فوق حاشية الصندوق . وضعت الصندوق إلى جوار ثلاثة صناديق أخرى على الأرض .

في تمام الساعة الثالثة عصراً ، دلفت سيارتها إلى ساحة انتظار مدرسة سانت أندروز ، وتوقفت خلف سيارة آبى البيجو ، ثم فتحت صندوق سيارة آبى ووضعت الحقيبة حيث وجدتها تماماً .

بعد ثوان ، خرج ميتش من المدخل الأمامي لمبنى بنديني وفرد ذراعيه . تنفس بعمق وحدق النظر على طول شارع فرونت ستريت . كان يوماً من أيام الربيع الجميلة . على بُعد ثلاثة مربعات سكنية وفي نافذة الطابق التاسع ، لاحظ أن ستائر النافذة قد جذبت إلى الأسفل . الإشارة المتفق عليها . حسناً ، كل شيء على ما يرام . ابتسم لنفسه ، وعاد إلى مكتبه .

في تمام الثالثة فجر اليوم التالى ، خرج ميتش من فراشه وفي صمت ارتدى سروالاً من الجينز باهت اللون ، وقميصاً صوفياً أشبه بقمصان المدارس ، وجوارب بيضاء ثقيلة ، وحذاء عمل قديماً ذا رقبة . كان يريد أن يبدو كسائق شاحنة . ودون كلمة واحدة ، قَبَّل آبى ، التي كانت متيقظة ، ثم غادر المنزل . كان شارع إيست ميدوبروك خالياً ، مثل كل الشوارع بين منزله وطريق الولايات . بالتأكيد لن يتبعوه في هذه الساعة .

قاد سيارته على طريق الولايات رقم ٥٥ متجهاً جنوباً لمسافة خمسة وعشرين ميلاً حتى مدينة سيناتوبيا ، بولاية مسيسبى . ظهرت الأضواء البراقة لاستراحة شاحنات تعمل طوال الليل وتسمى ٥٥ ـ ٤ على بعد مائة ياردة من الحارة الرابعة للطريق . اندفع بين الشاحنات إلى خلف الاستراحة حيث تقف مئات المقطورات لقضاء الليل . أوقف سيارته بجانب ساحة غسيل الشاحنات وانتظر . مرت بالمكان دستة من

المقطورات الضخمة تسير في طريق متعرج حول المضخات . خرج من وراء أحد الأركان شخص أسود يرتدى قبعة فريق فالكون لكرة القدم وحدق النظر إلى سيارة ميتش الـ " بى . إم . دبليو " . تعرف ميتش عليه حيث كان نفس عميل المباحث الذى وقف ينتظره في صالة انتظار الحافلات في نوكسفيل . أوقف ميتش المحرك وخرج من السيارة .

تساءل العميل : " ماكدير ؟ "

" بالطبع . من سيأتي غيرى ؟ أين تارانس ؟ "

" بداخل إحدى الحجرات ، يجلس بجوار النافذة . إنه ينتظرك " .

فتح ميتش باب السيارة وناول العميل المفاتيح قائلا : " أين ستأخذون السيارة ؟ "

" لمسافة قريبة على الطريق . سوف نرعاها من أجلك . لم يتبعك أحد وأنت قادم من ممفيس . اطمئن " .

دلف الرجل إلى داخل السيارة ، وانطلق بين مضختي ديزل واتجه إلى طريق الولايات . شاهد ميتش سيارته الصغيرة وهى تختفى وهو فى طريقه إلى داخل المقهى الخاص بالاستراحة . كانت الساعة تشير إلى الثالثة وخمس وأربعين دقيقة .

كانت الضوضاء تعم الغرفة التى امتلأت برجال ضخام الجثة فى منتصف العمر جلسوا يشربون القهوة ويتناولون الفطائر الجاهزة . كانوا ينظفون أسنانهم بأعواد الأسنان الملونة ويتحدثون عن صيد سمك القاروس وعن السياسة وهم يجلسون فى صالة الانتظار . كان كثير منهم يتحدثون بلكنة شمالية وبصوت مرتفع . وانطلق صوت المغنية ميريل هاجارد عبر صندوق الموسيقى .

تحرك ميتش بحرج متجهاً إلى الخلف حتى رأى فى ركن مظلم ذلك الوجه المألوف يختفى وراء نظارة شمسية من الطراز الذى يرتديه

الطيـارون ونفـس القبعـة الرياضـية الخاصـة بفريـق ولايـة ميتشـجان للبيسبول . ثم ابتسم صاحب الوجه . كان تارانس يمسك بقائمة الطعـام ويراقب الباب الأمامي . دلف ميتش إلى الحجـرة التـي جلـس تـارانس بداخلها .

قـال تـارانس : " مرحبـاً يـا صـديقي .كيـف تجـد العمـل بالشاحنات ؟ "

" رائع . على الرغم من أنني أفضل الحافلات " .

" فـي المـرة القادمـة سنجرب قطـاراً أو وسـيلة مواصـلات أخـرى . لمجرد التنويع . هل أخذ لاني سيارتك ؟ "

" لاني ؟ "

" الشخص الأسود . إنه عميل مباحث إذا لم تكن تعلم " .

" لم نتعـرف بشـكل رسمـي . نعـم ، لقـد أخـذ سيارتي . إلى أيـن سيأخذها ؟ "

" على طريق الولايات . سيعود بها خـلال سـاعة أو مـا يقـرب مـن ذلك . سنحاول أن ننتهي قبل الخامسة حتى تنطلق بسيارتك وتصل إلى المكتب في السادسة . نحن نكره أن نفسد يومك " .

" لقد فسد اليوم بالفعل " .

اقتربت نادلة مصابة بشلل جزئـي وتـدعى دوت منهمـا وطلبـت أن تعـرف مـاذا يريـدان أن يتنـاولا . وكـان الـرد مجـرد قهـوة . انـدفعت مجموعة من سائقي الشاحنات من الباب الأمامي وملأوا المقهى . لم يعـد صوت المغنية يُسمَع سوى بصعوبة .

تسـاءل تـارانس فـي مـرح : " إذن كيـف حـال بقيـة الـزملاء فـي المكتب ؟ "

" كل شيء بخيرٍ . العدّادات مازالت تعمـل ونحـن نـتكلم والجميـع يزدادون ثراء . شكراً على سؤالك " .

" على الرحب والسعة " .

تساءل ميتش : " كيف حال صديقي القديم فويلس ؟ "

" إنه في غاية القلق . لقد اتصل بي مرتين وكرر عليّ للمرة العاشرة رغبته في الحصول على إجابة منك . قال إنك أخذت كثيراً من الوقت وكل هذا الكلام . أخبرته أن يهدأ . أخبرته عن موعدنا الليلة على الطريق وتحمسٍ كثيراً لذلك . من المفترض أن أتصل به خلال أربع ساعات تحديداً " .

" أخبره أن مليون دولار لن تكفي يا تارانس . إنكم تتباهون بأنكم تنفقون المليارات على محاربة الجريمة المنظمة ، ولذلك أقول ألقوا قليلاً من المال تجاهي . ماذا تساوى مليونا دولار بالنسبة للحكومة الفيدرالية ؟ "

" إذن فقد أصبح المبلغ المطلوب مليوني دولار ؟ "

" نعم إنها مليونا دولارٍ بحق السماء . وليس قرشاً أقل . أريد مليون دولار الآن ، ومليوناً لاحقاً . أنا أقوم بنسخ جميع الملفات التي أعمل عليها ، ومن المفترض أن أنتهي منها خلال عدة أيام . ملفات قانونية ، وأظن أنني إذا أعطيتها لأي شخص فقد أشُطَب من سجل المحامين نهائياً . ولذلك عندما أعطيك إياهم ، أريد أن تعطيني المليون الأول . دعنا نسميها دفعة إثبات حسن النوايا " .

" كيف تريد أن تحصل على المال ؟ "

" عليكم إيداعه في حساب بأحد بنوك سويسرا . لكن سوف نناقش التفاصيل لاحقاً " .

وضعت دوت اثنين من صحون الفناجين فوق الطاولة ثم وضعت فوقهما فنجانين غير متماثلين . صبت القهوة من ارتفاع ثلاثة أقدام وجعلت القهوة تتناثر في كل اتجاه . قالت وهي تبتسم مغادرة المكان : " يمكنكما إعادة ملء الفناجين كما تشاءون " .

تساءل تارانس ، متجاهلاً القهوة : " ماذا عن المليون الثانى ؟ "

" عندما نتفق أنا وأنت وفويلس على أننى قد زودتكم بما يكفى من المستندات للحصول على الإدانات المطلوبة ، أحصل على نصف مليون . وبعد أن أشهد فى المحكمة للمرة الأخيرة ، أحصل على النصف مليون الآخر . هذا منصف للغاية يا تارانس " .

" إنه كذلك . لقد حصلت على اتفاق " .

تنفس ميتش بعمق ، وشعر بالضعف . اتفاق . عقد . اتفاقية . شيء لا يمكن كتابته على ورق ، ولكنه نافذ المفعول رغم ذلك . ارتشف قهوته دون أن يتذوقها . لقد اتفقا على المال . لقد وصل إلى نصف الطريق . يجب أن يستمر فى الضغط عليهم .

" هناك شيء آخر يا تارانس " .

أخفض تارانس رأسه والتفت يميناً ثم تساءل : " ماذا ؟ " .

اقترب ميتش من الطاولة ، مسنداً ذراعيه فوقها وقال : " شيء لن يكلفكم مليماً ، ويمكنكم تنفيذه دون مشقة " .

" أنا منصت لك " .

" أخى راى سجين فى سجن مقاطعة براشى ماونتين . بقى له سبع سنين على إطلاق السراح المشروط . أريده أن يخرج " .

" هذا سخيف يا ميتش . يمكننا أن نقوم بالكثير من الأشياء ، ولكننا بالتأكيد لا نستطيع منح عفو مشروط لأحد سجناء الولاية . لو كان فى أحد السجون الفيدرالية لكان ذلك ممكناً ، ولكن ليس فى سجن الولاية . هذا مستحيل " .

" استمع إلىَّ يا تارانس ، واستمع جيداً . إذا انطلقت هارباً والمافيا فى أعقابى ، يجب أن ينطلق أخى معى . اعتبرها صفقة مجمّعة . وأنا اعلم أنه إذا أراد المدير فويلس خروج راى من السجن ، فسوف يخرج

من السجن . أنا أعلم ذلك جيداً . والآن ، عليكم يا رفاق أن تفكروا بطريقة لتحقيق ذلك " .

" لكننا لا نملك أى سلطات للتدخل فى سجون الولايات " .

ابتسم ميتش وأعاد قدح القهوة ثم قال : " يمكن أن يهرب جيمس إيرل راى من سجن مقاطعة براشى ماونتين . دون أية مساعدات خارجية " .

" أوه ، هذا رائع . سوف نهاجم السجن مثل قوات الكوماندوز وننقذ أخاك . جميل للغاية " .

" لا تتظاهر بالغباء معى يا تارانس . هذا الأمر غير قابل للتفاوض " .

" حسناً ، حسناً . سأرى ما يمكننى عمله . هل هناك شيء آخر ؟ هل توجد أى مفاجآت إضافية ؟ "

" كلا ، مجرد أسئلة حول أين سنذهب وماذا سنفعل . أين سنختبئ فى بداية الأمر ؟ أين سنختفى أثناء المحاكمات ؟ أين سنعيش بقية حياتنا ؟ مجرد أسئلة بسيطة كهذه " .

" يمكننا أن نناقش ذلك لاحقاً " .

" ماذا أخبرك هودج وكوزنسكى ؟ "

" معلومات غير كافية . لدينا دفتر ، أو قل دفتر ضخم ، سجلنا ورتبنا فيه المعلومات المتراكمة لدينا عن عائلة مورولتو وعن الشركة . معظمها تتعلق بعائلة مورولتو ، منظمتهم ، الأشخاص المهمين ، نشاطاتهم الإجرامية ، وهكذا . يجب أن تقرأ هذه المعلومات قبل أن تبدأ العمل " .

" سيكون ذلك بالطبع بعد أن أحصل على المليون الأول " .

" بالطبع ، متى يمكن أن نحصل على الملفات ؟ "

" خلال أسبوع تقريباً . لقد تمكنت من نسخ أربعة ملفات تخص محام آخر بالشركة . قد أستطيع أن أضع يدى على بعض الملفات الأخرى من تلك النوعية " .

" من يقوم بعملية النسخ ؟ "

" هذا أمر لا يخصك " .

فكر تارانس لثانية ثم ترك الأمر يمر . قال تارانس : " كم عدد الملفات التي يمكنك نسخها ؟ "

" ما بين الأربعين والخمسين ملفاً . يجب أن أخرجها خلسة على مراحل . بعضها أعمل عليه منذ ثمانية شهور ، وبعضها بدأت العمل عليه منذ أسبوع فقط . على قدر معلوماتى ، أستطيع أن أقول إن جميعها لعملاء يعملون بشكل قانونى " .

" كم من هؤلاء العملاء قابلتهم بشكل شخصى ؟ "

" اثنان أو ثلاثة " .

" لا تراهن أنهم جميعاً يعملون بشكل قانونى . لقد أخبرنا هودج عن بعض الملفات المزيفة ، أو ما يعرفه الشركاء باسم الملفات الوهمية ، وهذا الأمر يتم فى أرجاء الشركة منذ سنوات وكل محام مبتدئ يجب أن يجتهد فى العمل على تلك الملفات ؛ ملفات ضخمة تتطلب مئات من ساعات العمل وتجعل المحامى المبتدئ يحس كأنه محام حقيقى " .

" ملفات وهمية ؟ "

" هذا ما قاله هودج . إنها لعبة سهلة يا ميتش . إنهم يجذبونك بالمال . إنهم يخنقونك بالعمل الذى يبدو قانونياً وفى كثير من الأحيان يكون كذلك بالفعل . ثم ، بعد عدة سنوات ، فإنك تصبح دون وعى جزءاً من المؤامرة . إنهم يسيطرون على المحامى حتى لا يجد لنفسه مهرباً . وحتى أنت يا ميتش . لقد بدأت العمل فى يوليو ، منذ ثمانية شهور ، وقد تكون بالفعل قد لامست بعض الملفات القذرة . لكنك لم

تعرف ذلك ، ولم يكن لديك سبب يجعلك تشتبه بالأمر . لكنهم قد أوقعوا بك داخل الفخ بالفعل " .

" أريد مليوني دولار يا تارانس . مليوني دولار وأخي راى " .

احتسى تارانس قهوته وطلب قطعة من فطيرة جوز الهند عندما اقتربت دوت من مجال استراق السمع . تفقد ساعته وألقى نظرة فاحصة على الحشد المجتمع من سائقي الشاحنات ، الذين جلسوا جميعا يدخنون ويشربون القهوة ويمارسون النميمة .

عدل من وضع نظارته الشمسية وقال : " إذن ، ماذا أقول للسيد فويلس ؟ "

" أخبره أننا لن نصل إلى اتفاق حتى يوافق على إخراج راى من السجن . لا يوجد اتفاق دون ذلك يا تارانس " .

" أعتقد أننا نستطيع أن نتوصل إلى حل ما " .

" أنا واثق من قدرتكم على ذلك " .

" متى ستغادر إلى جزر كايمان ؟ " .

" صباح الأحد ، لماذا ؟ " .

" مجرد فضول ، لا أكثر " .

" حسناً ، أود أن أعرف كم جماعة مختلفة سوف تراقبنا هناك . هل هذا طلب مبالغ فيه ؟ أنا واثق أننا سنجتذب حشداً ، وبصراحة ، كنا نأمل أن نحظى ببعض الخصوصية " .

" هل ستقيمان فى استراحة الشركة ؟ "

" بالطبع " .

" انس الخصوصية . لعلها تمتلئ الآن بأسلاك أجهزة التنصت أكثر مما يوجد بلوحة مفاتيح كهربية . وقد يكون هناك بعض كاميرات المراقبة أيضاً " .

" هذا مريح للغاية . ربما نبقى ليلتين فى مركز الغطس الذى يمتلكه ابانكس . إذا مررتم بالجوار يا رفاق ، فتوقفوا لتناول مشروب سريع " .

" ظريف للغاية . إذا تواجدنا هناك ، فسوف يكون ذلك لسبب مهم . ولن تشعر بوجودنا أساساً " .

أكل تارانس الفطيرة في ثلاث قضمات . ترك دولارين على الطاولة وتحركا نحو مؤخرة الاستراحة المظلمة . كان الإسفلت القذر يهتز تحت تأثير الطنين المنتظم لمحركات الديزل التى امتدت على مساحة فدان كامل . انتظر ميتش وتارانس فى الظلام .

قال تارانس : " سوف أتحدث مع فويلس خلال عدة ساعات . لماذا لا تذهب أنت وزوجتك فى نزهة بالسيارة لمشاهدة المناظر الخلابة بعد ظهر السبت " .

" أى مكان بالتحديد ؟ "

" هناك مدينة تسمى هولى سبرنجس على بعد ثلاثين ميلاً إلى الشرق من هنا . مدينة قديمة ، مليئة بالمنازل التى أقيمت بعد الحرب الأهلية وبها أماكن تاريخية كثيرة . تحب النساء قيادة سياراتهن حول المكان والتطلع إلى القصور القديمة . كن هناك حوالى الرابعة وسوف نعثر عليك . سيقود صديقنا لانى سيارة شيفى حمراء بلوحات تخص ولاية تينيسى . اتبعه . سوف نجد مكاناً لكى نتحدث " .

" هل هذا المكان آمن ؟ "

" ثق بنا . إذا رأينا أو أحسسنا بأى خطر ، سوف نلغى اللقاء . قم بالقيادة حول المدينة لمدة ساعة ، وإذا لم تر لانى ، اشتر بعض الشطائر وارجع إلى المنزل . ستعرف بذلك أنهم قريبون للغاية . إننا لن نخاطر أبداً " .

" شكراً . كم أنتم رائعون " .

توقف لإنى بالسيارة الـ " بى . إم . دبليو " . حول أحد الأركان وقفز خارجاً منها قائلا : " كل الأمور على ما يرام . لم يكن هناك أثر لأى شخص " .

قال تارانس : " جيد . أراك غداً يا ميتش . أتمنى لك عملاً مزدهراً فى قيادة الشاحنات " . صافح كل منهما الآخر .

" العرض ليس قابلاً للتفاوض يا تارانس " . قال ميتش ذلك مرة أخرى .

" يمكنك أن تنادينى بواين . أراك غداً " .

٢٥

. . . .

كانت السحب الرعدية السوداء والمطر المنهمر قد أجبرا المصطافين على ترك شاطئ سفن مايل عندما وصل آل ماكدير ، المتعبون والمبتلون ، إلى الاستراحة الفخمة المزدوجة . أوقف ميتش السيارة الجيب المستأجرة عند حاجز الطريق ، أمام العشب القصير الذى يحيط بالباب الأمامى . كانت هذه هى الاستراحة رقم ٢ . وقد قضى ميتش زيارته الأولى فى الاستراحة رقم ١ . كانت الاستراحتان شبه متطابقتين ولم يفصل بينهما سوى الطلاء وتقليم العشب . دس ميتش المفتاح داخل رتاج الباب وأخذ هو وآبى يجران حقائبهما ويلقيان بها إلى الداخل بينما تفجرت السحب وازداد المطر هطولاً .

وما إن دلف الاثنان إلى الجو الجاف بالداخل ، حتى أخذا يفرغان الحقائب فى حجرة النوم الرئيسية بالطابق العلوى والتى تطل شرفتها الكبيرة على الشاطئ المبتل بماء المطر . وبحرص فى استخدام الكلمات ، أخذا يتفحصان المنزل ويتفقدان كل الحجرات وخزانات الملابس . كانت الثلاجة خاوية ، لكن المطبخ كان ممتلئاً عن آخره بجميع الأدوات اللازمة . تناول ميتش مشروباً كان قد اشتراه فى طريقه للاستراحة ، كنوع من التحية للجزيرة . جلسا فى الشرفة وأقدامهما مبتلة بالمطر وشاهدا المحيط يتقلب ويندفع تجاه الشاطئ . كان ملهى رومهيدس هادئاً ويظهر بالكاد من تلك المسافة . كان هناك

رجلان من أهالى الجزيرة يجلسان عند إحدى المناضد بالملهى ، يشربان ويشاهدان المحيط .

قال ميتش ، وهو يشير بيده التى تحمل المشروب : " ذلك هو ملهى رومهيدس " .

" رومهيدس ؟ "

" لقد أخبرتك عنه . إنه ملهى شهير يرقص ويستمتع فيه السائحون ويلعب سكان الجزيرة الدومينو أيضا " .

" فهمت " . لم تكن آبى منبهرة . أخذت تتثاءب وانخفضت أكثر داخل الكرسى البلاستيك . ثم أغلقت عينيها .

" أوه ، هذا رائع يا آبى . إنها أول رحلة لنا خارج البلاد ، أول شهر عسل نقضيه ، وأنت تشعرين بالنعاس بعد عشر دقائق من وصولنا " .

" أشعر بالإرهاق يا ميتش . لقد حزمت الحقائب طيلة ليلة الأمس بينما كنت تغط فى النوم " .

" لقد حزمت ثمانى حقائب ـــ ستة من أجلك واثنين من أجلى . لقد حزمت كل الملابس التى لديك . لا عجب انك ظللت مستيقظة طوال الليل " .

" لا أريد أن أجد نفسى بلا ملابس هنا " .

" بلا ملابس ؟ كم رداء بحر جلبت ؟ عشرة ؟ أم اثنى عشر ؟ "

" ستة " .

" عظيم . واحد لكل يوم . لماذا لا ترتدين واحداً الآن ؟ "

" ماذا ؟ "

" لقد سمعت ما قلت . اذهبى وارتدى ذلك الرداء الأزرق القصير الذى به شريطان من الأمام ، ذلك الذى لا يزن أكثر من نصف جرام

وثمنه ستون دولاراً والذى يظهر جسمك كله عندما تمشين وأنت ترتدينه . أريد أن أراه " .

" إنها تمطر يا ميتش . لقد أحضرتنى إلى هذه الجزيرة خلال موسم الأمطار . انظر إلى تلك السحب . سوداء وكثيفة ومستقرة . لا أظن أننى سأحتاج إلى رداء سباحة هذا الأسبوع " .

ابتسم ميتش وبدأ يدلك يديها قائلاً : " أظن أننى أفضل هذا المطر . فى الواقع ، أتمنى أن تمطر طوال الأسبوع . سوف يبقينا المطر داخل الاستراحة ، داخل الفراش ، نأكل ونشرب ونحاول أن نمارس الألعاب العنيفة " .

" أنا مصدومة . هل تعنى حقاً أنك ترغب فى الجلوس بصحبتى ومبادلتى الحب طوال فترة بقائنا هنا ؟ إنك لم تفعل ذلك منذ زمن " .

" أرغب فى ذلك حقاً " .

" لقد ظننت أنك أردت أن تأتى إلى هنا من أجل الغطس الحُر والغوص بأنبوب الهواء طيلة الأسبوع " .

" كلا . أعتقد أن هناك أسماك قرش فى المحيط تنتظرنى " .

عصفت الرياح بشدة وأغرق المطر الشرفة .

قال ميتش : " هيا ندخل لنغير هذه الملابس المبتلة " .

بعد ساعة ، بدأت العاصفة تتحرك بعيداً . قَلَّت حدة المطر ، ثم تحول إلى رذاذ خفيف ، ثم انتهى تماماً . أضاءت السماء حيث بدأت السحب القاتمة المنخفضة تغادر الجزيرة الصغيرة متجهة إلى الشمال الغربى ، تجاه كوبا . وقبل موعد غروبها المحدد خلف الأفق ، ظهرت الشمس فجأة لفترة وجيزة . وقد أخلى طلوع الشمس أكواخ الشاطئ ومنازل المدينة واستراحاتها وغرف الفنادق من ساكنيها حيث اندفع السائحون فوق رمال الشاطئ متجهين نحو الماء . امتلأ رومهيدس فجأة

بهواة رشق السهام والمصطافين الظامئين . وتم استئناف مباريات الدومينو من حيث توقفت ، وبدأت فرق موسيقى الكاريبي تواصل عزفها من قاعة فندق بالمز المجاورة .

مشى ميتش وآبى على حافة الشاطئ دون هدف باتجاه مدينة جورج تاون ، بعيداً عن المكان الذى التقى فيه فتاة الشاطئ . فكر بها ميتش من وقت لآخر ، وبالصور الفوتوغرافية . كان ميتش قد اقتنع أنها محترفة وأنها كانت مستأجرة من قِبَل ديفاشر لكى تغويه وتقهر مقاومته أمام عدسات الكاميرا . لم يتوقع أن يراها هذه المرة .

وكأنها إشارة محددة ، توقفت الفرقة عن العزف ، وتسمر المصطافون فى أماكنهم لكى ينظروا ، وهدأت الضوضاء فى رومهيدس بينما تعلقت العيون كلها بقرص الشمس وهو يعانق صفحة الماء . تعلقت السحب البيضاء والرمادية ، بقايا العاصفة المنتهية ، فى نهاية الأفق وسرعان ما غطست مع الشمس . تحولت السحب إلى ظلال برتقالية وصفراء وحمراء ، ظلال باهتة فى البداية ، ثم ازدادت درجات ألوانها فجأة . للحظات قصيرة ، كانت السماء بمثابة لوحة زيتية رائعة الألوان ونثرت الشمس سهام أشعتها الملونة تنطلق بقوة فى كل اتجاه . ثم لامست الكرة البرتقالية العملاقة سطح الماء وفى خلال ثوان غاصت داخل الماء . صارت السحب سوداء ومشتتة . كان ذلك هو غروب الشمس فى جزر كايمان .

* * *

بخوف وحذر كبيرين ، أخذت آبى تقود السيارة الجيب ببطء فى مرور الصباح المبكر فى منطقة المحلات التجارية والتسوق . وكأى شخص قادم من كينتاكى ، لم تكن قد قادت السيارة على الجانب الأيسر من الطريق فى أى وقت من قبل . كان ميتش يعطيها الاتجاهات ويراقب المرآة العكسية . كانت الشوارع الضيقة والأرصفة قد امتلأت

بالفعل بالسائحين الذين خرجوا للتسوق من نوافذ المحلات بحثاً عن أطقم المائدة الصينى ، والكريستال ، والعطور ، والكاميرات والحلى .

أشار ميتش إلى شارع جانبى مختف عن الأعين ، وانطلقت الجيب بين مجموعتين من السائحين . قَبَّل ميتش آبى على وجنتها وقال : " سوف ألقاك هنا فى الخامسة " .

قالت آبى : " كن حريصاً . سوف أذهب إلى البنك ثم أبقى على الشاطئ قرب الاستراحة " .

أغلق ميتش الباب بقوة واختفى بين متجرين صغيرين . كان الزقاق يقود إلى شارع أكبر والذى كان بدوره يقود إلى خليج هوجستى . قفز ميتش داخل متجر قمصان قطنية مزدحم يمتلئ برفوف وصفوف من قمصانٍ السائحين وقبعات القش والنظارات الشمسية . انتقى ميتش قميصاً مزركشاً بأزهار برتقالية وخضراء وقبعة بنما الشهيرة . بعد دقيقتين اندفع ميتش خارج المتجر قافزاً داخل المقعد الخلفى لسيارة أجرة كانت تمر من أمام المتجر . قال : " المطار . وبسرعة . راقب الطريق من خلفك . قد يكون هناك من يتبعنا " .

لم يرد السائق بشيء ، فقط انطلق بالسيارة بين مبانى البنوك متجهاً إلى خارج المدينة . بعد عشر دقائق توقفت السيارة أمام صالة الانتظار بالمطار .

تساءل ميتش ، وهو يخرج المال من جيبه : " هل تبعنا أحد؟ "

" كلا يا صديقى . الأجرة أربعة دولارات وعشرة سنتات " .

ألقى ميتش خمسة دولارات فوق المقعد وسار بسرعة إلى داخل صالة الانتظار . كانت الطائرة التابعة لخطوط طيران جزر كايمان والمتجهة إلى جزيرة كايمان براك ستنطلق فى التاسعة . عند أحد متاجر الهدايا اشترى ميتش فنجان قهوة واختبأ بين صفين من الرفوف كانت تمتلئ بالهدايا التذكارية . أخذ يراقب منطقة الانتظار ولم يرَ أى شخص .

بالطبع لم يكن لديه فكرة عن شكلهم ، ولكنه لم ير أى شخص يتلفت من حوله أو يبدو عليه أنه يبحث عن شخص تائه . ربما مازالوا يتبعون السيارة الجيب أو يراقبون منطقة التسوق بحثاً عنه . ربما .

مقابل خمسة وسبعين دولارًا احتفظ لنفسه بالمقعد الأخير فى طائرة تريسلاندر تقل عشرة أشخاص ، ومزودة بثلاثة محركات . كانت آبى قد قامت بالحجز بواسطة الهاتف فى الثامنة مساء أول ليلة لهما بالجزيرة . فى آخر لحظة ممكنة ، ركض من صالة الانتظار إلى ممر الإقلاع ثم قفز داخل الطائرة . أغلق الطيار الأبواب بإحكام ، وانطلقت الطائرة تسير فوق ممر الإقلاع . لم يكن هناك طائرات أخرى . واستقرت حظيرة طائرات صغيرة إلى اليمين من الممر .

أخذ السائحون العشرة يتطلعون بإعجاب إلى البحر بألوانه الزرقاء الزاهية ولم يتحدثوا إلا قليلاً خلال الرحلة التى استغرقت عشرين دقيقة . بينما اقتربت الطائرة من جزيرة كايمان براك تحول الطيار إلى مرشد سياحي وأخذ يدور حول الجزيرة الصغيرة دورات واسعة . أعطى الطيار اهتماماً خاصاً بتلك المنحدرات العالية التى تصب داخل البحر عند النهاية الشرقية . قال إنه لولا تلك المنحدرات لكانت الجزيرة مسطحة تماما مثل جزيرة جراند كايمان . هبط بالطائرة بهدوء فوق الإسفلت الذى يكسو ممر الهبوط الضيق .

إلى جانب المبنى الأبيض الصغير والذى كتبت كلمة " مطار " فوق جميع جوانبه ، وقف شخص أبيض مهندم الزى ينتظر ويراقب المسافرين وهم ينزلون من الطائرة بسرعة . كان اسمه ريك آكلين ، عميل خاص بمكتب المباحث الفيدرالية ، وكان العرق يتصبب من أنفه ويلتصق قميصه فوق ظهره . خطا إلى الأمام قليلاً وقال بصوت خافت وكأنما يحادث نفسه : " ميتش " .

تردد ميتش للحظة ثم سار تجاهه .

قال آكلين : " السيارة تنتظرك بالخارج " .
نظر ميتش حوله وتساءل : " أين تارانس ؟ "
" إنه بانتظارك " .
" هل هناك مكيف هواء بالسيارة ؟ "
" آسف . لا أعتقد ذلك " .

كانت السيارة تخلو من مكيف الهواء ، والأجهزة الكهربية ، وأضواء الرؤية الليلية . كانت من طراز إل . تي . دى ١٩٧٤ ، وقد شرح آكلين لـ " ميتش " وهما ينطلقان فوق الطريق الترابى أنه لم يكن لديهم خيارات متعددة فى طراز السيارات المستأجرة فى جزيرة كايمان براك . والسبب الذى جعل الحكومة تقوم باستئجار سيارة هو أن آكلين وتارانس لم يتمكنا من العثور على سيارة أجرة . وكانا محظوظين أن وجدا غرفة بفندق دون حجز مسبق .

كانت المنازل الصغيرة الأنيقة تقترب من بعضها ، وتطل جميعها على البحر . أوقفا السيارة فى ساحة انتظار رملية تخص منشأة أطلق عليها اسم براك ديفرس . كان هناك جسر خشبى عتيق يمتد داخل الماء وترسو بجواره مئات القوارب مختلفة الأحجام . وإلى الغرب على طول الشاطئ استقرت دستة من الكبائن ذات سقوف قش بارتفاع قدمين فوق الرمال واستقر بها الغطاسون الذين جاءوا من كافة أنحاء العالم . وإلى جوار الجسرِ الخشبى كان هناك مطعم وملهى مفتوح لا اسم له ، ولكنه كان مجهزاً لاستقبال مباريات الدومينو ولوحات رشق الأسهم . تعلقت فى سقف الملهى مراوح من خشب البلوط والنحاس بواسطة عوارض خشبية وكانت تدور فى بطء وصمت ، تجلب الهواء المنعش للاعبى الدومينو وساقى الملهى .

جلس واين تارانس بمفرده فوق إحدى الموائد يشرب الكولا ويشاهد أفراد أحد فرق الغطس وهم ينقلون آلافاً من أنابيب الهواء الصفراء

المتماثلة من الجسر الخشبى إلى أحد القوارب . وحتى بالنسبة لأحد السائحين ، فقد كان ملبسه مثيراً للسخرية . كان يرتدى نظارة شمس سوداء بإطار أصفر ، وصندلاً بنيًا من القش ، بدا جلياً أنه جديد ، وجوارب سوداء ، وقميصاً ضيقاً يمتلئ بعشرين لوناً فاقعاً ويحمل شعار جزر هاواى ، وسروالاً رياضياً ذهبى اللون ، قديماً وقصيراً للغاية ولا يكاد يخفى شيئاً من ساقيه البيضاء اللامعة التى تختفى أسفل المائدة . أشار بيده التى تحمل زجاجة الكولا إلى المقعدين الشاغرين

قال ميتش ، فى سخرية واضحة : " قميص لطيف يا تارانس " .

" شكراً . انك ترتدى قميصاً رائعاً أنت الآخر " .

" لقد اكتسبت بشرتك بعض السمرة أيضاً " .

" نعم ، نعم . يجب أن يبدو شكلى متناسباً مع المكان " .

توقف النادل بالقرب منهم وانتظر أن يتحدث أحدهم إليه . طلب اكلين الكولا . قال ميتش إنه يريد الكولا وبها قطرات من عصير الكرز . تطلع الثلاثة باهتمام إلى قارب الغطس والغطاسين الذين ينقلون معداتهم إلى داخل القارب .

تساءل ميتش أخيراً : " ماذا حدث فى هولى سبرنجز ؟ "

" آسف ، لم نستطع تدبير الأمر . لقد تبعوك من ممفيس وكانت لديهم سيارتان تنتظران فى هولى سبرنجز . لم نستطع أن نقترب منك يومها " .

تساءل آكلين : " هل تناقشت أنت وزوجتك فى أمر النزهة قبل أن تغادرا ؟ "

" أعتقد ذلك . أظن أننا قد ذكرنا الأمر مرة أو مرتين فى أرجاء المنزل " .

بدا آكلين راضياً وقال : " لقد كانوا مستعدين لك تماماً . تبعتكما سيارة سكايلارك خضراء لمسافة عشرين ميلا ، ثم اختفت . قررنا حينها إلغاء العملية " .

ارتشف تارانس شرابه وقال : " لقد غادرت طائرة الشركة ممفيس في مساء ليلة السبت وطارت دون توقف إلى جراند كايمان . نظن أن اثنين أو ثلاثة من رجال الشركة كانوا على متنها . غادرت الطائرة جراند كايمان في الصباح المبكر ليوم الأحد عائدة إلى ممفيس " .

" إذن فهم هنا وهم يتبعوننا ؟ "

" بالطبع . ربما يكونون قد وضعوا رجلاً أو اثنين على متن الطائرة التي أتيت بها أنت وآبي . قد يكونان رجلين أو امرأتين أو رجلاً وامرأة . قد يكون رجلا اسود أو امرأة شرقية الملامح . من يدري ؟ تذكر يا ميتش أن لديهم أموالا طائلة . هناك رجلان قد تعرفنا عليهما . أحدهما كان في واشنطن عندما كنت هناك . شخص أشقر ، في الأربعين تقريبا ، طوله مائة وثمانون أو مائة وخمسة وثمانون سنتيمتراً ، لديه شعر قصير للغاية ، وقوى البنية للغاية ، ذو ملامح اسكندينافية مميزة . يتحرك بسرعة كبيرة . لقد رأيناه بالأمس يقود سيارة ايسكورت حمراء استأجرها من مركز تأجير سيارات على الجزيرة يسمى كوكونات كار رنتال " .

قال ميتش : " أعتقد أنني قد رأيته من قبل " .

تساءل آكلين : " أين ؟ " .

" في مطعم بمطار ممفيس في الليلة التي عدت فيها من واشنطن . لقد لمحته يراقبني ، وظننت حينها أنني قد رأيته في واشنطن " .

" هذا هو . إنه هنا بالجزيرة " .

" من هو الشخص الآخر ؟ " .

" تونى فيكلر ، أو تونى البلدوزر كما نسميه . إنه مجرم لديه سجل غير عادى من الجرائم والإدانات ، معظمها فى شيكاغو . إنه يعمل من أجل عائلة موورولتو منذ سنوات . يزن تقريباً مائتى كيلو جرام ويقوم بعمليات المراقبة بشكل رائع لأنه لا أحد يشتبه فيه أبدا " .

أضاف آكلين : " لقد كان فى ملهى رومهيدس ليلة الأمس " .

قال ميتش : " ليلة الأمس ؟ لقد كنا هناك ليلة الأمس " .

فى مراسم مهيبة ، انطلق قارب الغطس من الجسر الخشبى متجهاً إلى عرض البحر . وخلف الجسر الخشبى ، جلس الصيادون فى قواربهم الصغيرة يجذبون الشباك ، وقاد البحارة مراكبهم ذات الألوان البراقة بعيداً عن الشاطئ . بعد حالة الهدوء والسكون التى كانت تخيم عليها ، استيقظت الجزيرة بالكامل فى تلك اللحظة . ونصف القوارب التى كانت مربوطة إلى الجسر الخشبى غادرت إلى عرض البحر أو كانت فى سبيلها للانطلاق .

" إذن متى وصلتم إلى الجزيرة يا رفاق ؟ " تساءل ميتش وهو يحتسى شرابه ، الذى كان أكثره عصير الكرز وليس كولا .

" مساء الأحد " ، أجاب تارانس بينما كان يراقب قارب الغطس وهو يختفى وراء الأفق .

قال ميتش : " من باب الفضول فقط ، كم رجلاً من المباحث يتواجدون على الجزر الآن ؟ "

قال تارانس : " أربعة رجال وامرأتان " . صمت آكلين تماماً وترك رئيسه يتولى زمام الحديث بالكامل .

تساءل ميتش : " ولماذا أنتم هنا بالتحديد ؟ "

" أوه ، لعدة أسباب . السبب الأول هو لكى نتحدث إليك وننتهى من اتفاقنا الصغير . إن المدير فويلس متلهف إلى الوصول إلى اتفاق

يمكنك أن تقبل بـه . السبب الثـاني هـو أننـا نريـد أن نراقب رجـال الشركة لكى نحدد كم من عملاء الشركة هنا . سوف نقضى أسبوعاً لكـى نتعرف على شخصيات هؤلاء الرجال . إن الجزيرة صغيرة الحجم وهى مكان جيد للمراقبة " .

" والسبب الثالث هو أنك أردت أن تكسب بشرتك بعض السمرة ، أليس كذلك ؟ "

ضحك آكلين ضحكة خافتة . أما تـارانس فابتسم ثـم عبس وجهه وقال : " كلا ، ليس لهذا السبب . نحن هنا من أجل حمايتك " .

" حمايتى ؟ "

" نعم . فى آخر مرة جلست فيها على هذه المائدة كنت أتحـدث مع جو هودج ومارتى كوزنسكى . كان ذلك منذ تسعة أشـهر مضت . قبـل يوم واحد من مقتلهما ، لكى أكون أكثر تحديداً " .

" وأنت تعتقد أننى سوف أقتل ؟ "

" كلا . ليس بعد " .

أشار ميتش إلى الساقى لكى يأتيه بمشروب آخر . احتدمت المنافسة فـى مبـاراة الـدومينو وأخـذ ميـتش يتطلـع إلى سـكان الجزيـرة وهـم يتجادلون ويشربون الكولا .

قال ميتش : " اسمعانى جيداً يا رفاق . بينما نحن نتحدث الآن فإن رجال الشركة ، كما تطلقون عليهم ، يتبعون زوجتى فى أنحاء جراند كايمان . سوف أتصرف بشكل عصبى حتى أعود إليها . والآن ، ماذا عن اتفاقنا ؟ "

ترك تارانس البحر وقارب الغطس وحدق النظر فى ميتش قـائلا : " إن مليونى دولار مبلغ معقول و ـــ "

قاطعه ميتش : " بالطبع هو مبلغ معقـول يـا تـارانس . لقـد اتفقنـا على المبلغ من قبل ، أليس كذلك ؟ "

" اهدأ يا ميتش . سوف ندفع لك مليون دولار عندما تسلم كل ملفاتك . عند هذه النقطة ، لن يكون هناك مجال للرجوع ، كما يقولون . ستكون قد تورطت بالكامل فى الأمر " .

" أنا أتفهم ذلك يا تارانس . لقد كان ذلك هو اقتراحى ، إذا كنت تتذكر " .

" لكن ذلك هو الجزء السهل . نحن لا نريد ملفاتك بالفعل ، لأنها ملفات نظيفة . ملفات جيدة . ملفات قانونية . نحن نريد الملفات القذرة يا ميتش ، الملفات التى يؤدى كل مستند فيها إلى السجن . والحصول على هذه الملفات سيكون أكثر صعوبة . ولكن عندما تحصل عليها ، سوف ندفع لك نصف مليون أخرى . والباقى ستحصل عليه بعد المحاكمة النهائية " .

" ماذا عن أخى ؟ "

" سوف نحاول " .

" هذا غير كاف يا تارانس . أريد تعهداً كتابياً ." .

" لا يمكننا أن نعد بإخراج أخيك . اللعنة ، إن لديه سبع سنين على الأقل على أقرب عفو مشروط " .

" لكنه أخى يا تارانس . أنا لا أهتم إذا كان سفاحاً يجلس فى انتظار حكم الإعدام وهو يتناول آخر وجبة له . إنه أخى ، وإذا أردت أن أتعاون معكم ، سيكون عليك أن تطلق سراحه " .

" قلت إننا سنحاول ، لكن لا يمكن أن نتعهد بذلك . لا توجد طريقة قانونية أو رسمية يمكن أن نخرجه بها ، ولذلك يجب أن نحاول بطرق أخرى . ماذا إذا أصابه طلق نارى وهو يحاول الهرب ؟ "

" فقط أخرجه من السجن يا تارانس " .

" سنحاول " .

" سوف تستخدم كل مصادر مكتب التحقيقات الفيدرالية من أجل مساعدة أخي على الهروب من السجن ، أليس كذلك ؟ "

" أعدك بذلك " .

استرخى ميتش في مقعده وتناول رشفة كبيرة من شرابه . لقد أصبح الاتفاق نهائيًا . تنفس بسهولة وابتسم تجاه أمواج البحر الكاريبى الرائعة " .

تساءل تارانس : " متى سنحصل على الملفات ؟ "

" لقد ظننت أنكم لا تريدون الملفات . إنها ملفات نظيفة للغاية ، ألم تقل ذلك ؟ "

" نحن نريد الملفات يا ميتش ، لأننا عندما نحصل على الملفات ، سنكون قد حصلنا عليك . سوف تثبت ولاءك وجديتك عندما تسلمنا ملفاتك ، رخصة ممارستك للمحاماة ، إذا جاز التعبير " .

" خلال عشرة إلى خمسة عشر يوماً " .

" كم ملفاً سوف تسلمنا ؟ "

" ما بين الأربعين إلى الخمسين ملفاً . يصل سُمك الصغير منها إلى بوصة تقريباً . أما الكبير منها فيحتاج إلى مائدة أكبر من هذه . لا يمكنني أن أستخدم ماكينات النسخ بالشركة ، ولذلك كان عليَّ أن أتخذ إجراءات أخرى " .

قال آكلين : " ربما يمكننا مساعدتك في عملية النسخ " .

" ربما لا . وإذا أردت مساعدتكم ، ربما أطلبها منكم " .

" كيف ستسلمنا تلك الملفات ؟ " تساءل تارانس . وانسحب آكلين من الحوار مرة أخرى .

" الأمر بسيط للغاية يا واين . عندما أنتهى من نسخ الملفات كلها ، وما إن أتسلم المليون دولار بالطريقة التى أريدها ، عندها سأعطيك

مفتاح غرفة تخزين صغيرة في منطقة ممفيس ، ويمكنك أن تذهب وتحضرها بشاحنتك الصغيرة " .

قال تارانس : " لقد أخبرتك أننا سوف نودع المال في حساب بأحد بنوك سويسرا " .

" الآن لم أعد أريد أن تضعه في حساب بأحد بنوك سويسرا ، اتفقنا ؟ سوف أخبركم بتفاصيل عملية تحويل المال ، وسوف تتبعون حرفياً كل تعليماتي . إنها رقبتي التي ستكون على المحك من الآن فصاعدا يا رفاق ، ولذلك سأكون أنا من يتولى زمام الأمور . معظم الأمور ، على أية حال " .

ابتسم تارانس وهو يحدق النظر إلى الجسر الخشبي قائلاً : " ألم تعد تثق ببنوك سويسرا ؟ "

" دعنا نقول إن هناك بنكاً آخر في مخيلتي . إنني أعمل لدى شركة متخصصة في غسيل الأموال ، كما تعلم يا واين ، ولذلك أصبحت خبيرا في كيفية إخفاء الأموال في حسابات خارج البلاد " .

" سوف نرى " .

" متى سأرى دفتر المعلومات الخاص بعائلة مورولتو ؟ "

" بعد أن نحصل على الملفات ونسدد لك الدفعة الأولى من المال . سوف نعطيك كل المعلومات التي لدينا ، ولكنك ستتصرف بنفسك معظم الوقت . سنحتاج أنا وأنت أن نتقابل كثيراً ، وسوف يمثل ذلك خطراً عليك . ربما نضطر إلى القيام ببعض الرحلات بواسطة الحافلة " .

" حسناً ، لكن في المرة القادمة سأجلس في المقعد المجاور لممر السير بالحافلة " .

" بالتأكيد . أي شخص يساوي مليوني دولار يستطيع أن يختار المقعد الذي يريده في حافلات شركة جرايهوند " .

" لن أعيش لكى أستمتع بتلك الملايين يا واين . أنت تعرف أننى لن استمتع بها " .

ثلاثة أميال خارج مدينة جورج تاون ، على الطريق الضيق والمتعرج المؤدى إلى مدينة بودين تاون ، رآه ميتش . كان الرجل يجلس خلف سيارة فولكس فاجن قديمة وقد رفع غطاء محركها إلى أعلى كما لو أن مشكلة بالمحرك قد أوقفت سيارته على الطريق . كان الرجل يرتدى ملابس أهل الجزيرة ، وليس ملابس السائحين . من السهل أن تظنه أحد البريطانيين الذين يعملون لدى الحكومة أو لدى أحد البنوك . كانت سمرة بشرته جيدة . كان الرجل يمسك مفتاح ربط من نوع ما ويبدو عليه أنه يفحصه جيداً بينما كان يشاهد السيارة الجيب وهى تنطلق على الناحية اليسرى من الطريق . كان ذلك الجالس هو نفسه الرجل الاسكنديناڤى .

لقد كان من المفترض ألا يلاحظ وجوده أحد .

بشكل غريزى ، أبطأ ميتش سرعة السيارة إلى ثلاثين ميلاً فى الساعة ، حتى ينتظر أن يتبعه الرجل . استدارت آبى وأخذت تراقب الطريق . كان الطريق الضيق المؤدى إلى مدينة بودين تاون يلتصق بحافة الشاطئ لمسافة خمسة أميال ، ثم يتفرع ، وبعدها يختفى منظر المحيط تماماً . خلال دقائق ظهرت الفولكس فاجن الخضراء الخاصة بالرجل الاسكنديناڤى وهى تسرع فى دورانها حول منعطف بسيط . كانت سرعة السيارة الجيب أقل بكثير مما توقع الرجل . ولشعوره بأنهما قد رأياه ، فقد أبطأ فجأة ، ثم انعطف بسيارته داخل أول طريق صخرى يسير بمحاذاة شاطئ المحيط .

ضغط ميتش دواسة البنزين وأسرع السير تجاه بودين تاون . إلى غرب المنشأة الصغيرة استدار متجهاً إلى الجنوب وفى أقل من ميل بعد ذلك وجد المحيط مرة أخرى .

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً وكانت ساحة انتظار مركز دايف لودج للغطس نصف ممتلئة . كان قاربا الغطس الصباحى قد غادرا منذ نصف ساعة مضت . أسرع آل ماكدير الخطى إلى الملهى ، حيث كان هنرى يوزع المشروبات والسجائر على لاعبى الدومينو .

اتكأ بارى ابانكس على عمود يدعم سقف الملهى المكسو بالقش وأخذ يتطلع إلى قاربى الغطس وهما يختفيان حول أحد أركان الجزيرة . ومن المفترض أن يقوم كل قارب بعمليتى غطس ، فى مناطق بونى ارك ، ديفيل جروتو ، ايدن روك ، روجر ريك بوينت ، أماكن عاش بها وتنزه فيها واصطحب السائحين إليها آلاف المرات . وبعضها أماكن اكتشفها هو بنفسه .

اقترب آل ماكدير منه ، وبهدوء عرّف زوجته بالسيد ابانكس ، الذى لم يتصرف بالأدب المفترض ، لكنه لم يكن وقحاً أيضاً . ساروا جميعا إلى الجسر الخشبى الصغير ، حيث كان أحد البحارة يجهز قارب صيد طوله ثلاثين قدماً . ألقى ابانكس سلسلة من الأوامر غير المفهومة باتجاه البحار الشاب ، الذى تصرف كما لو أنه أصم أو لا يخشى رئيسه على الإطلاق .

وقف ميتش إلى جوار ابانكس ، الذى أصبح قائد القارب ، وأشار بيده إلى الملهى الذى كان يبعد خمسين ياردة من نهاية الجسر الخشبى وتساءل : " هل تعرف كل الموجودين بالملهى الآن ؟ "

ظهر العبوس على وجه ابانكس وهو ينظر إلى ميتش .

قال ميتش : " لقد حاولوا تتبعى إلى هنا . إنما أسال بدافع الفضول " .

قال ابانكس : " إنهم زبائن الملهى المعتادون . لا يوجد أشخاص غرباء " .

" هل لاحظت وجود أى غرباء فى المنطقة هذا الصباح ؟ "

" اسمع ، هذا المكان يجتذب الأشخاص الغرباء . أنا لا أحتفظ بسجلات أسجل فيها الأشخاص الغرباءِ والأشخاص الطبيعيين " .

" هل رأيت شخص أمريكياً سميناً ، أحمر الشعر ، يزن مائة وخمسين كيلوجرامًا على الأقل ؟ "

هز ابانكس رأسه نفياً . دفع البحار القارب إلى الخلف ، بعيدا عن الجسر الخشبى ، باتجاه الأفق البعيد . جلست آبى فوق مسند مبطن وشاهدت مركز الغطس وهو يختفى . داخل حقيبة بلاستيكية استقرت بين قدميها كان هناك مجموعتان جديدتان من زعانف وأقنعة الغطس . كان من المفترض أن تكون هذه رحلة غطس مع صيد السمك إذا كانت الظروف سانحة لذلك . لقد وافق صاحب المكان نفسه أن يصاحبهما ، فقط بعد أن أصر ميتش وأخبره أنهما يحتاجان إلى التحدث معه فى مسألة شخصية . مسألة خاصة ، تتعلق بوفاة ابنه .

من شرفة مغطاة فى الطابق الثانى لأحد المطاعم الشاطئية ، أخذ الرجل الاسكنديناڤى يراقب الرأسين اللذين يرتديان أقنعة الغطس وهما يظهران ثم يختفيان حول قارب الصيد . ناول المنظار إلى تونى البلدوزر ، الذى شعر بالملل ، فأعاد المنظار إليه بسرعة . كانت هناك امرأة شقراء شديدة الجاذبية ترتدى رداء سباحة أسود اللون ، من قطعة واحدة ، تصل فتحة القدمين فيه إلى الخصر ، تقف خلف الرجل الاسكنديناڤى ، وأخذت المنظار . أخذت تتطلع إلى القارب ، معطية اهتماماً أكبر إلى البحار الشاب .

قال تونى : " أنا لا أفهم ما يحدث . إذا كانوا يتحدثون بأمور جدية ، فلماذا أحضروا الفتى معهم ؟ لماذا يضعون حولهم أذنين إضافيتين لكي تسمع ما يقولون ؟ "

قال الاسكندينافي : " ربما يتحدثون عن الغطس وصيد السمك " .

قالت الشقراء : " لا أدرى ، لكن من غير المعتاد أن يقضى ابانكس وقته على مركبٍ صيد . إنه يفضل البقاء بصحبة الغواصين . لابد أن هناك سبباً جيداً لكي يضيع يوماً أو يومين مع غطاسين مبتدئين . هناك شيء مريب يحدث " .

تساءل تونى : " من يكون ذلك الفتى ؟ "

قالت الشقراء : " أحد البحارة الذين يعملون عند ابانكس . إن لديه دستة منهم " .

تساءل الاسكندينافي : " هل يمكنك التحدث إليه لاحقاً ؟ "

قال تونى : " نعم ، أغريه قليلا ، استخدمى جمالك فى الإيقاع به . سوف يتحدث بالتأكيد " .

قالت : " سأحاول " .

تساءل الاسكندينافي : " ما اسمه ؟ " .

قالت الشقراء : " كيث روك " .

دفع كيث روك قارب الصيد بمحاذاة الجسر الخشبى عند روم بوينت . قفز ميتش وآبى وابانكس من القارب واتجهوا إلى الشاطئ . لم يكن كيث مدعواً إلى الغداء . تخلف عن الجمع وأخذ يغسل سطح القارب في تكاسل .

كان مطعم شيبريك يستقر على بعد مائة ياردة من الشاطئ أسفل غطاء كثيف من أشجار الظل النادرة . كان المكان مظلما ورطبا بنوافذه المغطاة بالستائر ومراوح السقف ذات الصرير المزعج . لم يكن هناك

موسيقى ، أو لعب دومينو ، أو رشق سهام . كان وقت الظهيرة هادئا وقد جلس الجميع على موائدهم يتحدثون فى شئونهم الخاصة بصوت خافت .

كان المنظر من طاولتهم يطل على البحر ، تجاه الشمال . طلبوا جميعا شطائر اللحم بالجبن والكولا ــ وجبات الجزيرة .

قال ميتش بصوت خافت : " هذا المطعم مختلف " .

قال ابانكس : " مختلف كثيراً ، وهناك سبب جيد وراء ذلك . إنه ملتقى تجار المخدرات الذين يملكون العديد من المنازل الفخمة والاستراحات فى هذا المكان . إنهم يطيرون إلى هنا بطائراتهم الخاصة ، ويودعون أموالهم فى البنوك الرائعة التى تملأ الجزيرة ويقضون بعض الأيام فى هذه الأنحاء يطمئنون على عقاراتهم " .

" بلدة لطيفة " .

" لطيفة للغاية . إنهم يمتلكون الملايين ويهتمون بشئونهم الخاصة فقط " .

حضرت النادلة ، وكانت ضخمة الجسم ، ذات ملامح مختلطة من السواد والبياض ، ووضعت ثلاث زجاجات من مشروب ريد ستريب فوق المائدة دون أن تنطق بكلمة . مال ابانكس إلى الأمام مستنداً على مرفقيه وخافضا رأسه بينهما ، وكان ذلك هو الأسلوب المعتاد للحديث داخل مطعم شيبريك . قال ابانكس : " هل تعتقد أن بإمكانك أن تمضى إلى حال سبيلك بعد ذلك ؟ "

مال ميتش وآبى إلى الأمام فى وقت واحد ، وتقابلت الرؤوس الثلاثة فى منتصف الطاولة ، فوق زجاجات الشراب تماما . قال ميتش : " لن ينفع المضى ، بل الجرى بأقصى سرعة ، لكننى سوف أهرب منهم . وسوف أحتاج إلى مساعدتك " .

فكر ابانكس فى الأمر للحظة ورفع رأسه . هز كتفيه فى لامبالاة وقال : " ولكن ماذا يمكنني أن أفعل ؟ " ثم تناول أول رشفة من مشروب ريد ستريب .

كانت آبى أول من رآها ، ومن الطبيعى أن تكون المرأة هى أول من يلاحظ امرأة أخرى وهى تجاهد لكى تسترق السمع إلى محادثتهم الخافتة . كانت تعطى ظهرها إلى ابانكس . كانت شقراء الشعر وتخفى ملامحها أسفل تلك النظارة الشمسية السوداء ، المصنوعة من المطاط الرخيص والتى كانت تغطى معظم وجهها ، وكانت تتطلع إلى المحيط وتسمع أكثر مما يجب . عندما انحنى ثلاثتهم فوق الطاولة اعتدلت فى جلستها وصارت تسترق السمع بشكل ظاهر جداً . كانت تجلس بمفردها فوق طاولة مخصصة لشخصين .

غرست آبى أظافرها فى ساق زوجها ، وعلى الفور ساد الصمت طاولتهم . أنصتت الشقراء التى ترتدى الملابس السوداء قليلا ، ثم التفتت لطاولتها وشرابها .

تحسنت خزانة ملابس واين تارانس بحلول يوم الجمعة من الأسبوع الذى يقضيه بجزيرة كايمان . ذهب الصندل القش والسروال القصير الضيق ونظارة الشمس الخاصة بالمراهقين إلى غير رجعة . وكذلك ذهبت السيقان البيضاء شاحبة اللون . الآن أصبحت ساقاه ورديتى اللون ، بفعل الشمس اللافحة . بعد ثلاثة أيام بالجحيم الاستوائى الذى يعرف باسم جزيرة كايمان براك ، قام هو وآكلين ، بالانتقال إلى غرفة رخيصة فى جراند كايمان ، على بعد أميال من شاطئ سفن مايل وبعيداً عن أى منطقة يمكن السير منها إلى ساحل البحر . وهناك أسسا مركز عمليات لمراقبة تحركات عائلة ماكدير وبقية الأشخاص المهمين . فى فندق كوكونات موتيل ، تشاركا غرفة

صغيرة بها سريران منفصلان وحمام به ماء بارد فقط . صباح الأربعاء ، قاما بالاتصال بالعميل ، ميتش ماكدير ، وطلبا عقد لقاء في أسرع وقت ممكن . رفض ماكدير . قال إنه مشغول للغاية . قال إنه هو وزوجته يستمتعان بشهر عسل جديد وليس لديهم وقت لهذا اللقاء . قال ربما في وقت لاحق .

في مساء الخميس ، وبينما كان ميتش وآبي يستمتعان بشواء الأسماك عند الفنار المطل على الطريق المؤدى إلى بودين تاون ، قام العميل لانى ، وهو يرتدى ملبس أهالى الجزيرة ، ويبدو مثل الزنوج الموجودين بالجزيرة ، بالتوقف عند طاولة آل ماكدير وأوضح لهما بعض الحقائق . إن تارانس يصر على عقد لقاء .

كانت جزر كايمان قد اضطرت في الماضي إلى استيراد الدجاج من الخارج ، وليس أفضل أنواع الدجاج . فقط الدجاج متوسط الجودة ، ليس من أجل سكان الجزيرة ، ولكن من أجل هؤلاء السائحين الأمريكيين البعيدين عن بلادهم الذين تعتبر هذه الوجبة أساسية بالنسبة لهم . ولقد قضى الكولونيل ساندرس وقتاً طويلاً لكي يُعَلِّم فتيات الجزيرة ، بالرغم من كونهن زنجيات أو شبيهات بالزنوج ، كيفية قلى الدجاج . لقد كانت تلك الوجبة غريبة على أهالى الجزيرة .

وهكذا جرى الأمر ، حيث قام العميل الخاص واين تارانس ، مواليد حي برونكس ، بترتيب اجتماع سرى وعاجل في أحد فروع مطاعم كينتاكي للدجاج المشوى العالمية على أرض جزيرة جراند كايمان . المطعم الوحيد الذى يحمل هذا الاسم الشهير . لقد ظن أن المكان سيكون مهجورا . لكنه كان مخطئا .

امتلأ المكان بمئات من السائحين من جورجيا ، ألاباما ، تكساس ، ومسيسبى ، وقد جلسوا يلتهمون الدجاج المقلى مع سلطة الكرنب

والبطاطس المهروسة . كان طعم الدجاج أفضل مع التوابل الأمريكية ، ولكنه جيد بما يكفي لسد الجوع .

جلس تارانس وآكلين في حجيرة صغيرة داخل المطعم المزدحم وأخذا يراقبان الباب الأمامي بعصبية . لم يكن الأوان قد فات لإلغاء اللقاء . لقد كان هناك الكثير من الناس . أخيراً ، دخل ميتش بمفرده ، ووقف في صف طويل من الناس . جلب الوجبة الصغيرة ، الملفوفة في صندوق كرتون أحمر اللون إلى مائدتهم وجلس . لم يقل مرحباً أو أي شيء . بدأ يتناول عشاءه الذى تكون من ثلاث قطع دجاج والذى دفع ٤,٨٩ دولار ثمناً له . لقد كان دجاجاً مستورداً .

تساءل تارانس : " أين كنت هذه الأيام ؟ "

قضم ميتش طعامه وقال : " على الجزيرة . من الغباء أن نتقابل هنا يا تارانس . هناك الكثير من الناس " .

" نحن نعلم ماذا نفعل " .

" حقاً ؟ مثل تلك المرة في متجر الأحذية الكورى ؟ "

" معك حق . لماذا رفضت مقابلتنا يوم الأربعاء ؟ "

" كنت مشغولاً يوم الأربعاء . لم أرد رؤيتك يوم الأربعاء . ألم يتبعني أحد إلى هنا ؟ "

" بالطبع لم يتبعك أحد . كان لاني ليعيقك عن الدخول عند الباب الأمامي لو كان أحدهم يتبعك " .

" هذا المكان يصيبني بالتوتر يا تارانس " .

" لماذا ذهبت إلى ابانكس ؟ "

مسح ميتش فمه وأمسك قطعة الدجاج التي التهم جزءاً منها بالفعل . ولقد كانت قطعة صغيرة نسبياً . قال ميتش : " لديه قارب ، وكنت أريد أن أصيد السمك وأغطس قليلاً ، ولذلك عقدنا صفقة . أين كنت يا تارانس ؟ داخل غواصة تقوم بملاحقتنا في أنحاء الجزيرة ؟ "

" ماذا قال لك ابانكس ؟ "

" أوه ، إنه يعرف الكثير من الكلمات . يعرف كيف يقول مرحباً . أعطني زجاجة شراب . من الذى يتعقبنا ؟ كلمات كثيرة " .

" أتعلم أنهم قد تبعوك إلى هناك ؟ "

" إنهم ! إنهم من ؟ رجالك ؟ أم رجال الشركة ؟ لقد كثر عدد من يتبعوننى حتى أننى قد بدأت أسبب زحاماً مرورياً كلما تحركت " .

" الأشرار يا ميتش . الأشرار القادمون من ممفيس وشيكاغو ونيويورك . الأشرار الذين لن يترددوا فى قتلك غداً إذا أنت تصرفت بحماقة " .

" لقد أثرت فىَّ كلماتك . إذن فقد تبعونى . أين يمكن أن آخذهم ؟ للغطس ؟ صيد السمك ؟ بحق السماء يا تارانس . إنهم يتبعوننى ، وأنت تتبعهم ، وتتبعنى أنا ، وهم يتبعونك . إذا ضغطت فرامل سيارتى سوف أجد عشرين سيارة تصطدم بى من الخلف . لماذا نتقابل هنا يا تارانس ؟ إن المكان يمتلئ بالناس " .

تلفت تارانس حوله فى إحباط .

أغلق ميتش صندوق طعامه وقال : " اسمع يا تارانس . أشعر بالعصبية ولقد فقدت شهيتى " .

" اهدأ . لم يكن أحد يتبعك وأنت قادم من الاستراحة " .

" دائماً لا يتبعنى أحد . أظن أن هودج وكوزنسكى لم يكن يتبعهما أحد فى كل حركة تحركاها . حتى وهما عند ابانكس . وهما فوق قارب الغطس . حتى فى جنازتيهما . لم تكن هذه فكرة جيدة يا تارانس . أنا ذاهب " .

" حسناً . متى ستغادر طائرتك ؟ "

" لماذا تسأل ؟ هل تخططون لمراقبة الطائرة ؟ هل ستتبعونني أم تتبعونهم ؟ وماذا إن تبعوكم هم ؟ ماذا إذا أصابنا التشوش جميعاً وأقوم بمراقبة الكل ؟ "

" بحق السماء يا ميتش " .

" في التاسعة وأربعين دقيقة صباحاً . سأحاول أن أحجز لك مقعداً . يمكنك أن تجلس بالمقعد الذى يطل على النافذة بجوار تونى البلدوزر " .

" متى سنحصل على الملفات ؟ "

وقف ميتش ممسكاً بصندوق طعامه وقال : " خلال أسبوع أو أكثر قليلاً . أعطني عشرة أيام ، وطلب أخير يا تارانس ، لا داعي لمزيد من اللقاءات في الأماكن العامة . تذكر أنهم يقتلون المحامين ، وليس عملاء المباحث الأغبياء " .

٢٦

. . . .

في الثامنة صباح الاثنين ، عبر أوليفر لامبرت وناثان لوك بوابة الحائط الاسمنتي في الطابق الخامس وسارا داخل متاهة الحجرات والمكاتب الصغيرة . كان ديفاشر بانتظارهما . أغلق الباب من خلفهما وأشار بيده إلى المقاعد . لم يكن يسير بسرعته المعتادة . كانت الليلة عبارة عن معركة طويلة خاسرة مع الصداع وآلامه . كانت عينه حمراء منتفخة وكان رأسه يكاد ينفجر مع كل نفس يأخذه .

قال ديفاشر : " لقد تحدثت مع لازاروف بالأمس في لاس فيجاس . ولقد شرحت له على قدر ما استطعت كيف أنكم كارهون للغاية أن تقوموا بفصل محاميكم الأربعة ، لينش ، سوريل ، بونتين ، ومايرس . وشرحت له كل أسبابكم المقنعة . قال إنه سيفكر في الأمر ، ولكن أثناء ذلك عليكم أن تتأكدوا من أن هؤلاء الأربعة لن يعملوا سوى في ملفات نظيفة . لا تخاطروا في هذا الأمر وراقبوهم جيداً " .

قال أوليفر لامبرت : " رجل لطيف للغاية ، ألا تظن ذلك ؟ "

قال ديفاشر : " نعم بالطبع . رجل ساحر . لقد قال إن السيد مورولتو قد سأل عن الشركة مرة أسبوعياً خلال الأسابيع الستة الماضية . وقال إنهم قلقون للغاية " .

" ماذا قلت له أنت ؟ "

" لقد أخبرته أن الأمور تحت السيطرة ، حتى الآن . وقد تمت تغطية منافذ تسرب المعلومات ، إلى الآن . لا أعتقد أنه قد صدق ما أخبرته به " .

تساءل لوك : " ماذا عن ماكدير ؟ " .

" لقد قضى أسبوعاً رائعاً مع زوجته . هل رأيتم زوجته وهى ترتدى ملابس البحر المثيرة ؟ لقد ظلت ترتديها طوال الأسبوع . شيء رائع . لقد أخذنا لها بعض الصور ، لمجرد الاستمتاع " .

انفجر لوك صائحاً : " أنا لم آت إلى هنا لكى أشاهد بعض الصور " .

" أنت لم تقل لِمَ أتيت . لقد أمضيا يوماً كاملاً بصحبة صديقنا القديم ابانكس ، كان الثلاثة على متن قارب ومعهم أحد البحارة . قاما ببعض الغطس ، وقليل من صيد السمك . وتحدثوا كثيراً . لكننا لا ندرى عما كانوا يتحدثون . لم نستطع أن نقترب بما يكفى . لكن ذلك يجعلنى أشعر بشك كبير يا رفاق . شك كبير للغاية " .

قال أوليفر لامبرت : " لا أرى سبباً لذلك الشك . ماذا يمكنهم أن يتحدثوا عنه سوى صيد السمك والغطس ، وبالطبع هودج وكوزنسكى . وحتى إذا تحدثوا عن هودج وكوزنسكى ، ما هو الضرر فى ذلك ؟ "

قال لوك : " ماكدير لم يعرف هودج وكوزنسكى يا أوليفر . لماذا يهتم بموتهما إذن ؟ "

قال ديفاشر : " ضع فى اعتبارك أن تارانس قد أخبر ماكدير فى أول لقاء أن مصرع كوزنسكى وهودج لم يكن نتيجة حادث . لذلك يتصرف ماكدير كأنه شيرلوك هولمز ويبحث عن أدلة " .

" لكنه لن يجد أية أدلة ، أليس كذلك يا ديفاشر ؟ "

" كلا بالتأكيد . لقد كانت عملية متكاملة . بالطبع هناك بعض الأسئلة المطروحة ، لكن شرطة كايمان لا يمكنها الإجابة على تلك الأسئلة . ولن يستطيع فتاك ماكدير أن يفعل ذلك أيضاً " .

تساءل لامبرت : " إذن لماذا أنت قلق هكذا ؟ "

" لأنهم قلقون فى شيكاغو يا أولى ، وهم يدفعون لى راتباً جيداً لكى أظل قلقاً هنا . وحتى تتركنا المباحث الفيدرالية وشأننا ، فإن كل شخص يجب أن يظل قلقاً ، اتفقنا ؟ "

" ماذا فعل ماكدير غير ذلك ؟ "

" ما يفعله بقية المحامين فى إجازات جزر كايمان . الاستلقاء فى الشمس ، وشرب العصائر الاستوائية ، القليل من التسوق ومشاهدة المناظر الطبيعية . كان لدينا ثلاثة أشخاص على الجزيرة ، وقد غاب عن المراقبة مرتين ، لكن دون خطورة ، أو هكذا أتمنى . كما قلت من قبل ، لا يمكنك مراقبة رجل أربعًا وعشرين ساعة فى اليوم ، لمدة سبعة أيام فى الأسبوع ، دون أن يحس بك . لذلك نضطر إلى التساهل بعض الوقت " .

تساءل لوك : " أتظن أن ماكدير يتحدث إلى المباحث ؟ "

" أنا أعرف أنه يكذب يا ناثان . لقد كذب بشأن الحادثة التى جرت داخل متجر الأحذية الكورى منذ شهر . لم تريدوا أن تصدقوا ذلك ، لكننى مقتنع أنه قد دخل إلى المتجر بمحض إرادته لأنه أراد التحدث مع تارانس . ارتكب أحد رجالنا خطأ ، واقترب من المكان أكثر من اللازم ، ولذلك انفض اللقاء . هذه ليست رواية ماكدير للأحداث ، ولكن ذلك ما حدث بالفعل . نعم يا ناثان ، أظن أنه يتحدث إلى المباحث . ربما يتقابل مع تارانس ويطلب منه أن يذهب إلى الجحيم . ربما يتعاطون المخدرات معاً . لا أدرى ما يحدث " .

قال لامبرت : " لكنك لا تمتلك دليلاً ملموساً يا ديفاشر " .

تفجر الصداع داخل رأس ديفاشر وضغط بشدة على جمجمته . كان الغضب سيكلفه كثيراً من الألم فقال في هدوء : " كلا يا أولى ، لاشيء مادياً كحالة هودج وكوزنسكى ، إذا كان ذلك ما تعنيه . لقد استمعنا لأصواتهما عبر أجهزة التسجيل وكنا نعلم أنهما على وشك التحدث . أما ماكدير فقضية مختلفة " .

قال لوك : " إنه مجرد مبتدئ أيضاً . محام يعمل بالشركة من ثمانية أشهر ولا يعلم أى شيء . لقد أمضى ألف ساعة يعمل على ملفات وهمية ، وحتى العملاء الذين تولى ملفاتهم كانوا جميعاً عملاء قانونيين . لقد كان تولار حريصاً للغاية على الملفات التى يتركها إلى ماكدير . لقد تحدثنا فى هذا الأمر " .

أضاف لامبرت : " ليس لديه ما يقوله ، لأنه لا يعرف أى شيء . كان هودج وكوزنسكى يعرفان الكثير ، لكن لأنهما قد عملا بالشركة لسنين . أما ماكدير فمجرد محام مبتدئ " .

فرك ديفاشر صدغيه برفق وقال : " لنفترض أنكم عينتم محامياً غبيا . ولنفترض أن المباحث لديها حدس حول أهم عميل لدينا . حسنا ، فكرا بالأمر معى . ولنفترض أن كوزنسكى وهودج قد أعطيا المباحث ما يكفى لتأكيد شخصية ذلك العميل المحدد . أرأيتم أين يتجه كلامى ؟ ودعونا نفترض أن رجال المباحث قد أخبروا ماكدير بكل ما يعرفونه ، إلى جانب قدر معين من الكلام المزخرف . فجأة ، يصبح محاميكم المبتدئ الجاهل رجلا فى غاية الذكاء والخطورة أيضاً " .

" كيف تثبت ذلك ؟ "

" نضع نظاماً صارماً للمراقبة ، كبداية . نضع زوجته تحت المراقبة أربع وعشرين ساعة . لقد اتصلت بـ " لازاروف " وطلبت منه مزيدا من الرجال . لقد أخبرته أننا بحاجة إلى وجوه جديدة . سوف أذهب إلى شيكاغو غداً لأعلِم لازاروف بالمستجدات ، وربما السيد مورولتو نفسه .

لازاروف يظن أن موررولتو لديه علم بوجود جاسوس داخل مكتب التحقيقات الفيدرالية ، شخص قريب من المدير فويلس ومستعد لبيع المعلومات . لكن الأمر مكلف ، حسبما أظن . إنهم يريدون إعادة تقييم الأمور وبعدها يقررون ماذا سيفعلون " .

تساءل لوك : " وهل ستخبرهم أن ماكدير يتحدث إلى المباحث الفيدرالية ؟ "

" سوف أخبرهم بما أعرفه وما أشك فيه . أخشى أننا إذا جلسنا في مقاعدنا وانتظرنا الحصول على دليل ، فقد يفوت الأوان للتصرف . أنا واثق أن لازاروف سوف يريد وضع الخطط من أجل تصفية ماكدير " .

" خطط أولية ؟ " تساءل لامبرت ، في لمحة من الأمل .

" لقد تخطينا مرحلة الخطط الأولية يا أولى " .

كان مطعم أوار جلاس في مدينة نيويورك سيتي يواجه شارع فورتي سيكس ، بالقرب من تقاطعه مع الشارع التاسع . كان المطعم عبارة عن مساحة صغيرة معتمة بها اثنان وعشرون مقعداً ، وقد اكتسب شهرة واسعة بسبب قائمة طعامه غالية الثمن ونظامه الغريب الذى يحدد وقت الوجبة بتسع وخمسين دقيقة فقط . وعلى الحوائط ، وعلى مسافة غير بعيدة من الموائد ، كانت الساعات الرملية ذات الرمل الأبيض تعد الثواني والدقائق حتى تقوم حارسة الوقت بالمطعم ـ النادلة ـ بحساباتها وتنادى بانتهاء الوقت . كانت الحشود القادمة من مسارح برودواى تتردد على المطعم من وقت لآخر ، لكن المطعم يمتلئ دائما برواده المخلصين والذين ينتظرون فوق رصيف الشارع .

كان لوى لازاروف يحب مطعم الساعات الرملية لأنه كان مُظلماً ومناسباً للمحادثات الخاصة . المحادثات القصيرة ، التى تستغرق أقل من تسع وخمسين دقيقة . كان يحب المطعم لأنه لم يكن مطعما ايطالياً ،

وهو ليس إيطالى المولد ، وعلى الرغم من أنه يعمل لحساب عائلة من صقلية ، إلا أنه لا يحب تناول طعامهم . كان يحب المطعم لأنه كان قد ولد وأمضى الأربعين سنة الأولى من حياته فى حى المسارح برودواى . ثم انتقل مقر العائلة إلى شيكاغو ، وانتقل هو معهم . لكن شئون العمل تقتضى وجوده فى نيويورك على الأقل مرتين أسبوعياً ، وعندما تقتضى شئون العمل مقابلة عضو على نفس المكانة من عائلة أخرى ، فقد كان لازاروف دائماً ما يقترح اللقاء فى مطعم أوار جلاس . كان توربتينى على نفس مكانة لازاروف ، أو أكبر قليلا . على مضض ، وافق على اللقاء فى مطعم آوار جلاس .

وصل لازاروف أولاً ولم ينتظر لكى يحصل على مائدة . كان يعلم من واقع الخبرة أن الحشود تقل حوالى الرابعة مساء ، وخاصة أيام الخميس . طلب مشروباً مثلجاً . نقرت النادلة الساعة الرملية فوق رأسه ، وبدأ العد التنازلى . جلس لازاروف فوق مائدة أمامية ، تواجه الشارع ، معطياً ظهره إلى بقية الموائد . كان رجلاً ضخماً فى الثامنة والخمسين ، عريض الصدر ، وله بطن منتفخ . استند بقوة فوق مفرش المائدة الأحمر وأخذ يتطلع إلى السيارات وهى تسير فى شارع فورتى سيكس .

لحسن الحظ ، كان توربتينى دقيق المواعيد . أقل من ربع كمية الرمل الأبيض فى الساعة الرملية قد انتهى قبل وصوله . تصافح الرجلان فى تهذيب بينما أخذ توربتينى يتفحص الآنية الفضية الخاصة بالمطعم فى احتقار . ألقى ابتسامة مصطنعة إلى لازاروف وتطلع إلى مقعده خلال المرآة فى غضب . كان ظهره سيواجه الشارع ، وكان ذلك أمراً مزعجاً وخطيراً بالنسبة له . لكن سيارته كانت بالخارج وبداخلها اثنان من رجاله . قرر أن يلتزم بقواعد الأدب . دار حول المائدة الصغيرة فى رشاقة ثم جلس .

كان توربتينى متأنقاً . كان فى السابعة والثلاثين من العمر ، وكان زوج ابنة بالمبو ، رئيس العائلة ، زوج ابنته الوحيدة . كان نحيلاً وذا سمرة جميلة ، وشعر أسود ناعم إلى درجة كبيرة وهو دائماً ما يمشطه للخلف . طلب توربتينى هو الآخر مشروباً مثلجاً .

" كيف حال صديقى جوى مورولتو ؟ " تساءل توربتينى وعلى وجهه ابتسامة رائعة .

" بخير . ماذا عن السيد بالمبو ؟ "

" مريض للغاية ، ومتكدر المزاج كعادته " .

" أبلغه تحياتى إذا تكرمت " .

" بالتأكيد " .

اقتربت النادلة ونظرت إلى الساعة الرملية نظرة تهديد . قال توربتينى : " مجرد مشروب مثلج . لن أتناول الطعام " .

نظر لازاروف إلى قائمة الطعام وأعادها إلى النادلة قائلا : " سأتناول السمك المشوى ، وزجاجة شراب " .

نظر توربتينى إلى رجاله داخل السيارة بالخارج . بدا أنهما نائمين . قال توربتينى : " إذن ما المشكلة فى شيكاغو ؟ "

" لا توجد مشكلة . نحن بحاجة إلى معلومة صغيرة ، هذا كل شيء . لقد سمعنا ، بشكل غير مؤكد بالطبع ، أن لديكم مصدر معلومات موثوق به داخل مكتب التحقيقات الفيدرالية ، فى موقع قريب من المدير فويلس " .

" وماذا إن كان لدينا هذا المصدر بالفعل ؟ "

" نحتاج إلى بعض المعلومات من الرجل . لدينا وحدة عمليات صغيرة فى ممفيس ، ورجال المباحث يحاولون بجنون اختراقها . نشك أن أحد موظفينا يتعاون مع المباحث ، ولكننا لا نستطيع الوصول إلى هذا الرجل " .

" وإذا وصلتم إليه ؟ "

" سوف نقطع كبده ونطعمه إلى الفئران " .

" الأمر جدى إذن ؟ "

" غاية فى الجدية . شيء يخبرنى أن المباحث تستهدف وحدتنا الصغيرة هناك ، ولقد أصابنا التوتر كثيراً بسبب هذا الأمر " .

" لنقل أن اسمه ألفريد ، وأنه مقرب من فويلس للغاية " .

" حسناً . نريد إجابة بسيطة من ألفريد . نريد أن نعلم ، مجرد إجابة بنعم أو لا ، إذا كان موظفنا يعمل مع المباحث الفيدرالية " .

تطلع توربتينى إلى وجه لازاروف واحتسى شرابه ثم قال : " إن ألفريد متخصص فى الإجابات المختصرة . إنه يفضل الأسئلة التى تتطلب الإجابة بنعم أو لا . لقد استعنا بخدماته مرتين ، فقط فى الحالات المصيرية ، وفى كلتا المرتين كان السؤال : هل المباحث ستهاجم هذا المكان أو ذاك ؟ إنه حذر للغاية . لا أظن أنه سيمدك بالكثير من التفاصيل " .

" هل هو دقيق فى معلوماته ؟ " .

" دقيق لدرجة مميتة " .

" إذن سوف يتمكن من مساعدتنا . إذا كانت الإجابة نعم ، سوف نتحرك وفقاً لذلك . إذا كانت لا ، سينجو الموظف من مصيره المحتوم وسوف تعود حالة العمل إلى الوضع العادى " .

" إن ألفريد مكلف للغاية " .

" كنت أخشى أن تقول هذا . كم سيكلفنا هذا الأمر ؟ "

" حسناً ، إن له ستة عشر عاما بالمباحث وله مستقبل مهنى كبير . لهذا السبب هو حذر للغاية . إن لديه الكثير ليخسره " .

" كم سيكلفنا الأمر ؟ " .

" نصف مليون دولار " .

" اللعنة ! " .

" بالتأكيد ، لابد أن تكون لنا نسبة بسيطة من الربح من عملية نقل المعلومات هذه . إن ألفريد رجلنا ، على أية حال " .

" نسبة ربح بسيطة ؟ "

" بسيطة للغاية . معظم المبلغ سيذهب إلى ألفريد . إنه يتحدث مع فويلس يومياً . ومكتبه على بعد مكتبين من فويلس " .

" حسناً . سوف ندفع " .

لمعت ابتسامة انتصار على وجه توربتينى وارتشف شرابه ثم قال :

" أظن أنك كذبت يا سيد لازاروف . لقد قلت إنها وحدة صغيرة فى ممفيس . هذا غير صحيح ، أليس كذلك ؟ "

" نعم " .

" ما اسم هذه الوحدة ؟ " .

" شركة بنديني القانونية " .

" لقد كانت ابنة السيد مورولتو الكبير متزوجة من بنديني " .

" هذا صحيح " .

" ما اسم الموظف الذى تشكون به " .

" ميتشل ماكدير " .

" قد يتطلب الأمر أسبوعين أو ثلاثة . إن مقابلة ألفريد أمر يتطلب ترتيبات كبيرة " .

" حسناً . فقط أسرع فى الأمر " .

٢٧

. . . .

كان ظهور الزوجات فى ذلك الحصن الصغير بشارع فرونت ستريت أمراً غير مألوف . كان موضع ترحيب بالتأكيد ، أو هكذا قيل لهن ، ولكن كان من النادر أن تتم دعوتهن للحضور . ولذلك وصلت آبى ماكدير عبر الباب الأمامي، إلى داخل صالة الاستقبال دون دعوة أو إعلان عن حضورها . أصرت أنه من الضرورى أن ترى زوجها . اتصلت موظفة الاستقبال بـ " نينا " فى الدور الثاني ، وخلال ثوان ظهرت نينا بسرعة وحيت زوجة رئيسها بترحاب . شرحت لـ " آبى " أن ميتش فى اجتماع . وردت آبى أنه دائما فى اجتماع من نوع ما . ثم طلبت من نينا أن تخرجه من الاجتماع ! اندفعت المرأتان إلى مكتبه، حيث أغلقت آبى حجرة المكتب وانتظرت .

كان ميتش يشهد أحد طقوس سفر تولار إلى رحلة عمل بكل ما تحمله من فوضى . كانت السكرتيرات تتخبطن ببعضهن أثناء السير ويملأن حقائب المستندات بينما تولار يصرخ فى الهاتف . جلس ميتش على الأريكة يشاهد ما يحدث وهو يمسك بمذكره قانونية فى يده . كان من المفترض أن يذهب رئيسه فى رحلة عمل إلى جراند كايمان لمدة يومين . ظهر الخامس عشر من ابريل فوق التقويم كأنه موعد مع فرقة الإعدام ، والبنوك فى الجزيرة لديها سجلات معينة أصبح من الضرورى الاطلاع عليها . أخذ تولار يردد أن الرحلة مجرد عمل . وظل

يتحدث عن الرحلة لمدة خمسة أيام ، يشكو منها ، ويلعنها ، ولكن يصر على أنها حتمية ولا مهرب منها . سوف يستقل طائرة الشركة الخاصة ، والتى كانت تنتظره الآن ، كما قالت سكرتيرته .

ربما تنتظره وهي محمله بأكوام من الأموال ، هكذا فكر ميتش .

وضع تولار سماعة الهاتف بقوة والتقط معطفه . دخلت نينا عبر الباب ونظرت إلى ميتش قائله : " سيد ماكدير ، إن زوجتك هنا . وتقول إنها حاله طارئة " .

صمتت الضوضاء في الغرفة . نظر ميتش إلى تولار في شرود .

تجمدت السكرتيرات فى أماكنهن . تساءل ميتش وهو يقف : " ماذا هنالك ؟ "

قالت نينا : " إنها تنتظرك فى مكتبك " .

قال تولار : " يجب أن أذهب يا ميتش . سوف أتصل بك غداً . أتمنى أن تكون الأمور بخير " .

قال ميتش : " بالتأكيد " . تبع ميتش نينا عبر الردهة ، دون أن ينطق بشيء ، إلى أن وصل إلى حجرة مكتبه . كانت آبى تجلس فوق مكتبه . أغلق الباب بإحكام . تطلع إلى ملامحها بحرص .

قالت آبى : " يجب أن أذهب إلى منزل عائلتى يا ميتش " .

" لماذا ؟ ماذا حدث ؟ " .

" لقد اتصل والدى بالمدرسة منذ قليل . لقد عثر الأطباء على ورم فى إحدى رئتى والدتى . سوف يجرون لها جراحة غداً " .

تنفس ميتش بعمق وقال : " أنا آسف " . لم يلمسها . ولم تكن هى تبكى .

قالت : " يجب أن أسافر . لقد أخذت إجازة من المدرسة " .

" كم ستمكثين هناك ؟ " تساءل ميتش بعصبية .

نظرت آبى داخل ميتش ، إلى ذلك الحائط من الأنانيـة الـذى يفصل بينهما وقالت : " لا أدرى يا ميـتش . نحـن بحاجـة إلى بعـض الوقت بعيداً عن بعضنا البعض . أنا متعبة من أشياء كـثيرة الآن ، وأحتـاج إلى وقت أقضيه بمفردى . سيكون مفيداً لكلينا " .

" دعينا نتحدث فى الأمر " .

" أنت مشغول للغاية ولا تجد وقتا للحديث يا ميتش . لقد حاولـت أن أتحدث معك خلال ستة أشهر ، ولكنك لا تستطيع أن تسمعنى " .

" كم ستظلين هناك يا آبى ؟ "

" لا أدرى . أظن أن ذلـك يتوقـف علـى حالـة أمـى . كـلا ، إن ذلـك يعتمد على أشياء كثيرة " .

" أنت تخيفيننى يا آبى " .

" أعدك أننى سأعود . لكن لا أدرى متى . ربمـا بعـد أسـبوع . ربمـا بعد شهر . أحتاج إلى التفكير وترتيب الأمور " .

" شهر ؟ "

" لا أدرى يا ميتش . أحتاج إلى بعض الوقت فقط . وأحتاج أن أظـل بالقرب من أمى " .

" أتمنى أن تكون أمك بخير . وأعنى ما أقول " .

" أعرف ذلك . سأذهب إلى المنزل لأحـزم بعـض الملابـس ، وسـوف أغادر فى خلال ساعة تقريبا " .

" حسناً . احترسى لنفسك " .

" أحبك يا ميتش " .

أومأ برأسه وشاهدها وهـى تفـتح البـاب وتنصـرف . لم يكـن هنـاك عناق توديع .

في الطابق الخامس ، ضغط أحد الفنيين زر إعادة الشريط ثم ضغط زر الطوارئ المتصل بمكتب ديفاشر . ظهر ديفاشر على الفور ووضع سماعة الأذن فوق رأسه الضخم . أنصت للحظه ثم قال : " أعد الشريط ، ثم صمت لدقيقه أخرى .

تساءل ديفاشر : " متى حدث ذلك ؟ "

نظر الفنى إلى اللوحة المليئة بالأرقام وقال : " منذ دقيقتين وأربع عشرة ثانية . في حجرة مكتبه ، بالطابق الثانى " .

" اللعنة ، اللعنة . إنها ستتركه ، أليس كذلك ؟ ألم يحدث بينهما حديث عن الانفصال أو الطلاق من قبل ؟ "

" كلا . كنا سنخبرك بالأمر . لقد تناقشا كثيراً حول روتين عمله المكثف ، وكذلك عن كرهه لوالديها . لكن لم يحدث شيء كهذا " .

" حسناً ، حسناً . اذهب إلى ماركوس وتأكد إذا كان قد سمع شيئاً كهذا من قبل . وتفقد الأشرطة ، ربما يكون قد فاتنا شيء ما . اللعنة ، اللعنة ! " .

بدأت آبى الرحلة نحو كينتاكى ، لكنها لم تصل إلى هناك . بعد ساعة من القيادة على الطريق غرب ناشفيل ، تركت طريق الولايات رقم ٤٠ ، واستدارت إلى الشمال على الطريق السريع رقم ١٣ . لم تلاحظ أى سيارات وراءها . كانت تسير بسرعة ثمانين ميلا في الساعة أحياناً ، ثم تخفض السرعة إلى خمسين . لا شيء . عند بلدة صغيرة تسمى كلارك فيل ، بالقرب من حدود كينتاكى ، اتجهت فجأة إلى الطريق السريع رقم ١٢ . بعد ساعة وصلت إلى مدينة ناشفيل من خلال طريق المقاطعة ، وسرعان ما تاهت سيارة البيجو الحمراء وسط زحام المدينة .

أوقفت سيارتها في قسم الانتظار الطويل بساحة انتظار مطار ناشفيل وركبت إحدى السيارات التابعة للمطار حتى صالة الانتظار .

فى حمام السيدات بالطابق الأول بدلت ملابسها إلى سروال كاكى قصير ، وحذاء خفيف ، وكنزة زرقاء . كان ملبساً لطيفاً ، غير متناسب مع الطقس قليلاً ، لكنها كانت متجهة إلى مناخ أكثر دفئًا . جمعت شعرها الذى يصل إلى كتفيها فى تسريحة ذيل الحصان ووضعته أسفل ياقة البلوفر . غيرت نظارتها الشمسية ووضعت فستانها والحذاء ذا الكعب العالى وجواربها الطويلة داخل حقيبة رياضية قماشية .

بعد خمس ساعات من مغادرة ممفيس ، سارت إلى بوابة شركة طيران دلتا وقدمت تذكرة سفرها إلى الموظفة . ثم طلبت أن تجلس فى مقعد مجاور للنافذة .

لا توجد طائرة تابعة لشركة طيران دلتا يمكن أن تتفادى المرور بولاية أتلانتا فى أى من رحلاتها فى أمريكا ، لكن لحسن حظ آبى فإنها لم تجبر على تغيير الطائرة التى تستقلها . انتظرت فى مقعدها المجاور للنافذة وأخذت تشاهد الظلام وهو يخيم على المطار المزدحم . كانت تحس بالعصبية ، لكنها حاولت ألا تفكر فى الأمر . تناولت كأساً من الشراب وقرأت مجلة النيوزويك .

بعد ساعتين هبطت الطائرة فى ميامى وغادرتها آبى . سارت مسرعة فى أروقة المطار ، تلاحقها النظرات لكنها تجاهلتها كالعادة . إنها مجرد نظرات إعجاب ورغبة كالتى تلاحقها كل يوم ولا شيء أكثر من ذلك ، هكذا قالت لنفسها .

عند البوابة الأولى والوحيدة لشركة طيران جزر كايمان ، قدمت إلى الموظفة تذكرة ذهاب وعودة وشهادة الميلاد ورخصة القيادة . كم هم رائعون أهالى جزر كايمان ، ولكنهم لن يسمحوا لك بدخول بلادهم إلا إذا اشتريت تذكرة عودة أولاً . كأنهم يقولون لك ، تعال من فضلك ، وأنفق أموالك لدينا ، ثم غادر .

جلست فى أحد الأركان بصالة الانتظار المزدحمة وحاولت أن تقرأ . ظل أحد الرجال ، وكان بصحبته زوجته الجميلة وطفله الرضيع ، يتطلع إليها بإعجاب ، ولكن لم يلاحظ وجودها غيره . كانت الطائرة المتجهة إلى جزيرة جراند كايمان ستغادر خلال ثلاثين دقيقة .

بعد بداية صعبة ، استعاد تولار الدافعية والنشاط مرة أخرى وأمضى سبع ساعات فى بنك رويال مونتريال ، فرع جزر كايمان ، بمدينة جورج تاون . عندما غادر فى تمام الخامسة مساءً ، كانت حجرة الاجتماعات الفخمة تمتلئ بالمستندات المطبوعة ومذكرات الحسابات البنكية . سوف ينتهى من الأمر غداً . كان بحاجة إلى ماكدير ، لكن الظروف تحالفت لكي تعرقل خطط رحلاته . كان تولار يشعر بالإرهاق والعطش . وكان الشاطئ يمتلئ بالجميلات .

فى ملهى رومهيدس ، التقط زجاجة شراب وسار بجسده الذى اكتسب سمرة الجزيرة بين الحشود المجتمعة حتى وصل إلى الشرفة ، وهناك أخذ يبحث عن طاولة . وبينما كان يسير بثقة بين لاعبى الدومينو ، وصلت إلى الملهى تامي جرين وود هيمفيل ، من شركة جرين وود سيرفس ، وسارت فى عصبية وعدم اكتراث بين الحشود حتى جلست فوق مقعد مرتفع أمام المشرب . أخذت تراقبه . كانت سمرتها مصطنعة ، مكتسبة من جهاز إكساب السمرة ، وكانت بعض أجزاء جسمها أكثر سمرة من البعض الآخر . لكن بشكل عام كانت سمرتها تستحق الحسد بالنسبة لأواخر شهر مارس . صار شعرها مصبوغاً باللون الأصفر الرملى ، وليس الأشقر الباهت ، وبالمثل تبدل الماكياج ليتناسب مع لون الشعر . أما لباس البحر الذى ترتديه فكان تحفه فنية ، بلونه البرتقالى الزاهى الذى يجذب الانتباه . ولم يكن لباس البحر يخفى كثيراً من جمالها المثير . كانت فى الأربعين من العمر ،

لكن عشرين زوجاً من الأعين الجائعة كانت تلاحقها داخل الملهى ، حيث طلبت كأساً من الصودا بالليمون وأشعلت إحدى سجائرها . أخذت تدخن سيجارتها ، وتراقبه .

كان تولار ذئباً وسيم الملامح ، وكان يعرف ذلك . أخذ يرتشف شرابه ويتفحص كل الإناث في بطه في مساحة قطرها خمسون ياردة . نظر إلى إحدى الفتيات ، وكانت شقراء صغيرة السن ، وبدأ يستعد للانقضاض عندما وصل رفيقها وجلس بجوارها . احتسى مزيداً من الشراب واستمر في عملية المراقبة والتفحص .

طلبت تامي كأساً أخرى من الصودا ، وبدأت السير تجاه الشرفة . اجتذب جسمها المثير أعين الذئب على الفور، وأخذ يراقبها وهي تتجه نحوه .

تساءلت تامي : " أتمانع إذا جلست معك ؟ " .

وقف وامتدت يده إلى الكرسي قائلاً : " تفضلي " . لقد كانت لحظة عظيمة بالنسبة له . من بين كل الذئاب الجائعة التي تنتشر حول الملهى وفي شرفة رومهيدس ، لقد اختارته هو . كان أمامه فتيات أصغر سناً ، ولكن في تلك اللحظة وفي هذا المكان ، كانت هي أكثرهن جاذبية .

" أنا آفري تولار من ممفيس " .

" سعدت بلقائك . أنا ليبي . ليبي لوكس من برمنجهام " . الآن صار اسمها ليبي . كانت لديها أخت تسمى ليبي ، وأم تدعى دوريس ، وكان أسمها تامي . كانت تتمنى ألا تختلط عليها الأسماء . وعلى الرغم من أنها لم تكن تضع خاتم الزواج ، إلا أن لها زوجاً اسمه القانوني إلفيس ، ومن المفترض أن يكون في أوكلاهوما سيتي يقلد شخصية ملك موسيقى الروك إلفيس برسلي ، أو لعله يخوض في مغامرات مع المراهقات من معجبات المغني الراحل .

تساءل تولار : " ماذا جاء بك إلى هنا ؟ "

" الاستمتاع فقط . لقد وصلت هذا الصباح . وأقيم فى فندق بالمز . ماذا عنك ؟ "

" أنا محامى ضرائب ، وقد لا تصدقين ما سأقول ، ولكنى هنا فى مهمة عمل رسمية . أنا مجبر على الحضور إلى هنا عدة مرات فى السنة . عذاب حقيقى " .

" أين تقيم ؟ "

أشار بيده وقال : " إن شركتى تمتلك هاتين الاستراحتين هناك . وهى وسيله لطيفة لتخفيض الضرائب " .

" رائع للغاية " .

لم يتردد الذئب وقال : " هل تحبين رؤية الاستراحة ؟ "

أطلقت تامى ضحكة مجلجلة ، كأنها مراهقة فى المدرسة الثانوية وقالت : " ربما فيما بعد " .

ابتسم وهو ينظر إليها . حدثه عقله أنها ستكون صيداً سهلاً . لكم يحب هذه الجزر .

تساءل : " ماذا تحبين أن تشربى ؟ "

" كما ستشرب أنت " .

ذهب إلى الساقى ، وعاد يحمل كئوس الشراب . قرّب كرسيه إلى كرسيها ، حتى أن أقدامهما صارت تتلامس . وضعت تامى مرفقيها فوق الطاولة فى استرخاء . وتعلقت عيناه على الفور بأسفل رقبتها .

تساءل : " هل أنت هنا بمفردك ؟ " كان سؤالاً شديد الوضوح ، ولكن كان لابد من طرحه .

" نعم ، وأنت ؟ "

" أنا كذلك . هل لديك خطط للعشاء ؟ "

" كلا فى الوقع " .

" عظيم . هناك حفلة شواء خارجي رائعة بفندق بالمز ستبدأ في السادسة . سوف يقدمون أفضل الأطعمة البحرية بالجزيرة . وهناك موسيقى جميلة ومشروبات لذيذة . كل ما يرغب المرء فيه . ليس هناك داع لارتداء الملابس الرسمية " .

" سوف آتي بالتأكيد " .

سارا قريبين من بعضهما ، وفجأة بدأت إحدى يديه تلمس ركبتيها . ووضع ذراعه حولٍ كتفها ، وابتسم . وابتسمت هي الأخرى . لم يكن تصرفه مزعجاً بدرجة لا يمكن تحملها ، ولكن هناك عملاً لابد من القيام به .

بدأت فرقة بيرفوت بويز عزفها ، وبدأت معها الاحتفالات . اندفع المتسكعون من كل اتجاه إلى فندق بالمز . اصطف الخدم من أهل الجزيرة وهم يرتدون السترات والسراويل القصيرة البيضاء ، يضعون الموائد ويفرشون فوقها المفروشات القطنية الثقيلة . انتشرت فوق الشاطئ رائحة الجمبرى المقلي وسمك البلطي المشوى وسمك القرش المشوى على الفحم . سار العصفوران المحبان ، تولار وليبى ، متشابكى الأيدى في ساحة فندق بالمز ووقفا داخل الصفوفِ أمام مائدة الطعام .

لمدة ثلاث ساعات لم يفعلا شيئاً سوى الأكل والرقص ، والشرب ، والرقص مرة أخرى ، والانخراط في لهيب العاطفة التي اشتعلت بينهما . ما إن وصل تولار إلى حالة الثمالة ، حتى عادت تامي إلى شرب المياه الغازية والصودا . أصبح العمل فيٍ متناول اليد . بحلول العاشرة ، صار يترنح واضطرت إلى جذبه بعيدا عن ساحة الرقص ، إلى استراحة الشركة المجاورة للفندق . اقترب تولار منها عند الباب الأمامي ، وظلا يتبادلان القبلات . ثم أخرج مفتاح الاستراحة ، ثم دلفا إلى الداخل .

قالت ، وهى تتظاهر بدور الفتاة اللعوبٍ : " أريد كأساً أخرى من الشراب " . ذهب إلى الثلاجة وأعد لها كأساً من الشراب . وأعد لنفسه كأساً أكبر . جلسا فى الشرفة الخارجية لغرفة النوم الرئيسية وشاهدا هلال القمر وهو يزين سطح البحرٍ البراق .

لقد استطاعت أن تجاريه كأساً بكأس ، هكذا حدث نفسه ، وإذا كانت تستطيع أن تتناول كأساً أخرى ، فكذلك يستطيع هو . لكن الطبيعة كانت تناديه مرة أخرى ، فاستأذن للذهاب إلى الحمام . كانت كأس شرابه تستقر فوق المائدة بينهما ، ونظرت إليه تامى وابتسمت . لقد كان الأمر أسهل مما كانت تتمنى . أخرجت علبة بلاستيكية صغيرة من الحزام البرتقالى الذى تلفه حول ساقها وأفرغت كبسولة من هيدروكسيد الكلورال داخل كأسه . وأخذت ترتشف شرابها .

قالت عندما رجع : " اشرب كأسك أيها الفتى الكبير . أنا مستعدة للاحتفال الآن " .

أمسك تولار بكأس شرابه وتجرعه . كانت حاسة التذوق عنده قد تخدرت منذ ساعات . أخذ جرعة أخرى ، وبدأ يحسٍ بالاسترخاء . ثم جرعة أخرى . دار رأسه مٍن كتف إلى كتف ، وأخيراً سقط ذقنه فوق صدره . وأصبح تنفسه ثقيلاً .

قالت تامى : " نوماً هنيئاً ، أيها الفتىٍ العاشق " .

بالنسبة لرجل يزن مائة وثمانين رطلا ، فإن كبسولة واحدة من هيدروكسيد الكلورال كافية لوضعه فى حالة غيبوبة لمدة عشر ساعات . أمسكت بكأس شرابه وقدرت ما تبقى فيها . لم يكن كثيراً . خمنت أنه سينام لثمانى ساعات ، من باب الاحتياط . دفعت به خارج الكرسى ثم جذبته داخل الفراش . وضعت رأسه أولاً ، ثم قدميه . وبدقة شديدة ، جذبت سروال البحر ذا اللونين الأصفر والأزرق إلى أسفل ساقيه ، ثم

ألقت به فوق الأرض . نظرت إليه لثانية ، ثم غطته بالملاءات والأغطية . وقبلته قبلة المساء .

على طاولة الزينة وجدت سلسلتين من المفاتيح ، بهما أحد عشر مفتاحاً . وفي الطابق الأول ، داخل الصالة التي تفصل بين المطبخ وغرفة المعيشة الضخمة والتي تطل على الشاطئ ، وجدت الباب المغلق الغامض الذى عثر عليه ميتش في نوفمبر . كان ميتش قد قام بحساب مساحة كل الغرف العلوية والسفلية وقدر أن مساحة هذه الغرفة لن تقل عن خمس عشرة قدماً مربعة طولاً وعرضاً . كانت الغرفة مثيرة للشبهات لأن بابها من المعدن ولأنه كان محكم الغلق ولأنه كانت هناك لافتة صغيرة فوقه كتب فوقها كلمة " تخزين " . كانت هذه الغرفة هي الوحيدة التي علقت عليها لافتة داخل الاستراحة . وقبل أسبوع مضى ، لم يعثر هو وآبى على أى غرفة مماثلة في الاستراحة رقم ٢ .

كانت سلسلة المفاتيح الأولى تحمل مفتاحاً لسيارة مرسيدس ، ومفتاحين لمبنى بنديني ، ومفتاح منزل ، ومفتاحي شقة ، ومفتاح مكتب . أما المفاتيح بالسلسلة الثانية فكانت غير محددة ومتشابهة إلى حد كبير . جربت المفتاح الأول ، وكان رابع مفتاح تجربه هو المناسب لباب الغرفة . حبست أنفاسها وفتحت الباب . لم تكن هناك صدمات كهربية ، ولا انطلقت صفارات الإنذار . لم يحدث أى شيء . كان ميتش قد أخبرها أن تفتح الباب ، وتنتظر لخمس دقائق ، وإذا لم يحدث أى شيء ، حينها تضيء الأنوار .

انتظرت لعشر دقائق . مرت الدقائق طويلة ومخيفة . كان ميتش قد خمن أن الاستراحة رقم ١ يستخدمها الشركاء والضيوف محل الثقة ، أما الاستراحة رقم ٢ فيستخدمها المحامون وأشخاص آخرون موضع مراقبة دائمة . ولذلك كان يأمل أن تكون الاستراحة رقم ١ خالية من أجهزة التنصت وكاميرات المراقبة وأجهزة التسجيل والإنذار . بعد

عشر دقائق ، فتحت الباب على مصراعيه وأضاءت الأنوار . انتظرت مرة أخرى ، ولم تسمع شيئاً . كانت الغرفة مربعة ، تقريباً خمسة عشر قدماً مربعة ، وكانت بيضاء الحوائط ، خالية من السجاد وبها اثنتا عشرة خزانة ملفات قانونية مقاومة للحرائق . سارت في بطء إلى إحدى الخزانات وجذبت الدرج الأعلى . لم يكن الدرج محكم الغلق .

أطفأت الأنوار ، وأغلقت الباب وعادت إلى غرفة النوم في الطابق العلوى ، حيث كان تولار يغط في النوم بصوت مرتفع . كانت الساعة تشير إلى العاشرة والنصف . كان عليها أن تعمل بجنون لثماني ساعات وتتوقف في السادسة صباحاً .

إلى جوار مكتب بأحد الأركان ، كان هناك ثلاث حقائب مستندات كبيرة الحجم تستقر بجانب بعضها . جذبت الحقائب ، وأغلقت الأضواء وغادرت عبر الباب الأمامي . كانت ساحة الانتظار الصغيرة مظلمة وخالية وبها ممر صخرى يقود إلى الطريق السريع . كان هناك رصيف بجانب الشجيرات التي تكسو واجهة كلا الاستراحتين ويتوقف أمام سور خشبي أبيض يرسم حدود العقار . كان هناك بوابة تقود إلى تبة صغيرة خفيفة العشب ، يلوح فوقها مبنى فندق بالمز .

كانت المسافة بين الاستراحتين إلى الفندق قصيرة ، لكن حقائب المستندات صارت أثقل وزناً عندما وصلت تامي إلى الغرفة رقم ١٨٨ . كانت الغرفة بالطابق الأول ، في الجانب الأمامي من الفندق ، وتطل على حمام السباحة وليس على الشاطئ . كانت تلهث وتتصبب عرقاً عندما طرقت الباب .

فتحت آبي باب الغرفة . أخذت الحقائب ووضعتها على الفراش قائلة : " هل كانت هناك مشاكل ؟ "

" لا شيء حتى الآن . إنه يغط في النوم " . مسحت تامي وجهها بمنشفة وفتحت زجاجة كولا .

" أين هو الآن ؟ " تساءلت آبي في جدية ، ودون أن تبتسم .

" في الفراش . أظن أن أمامنا ثماني ساعات . حتى السادسة تقريباً " .

" هل دخلت الغرفة ؟ " تساءلت آبي وهي تناولها سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً فضفاضاً .

" نعم . هناك دستة من خزانات الملفات الكبيرة ، كلها مفتوحة . هناك قليل من الصناديق الكرتون وبعض الخردة ، لكن لا شيء أكثر " .

" نعم ، خزانات طويلة . من الحجم القانوني . سنكون محظوظين إذا انتهينا في السادسة " .

كانت حجرة الفندق فردية وبها سرير ضخم . كانت الأريكة ، وطاولة القهوة ، والفراش قد تم نقلهم إلى جوار الحائط ، واستقرت ماكينة نسخ مستندات من طراز كانون ٨٥٨٠ ذات التلقيم الذاتي والتجميع الأوتوماتيكي للنسخ تستقر في وسط الحجرة ، مستعدة للعمل . كانت الماكينة مستأجرة من شركة أيلاند أوفيس سَبْلاى ، نظير ثمن مغالى فيه وقدره ثلاثمائة دولار لمدة أربع وعشرين ساعة ، وتوصيلها إلى الفندق . كانت الماكينة هي الأحدث والأكبر حجماً بين الماكينات المستأجرة على الجزيرة ، هكذا شرح لها البائع ولم يكن متحمساً لتركها تغيب عن نظره لمدة يوم كامل . لكن آبي استطاعت إغراءه عندما بدأت تضع العملات الورقية فئة المائة دولار على سطح مكتبه . استقرت إلى جوار الفراش حقيبتان تمتلئان بأوراق النسخ ، وبهما عشرة آلاف ورقة .

فتحتا حقيبة المستندات الأولى وأخرجتا ستة ملفات صغيرة " نفس نوع الملفات " . غمغمت تامي وهي تحادث نفسها . فتحت المشبك الذى يغلق الملف من الداخل وأزالت الأوراق . " لقد قال ميتش إنهم يهتمون بهذه الملفات كثيراً " . أخذت تامي تشرح وهي تخرج

مستنداً من عشر صفحات ، ثم أكملت تقول : " يقولون إن المحامين لديهم حاسة سادسة ويستطيعون أن يعرفوا على الفور إذا كانت إحدى السكرتيرات أو الموظفات قد عبثت فى أحد الملفات . لذلك عليك أن تلتزمى الحرص . وأن تعملى ببطء . قومى بنسخ مستند واحد ، وعندما تقومين بإعادة ترتيبه داخل المشبك الدائرى ، حاولى ضبط الفتحات القديمة حسب ما كانت عليه داخل المشبك . إنه عمل مرهق . قومى بنسخ مستند واحد كل مرة ، بغض النظر عن عدد صفحاته . ثم قومى بترتيبه بعد ذلك فى وضعه القديم ببطء . بعد ذلك قومى بترتيب النسخة المصورة حتى يكون كل شيء مضبوطاً تماماً " .

بواسطة التلقيم التلقائى ، كان المستند ذو الصفحات العشر يستغرق ثمانى ثوان .

قالت تامى : " إنها سريعة للغاية " .

انتهت حقيبة المستندات الأولى خلال عشرين دقيقة . ناولت تامى سلسلتي المفاتيح إلى آبى والتقطت حقيبتين جديدتين فارغين من القماش الخالص . غادرت بعدها متجهة إلى الاستراحة .

تبعتها آبى إلى خارج الباب ثم أغلقته بإحكام . سارت آبى إلى خارج الفندق ، إلى السيارة النيسان التى استأجرتها تامى . أخذت تتفادى السيارات التى تسير على الجانب الخطأ من الطريق ، وهى تقود سيارتها على طول شاطئ سفن مايلز متجهة إلى جورج تاون . بعد مربعين سكنيين خلف مبنى البنك السويسرى ، وفى شارع ضيق يمتد بمحاذاة المنازل ذات الواجهات الأنيقة ، وجدت آبى المنزل الوحيد الذى يمتلكه صانع الأقفال الوحيد فى جزيرة جراند كايمان . على الأقل ، كان هو الوحيد الذى استطاعت تحديد مكانه دون مساعدة . كان يمتلك منزلاً أخضر اللون به نوافذ مفتوحة وخشب للزينة أبيض اللون يحيط بالأبواب ومصارع النوافذ .

أوقفتت سيارتها فى الشارع وسارت فوق الرمال إلى الشرفة الأمامية الصغيرة ، حيث كان صانع الأقفال يجلس وحوله جيرانه يشربون ويستمعون إلى محطة راديو كايمان التى كانت تبث موسيقى الكاريبى . ساد الهدوء عندما اقتربت آبى ، ولكن لم يقف أحداً منهم . كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة . كان صانع الأقفال قد وعد آبى أن ينفذ العمل المطلوب فى ورشته خلف المنزل ، وأن أتعابه ستكون متواضعة ، وأنه يريد وجبة عشاء فاخرة كدفعة أولى قبل أن يبدأ العمل .

قالت آبى : " أعتذر عن التأخير يا سيد دانتلى . لقد أحضرت لك هدية بسيطة " . أخرجت آبى وجبة العشاء الفاخرة .

ظهر السيد دانتلى من الظلمة وتناول . أخذ يفحص محتوياتها وقال : " لقد حصلنا على الصندوق الذى يحتوى على الوجبة يا رفاق " .

لم تكن آبى تفهم حديثهم ، لكن كان من الواضح أن الجماعة الجالسة فوق الشرفة قد شعرت بسعادة كبيرة بحصولهم على وجبة العشاء الفاخرة . ناولهم دانتلى الصندوق وقاد آبى إلى خلف منزله ، إلى مبنى صغير يمتلئ بالأدوات والماكينات الصغيرة والكثير من المفاتيح . كان هناك مصباح أصفر وحيد يتدلى من السقف ويجتذب الناموس بالمئات . ناولت آبى المفاتيح الاثنى عشر إلى دانتلى ، فوضعهم بحذر على جزء خال من منضدة تبعثرت فوقها الخردة . قال دون أن ينظر : " سيكون ذلك عملاً بسيطاً " .

على الرغم من إنه كان مجهداً فى العمل طوال اليوم وكانت الساعة الحادية عشرة مساءً ، إلا أن دانتلى بدا متحكماً فى نفسه وكان فى كامل تركيزه . ربما يكون جسده قد طور مناعة لتأثير السهر . كان يعمل وعلى عينيه نظارة غليظة ، يقوم بحفر وتهذيب كل مفتاح مقلد .

بعد عشرين دقيقة ، انتهى من عمله . ناول آبى مجموعتى المفاتيح الأصلية والنسخ المقلدة .

" شكراً جزيلاً يا سيد دانتلي . كم أدين لك ؟ " .

" لقد كان عملاً سهلاً للغاية . دولار عن كل مفتاح " .

أعطته المال ثم غادرت .

أفرغت تامى محتوى الدرج الأعلى لخزانة الملفات الأولى داخل الحقيبتين الصغيرتين . كانت كل خزانة تحوى خمسة أدراج ، وهناك اثنتا عشرة خزانة ، مما يعنى ستين رحلة ذهاب وعودة بين الاستراحة وماكينة النسخ فى الفندق ، كل هذا خلال ثمانى ساعات ، ولكن يمكن إنجاز ذلك فى الوقت المحدد . كان هناك ملفات ودفاتر ، ومستندات مطبوعة والمزيد من الملفات . لقد أخبرها ميتش أن تنسخ كل شيء . لم يكن متأكداً عما يبحث عنه ولذلك عليها أن تنسخ كل شيء .

أطفأت الأنوار وصعدت إلى الطابق الثانى لكى تتفقد الفتى العاشق . لم يتحرك من موضعه . كان غطيطه يصدر بالحركة البطيئة .

كانت كل حقيبة من الحقيبتين تزن ثلاثين رطلاً ، أحست بالألم فى ذراعيها عندما وصلت إلى الحجرة ١٨٨ . كانت هذه أول رحلة من ستين رحلة ، ولذلك أحست أنها لن تتمكن من تنفيذ المطلوب . لم تعد آبى بعد من مدينة جورج تاون ، ولذلك أفرغت تامى محتوى الحقيبتين فوق الفراش فى ترتيب . أخذت رشفة من مشروب الكولا وغادرت الحجرة وهى تحمل الحقائب الفارغة . عادت إلى الاستراحة مرة أخرى . كان الدرج الثانى مطابقاً للأول . وضعت الملفات بترتيب داخل الحقائب ثم أغلقتها بقوة . كانت تتصبب عرقاً وتلهث بقوة . فكرت أن ذلك شيء طبيعى نظراً لأنها تدخن أربع علب سجائر كل يوم . قررت أن تخفض العدد إلى علبتين فقط . أو ربما علبة واحدة . صعدت إلى

الطابق الأعلى لتتفقد تولار . لم يتحرك من موضعه منذ الرحلة السابقة .

كانت ماكينة النسخ تنقر وتهدر عندما عادت تامى إلى الغرفة من الرحلة رقم اثنين . كانت آبى تنتهى من الحقيبة الثانية ، وعلى وشك أن تبدأ فى الحقيبة الثالثة .

تساءلت تامى : " هل أحضرت المفاتيح ؟ "

" نعم ، لا توجد مشكلة . ماذا يفعل الفتى العاشق ؟ "

" لو لم تكن الماكينة تعمل ، كنت سمعت صوت غطيطه " . أفرغت تامى كومة أخرى من الملفات ووضعتها فى ترتيب على الفراش . مسحت وجهها بمنشفة مبتلة وغادرت متجهة إلى الاستراحة .

انتهت آبى من نسخ حقيبة المستندات الثالثة وبدأت العمل على الأكوام المفرغة من خزائن الملفات . تمكنت بسرعة من استيعاب نظام التلقيم الأوتوماتيكى ، وبعد ثلاثين دقيقة صارت تتحرك كموظفة نسخ متمكنة . صارت تلقم النسخ وتخرج المستندات من مشبكها أو تعيد وضعها داخل المشبك الدائرى بينما كانت الماكينة تنقر بسرعة وتخرج النسخ المصورة عبر فتحة الإخراج .

وصلت تامى من الرحلة الثالثة وهى تلهث بصعوبة والعرق يتساقط من أنفها . قالت : " هذا محتوى الدرج الثالث . مازال صديقنا يغط فى النوم " . فتحت الحقيبة ورصت الملفات بشكل منظم فوق الفراش . أخذت تلتقط أنفاسها ، ومسحت وجهها ووضعت محتوى الدرج الأول الذى تم نسخه داخل الحقائب . لنهاية الليلة ، ستحمل الحقائب ممتلئة أثناء رحلتى الذهاب والعودة .

عند منتصف الليل ، أنهى فريق بيرفوت بويز آخر أغانيه ، وهدأت الحركة فى فندق بالمز استعدادا للنوم . كان طنين الماكينة الهادئ لا يمكن سماعه خارج الغرفة ١٨٨ . أغلق الباب بإحكام ،

وجذبت ستائر النوافذ إلى أسفل ، وأغلقت جميع الأنوار فيما عدا مصباح بجوار الفراش . لم يلاحظ أحد تلك السيدة المتعبة ، وهي تتصبب عرقا ، وتحمل نفس الحقيبتين من الغرفة وإليها .

بعد منتصف الليل لم تتحدثا بشيء . كانت كلاهما متعبة ، ومشغولة وخائفة للغاية ، ولم يكن هناك ما يتحدثان عنه سوى حركة الفتى العاشق ، إذا تحرك في سريره . ولم يتحرك قط ، حتى الساعة الواحدة صباحاً ، عندما انقلب على أحد جانبيه لعشرين دقيقة ثم انقلب على ظهره . كانت تامي تتفقده في كل رحلة تقوم بها وتسأل نفسها ماذا ستفعل إذا فتح عينيه فجأة وهجم عليها . كان لديها أنبوب صغير من رذاذ الفلفل الحارق داخل جيب سروالها القصير ، كاحتياط في حالة حدوث مواجهة والاضطرار إلى الهرب . لم يقدم لها ميتش تفصيلاً دقيقاً لعملية الهرب . قال لها ألا تقوده إلى غرفة الفندق فقط . عليها فقط أن ترشه بالرذاذ الحارق ، ثم تفر كالمجنونة وهي تصرخ : " محاولة اغتصاب ! " .

لكن بعد خمس وعشرين رحلة ، أصبحت مقتنعة أن أمامه ساعات لكي يستيقظ . وما زاد الأمر صعوبة هو قيامها بهذه الرحلات المتعبة جيئة وذهاباً مثل الحمار يحمل أسفاراً ، بل وصعودها إلى أعلى السلالم ، الأربع عشرة درجة ، في كل رحلة ، لكي تتفقد كازانوفا النائم . ولذلك صارت تتفقده كل رحلتين ، ثم كل ثلاث رحلات .

عند الثانية صباحاً ، وصلتا إلى نصف المشروع ، وانتهتا من نسخ محتويات خمس خزائن ملفات . قامتا بنسخ ما يزيد على أربعة آلاف نسخة ، وصار الفراش ممتلئاً بأكوام صغيرة مرتبة من المستندات الأصلية . أما النسخ التي صنعوها فكانت تستقر على طول الحائط في سبعة صفوف ترتفع إلى مستوى الخصر تقريباً .

أخذت كل منهما راحة لمدة خمس عشرة دقيقة .

فـى الخامسـة والنصـف بـدأ أول شـعاع للشـمس يظهـر فـى الأفـق الشرقى ، وحاولت كل منهما أن تنسى التعب والإرهـاق . سرّعت آبـى من حركتها حول ماكينة النسخ وتمنت ألا تتوقف الماكينة عـن العمـل . دلكت تامى ساقها المتعبة وسارت بسـرعة إلى الاسـتراحة . لقـد كانـت الرحلة رقم واحد وخمسين أو اثـنين وخمسـين . لقـد اخـتلط الحسـاب عليها . ستكون هذه رحلتها الأخيرة لبعض الوقت . حيـث كـان تـولار ينتظرها .

فتحت تامى الباب وسارت مباشرة إلى غرفـة التخـزين ، كالعـادة . فى هـدوء صـعدت إلى الطـابق الأعلـى ، إلى غرفـة النـومِ ، ثـم تجمـدت مكانها . كان تولار يجلس على حافة السرير ، مواجهاً الشرفة . سمـع صوت خطواتها واستدار ببطء لكى يواجهـهـا . كانـت عينـاه متـورمتين ولامعتين . نظر إليها فى عبوس .

غريزياً ، فتحت أزرار السروال الكاكى القصير وتركته يسـقط علـى الأرض . " مرحباً أيها الفتى الكبير . " قالـت ذلـك ، وهـى تحـاول أن تتنفس بشكل طبيعى وتتصرف مثـل الفتـاة اللعـوب . سـارت إلى حافـة السرير حيث يجلس وقالـت : " لقـد اسـتيقظت مبكـراً . دعنـا نحظـى بمزيد من النوم " .

عاد ينظر إلى الشرفة . لم يقلٍ شيئاً . جلست بجانبيه ودلكت بيدها كتفه . حركت يدها إلى أعلى قليلاً عند رأسه ، لكنـه لم يتحرك .

تساءلت : " هل أنت مستيقظ ؟ "

لم يستجب .

" تولار ، تحدث إلىَّ يا عزيزى . دعنا ننام قليلاً . إن الجو لا يـزال مظلماً بالخارج " .

سقط على جانبه على الوسادة . بدأ يغط في النوم . لم يحاول أن يتكلم . مجرد غطيط . ثم أغلق عينيه . رفعت ساقيه إلى الفراش ثم قامت بتغطيته مرة أخرى .

جلست بجانبه لمدة عشر دقائق ، وعندما انتظم صوت غطيطه كالسابق ، ارتدت سروالها وركضت إلى فندق بالمز .

قالت لآبى فى هلع : " لقد استيقظ يا آبى . لقد استيقظ ، ثم نام مرة أخرى " .

توقفت آبى وحدقت النظر . نظرت كلتا المرأتين إلى السرير ، مكدساً بأكوام من المستندات التى لم تنسخ .

قالت آبى فى هدوء : " حسناً . خذى حماماً سريعاً . ثم ادخلى إلى الفراش بجانبه وانتظرى . أغلقى الباب المؤدى إلى حجرة التخزين ، ثم اتصلى بى عندما يستيقظ ويدخل الحمام . سوف أستمر فى نسخ ما تبقى وسوف نحاول إرجاع المستندات لاحقاً بعد أن يذهب إلى عمله " .

" هذه مخاطرة كبيرة " .

" كل ما نفعله مخاطرة . أسرعى " .

بعد خمس دقائق ، قامت تامى أو دوريس أو ليبى وهى ترتدى لباس البحر البرتقالى الزاهى بعمل رحلة أخرى ، بدون حقائب ، إلى الاستراحة . أغلقت الباب الأمامى وباب حجرة التخزين وصعدت إلى غرفة النوم . اندست أسفل الأغطية بجانب تولار .

أبقاها غطيطه مستيقظة لمدة خمس عشرة دقيقة . ثم غفت فى النوم . جلست داخل الفراش لكى تمنع النوم . كانت تشعر بالخوف ، وهى تجلس فى فراش رجل لن يتردد فى قتلها إذا علم الحقيقة . استرخى جسدها المرهق ، وأصبح النوم أمراً حتمياً لا مفر منه . أغلقت عينيها وراحت فى سبات عميق .

استيقظ الفتى العاشق من غيبوبته فى التاسعة وثلاث دقائق . أخذ يتأوه بقوة وتدحرج إلى حافة الفراش . كانت جفون عينيه ملتصقة ببعضها . فتح عينيه ببطء ، واندفع ضوء الشمس بقوة إلى عينيه . تأوه مرة ثانية . كان رأسه يزن مائة رطل وأخذ يهتز بغرابة بين اليمين واليسار ، مغيراً وضع المخ بعنف فى كل مرة . تنفس بعمق ، واندفع الهواء المنعش يصرخ خلال صدغيه . لفتت يده اليمنى انتباهه . حاول أن يحرك يده ، لكن الإشارات العصبية لم تكن تصل إلى المخ . فى بطء بدأت يده تصعد إلى أعلى ، وأخذ ينظر إليها . حاول أن يركز مستخدما عينه اليمنى أولاً ، ثم اليسرى . الساعة .

نظر إلى الساعة الرقمية لمدة ثلاثين ثانية قبل أن يتبين الأرقام الحمراء . التاسعة وخمس دقائق . اللعنة ! كان من المفترض حضوره إلى البنك فى تمام التاسعة . تأوه مرة أخرى . المرأة !

كانت تامى قد أحست به عندما بدأ يتحرك وسمعت الأصوات التى يحدثها ، فرقدت مكانها وعيناها مغلقتان . أخذت تدعو ألا يحاول أن يلمسها . أحست به وهو يحدق النظر بها .

خلال تاريخ ذلك الفتى العابث ، كان هناك حالات كثيرة يفقد فيها الوعى بسبب تأثير الكحوليات . لكن ليس مثل هذه المرة . نظر إلى وجهها وحاول أن يتذكر كيف قضيا ليلتهما . كان بإمكانه دائما أن يتذكر ذلك . بغض النظر عن الوقت الذى استغرقه فى النوم ، دائما ما كان يتذكر كيف كانت الليلة التى قضاها مع أى امرأة . أخذ يشاهدها للحظة ، ثم ترك الأمر يمر .

" اللعنة ! " قال وهو يقف ويحاول أن يسير . كانت قدماه أشبه بحذاء من الرصاص وبالكاد كانت تستجيب لرغباته . أسند نفسه إلى الباب المنزلق المؤدى إلى الشرفة .

كان الحمام على بُعد عشرين قدماً منه ، وقرر أن يذهب إليه . استخدم طاولة المكتب وطاولة الزينة كدعامات يستند إليها . سار بخطى مرتبكة ، واحدة بعد الأخرى ، وأخيراً وصل إلى الحمام .

تقلبت تامي فوق الفراش لكى تواجه الشرفة ، وعندما انتهى أحست به يجلس على جانب الفراش القريب منها . لمس كتفها برقة قائلا : " استيقظى يا ليبى " . أخذ يهزها ، فتكورت حول نفسها فى تيبس .

قال ، كأى رجل نبيل : " استيقظى يا عزيزتى " .

منحته أفضل ابتساماتها الناعسة . ابتسامة الصباح الذى يتبع ليلة من الإشباع والرضا . ابتسامة " سكارليت أوهارا " فى صباح زواجها من " ريت " فى فيلم " ذهب مع الريح " . قالت بنعومة ، وعيناها مغلقتان : " لقد كنت رائعا بالأمس ، أيها الفتى الكبير " .

على الرغم من الألم والغثيان ، على الرغم من قدميه الثقيلتين وجسده المنهك ، شعر بالفخر والرضا عن نفسه . لقد انبهرت المرأة بما فعله . فجأة ، تذكر أنه كان عظيما ورائعا ليلة الأمس .

قال : " لقد تأخرنا فى النوم يا ليبى . لابد أن أذهب إلى العمل . لقد تأخرت بالفعل " .

" لست فى مزاج لمزيد من المداعبة ، أليس كذلك ؟ " قالت وهى تضحك ، بينما كانت تتمنى بداخلها ألا يكون فى مزاج لأى شيء .

" لن ينفع الآن . ماذا عن مساء اليوم ؟ "

" سأكون هنا ، أيها الفتى الشقى " .

" حسناً . يجب أن آخذ حماماً " .

" أيقظنى عندما تخرج من الحمام " .

وقف وغمغم بشيء ما ، ثم أغلق باب الحمام . تدحرجت فوق السرير حتى وصلت إلى الهاتف وطلبت آبي . بعد ثلاث رنات ، أجابت آبي .

قالت تامي : " هو الآن بالحمام " .

" هل أنت بخير ؟ "

" نعم . أنا بخير . لو كان بيده أن يستمر في النوم لفعلها " .

" لماذا أخذتِ كل هذا الوقت ؟ "

" لم يكن قد استيقظ بعد " .

" هل يرتاب في شيء ؟ "

" كلا . إنه لا يتذكر أي شيء . أظن أنه متوعك " .

" كم ستمكثين هناك ؟ "

" سأقبله قبلة الوداع عندما يخرج من الحمام . بعد عشر أو ربما خمس عشرة دقيقة من الآن " .

" حسناً . أسرعي " . أنهت آبي المكالمة ، وتدحرجت تامي إلى جانبها من السرير . في العلّية فوق المطبخ ، صدر صوت من جهاز تسجيل مثبت هناك ، وأعاد نفسه تلقائيا إلى وضع الاستعداد لتسجيل مكالمة جديدة .

عند العاشرة والنصف ، أصبحت المرأتان مستعدتين للهجوم الأخير على الاستراحة . قُسِمَت الملفات الأصلية إلى ثلاثة أجزاء متساوية . ثلاث غارات جريئة في وضح النهار . وضعت تامي المفاتيح الجديدة اللامعة داخل جيب تنورتها وانطلقت وهي تحمل الحقائب . سارت مسرعة ، وعيناها تنظران إلى جميع الاتجاهات خلف نظارتها الشمسية . كانت ساحة الانتظار المواجهة للاستراحات لا تزال خالية . كان المرور خفيفا فوق الطريق السريع .

دست المفتاح الجديد داخل الرتاج ودلفت إلى الداخل . كان مفتاح غرفة التخزين مناسباً أيضاً ، وبعد خمس دقائق غادرت الاستراحة . تمت الرحلة الثانية والثالثة بسرعة وبدون معوقات . عندما غادرت غرفة التخزين للمرة الأخيرة ، أخذت تفحصها بحذر . كان كل شيء في مكانه ، كما وجدته تماماً . أغلقت الاستراحة وأخذت الحقائب الخالية والمستهلكة إلى غرفتها .

لساعة رقدت كلتا المرأتان بجانب الأخرى فوق السرير وضحكتا على تولار والغيبوبة التى أصابته . لقد انتهى الأمر ، أو معظمه ، وقد ارتكبتا الجريمة الكاملة . وقد كان الفتى العاشق شريكاً جاهلاً ومفيداً للغاية . لقد تم الأمر بسهولة .

صار هناك جبل صغير من الأدلة وقد ملأ ما يزيد على أحد عشر صندوق تخزين من الكرتون المقوى . فى الثانية والنصف ، طرق الباب أحد سكان الجزيرة وكان عارى الصدر ويضع على رأسه قبعة من القش ، وأعلن أنه يتبع شركة تسمى كايمان للتخزين . أشارت آبى إلى الصناديق . ولأنه لم يكن لديه مكان يذهب إليه ولم يكن يشعر بالرغبة فى الإسراع ، فقد حمل الصندوق الأول وسار به فى بطء حتى وضعه فى شاحنته . ومثل كل أهالى الجزيرة ، كان يعمل طبقاً لتوقيت كايمان ويتبع شعارها الذى يقول ، لا داعى للتعجل يا صديقى .

تبعته المرأتان فى سيارتهما النيسان إلى مخزن فى مدينة جورج تاون . فحصت آبى غرفة التخزين المقترحة ودفعت الإيجار نقداً لمدة ثلاثة شهور قادمة .

٢٨

. . . .

جلس واين تارانس فى الصف الخلفى فى حافلة شركة جريهاوند المنطلقة فى تمام ١١:٤٠ مساء من لويسفيل إلى إنديانابوليس ومنها إلى شيكاغو . وعلى الرغم من أنه قد جلس بمفرده ، إلا أن الحافلة كانت مزدحمة للغاية . لقد كانت ليلة الجمعة . غادرت الحافلة كينتاكى قبل ثلاثين دقيقة ، وفى تلك اللحظة كان واثقاً أن خطأ قد حدث . ثلاثون دقيقة ، ولم تصله كلمة أو إشارة من أحد . ربما كان يركب الحافلة الخاطئة . ربما غير ماكدير رأيه . هناك الكثير من الاحتمالات . كان المقعد الأخير يعلو محرك الديزل ببوصات قليلة ، وقد صار واين تارانس ، ابن مدينة برونكس ، يعلم الآن لماذا يتعارك المسافرون ذوو الخبرة على المقاعد التى تلى السائق مباشرة . ظلت نظارته الشمسية تهتز حتى أصابه الصداع . ثلاثون دقيقة ولم يحدث شيء .

سمع صوت خرير الماء بالحمام على طول الممر ، وفتح باب الحمام بعد ذلك . تلاشت الرائحة المنبعثة من الحمام ، ونظر تارانس بعيداً ، على السيارات المتجهة جنوباً . ظهرت فجأة من العدم ، وجلست على المقعد المجاور للممر وتنحنحت . نظر تارانس عن يمينه ، ووجدها تجلس بجواره . أحس أنه قد رآها قبل ذلك ، فى مكان ما .

" هل أنت السيد تارانس ؟ " كانت ترتدى سروالاً من الجينز ، وحذاء أبيض من القطن وسترة ثقيلة من اللون الأخضر الباهت . كانت تخفى عينيها وراء نظارة سوداء .

" نعم . ومن تكونين ؟ "

جذبت يده وصافحته بحزم قائلة : " أنا آبى ماكدير " .

" لقد كنت أتوقع حضور زوجك " .

" أعلم ذلك . لقد قرر ألا يحضر ، ولذلك حضرت أنا " .

" حسناً ، لكننى أردت أن أتحدث معه " .

" نعم ، لكنه أرسلنى بدلا منه . فقط تعامل معى على أننى وكيلة أعماله " .

وضع تارانس كتابه أسفل المقعد وأخذ يتطلع إلى الطريق السريع وتساءل : " أين هو الآن ؟ "

" وما أهمية ذلك يا سيد تارانس ؟ لقد أرسلنى لكى أتحدث معك بشأن اتفاقنا ، وأنت هنا من أجل أن تتحدث عن نفس الأمر . إذن دعنا نتحدث " .

" حسناً . أبقى صوتك منخفضاً ، وإذا اقترب أحد منا ، أمسكى يدى وتوقفى عن الحديث . تصرفى كأننا متزوجان أو شيئاً كهذا . اتفقنا ؟ إن السيد فويلس ـــ هل تعلمين من يكون ؟ "

" أنا أعلم كل شيء يا سيد تارانس " .

" حسناً . إن السيد فويلس على وشك أن يصاب بسكتة دماغية لأننا لم نحصل على ملفات ميتش بعد . الملفات المهمة . أنت تتفهمين لماذا يمثلون هذه الأهمية بالنسبة لنا ، أليس كذلك ؟ "

" أتفهم ذلك جيداً " .

" إذن نحن نريد الملفات " .

" ونحن نريد المليون دولار " .

" نعم ، هذا هو الاتفاق . لكن يجب أن نحصل على الملفات أولاً " .

" كلا . هذا ليس الاتفاق . إن الاتفاق يا سيد تارانس هو أن تصل المليون دولار إلى المكان الذى نريده ، عندها نسلمكم الملفات " .

" ألا تثقون بنا ؟ "

" هذا صحيح . نحن لا نثق بك ، أو بالسيد فويلس ، أو أى شخص آخر . يجب أن توضع الأموال بواسطة تحويل الكترونى إلى رقم حساب محدد فى بنك فى فريبورت ، بجزر البهاما . سيتم إبلاغنا بوصول التحويل على الفور ، بعد ذلك سنقوم بتحويل الأموال اليكترونياً إلى بنك آخر . وعندما يصل المال حيث نريد ، ستكون الملفات تحت أمرك " .

" أين توجد الملفات الآن ؟ "

" فى خزانة صغيرة فى ممفيس . هناك واحد وخمسون ملفاً ، وكلها موضوعة داخل صناديق بشكل محكم ومنظم . سوف تنبهر بذلك . نحن نقوم بعمل جيد " .

" نحن ؟ هل رأيت الملفات ؟ "

" بالطبع . لقد ساعدت فى وضعها داخل الصناديق . هناك مفاجآت فى الصندوق رقم ثمانية " .

" حسناً . ما هى المفاجأة ؟ "

" لقد تمكن ميتش من نسخ ثلاثة من ملفات آفرى تولار ، وتبدو تلك الملفات مثيرة للشبهات . صفقتان مع شركة تسمى دون لان المحدودة ، ونحن نعرف أنها مؤسسة تابعة للمافيا مقرها جزر كايمان . لقد تم تأسيس الشركة برأسمال قدره عشرة ملايين دولار من أموال المافيا فى عام ١٩٨٦ . والملفات تناقش مشروعى بناء تمولهما المؤسسة . سوف تجد الاطلاع على الملفات مثيراً للغاية " .

" كيف تعلمين أن المؤسسة مقرها جزر كايمان ؟ وكيف تعلمين بشأن العشرة ملايين دولار ؟ بالتأكيد لم يكن ذلك موجوداً بالملفات " .

" كلا ، لا توجد إشارة لذلك في الملفات . لدينا سجلات أخرى لهذا المشروع " .

فكر تارانس بأمر السجلات الأخرى لمدة ستة أميال . كان من الواضح أنه لن يراها حتى يحصل ماكدير على المليون الأول . ترك الأمر يمر دون تعليق " .

" لست متأكدا إذا كان بإمكاننا أن نقوم بتحويل المال كما ترغبون دون أن نحصل على الملفات أولاً " . كانت مجرد خدعة ضعيفة . فهمتها آبى على الفور وابتسمت .

" هل لابد من ممارسة الألاعيب يا سيد تارانس ؟ لماذا لا تعطينا المال وتتوقف عن هذه المماطلة " .

خطا تلميذ أجنبى ، ربما يكون أسيوياً ، داخل الممر ببطء واتجه إلى الحمام . تجمد تارانس ونظر إلى خارج النافذة . ربتت آبى فوق ذراعه مثل زوجة محبة . كان صوت خرير الماء فى الحمام أشبه ما يكون بشلال ماء صغير .

تساءل تارانس : " متى يمكن أن نحصل على الملفات ؟ " لم تعد آبى تلمس يده في تلك اللحظة .

" إن الملفات جاهزة . متى يمكنك تحويل مليون دولار ؟ "

" غداً " .

نظرت آبى إلى خارج النافذة وتحدثت من الركن الأيسر لفمها : " اليوم هو الجمعة . الثلاثاء القادم ، فى العاشرة صباحاً حسب التوقيت الشرقى ، توقيت جزر البهاما ، ستقوم بتحويل مليون دولار الكترونيا من حسابكم فى بنك كيماكيل فى مانهاتن إلى حساب رقمى

فى بنك اونتاريو فى فريبورت . إنه تحويل قانونى نظيف ـ سيستغرق تقريباً خمس عشرة ثانية " .

ظهر العبوس على وجه تارانس وهو ينصت بتمعن ثم قال : " ماذا إن لم يكن لدينا حساب فى بنك كيماكيل فى مانهاتن ؟ "

" ليس لديكم الآن ، ولكن سيكون لديكم حساب بحلول يوم الاثنين القادم . أنا واثقة أن لديكم شخصاً فى واشنطن يمكنه تولى عملية تحويل إلكترونى بسيط " .

" أنا واثق من ذلك " .

" جيد " .

" لكن لماذا بنك كيماكيل بالذات ؟ "

" إنها أوامر ميتش يا تارانس . ضع ثقتك فى ميتش ، إنه يعرف ماذا يفعل " .

" أرى أنه دَرَس الأمور جيداً " .

" إنه دائماً ما يدرس الأمور جيداً . وهناك شيء يجب أن تتذكره دائماً . إنه أذكى بكثير منكم جميعاً " .

ضحك تارانس فى اعتراض خفيف . سارت الحافلة فى صمت لميل أو ميلين ، وكلاهما يفكر فى السؤال والجواب القادم .

قال تارانس ، وكأنه يحادث نفسه : " حسناً ، ومتى نحصل على الملفات ؟ "

" عندما تصل الأموال بأمان إلى فريبورت ، سيتم إبلاغنا . وفى صباح الأربعاء وقبل العاشرة النصف ، سوف تتسلم طرداً بالبريد المسجل فى مكتبك فى ممفيس وستجد به رسالة ومفتاحاً للخزانة التى وضعنا بها الملفات " .

" إذن ، هل يمكننى أن أقول للسيد فويلس إن الملفات ستكون لدينا بحلول ظهر الأربعاء ؟ " .

هزت كتفيها ولم تقل شيئاً . شعر تارانس بالغباء لطرحه هذا السؤال . وبسرعة ، فكر فى سؤال جيد .

قال تارانس : " سوف نحتاج إلى رقم الحساب فى بنك فريبورت " .

" لقد كتبته فى ورقة . سوف أعطيها لك عندما تتوقف الحافلة " .

أحس أن التفاصيل قد اكتملت لديه . مد تارانس يده أسفل المقعد واستعاد كتابه . أخذ يقلب الصفحات ويتظاهر بالقراءة . قال : " فقط اجلسى لدقيقة " .

تساءلت آبى : " هل هناك أسئلة ؟ "

" نعم . هل يمكن التحدث بشأن السجلات الأخرى التى ذكرتها ؟ "

" بالتأكيد . "

" أين هى تلك السجلات ؟ "

" سؤال جيد . لقد شرح لى ميتش أن الاتفاق يقتضى أن يحصل على الدفعة الثانية من المال ، نصف مليون دولار ، فى مقابل ما يكفى من الأدلة التى تحتاج إليها لكى تحصل على الإدانات التى تريدها . وهذه السجلات الأخرى هى جزء من الدفعة الثانية للتسوية المتفقة " .

قلب تارانس صفحة فى الكتاب وقال : " هل تقصدين أنكما قد حصلتما بالفعل على الملفات القذرة ؟ "

" لدينا معظم ما تحتاج إليه . نعم ، لدينا الكثير من الملفات غير القانونية . "

" أين هى ؟ "

ابتسمت فى رقة وربتت فوق ذراعه قائلة : " أؤكد لك أنهم ليسوا بالخزانة الصغيرة مع الملفات القانونية السليمة " .

" لكنهم فى حوزتكما ؟ " .

" نوعاً ما . أتريد أن تطلع على ملفين منهم ؟ "

أغلق الكتاب وتنفس بعمق . نظر إليها وقال : " بالتأكيد " .

" لقد ظننت ذلك . قال ميتش إننا سنعطيك مستندات يبلغ سمكها عشر بوصات تخص شركة دون لان المحدودة ـ نسخ من سجلات البنوك ، سجلات الهيكل التأسيسي للمؤسسة ، محاضر جلسات ، القوانين الداخلية للمؤسسة ، الموظفين ، حاملي الأسهم ، سجلات التحويلات النقدية ، خطابات من ناثان لوك إلى جوى مورولتو ، سجلات أعمال المؤسسة ، ومئات المستندات المثيرة الأخرى التي ستطير النوم من عينيك . أشياء رائعة للغاية . يقول ميتش إنك قد تتمكن من بناء ثلاثين قضية محكمة فقط من سجلات شركة دون لان " .

أنصت تارانس جيداً لكل كلمة قالتها ، وصدق كلامها . تساءل في خفوت وبحماس شديد : " متى يمكنني رؤية تلك السجلات ؟ "

" عندما يخرج راى من السجن . إن ذلك جزء من الاتفاق ، أليس كذلك ؟ "

" آوه ، راى " .

" أوه ، نعم . يجب أن يخرج راى من السجن يا سيد تارانس ، أو يمكنك أن تنسى شركة بنديني . سوف نحصل أنا وميتش على المليون دولار الحقيرة ونختفي في جنح الظلام " .

" مازلت أعمل على مسألة راى " .

" من الأفضل أن تعمل بجدية أكبر " . كانت كلماتها تحمل معنى أكبر من مجرد تهديد ، وكان تارانس يعلم ذلك . فتح كتابه مرة أخرى وحدق النظر فيه .

أخرجت آبى بطاقة عمل تخص شركة بنديني ، لامبرت آند لوك من جيبها وأسقطتها فوق الكتاب . على ظهر البطاقة كانت قد كتبت رقم الحساب : ١٩٥٨٤ ـ ٤٧٧ /دى إل ، بنك اونتاريو فريبورت .

قالت آبى : " سأعود إلى مقعدى فى الأمام ، بعيداً عن هذا المحرك المزعج . هل اتفقنا بشأن الثلاثاء القادم ؟ "

" لا توجد مشكلة . هل ستغادرين الحافلة فى إنديانابوليس ؟ "

" نعم " .

" إلى أين ستذهبين ؟ "

" إلى منزل والدى فى كينتاكى . أنا وميتش منفصلان الآن " .

ثم ابتعدت بسرعة .

وقفت تامى داخل أحد الطوابير الطويلة فى جمارك ميامى الحارة . كانت ترتدى سروالاً قصيراً ، وصندلاً ، وقميصاً من القطن ، ونظارة شمسية تعلوها قبعة من القش مما جعلها أشبه بالآلاف من السائحين المرهقين العائدين من شواطئ الكاريبى الحارة . وقف أمامها زوجان ، حديثا الزواج ، حادا الطباع ، يحملان حقائب تمتلئ بالمشروبات المجانية والعطور وكان من الواضح أنهما فى وسط نزاع عائلى كبير . أما خلفها فكان هناك حقيبتان جديدتان من الجلد الفاخر تمتلئان بمستندات وسجلات تكفى لإدانة أربعين محامياً . اقترح عليها رئيسها فى العمل ، وهو محامٍ أيضاً ، أن تقوم بجذبهما فوق أرضية مطار ميامى الدولى . كانت تحمل حقيبة ملابس صغيرة بها بعض الملابس وفرشاة أسنان ، لكى تحافظ على المظهر التقليدى للسائحات .

بعد كل عشر دقائق تقريباً ، كان الزوجان الشابان يتحركان للأمام مسافة ست بوصات ، وكانت تامى تتبعهما وهى تجذب حقائبها . بعد ساعة من وقوفها داخل الطابور ، وصلت إلى نقطة التفتيش .

" ألديك أشياء تستحق الرسوم الجمركية ؟ " تساءل موظف الجمارك بحدة وهو يتحدث الإنجليزية بصعوبة .

" كلا " . أجابت تامى بحدة مماثلة .

أشار إلى الحقائب الجلدية الكبيرة وقال : " ماذا يوجد داخل هذه الحقائب ؟ "

" أوراق " .

" أوراق ؟ "

" مجرد أوراق " .

" أوراق من أى نوع ؟ "

أرادت أن تقول ، ورق حمام . لقد أمضيت إجازتى أتنقل حول شواطئ الكاريبى وأجمع ورق الحمام . لكنها ردت قائلة : " مستندات قانونية ، وأشياء تافهة أخرى . أنا محامية " .

" نعم ، نعم " . فتح حقيبة الملابس الصغيرة وألقى نظرة خاطفة ثم قال : " حسناً . التالى " .

جذبت الحقائب بحرص ، مجرد جذب بسيط ، حتى لا تنقلب الحقائب على الأرض . أمسك عامل التحميل بالحقائب ووضعها داخل مركبة صغيرة بعجلتين . " طائرة دلتا رقم ٢٨٢ ، المتجهة إلى ناشفيل . البوابة ٤٤ ، الصالة رقم ٢ " قالت تامى ذلك وهى تناوله ورقة مالية فئة خمسة دولارات .

وصلت تامي والحقائب الثلاث إلى ناشفيل في منتصف ليلة السبت . وضعت الحقائب داخل سيارتها الصغيرة وغادرت المطار . فى ضواحى برنت وود ، أوقفت سيارتها في المكان المخصص لها ، وأخذت تنقل الحقائب ، كل حقيبة على حدة ، إلى داخل شقتها الصغيرة .

لم يكن هناك أثاث بالشقة ، فيما عدا أريكة تتحول إلى فراش . أفرغت الحقائب داخل غرفة النوم وبدأت العملية الرتيبة لترتيب الأدلة . يريد قائمة بكل مستند ، كل سجل بنك ، وكل مؤسسة . كان يريد تنظيم الأدلة على هذا النحو . قال إنه سوف يمر عليها في يوم ما وهو في عجلة من أمره ، ولذلك يريد كل شيء منظماً .

لمدة ساعتين أخذت تسجل كل شيء . جلست على الأرض وأخذت تكتب ملاحظات مهمة . بعد ثلاث رحلات قصيرة إلى جزيرة جراند كايمان ، بدأت الغرفة تمتلئ بالمستندات . سوف تسافر إلى هناك مرة أخرى يوم الاثنين .

أحست أنها لم تنم سوى ثلاث ساعات خلال الأسبوعين الماضيين . لكن الأمر طارئ ومُلح ، كما قال ميتش . مسألة حياة أو موت .

جلس تارى روس ، واسمه الحركى ألفريد ، فى ركن مظلم داخل قاعة فندق واشنطن فونيكس بارك . سوف يكون اللقاء قصيراً للغاية . ارتشف قهوته وجلس ينتظر حضور ضيفه .

انتظر وأقسم أن ينتظر خمس دقائق أخرى فقط . ارتجف الفنجان فى يده عندما حاول أن يشرب منه . تناثرت القهوة فوق المائدة . نظر إلى المائدة وحاول فى يأس ألا يتلفت حوله . وانتظر .

ظهر الضيف فجأة وجلس معطياً ظهره للحائط . كان اسمه فينى كوزو ، أحد مجرمى مدينة نيويورك . وأحد رجال عائلة بالمبو .

لاحظ فينى الفنجان المهتز والقهوة المتناثرة فقال : " اهدأ يا ألفريد . هذا المكان مظلم بشكل كاف " .

همس ألفريد : " ماذا تريد ؟ "

" أريد شراباً " .

" لا وقت للشرب . سوف أغادر " .

" اجلس يا ألفريد واسترخ . لا يوجد أحد غيرنا فى المكان " .

همس ألفريد مرة أخرى : " ماذا تريد ؟ "

" مجرد معلومة صغيرة " .

" سوف يكلفكم ذلك " .

" إننا دائماً ما ندفع الثمن " . اقترب النادل من الطاولة ، وطلب فيني بعض الشراب والمياه المعدنية .

تساءل فيني : " كيف حال صديقي دينتون فويلس ؟ "

" اذهب إلى الجحيم يا كوزو . سوف أغادر هذا المكان " .

" اهدأ يا صديقي . أريد بعض المعلومات فقط " .

" ادخل في الموضوع بسرعة " . فحص ألفريد القاعة بعينيه . كان فنجانه خالياً ، وقد تناثر معظمه فوق المائدة .

وصل الشراب ، وارتشف فيني جرعة منه . قال : " هناك موقف شائك في ممفيس . وبعض حلفائنا يشعرون بالقلق حيال الأمر . هل سمعت بشركة بنديني ؟ "

بشكل غريزى ، هز ألفريد رأسه نفياً . يجب عليه أن ينكر في أول الأمر . وبعد بحث دقيق ، يعود ويقول نعم . نعم ، لقد سمع بشركة بنديني القانونية وعميلها الأكبر . عملية الغسالة الكهربية . لقد أطلق فويلس عليها ذلك الاسم بنفسه وكان فخوراً للغاية بقدرته الإبداعية .

تجرع فيني مزيداً من الشراب وقال : " حسناً ، هناك رجل يعمل هناك يدعى ميتشل ماكدير ، ونشك أنه على صلة برجال المباحث أصدقائك . هل فهمت قصدى ؟ نحن نعتقد أنه يبيع المعلومات إلى المباحث الفيدرالية . نريد أن نعلم إذا كان ذلك صحيحاً أم لا . هذا كل ما في الأمر " .

أنصت ألفريد بملامح هادئة، رغم أن ذلك لم يكن سهلاً . لقد كان يعلم فصيلة دم ماكدير ومطعمه المفضل في ممفيس . كان يعلم أن ماكدير قد تحدث مع تارانس خمس مرات على الأقل وأنه غداً ، الثلاثاء ، سوف يصبح مليونيراً . كانت عملية سهلة للغاية .

قال ألفريد : " سأرى ما يمكنني عمله . دعنا نناقش أتعابي " .

أشعل فينى سيجارة رفيعة وقال : " حسناً يا ألفريد . إن الأمر فى غاية الجدية ، ولن أكذب عليك فى هذا . سوف نعطيك مائتى ألف دولار نقداً " .

أسقط ألفريد فنجانه . أخرج منديلاً من جيب سرواله الخلفى وأخذ ينظف نظارته بعصبية قائلاً : " مائتى ألف ؟ نقداً ؟ "

" هذا ما قلته . كم دفعنا لك المرة السابقة ؟ "

" دفعتم خمسة وسبعين ألفاً " .

" أرأيت ما كنت أقصد ؟ إنها مهمة فى غاية الأهمية يا ألفريد . هل يمكنك القيام بها ؟ "

" نعم " .

" متى نحصل على الرد ؟ "

" أعطنى أسبوعين " .

٢٩

. . . .

قبل أسبوع من الخامس عشر من أبريل ، وصلت حالة إدمان العمل في شركة بنديني ، لامبرت آند لوك القانونية إلى أقصى مداها ووصلت سرعة العمل إلى الحد الأقصى مستندة إلى وقودها الوحيد وهو الأدرينالين . والخوف . الخوف من تناسيٍ خفض أو إعفاء ضريبى أو تخفيض ضريبى إضافى مما قد يكلف عميلا ثرياً مليون دولار أو مبلغًا كهذا . الخوف من الإمساك بسماعة الهاتف والاتصال بالعميل وإخباره أن إقراره الضريبى قد اكتمل وأنهم آسفون لأنه يجب عليه دفع ثمانمائة ألف دولار إضافية . الخوف من عدم استكمال الإقرارات الضريبية بحلول الخامس عشر من أبريل وأن يجبروا على طلب مهلة إضافية وتحمل العقوبات المفروضة والفوائد المضافة . كانت ساحة السيارات تمتلئ فى السادسة صباحاً . وكانت السكرتيرات يعملن لمدة اثنتى عشرة ساعةً يومياً . كانت حدة الطباع الحالة المزاجية السائدة ، وصار الكلام نادراً ومختصراً .

ولأن المنزل قد أصبح بدون زوجة ، فقد بدأ ميتش يعمل طوال اليومٍ . صب سونى كابس جام غضبه ولعناته على تولار لأنه وجد نفسه مديناً للضرائب بمبلغ ٤٥٠ ألف دولار مقابل دخل سنوى قدره ستة ملايين دولار . وبدوره صب تولار لعناته على ميتش ، وقد قاما معاً بالخوض فى ملفات كابس مرة أخرى ، يتفحصونها جيداً ويصبون

اللعنات على كابس . قام ميتش بخلق بَندَين للتخفيض بشكل غير مشروع نسبياً مما قلل قيمة الضرائب إلى ٣٢٠ ألف دولار . قال سونى كابس إنه يفكر فى إسناد أعماله إلى شركة قانونية جديدة . شركة ضرائب فى واشنطن .

قبل ستة أيام من موعد تقديم الإقرار الضريبى ، أصر كابس على عقد اجتماع مع تولار فى هيوستن . كانت الطائرة الخاصة متاحة ، وغادر تولار فى منتصف الليل . أوصله ميتش بالسيارة إلى المطار ، وجلس طوال الطريق يستمع إلى التعليمات التى يلقيها تولار .

وفى حوالى الواحدة والنصف صباحاً ، عاد ميتش إلى المكتب . كان هناك ثلاث سيارات مرسيدس ، وسيارة بى . إم . دبليو وسيارة جاجوار متناثرة فى أرجاء ساحة الانتظار . فتح حارس الأمن الباب الخلفى ، واستقل ميتش المصعد إلى الطابق الرابع . كالعادة ، أغلق تولار باب مكتبه بإحكام . كانت أبواب مكاتب الشركاء دائماً مغلقة بإحكام . عند نهاية الردهة ، كان هناك صوت يصل إلى مسامعه . جلس فيكتور ميليجان رئيس قسم الضرائب ، خلف مكتبه وأخذ يسب جهاز الكمبيوتر الخاص به . أما بقية المكاتب فكانت مظلمة ومغلقة .

حبس ميتش أنفاسه ودس أحد المفاتيح داخل باب حجرة مكتب تولار . أدار مقبض الباب ، ودلف إلى الداخل . أضاء الأنوار وذهب إلى طاولة الاجتماعات الصغيرة التى قضى هو ورئيسه طيلة اليوم ومعظم الليل يعملون فوقها . كانت الملفات مكومة كالحجارة حول المقاعد ، وكانت الأوراق مبعثرة هنا وهناك . تشريعات إدارة الضرائب . أما الكتب فكانت موضوعة فوق بعضها فى أكوام .

جلس ميتش عند الطاولة وأكمل بحثه عن ملفات سونى كابس . طبقاً للدفتر الذى أعطاه له رجال المباحث ، فإن كابس كان رجل أعمال

يعمل بشكل قانونى ويتعامل مع الشركة منذ ثمانى سنوات على الأقل .
لم تكن المباحث مهتمة بملفات سونى كابس .

بعد ساعة ، توقف الكلام وأغلق ميليجان باب مكتبه . هبط ميليجان السلالم دون أن يلقى تحية المساء . تفحص ميتش كل المكاتب فى الطابق الرابع ، ثم الثالث . كانت كلها خالية . كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحاً .

إلى جانب رف الكتب المعلق على أحد حوائط مكتب تولار ، استقرت أربع خزائن ملفات مصنوعة من خشب البلوط الصلد . لقد لاحظ ميتش وجودها منذ شهور ولكنه لم ير أحداً يستخدمها . كانت ملفات العمل موجودة فى خزائن ملفات حديدية بجوار النافذة . كانت السكرتيرات عادة ما تنبشن في تلك الخزائن الحديدية بحثاً عن الملفات عندما يصرخ تولار عبر الهاتف . نظر إلى الباب خلفه وسار إلى الخزائن الخشبية . كانت محكمة الغلق طبعا . لم يتبق من المفاتيح التى يحملها سوى مفتاحين صغيرين ، يبلغ طول كل منهما بوصة واحدة . كان الأول مناسبا للخزانة الأولى ، فقام ميتش بفتحها .

من الحصر الذى أجرته تامى للملفات التى تحتفظ بها فى ناشفيل ، كان ميتش قد تمكن من أن يحفظ عن ظهر قلب أسماء كثير من شركات جزر كايمان التى تدير أعمالها بأموال قذرة تم غسلها . أخذ يقلب بين ملفات الدُرج الأول ، وقفزت الأسماء أمامه . دون لان المحدودة ، إيست بوينت المحدودة ، فيرجين باى المحدودة ، اينلاند كونتراكتورس المحدودة ، جولف ساوث المحدودة . وجد أسماء مألوفة بشكل أكبر فى الدرج الثانى والثالث . كانت الملفات تحتوى على مستندات قروض من بنوك فى جزر كايمان ، وسجلات تحويلات نقدية ، وسندات ضمان ، وعقود إيجار ، وسندات عقارية وآلاف المستندات الأخرى . كان اهتمامه ينصب على دون لان وجولف ساوث .

كانت تامي قد سجلت عدداً كبيراً من المستندات يخص هاتين الشركتين .

التقط ملفاً خاصاً بشركة جولف ساوث يمتلئ بسجلات تحويلات نقدية ومستندات قروض من بنك رويال مونتريال . سار إلى ماكينة النسخ التى تحتل منتصف الطابق الرابع وضغط مفتاح تشغيلها . بينما كانت الماكينة تستعد للعمل ، أخذ ينظر حوله بهدوء . كان المكان صامتاً كالقبور . نظر على طول السقف ، لا توجد كاميرات مراقبة . لقد تفقد المكان قبل ذلك مرات عديدة . أخذ الضوء الأحمر يبرق بكلمات " ادخل الرقم الكودى " ، وقام ميتش بإدخال رقم الملف الخاص بالسيدة لاتى بلونك . كان ملف إقرارها الضريبى يستقر فوق مكتبه بالطابق الثانى ، وكان الملف يحتاج بعض النسخ الإضافية . وضع محتويات الملفات على فتحة التلقيم التلقائى ، وبعد ثلاث دقائق انتهى نسخ الملف . مائة وثمانية وعشرون مستندا تم نسخه ، وسوف تضاف قيمة النسخ إلى فاتورة السيدة لاتى بلونك . عاد ميتش إلى خزانة الملفات ، ومنها إلى ماكينة النسخ ومعه كومة من مستندات شركة جولف ساوث . أدخل الرمز الكودى لملف جرين مارك بارتنرز ، وهى شركة تنمية عقارية مقرها بارتليت ، بولاية تينسي . عملاء قانونيون . كان إقرار الشركة الضريبى يستقر فوق مكتبه أيضًا ويحتاج بعض النسخ الإضافية . واحد وتسعون مستندًا منسوخًا ، لكى يكون أكثر تحديداً .

كان لدى ميتش ثمانية عشر إقراراً ضريبياً فى مكتبه تنتظر أن يوقعها ويقوم بتقديمها . وقبل ستة أيام من الموعد النهائى لتقديم الإقرارات ، استطاع ميتش أن ينتهى من أعماله المطلوبة . وكل الإقرارات الثمانية عشر قد ألحق بها مصاريف تم إدراجها أوتوماتيكياً عبر الماكينة نظير نسخ المستندات التى تدين شركتى جولف ساوث ودون لان . كتب ميتش الأرقام الخاصة بالملفات الثمانية عشر على

ورقة بيضاء ، ووضعها على الطاولة المجاورة لماكينة النسخ . بعد أن استخدم جميع ملفاته ، أدخل أرقام ثلاثة ملفات استعارها من ملفات لامار وثلاثة أرقام استعارها من ملفات سوني كابس .

كان هناك سلك يمتد خارج ماكينة النسخ خلال فتحة داخل الجدار ثم يسير إلى أسفل داخل خزانة ، حيث يتصل بأسلاك قادمة من ثلاث ماكينات نسخ أخرى في الطابق الرابع . ويمتد السلك ، الذى صار أكبر حجماً ، إلى أسفل عبر السقف وعلى طول القاعة الأسمنتية إلى حجرة الفواتير بالطابق الثالث ، حيث يقوم جهاز كمبيوتر بتسجيل كل ورقة تنسخ داخل الشركة وتحديد المصاريف المطلوبة من العميل صاحب الملف . كان هناك سلك رمادى ، غير مثير للشبهات ، يمتد من جهاز الكمبيوتر إلى أعلى الحائط عبر السقف إلى الطابق الرابع ، ثم إلى الخامس ، حيث يقوم كمبيوتر آخر بتسجيل الرقم الخاص بكل ملف ، وعدد الصفحات المنسوخة وموقع الماكينة التى قامت بعملية النسخ .

فى تمام الخامسة مساء الخامس عشر من أبريل ، أغلقت شركة بنديني ، لامبرت آند لوك أبوابها . بحلول السادسة ، كانت ساحة الانتظار خالية ، وقد تجمعت السيارات الفاخرة على بعد ميلين خلف مطعم أكلات بحرية يسمى اندرتون . كانت هناك حجرة احتفالات صغيرة قد تم حجزها من أجل إقامة مأدبة الخامس عشر من أبريل . كان كل المحامين والشركاء العاملين موجودين ، إلى جانب أحد عشر شريكاً متقاعداً . كان الشركاء المتقاعدون تعلو بشرتهم سمرة صحية ويظهر على ملامحهم الارتياح ؛ أما الشركاء العاملون فكانوا متعبين ومكدودين . لكن الجميع كان فى حالة احتفال ، ويستعدون للطعام والشراب والاستمتاع . وكل القواعد التى تنص على الالتزام بالحياة

المعتدلة والملتزمة سيتم نسيانها هذه الليلة . وكان هناك قاعدة أخرى تمنع أى محامٍ أو سكرتيرة من العمل يوم ١٦ أبريل .

وضعت أطباق الجمبرى المقلي البارد والمحار الطازج فوق طاولات امتدت على طول الحوائط . كان هناك برميل خشبى كبير يمتلئ بالشراب البارد والمثلج يستقر فوق أرضية الحجرة . كان هناك عشر علب من المشروبات المثلجة تستقر خلف البرميل . كان روزفلت يقدم زجاجات المشروبات بأسرع وقت ممكن . وعندما يتأخر الليل ، سوف يشرب ويأكل مثل بقيتهم ، وسوف يوقف أوليفر لامبرت سيارة أجرة لكى تصطحب روزفلت إلى منزله وزوجته جيسى فرانسيس . لقد كان ذلك أحد الطقوس الدائمة .

جلس بوبى بلو باكر ، قريب روزفلت ، فوق بيانو صغير وأخذ يغنى فى حزن بينما اندفعٍ المحامون إلى القاعة . حتى اللحظة ، كان هو مصدر الاستمتاع . لاحقاً ، لن يحتاج إليه أحد .

تجاهل ميتش الطعام والتقط زجاجة صودا مثلجة وسار إلى طاولة بجوار البيانو . لحق به لامار وهو يحمل طبق جمبرى . أخذا يتطلعان إلى زملائهما وهم يتخلصون من معاطفهم وروابطات العنق وينقضون على الطعام والشراب .

" هل أنهيت كل ملفاتك ؟ " تساءل لامار ، وهو يلتهم الجمبرى .

" نعم . لقد أنهيت ملفاتى بالأمس . لقد ظللت أنا وتولار نعمل على ملفات سونى كابس حتى الخامسة مساء . لقد انتهينا منها " .

" كم سيدفع للضرائب ؟ "

" ربع مليون دولار . "

" يا إلهى " . وضع لامار الزجاجة على فمه وشرب نصفها وقال : " إنه لم يدفع مثل هذا المبلغ من قبل ، أليس كذلك ؟ " .

" كلا ، ويكاد ينفجر من الغضب . لا أفهم هذا الرجل . لقد حصل على ربح ستة ملايين دولار من جميع مشروعاته ، وهو فى شدة الغضب لأن عليه أن يدفع خمسة بالمائة من أرباحه كضرائب " .

" كيف حال تولار ؟ "

" يشعر بالقلق إلى حد ما . لقد جعله كابس يسافر إلى هيوستن فى الأسبوع الماضى ، ولم يسر لقاؤهما بشكل جيد . غادر فى طائرة الشركة الخاصة فى منتصف الليلٍ . أخبرنى لاحقاً أنه قد وجد كابس ينتظر بمكتبه فى الرابعة صباحاً ، ويستشيط غضباً بسبب فوضى الضرائب تلك . ولقد ألقى باللوم كله على تولار . قال إنه قد يستغنى عن خدمات شركتنا ويلجأ إلى شركة أخرى " .

" أظن أنه يقول ذلك فى كل سنة . أتحتاج إلى أى مشروب ؟ "

غادر لامار وعاد يحمل أربع زجاجات من الصودا ثم تساءل : " كيف حال والدة آبى ؟ "

أخذ ميتش قطعة جمبرى من طبق لامار وقشرها . قال : " إنها بخير ، حتى الآن . لقد أزالوا إحدى رئتيها " .

" وكيف حال آبى ؟ " تساءل لامار ، وهو يراقب ملامح صديقه ، ولم يعد يأكل .

أمسك ميتش بزجاجة صودا جديدة وأجاب : " إنها بخير " .

" اسمع يا ميتش . إن أطفالنا يذهبون إلى مدرسة سانت أندروز . وليس سراً أن آبى قد أخذت إجازة طويلة من المدرسة . لقد رحلت عن المدينة منذ أسبوعين . نحن نعرف ذلك ، ونشعر بالقلق " .

" سوف تعود الأمور إلى حالتها الطبيعية . إنها تريد قضاء بعض الوقت بمفردها . إنها ليست مسألة خطيرة " .

" بربك يا ميتش . إنها مسألة خطيرة أن تترك زوجتك المنزل دون أن تقول متى ستعود . على الأقل ذلك ما قالته لمديرة المدرسة " .

" هذا صحيح . إنها لا تعرف متى ستعود . ربما بعد شهر أو أقل من ذلك . لقد واجهت آبى وقتاً عصيباً فى التأقلم مع ساعات العمل التى أقضيها بالمكتب " .

كان كل المحامين موجودين ، ولذلك أغلق روزفلت الباب . صارت الغرفة أكثر ضجيجاً . بدأ بوبى بلو يتلقى طلبات بالأغانى التى يريد الأعضاء الاستماع إليها .

تساءل لامار : " هل فكرت أن تقلل من ساعات عملك ؟ "

" كلا ، فى الواقع . لماذا يجب أن أفعل ذلك ؟ "

" اسمع يا ميتش . أنا صديقك ، أليس كذلك ؟ أنا قلق بشأنك . لا يمكنك أن تكسب مليون دولار خلال السنة الأولى " .

حقاً ، هكذا فكر ميتش . لقد كسب مليون دولار فى الأسبوع الماضى . خلال عشر ثوان قفز حسابهما الصغير فى بنك فريبورت من عشرة آلاف دولار إلى مليون وعشرة آلاف دولار . وخلال خمس عشرة دقيقة أخرى ، أغلق الحساب وانتقلت الأموال بأمان إلى بنك فى سويسرا . كم هى رائعة معجزات التحويل الإلكترونى . وبسبب هذا المليون ، ستكون هذه هى أول وآخر مأدبة ١٥ أبريل يحضرها خلال تاريخه المهنى القصير والحافل . وصديقه المخلص الذى يشعر بالقلق بشأن زواجه من الأرجح أن يكون بالسجن قبل وقت طويل . إلى جانب كل الموجودين بالغرفة ، فيما عدا روزفلت . اللعنة ، إن تارانس قد يأخذه الحماس حتى أنه قد يدين روزفلت وجيسى فرانسيس فقط من أجل الاستمتاع بالأمر .

ثم المحاكمات . " أنا ، ميتشل ماكدير ، أقسم أن أقول الحقيقة ، كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة ، والله على ما أقول شهيد " . سوف يجلس فوق مقعد الشهود ويشير بأصابع الاتهام إلى صديقه العزيز لامار

كوين . وسوف تجلس زوجته كاى وأطفاله فى الصف الأمامى ، يبكون بحرارة استعطافاً لمشاعر المحلفين .

أنهى زجاجة الصودا الثانية وبدأ فى الثالثة . قال ميتش : " أعرف ذلك يا لامار ، ولكن ليس لدى نية لتقليل ساعات عملى . سوف تتكيف آبى مع الأمر . ستكون الأمور على ما يرام " .

" أنت وشأنك يا صديقى . تريد كاى حضورك لحفل شواء غداً بمنزلنا . سوف نقوم بالشواء وتناول الطعام فى الشرفة . ما رأيك ؟ "

" موافق ، بشرط وحيد . لن تكون هناك مناقشات بشأن آبى . لقد ذهبت لمنزل عائلتها لكى تطمئن على والدتها ، وسوف تعود لاحقاً . اتفقنا ؟ "

" حسناً ، كما تحب " .

جلس تولار على المائدة ومعه طبق من الجمبرى . وبدأ يقشر قطع الجمبرى .

قال لامار : " لقد كنا نتحدث بشأن كابس " .

أجاب تولار : " هذا ليس موضوعاً سعيداً " . أخذ ميتش يراقب الجمبرى باهتمام حتى صارت هناك كومة صغيرة من ست قطع منزوعة القشرة . جذب ميتش قطع الجمبرى من فوق الطاولة وقام بحشرها داخل فمه .

حدق تولار النظر إليه بعينيه المتعبتين الحزينتين . عينان حمراوان . حاول أن يجد شيئا مناسبا لكى يقوله ، ثم بدأ يأكل قطع الجمبرى غير المقشرة . قال وهو يأكل : " أتمنى لو أنهم لم يزيلوا الرؤوس من الجمبرى . تكون ألذ طعماً إذا احتفظت برؤوسها " .

تناول ميتش مقداراً آخر من الجمبرى وبدأ يمضغ . قال : " أنا أفضل الذيل . لقد كنت دائماً مغرماً بالذيل " .

توقف لامار عن الأكل وأخذ يحدق فيهما قائلا : " لابد أنكما تمزحان " .

قال تولار : " كلا . عندما كنت طفلاً صغيراً فى إيل باسو ، اعتدنا أن نخرج ومعنا شباكنا ونصطاد الكثير من الجمبرى الطازج . كنا نتناول الجمبرى على الفور ، وهو لا يزال يتراقص فى الشبكة " . أخذ يلتهم قطع الجمبرى وأكمل يقول : " كانت الرؤوس ألذ جزء من الجمبرى لأنه يحتوى على المخ " .

قال ميتش : " جمبرى فى ايل باسو ؟ "

" نعم ، تمتلئ شواطئ ريو جراند بالجمبرى " .

غادر لامار ليحضر مزيدا من المشروبات . امتزج الضغط العصبى والإرهاق بسرعة مع تأثير الطعام والشراب مما جعل الغرفة تصبح أكثر ضجيجاً . كان بوبى يعزف موسيقى بين وولف . حتى ناثان لوك كان يبتسم ويتحدث بصوت مرتفع ، كأنه أحد المحامين الشبان . أضاف روزفلت خمس علب من الشراب إلى البرميل الممتلئ بالثلج .

فى تمام العاشرة ، بدأت الحفلة الغنائية . وقف والى هودسون ، بدون رابطة العنق ، فوق مقعد بالقرب من البيانو وقاد فرقة الغناء ذات الأصوات الصاخبة خلال سلسلة من الأغانى الاسترالية المرحة . كان المطعم قد أغلق أبوابه فى ذلك الوقت ، ولذلك لم يعد أحد يهتم بالصوت المرتفع والضجيج . جاء الدور من بعده على كانديل ماهان . كان ماهان فى شبابه يلعب الرجبى فى فريق جامعة كرونيل ولذلك كانت لديه زخيرة غير عادية من الأغانى البذيئة . وقد صاحبه الغناء بسعادة خمسون صوتاً غير موهوب على الإطلاق .

استأذن ميتش وذهب إلى الحمام . فتح أحد الخدم الباب الخلفى ، وخرج ميتش عبره إلى ساحة الانتظار . بدأ يتحرك تجاه سيارته ، ولكنه عدّل من سيره وذهب إلى النافذة . وقف فى الظلام ، إلى جانب

ركن من المبنى ، أخذ يراقب ويستمع . كان ماهان يجلس على كرسي البيانو ، ويقود الفرقة الغنائية في غناء أغنية صاخبة .

أصوات مرحة ، لأشخاص سعداء وأغنياء . أخذ يدرس ملامحهم واحداً تلو الآخر ، وهم يجلسون حول الموائد . كانت وجوههم حمراء . وكانت أعينهم متألقة . كانوا أصدقاءه ـ رجال لديهم زوجات وأطفال ـ وكلهم مشتركون بهذه المؤامرة الرهيبة .

في السنة الماضية كان جو هودج ومارتي كوزنسكي يغنيان مع بقية الحشد .

في السنة الماضية كان هو خريج هارفارد العبقرى الذى كان لديه عروض من كثير من الشركات القانونية .

الآن صار مليونيراً ، وقريباً سيكون هناك ثمن لرأسه .

غريب ما قد يحدث في سنة واحدة

استمتعوا بالغناء يا أصدقائي .

استدار ميتش وسار مبتعدا .

* * *

في منتصف الليل تقريباً ، اصطفت سيارات الأجرة في شارع ماديسون ، وحُمل أغنى المحامين بالمدينة إلى المقاعد الخلفية . بالطبع كان أوليفر لامبرت هو أكثر الموجودين يقظة ، ولذلك أشرف على عملية إخلاء المكان . كان هناك خمس عشرة سيارة أجرة ، تحمل أشخاصاً منهكين فوق المقاعد .

في نفس التوقيت ، وعلى الجانب الآخر من المدينة في شارع فرونت ستريت ، توقفت أمام بوابة مبنى بنديني شاحنتان متماثلتان حتى في ألوانهما الزرقاء والصفراء وقد كتب على جانبيهما بحروف براقة كلمات " شركة تنظيف الأتربة " . فتح داتش هندركس البوابة وأشار إليهم بالعبور . تراجعت الشاحنتان إلى الباب الخلفي للمبنى ،

وبدأت ثماني سيدات في إنزال المكانس الكهربية والدلاء التي تمتلئ بزجاجات الرش . قامت السيدات بإفراغ عدد من المكانس العادية والمسّاحات ولفائف من ورق الحمام الصحي . أخذت السيدات تثرثرن مع بعضهن في خفوت وهن يسرن في أرجاء المبنى . وكما صدرت التعليمات من أعلى ، فقد بدأت العاملات في تنظيف كل طابق على حدة ، مبتدئات بالطابق الرابع . سار الحراس في أرجاء كل طابق وراقبوا عاملات التنظيف بحرص .

تجاهلت السيدات وجود الحراس واهتممن بأعمالهن المعتادة من إفراغ سلال القمامة ، وتلميع الأثاث ، وإزالة الأتربة ، وتنظيف الحمامات . كانت العاملة الجديدة أبطأ من الأخريات . كانت تراقب المكان من حولها . كانت تجذب أدراج المكاتب وخزائن الملفات عندما يكون الحراس لا ينظرون نحوها . كانت تلتزم الحذر والحرص .

كانت ليلتها الثالثة في العمل ، وصارت تتعلم طريقها في أرجاء المبنى . كانت قد عثرت على حجرة مكتب تولار بالطابق الرابع في الليلة الأولى ، وابتسمت بينها وبين نفسها . كانت ترتدي سروال جينز قذراً وحذاء رياضياً قديماً . كان القميص الأزرق الخاص بشركة النظافة يفوق مقاسها ، لكي يخفي ملامحها الجسدية ويجعلها تبدو أثقل وزناً ، مثل بقية عاملات التنظيف . كانت الرقعة فوق جيب القميص قد كتب فوقها اسم دوريس ، عاملة نظافة .

عندما انتهت العاملات من نصف العمل بالطابق الثاني ، طلب أحد الحراس من دوريس واثنتين أخريين ، سوزي وشارلوت ، أن يتبعوه . دس أحد المفاتيح في لوحة التحكم في المصعد ، وهبط المصعد إلى القبو . فتح باباً معدنيا ضخماً ، وساروا جميعاً إلى داخل حجرة كبيرة مقسمة إلى دستة من المناحات المكعبة . كان كل مكتب صغير قد بدا في حالة فوضى ، وقد شغل معظم مساحته جهاز كمبيوتر ضخم . كان هناك

أجهزة كمبيوتر رئيسية فى كل مكان . وخزائن ملفات تصطف إلى جانب الحوائط . ولم تكن هناك أية نوافذ .

" ستجدون أدوات التنظيف هناك " . قال الحارس ، مشيراً إلى إحدى الخزن . أخرجت العاملات الثلاث المكانس الكهربية وزجاجات الرش وبدأن العمل .

قال الحارس : " لا تلمسن أى شيء على المكاتب " .

٣٠

. . . .

أحكم ميتش ربط حذائه الرياضى وجلس على الأريكة ينتظر بجوار الهاتف . جلس هيرساى بجانبه ، محبطاً بعد أسبوعين من غياب سيدته عن المنزل ، وحاول أن ينال قسطاً من النوم . فى تمام العاشرة والنصف رن جرس الهاتف . وكانت آبى هى المتصلة .

لم يكن هناك كلمات عاطفية على شاكلة " حبيبة قلبى " أو " عزيزتى " أو " حبيبتى " . كانت المحادثة باردة ومصطنعة .

تساءل ميتش : " كيف حال والدتك ؟ "

" لقد تحسنت كثيراً . لقد غادرت الفراش وبدأت تتحرك ، لكنها تشعر بألم كبير . معنوياتها مرتفعة رغم ذلك " .

" هذا خبر مفرح . وماذا عن والدك ؟ "

" كما هو . مشغول دائماً . كيف حال هيرساى ؟ "

" وحيد ومكتئب . أظن أن صحته تتراجع " .

" إننى أفتقده . كيف حال العمل ؟ "

" لقد نجونا من يوم ١٥ أبريل بدون كوارث . الجميع فى حالة معنوية عالية . لقد غادر نصف الشركاء فى إجازات يوم ١٦ أبريل ، ولذلك فالمكان أكثر هدوءا " .

" أظنك قد خفضت ساعات عملك إلى ست عشرة ساعة يومياً " .

تردد قليلاً ، وترك تعليقها يمر دون رد . لم يكن من المنطقي أن يبدأ شجاراً الآن . تساءل : " متى ستعودين للمنزل ؟ "

" لا أدرى . سوف تكون والدتى بحاجة إلىَّ خلال الأسبوعين القادمين . أخشى أن والدى لا يساعد كثيراً فى المنزل . لديهم خادمة بالفعل ، لكن والدتى تحتاجنى الآن " . توقفت للحظة ، وكأنها على وشك أن تلقي قنبلة ما ، ثم قالت : " لقد اتصلت بمدرسة سانت أندروز اليوم وأخبرتهم أننى لن أعود إلى المدرسة حتى نهاية هذا الفصل الدراسى " .

استقبل ميتش الخبر بهدوء وقال : " لا يزال هناك شهران على نهاية الفصل الدراسى . ألن تعودى إلى المنزل قبل شهرين ؟ "

" شهرين على الأقل يا ميتش . أنا فقط أحتاج لبعض الوقت . هذا هو كل ما فى الأمر " .

" وقت من أجل ماذا ؟ "

" دعنا لا نخوض هذه المناقشة مرة أخرى . لست بحالة مزاجية مناسبة للجدال " .

" حسناً ، حسناً . وما الذى تسمح به حالتك المزاجية ؟ "

تجاهلت كلماته ، وصمت كلاهما لفترة طويلة . تساءلت : " كم ميلاً تجرى هذه الأيام ؟ "

" نحو ميلين . أقوم بالمشى إلى المضمار ، ثم أجرى ثمانى مرات حوله " .

" كن حريصاً عند المضمار . إن المكان مظلم للغاية " .

" شكراً " .

سادت لحظة صمت طويلة أخرى . قالت آبى : " يجب أن أذهب . إن والدتى تستعد لدخول الفراش " .

" هل ستتصلين مساء الغد ؟ " .

" نعم . فى نفس الوقت " .

أنهت آبى المكالمة دون كلمة " وداعاً " أو " أحبك " أو أى شيء . وضعت السماعة فقط .

جذب ميتش جواربه الرياضية البيضاء إلى أعلى وأدخل قميصه القطنى الأبيض طويل الأكمام داخل سرواله . أغلق باب المطبخ وسار إلى الشارع المظلم . كانت مدرسة ويست جونيور الثانوية تقع على بعد ستة مربعات سكنية شرق شارع إيست ميدوبروك . خلف حجرات الدراسة المبنية بالطوب الأحمر والصالة الرياضية ، كان هناك ملعب بيسبول ، وبعده بمسافة كبيرة ، عند نهاية ممر السيارات المظلم كان هناك ملعب كرة القدم . أحاط بالملعب مضمار ترابى ، وكان مُفَضَلاً لهواة التريض والعدو .

لكن ليس فى الحادية عشرة مساء ، وخاصة إذا غاب القمر . كان المضمار مهجورًا ، وكان ذلك أمراً عادياً بالنسبة لميتش . كان هواء الربيع باردًا ومنعشًا ، وانتهى ميتش من ركض الميل الأول خلال ثمانى دقائق . بدأ يمشى حول المضمار . وبينما كان يسير بمحاذاة المدرجات البيضاء المكشوفة ، رأى بطرف عينيه شخصًا ما . لكنه استمر فى سيره .

" هاي . . . " .

توقف ميتش وقال : " نعم . من هناك ؟ " .

أجاب صوت حاد متقطع : " جوى مورولتو " .

سار ميتش نحو المدرجات البيضاء المكشوفة وقال : " ظريف للغاية يا تارانس . هل هناك من يتبعنى ؟ " .

" بالطبع ليس هناك من يتبعك . إن العميل لانى يجلس هناك داخل حافلة المدرسة ومعه مصباح كهربى . لقد أضاء النور الأخضر عندما

عبرت المضمار ، وإذا رأيت ضوءاً أحمر ، فعد إلى المضمار وابـدأ الجـرى مثل عدّائى الاولمبياد " .

سارا إلى أعلى المدرجات ودلفا إلى كابينة إذاعة غير مغلقة . جلسا على مقاعد داخل الغرفة المظلمة وأخذا يشاهدان حافلات المدرسة ، وهى متوقفة بنظام وترتيب رائع على طول ممر السيارات .

تساءل ميتش : " هل هذا المكان منعزل بالشكل الذى تريده ؟ "

" سيكون كافياً . من كانت الفتاة ؟ "

" أعلم أنك تفضل أن نتقابل في وضح النهـار ، وبشـكل خـاص فـى أماكن تجمع الناس ، مثل مطاعم الوجبـات السـريعة ومتـاجر الأحذيـة الكورية . لكننى أفضل هذا المكان أكثر " .

" عظيم . من كانت تلك الفتاة ؟ " .

" تصرف ذكى ، أليس كذلك ؟ " .

" فكرة عظيمة . من كانت تلك الفتاة ؟ "

" موظفة تعمل لدى " .

" أين عثرت عليها ؟ "

" وما الفارق الذى يصنعه ذلك ؟ لماذا تطرح دائمـاً أسـئلة غـير ذات صلة ؟ "

" غير ذات صلة ؟ لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً اليوم من امرأة لم أقابلها من قبل ، تخبرنى أنها تحتاج إلى التحـدث معـى بشان مسـألة تخـص شركة بنـدينى ، وتقـول إن علينـا تغـيير الهواتـف التـى نسـتعملها ، وتعطينى تعليمـات أن أذهـب إلى هـاتف عمـومى محـدد ، خـارج أحـد المتاجر وأن أكون هناك فى وقت معين ، وأنها سوف تتصل بى فى تمـام الواحدة والنصف . وأذهـب إلى هنـاك ، وتتصـل بـى فـى تمـام الواحـدة والنصف ، وضع فى اعتبارك أننى قد اصطحبت ثلاثة مـن رجـالى لكـى ينتشروا فى مساحة مائة قدم من الهاتف يراقبون كـل شـخص يتحـرك

فى المكان . ثم تخبرنـى عـبر الهـاتف أن آتـى إلى هـذا المكـان فـى تمـام العاشرة وخمس وأربعين دقيقة مساءً ، وأن أحكـم السيطرة علـى هـذا المكان ، وأنك سوف تأتى للتريض هنا " .

" لقد نجحت الفكرة ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، حتى الآن . لكن من هى ؟ أقصد أنك قد ورطت شخصاً آخـر فى الأمر ، وهذا يشعرنى بالقلق يا ماكدير . من تكون الفتاة وكم تعلـم عن الأمر ؟ "

" ثق بى يا تارانس . إنها موظفة لدى وتعلم كل شيءٍ . فـى الواقـع لو أنك تعرف ما تعرفه هى لكنت تقيم القضـايا الآن بـدلاً مـن جلوسـك هنا لتشتكى بشأن الفتاة " .

تنفس تارانس بعمق وفكر فى الأمر ثم قال : " حسناً، أخبرنى بما تعرفه تلك الفتاة " .

" إنها تعرف أن عصابة مورولتو والمتواطئين معها قـد قـاموا خـلال الثلاث سنوات الأخيرة بتهريـب أكثـر مـن ٨٠٠ مليـون دولار نقـدا إلى خارج البلاد وأودعوها فى العديد من البنوك فى منطقة الكاريبى . إنهـا تعـرف أسمـاء البنـوك وأرقـام الحسـابات ، والتـواريخ ، والكـثير مـن المعلومات الأخرى . إنها تعلم أن عائلة مورولتو تسيطر على مـا لا يقـل عن ثلاثمائة وخمسين شركة مقرها جـزر كايمـان ، وأن هـذه الشـركات تعيد إرسال الأموال إلى داخل البلاد بشكل قانونى . إنها تعلم التواريخ وكمية التحويلات النقدية . إنها تعلم أسماء أربعـين مؤسسـة أمريكيـة تملكها مؤسسات فى جزر كايمان مملوكة لعائلة مورولتـو . إنهـا تعلـم أكثر من ذلك بكثير يا تارانس . إنهـا امـرأة غزيـرة المعرفـة ، ألا تظـن ذلك ؟ "

لم يستطع تارانس أن ينطق بكلمـة . حـدق النظـر إلى الظـلام خلـف ممر السيارات فى غضب .

وجد ميتش أن الأمر ممتع فاستمر يقول : " إنها تعلم كيف يأخذون أموالهم القذرة ، ويقومون بتغييرها إلى عملات ورقية فئة المائة دولار ثم يقومون بتهريبها خارج البلاد " .

" كيف يفعلون ذلك ؟ "

" بواسطة طائرة الشركة الخاصة بالطبع . وهم يستخدمون البشر في تهريب الأموال أيضاً . إن لديهم جيشاً من الأغبياء ، عادة ما يكونون من المجرمين ذوى الأجور المنخفضة ورفيقاتهم ، إلى جانب بعض الطلبة والمرتزقة ، ويعطون كل فرد منهم ٩٨٠٠ دولار نقداً ويشترون لكل منهم تذكرة طائرة إلى جزر كايمان أو البهاما . أنت تعلم أن القانون لا يوجب الإعلان عن أى كمية من المال لا تزيد على عشرة آلاف دولار . وسوف يسافر حاملو الأموال بين السائحين المعتادين وجيوبهم تمتلئ بالأموال ويأخذون الأموال إلى حساباتهم البنكية . لا تبدو كمية المال كبيرة ، ولكن لديك ثلاثمائة حامل أموال يقومون بعشرين رحلة سنوياً ، وهذه كمية كبيرة من النقد يتم تهريبها خارج البلاد . إنهم يطلقون على ذلك اسم التهريب البشرى ، كما تعلم " .

أومأ تارانس برأسه قليلاً ، كأنه يعلم بالفعل .

" الكثير من الأشخاص يرغبون في القيام بعمليات التهريب البشرى عندما يستطيعون الحصول على إجازة مجانية ومصروف جيب . وهناك أيضاً حاملو الأموال المميزون . إنهم الأشخاص موضع ثقة عائلة مورولتو حيث يحصلون على مليون دولار نقداً ، ثم يقومون بلفها بشكل مرتب داخل ورق الجرائد ، حتى لا تراها ماكينات كشف الأموال بالمطارات ، ثم يضعونها داخل حقيبة مستندات كبيرة ويسيرون إلى داخل الطائرة مثل بقية الناس . يرتدون المعاطف ورابطات العنق ويشبهون رجال الأعمال في شارع البورصة . أو يرتدون الأحذية الخفيفة والقبعات المصنوعة من القش ويضعون الأموال داخل حقائب

السفر الخفيفة . إنكم تقبضون على بعضهم من وقت لآخر ، حوالى واحد بالمائة منهم ، على ما أعتقد ، وعندما يحدث ذلك يذهب حامل الأموال المميز إلى السجن . لكنهم لا يتحدثون أبداً ، أليس كذلك يا تارانس ؟ ومن وقت لآخر سوف يبدأ مهرب الأموال فى التفكير فى هذه الأموال التى يحملها فى حقيبته ، وكيف أنه من السهل عليه أن يكمل الرحلة ويستمتع بهذه الأموال بنفسه . وقد يختفى ومعه الأموال . لكن المافيا لا تنسى أبداً ، وقد يستغرق الأمر عاماً أو اثنين ، لكنهم سوف يعثرون عليه فى مكان ما . سيكون المال قد انتهى بالطبع ، ولكن كذلك ستنتهى حياته . إن المافيا لا تنسى أبداً ، أليس كذلك يا تارانس ؟ تماماً مثلما أنهم لن ينسونى " .

أنصت تارانس حتى بدا واضحاً أن عليه أن يقول شيئاً . قال : " لقد حصلت على المليون دولار التى أردتها " .

" أقدر لكم هذا . تقريباً أنا مستعد للدفعة الثانية " .

" تقريباً ؟ "

" نعم ، لدىَّ أنا والفتاة بعض الأشياء الأخرى التى يجب القيام بها . نحن نحاول إخراج مزيد من السجلات من مبنى بنديني " .

" كم مستنداً لديكم حتى الآن ؟ "

" أكثر من عشرة آلاف مستند " .

سقط فك تارانس السفلى وفغر فاه دهشة . حدق النظر فى ميتش قائلاً : " اللعنة ! من أين تحصلون على هذه المستندات ؟ "

" سؤال آخر من أسئلتك التى لا تنتهى " .

قال تارانس : " عشرة آلاف مستند " .

" عشرة آلاف على الأقل . سجلات بنكية ، سجلات تحويلات نقدية ، مستندات إنشاء مؤسسات ، مستندات قروض مؤسسات ،

مذكرات داخلية ، مراسلات بين الكثير من الشخصيات . العديد من الأشياء الجيدة يا تارانس " .

" لقد ذكرت زوجتك شركة تسمى دون لان المحدودة . لقد راجعنا الملفات التى أعطيتها لنا . مستندات مهمة للغاية . ماذا تعرف عن الشركة غير ذلك ؟ "

" الكثير . لقد أنشئت الشركة عام ١٩٨٦ برأسمال قدره عشرة ملايين دولار ، وقد تم تحويل المال إلى المؤسسة من حساب رقمى فى بنك بانكو دى مكسيكو ، وهى نفس الملايين العشرة التى وصلت إلى جزر كايمان على متن طائرة تخص شركة قانونية صغيرة وهادئة فى ممفيس ، غير أن المبلغ الأصلى كان أربعة عشر مليون دولار ولكن بعد دفع الرشاوى لجمارك كايمان ورجال البنوك تقلص المبلغ إلى عشرةٍ ملايين . عندما تأسست الشركة ، كان صاحب السجل القانونى رجلا يدعى دياجو سانشيز ، الذى كان نائب رئيس فى بنك بانكو دى مكسيكو . كان رئيس الشركة رجلاً لطيفاً يدعى ناثان لوك ، أما سكرتيرها التنفيذى فكان صديقنا القديم رِويس مكنايت ، أما أمين صندوق هذه الشركة اللطيفة فكان رجلا يدعى آل روبنشتاين . أنا واثق أنك تعرفه . أنا لا أدرى من هو " .

" إنه عميل لعائلة مورولتو " .

" يا لها من مفاجأة . أتريد المزيد ؟ "

" استمر بالحديث " .

" بعد أن تم استثمارِ عشرة ملايين دولار فى هذه الشركة ، تم إيداع تسعين مليون دولار نقداً فى حساب الشركة خلال السنوات الثلاث اللاحقة . شركة مربحة للغاية . بدأت الشركة تشترى كل شيء فى الولايات المتحدة ـ مزارع قطن فى تكساس ، مجمعات سكنية فى دايتون ، محلات مجوهرات فى بيفرلى هيلز ، فنادق فى سان بترسبرج

وتامبا . وقد تمت معظم المعاملات التجارية بواسطة تحويلات نقدية من أربع أو خمس بنوك مختلفة فى جزر كايمان . إنها عملية غسيل أموال نمطية " .

" وهل لديك مستندات تثبت كل هذا ؟ "

" سؤال غبى يا تارانس . إذا لم يكن لدىَّ مستندات ، كيف كنت لأعرف بشأن كل هذا ؟ أنا أعمل على ملفات نظيفة فقط ، إذا كنت تتذكر " .

" كم من الوقت سيأخذ منك الأمر ؟ "

" حوالى أسبوعين . ما زلت أنا وموظفتى نتسلل خفية في أرجاء مبنى بنديني . ولا يبدو الأمر مبشرا . سيكون من العسير جدا إخراج تلك الملفات من هناك " .

" من أين أتت العشرة آلاف مستند ؟ "

تجاهل ميتش السؤال . هب واقفاً على قدميه وبدأ يسير تجاه الباب . قال : " نريد أنا وآبى أن نعيش فى البكوكركى . إنها مدينة كبيرة ، وبعيدة عن متناول المافيا إلى حد ما . ابدأ العمل على تحقيق هذا الأمر " .

" لا تتسرع كثيراً . لا يزال هناك الكثير من العمل " .

" لقد قلت أسبوعين يا تارانس . سأكون مستعداً لتقديم المستندات خلال أسبوعين ، وهذا يعنى أن علىَّ أن أختفى بعدها " .

" ليس بهذه السرعة . أحتاج إلى رؤية عدد من هذه المستندات " .

" إن لديك ذاكرة ضعيفة يا تارانس . لقد وعدتك زوجتى الحبيبة بكومة كبيرة من مستندات دون لان بمجرد خروج راى من السجن " .

نظر تارانس إلى نهاية أرض الملعب المظلم وقال : " سأرى ما يمكننى عمله بهذا الشأن " .

سار ميتش إليه ولوّح بإصبعه أمام وجهه قائلاً : " استمع إلىَّ يا تارانس ، واستمع جيدا . لا أظن أن أحدنا يفهم الآخر جيداً . اليوم هو ١٧ أبريل . بعد أسبوعين من اليوم سيحل الأول من مايو ، وفى الأول من مايو سوف أسلمك ، كما وعدت ، ما يزيد على عشرة آلاف مستند تمثل أدلة إدانة دامغة وقاطعة ستؤدى إلى تدمير إحدى أقوى عائلات الجريمة المنظمة فى العالم . وفى النهاية سيكلفنى ذلك حياتى . لكنى قد وعدت أن أفعل ذلك . وقد وعدتنى أن تُخرِج أخى من السجن . لديك أسبوع ، حتى ٢٤ أبريل ، إذا لم يحدث ذلك ، سوف أختفى ، وتختفى معى قضيتك ومستقبلك المهنى بالكامل " .

" وماذا سيفعل أخوك بعد أن يخرج ؟ "

" كثيرة هى أسئلتك الغبية يا رجل . سوف يفر بأقصى سرعة ، هذا هو ما سيفعله . إن لديه شقيقاً مليونيراً وخبيراً فى غسيل الأموال والتحويلات المصرفية . سوف يغادر البلاد فى أقل من اثنتى عشرة ساعة ، وسوف يذهب ليجد المليون دولار تنتظره " .

" جزر البهاما " .

" جزر البهاما . إنك لأحمق يا تارانس . إن هذه الأموال قد مكثت فى جزر البهاما أقل من عشر دقائق . لا يمكنك أن تثق فى الحمقى الفاسدين هناك " .

" إن السيد فويلس لا يحب المواعيد النهائية . إنه يغضب بشدة إذا أعطاه أحدهم موعداً نهائياً لتنفيذ وعوده " .

" قل للسيد فويلس أن يذهب إلى الجحيم . أخبره أن يجهز النصف مليون التالية ، لأننى أكاد أكون مستعداً . أخبره أن يُخرج أخى من السجن وإلا فإن الاتفاق سيلغى . أخبره بما تريد يا تارانس ، ولكن إذا لم يخرج راى من السجن خلال أسبوع ، فسوف أختفى أنا " .

أغلق ميتشٍ الباب بقوة وبدأ يهـبط المـدرجات المكشـوفة . لحـق بـه تارانس صارخا : " متى سنلتقي ثانية ؟ "

قفز ميتش عبر السياج وانطلق عـبر المضـمار وهـو يقـول : " سـوف تتصل بك موظفتي . فقط افعل ما تقوله لك " .

٣١

. . . .

ألغيت الإجازة السنوية التى يقوم بها ناثان لوك بعد ١٥ أبريل ولمدة ثلاثة أيام يقضيها فى فايل . كان ديفاشر هو من قرر إلغاء الإجازة ، بتعليمات من لازاروف . جلس لوك وأوليفر لامبرت فى مكتب ديفاشر فى الطابق الخامس من المبنى وأنصتا جيداً . كان ديفاشر يخبرهم بكل صغيرة وكبيرة ويحاول دون فائدة أن يضع كل أجزاء اللغز معا .

قال ديفاشر : " لقد غادرت زوجته المنزل . تقول إن عليها أن تذهب إلى منزل عائلتها لكى تكون بجانب والدتها ، التى تعانى من سرطان الرئة ، وأنها لم تعد تتحمل الكثير من متاعب عمله وكل هذا الكلام الفارغ . لقد شعرنا بوجود بعض المتاعب هنا وهناك خلال الشهور الماضية . كانت زوجته تشتكى من بقائه بالعمل لساعات طويلة والعمل أيام الآحاد ، ولكن لم يحدث بينهما شجار أو نزاع جدى . ثم تذهب زوجته إلى أمها . وتقول إنها لا تدرى متى تعود . إن أمها مريضة ، أليس كذلك ؟ وأزالت إحدى رئتيها ، أليس كذلك ؟ لكننا لم نجد أى مستشفى بها مريضة تدعى ماكسين سازر لاند . لقد تفقدنا كل المستشفيات فى كينتاكى ، إنديانا ، وتينيسى . ألا يبدو ذلك غريباً فى نظركم يا رفاق ؟ "

قال لامبرت : " بربك يا ديفاشر . لقد أجرت زوجتي عملية جراحية منذ أربع سنوات ، وقد نقلناها بالطائرة إلى مستشفى مايو كلينك . لم أسمع عن قانون يجبر أى شخص على أن يلتزم بإجراء أى جراحة فى محيط مقداره مائة ميل من منزله . هذا سخف . وهؤلاء الناس ينتمون إلى طبقة المجتمع الراقى . ربما دخلت المستشفى تحت اسم مستعار لكى تبقى الأمر قيد السرية . إن ذلك يحدث طوال الوقت ومع كثير من الناسٍ " .

أومأ لوك برأسه موافقا وقال : " كم تحدث إليها ماكدير منذ أن غادرت ؟ "

" إنها تتصل به تقريباً كل يوم . لديهم بعض الأحاديث الطبيعية حول هذا وذاك من الأمور . يتحدثان عن كلبهما ، عن أمها . عن العمل فى المكتب . لقد أخبرته مساء الأمس أنها لن تعود إلى المنزل قبل شهرين على الأقل " .

تساءل لوك : " هل أشارت أبداً إلى اسم المستشفى الذى تُعالج به أمها ؟ "

" أبداً . لقد كانت حريصة للغاية . لا تتحدث كثيراً عن الجراحة . من المفترض أن أمها فى المنزل الآن . هذا إذا كانت قد تركته من الأساس " .

تساءل لامبرت : " ما الذى تريد الوصول إليه يا ديفاشر ؟ "

" اخرس ودعنى أنهى كلامى . لنفترض أن الأمر مجرد خدعة لإخراجها من المدينة . لإبعادها عن قبضتنا . وعما سيحدث بعد ذلك . هل تتبعون كلامى ؟ "

تساءل لوك : " أنت بذلك تفترض أن ماكدير يعمل مع المباحث الفيدرالية ؟ "

" إننى أتلقى راتبى لكى أفترض هذه الأمور يا ناثان . أنا أفترض أن ماكدير يعلم أن الهواتف مراقبة ، ولذلك فهما شديدا الحرص أثناء التحدث عبر الهاتف . أنا أفترض أنه قد أخرجها من المدينة من أجل حمايتها " .

قال لامبرت : " إفتراضٍ واهن للغاية " .

سار ديفاشر يميناً ويساراً خلف مكتبه . حدق النظر إلى أوليفر لامبرتٍ وترك الأمر يمر دون تعليق . قال ديفاشر : " منذ عشرة أيام تقريبا ، قام أحدهم بنسخ عدد كبير من المستندات وبشكل غير عادى فى الطابق الرابع . ما يجعل الأمر غير طبيعى أن النسخ قد تم فى الثالثة صباحا . طبقاً لسجلاتنا ، عندما نُسِخَت تلك المستندات لم يكن هناك سوى اثنين من المحامين . ماكدير وسكوت كمبيل . وليس لأى منهما أيٍ شأن بالطابق الرابع . تم استخدام أرقام خاصة بأربعة وعشرين ملفاً مختلفا . ثلاثة منها تخص الملفات التىَ يعمل عليها لامارٍ كوين . وثلاثة تخص ملفات سونى كابس . أما الثمانية عشر رقما الباقية فتخص الملفات التى يعمل عليها ماكدير . لم يكن هناك أية ملفات تخص سكوت كمبيل . لقد غادر فيكتور ميليجان مكتبه فى الثانية والنصف صباحاً ، وكان ماكدير يعمل داخل مكتب تولار . لقد اصطحب ماكدير تولار إلى المطار . يقول تولار إنه قد أغلق مكتبه بإحكام ، ولكن ربما يكون قد نسى . إما أنه قد نسى أو أن ماكدير لديه مفتاح لحجرة مكتب تولار . لقد ضغطت على تولار فى هذا الأمر ، وهو شبه متأكد من أنه قد أغلق الباب بالقفل . لكنه قد غادر فى منتصف الليل وكان فى شدة التعب والتعجل . ربما يكون قد نسى ، أليس كذلك ؟ لكنه لم يصرح لماكدير أن يعود إلى مكتبه ويعمل هناك . لكن هذه مسألة غير مهمة ، لأنهما قد أمضيا اليوم بالكامل يعملان على الإقرار الضريبى لشركات سونى كابس . كانت

ماكينة النسخ المستخدمة هى الماكينة رقم ١١ ، والتى تصادف أن تكون الأقرب إلى مكتب تولار . أظن أنه من المنطقى أن نفترض أن ماكدير هو من قام بنسخ هذه المستندات " .

" كم عدد النسخ التى قام بنسخها ؟ "

" نحو ألفين واثنتى عشرة نسخة " .

" من أية ملفات ؟ "

" كانت الملفات الثمانى عشرة كلها إقرارات ضريبية لعملاء . الآن ، أنا متأكد من أنه سيفسر الأمر على أنه كان قد انتهى من عمل الإقرارات الضريبية لهؤلاء العملاء وأنه كان فقط يقوم بنسخ المستندات من أجل الحفظ داخل ملفاتهم . يبدو ذلك أمراً قانونياً ، أليس كذلك ؟ إلا أن نسخ المستندات من أجل الأرشيف هى وظيفة السكرتيرات ، وما الذى كان يفعله فى الطابق الرابع فى الثالثة صباحاً بحق السماء ؟ ولماذا يقوم بنسخ ألفى مستند ؟ لقد كان ذلك صباح يوم ٧ أبريل . كم من محاميكم قد أنهى الإقرارات الضريبية المفترض تقديمها يوم ١٥ أبريل وقام بنسخ المستندات من أجل الأرشيف فى هذا الموعد المبكر ؟ "

توقف عن السير وأخذ يراقبهما . لقد كانا يفكران . لقد استحوذ كلامه على انتباههما . أكمل ديفاشر يقول : " وإليكما الأمر الأكثر غرابة . بعد خمسة أيام أدخلت سكرتيرته الأرقام الخاصة بنفس الملفات الثمانى عشرة فى ماكينة النسخ الخاصة بها فى الطابق الثانى . قامت بنسخ ما يقرب من ثلاثمائة مستند ، ولست محامياً ، ولكن يمكننى أن أقول إن هذا الرقم أقرب للمنطق . ألا تظنان ذلك ؟ "

أومأ كلاهما برأسه ، ولكن لم ينطقا بشيء . كانا محاميين ، ومدربين جيداً على أن يتبادلا أى قضية من كافة أبعادها . لكنهما لم ينطقا بحرف واحد . ابتسم ديفاشر ابتسامة شريرة وعاد إلى سيره

خلف المكتب . قال : " والآن لقد ضبطناه يقوم بنسخ ألفين من المستندات ولن يمكنه أن يفسر ذلك . إذن ، فالسؤال المهم هو : ما هي المستندات التي قام بنسخها ؟ إذا كان يستخدم الأرقام الخاصة بملفات غير التي يقوم بنسخها من أجلٍ استخدام ماكينة النسخ ، فما هي المستندات التي كان ينسخها فعلا ؟ عن نفسي ، لا أدرى . لقد كانت كل المكاتب مغلقة ، فيما عدا مكتب تولار طبعاً . ولذلك سألتُ تولار عن الأمر . قال إن لديه صفاً من الخزائن الحديدية يحتفظ فيها بالملفات الحقيقية . يقول إنه يُبقي تلك الخزائن مغلقة ، لكنه كان يعبث بهذه الخزائن طوال اليوم ومعه ماكدير والسكرتيرات . هل من الممكن أن يكون تولار نسي أن يغلق تلك الخزائن عندما أسرع ليلحق بالطائرة . مشكلة كبيرة . ولماذا يقوم ماكدير بنسخ ملفات قانونية سليمة ؟ ما أظنه يفعل ذلك . ومثل كل الشركاء في الطابق الرابع ، لدى تولار أربع خزائن خشبية يحتفظ فيها بالملفات السرية . لا أحد يلمس هذه الخزائن ، ولا حتى الشركاء الآخرين أليس كذلك ؟ إن هذه إحدى قواعد الشركة . يتم الاحتفاظ بتلك الملفات في خزائن مغلقة بإحكام أكثر من أى ملفات أخرى . إذن ، ماكدير لن يستطيع الوصول إليها بدون مفتاح . لقد أرانى تولار مفاتيحه . وقال إنه لم يلمس تلك الخزائن قبل يوم ٧ أبريل بيومين . ولقد قام تولار بمراجعة تلك الملفات ، ويبدو كل شيء في موضعه . لا يمكنه أن يجزم إذا كان أحد ما قد عبث بتلك الملفات أم لا . لكن هل يستطيع أحدكما أن ينظر إلى ملفاته ويحدد إذا كانت قد نُسِخَت أم لا ؟ كلا بالطبع ، وكذلك لا أستطيع أنا . لذلك أخذت الملفات هذا الصباح ، وسوف أرسلها إلى شيكاغو . سوف يفحصونها بحثاً عن بصمات الأصابع . وسوف يستغرق ذلك أسبوعا " .

قال لامبرت : " ما كان ماكدير ليقوم بنسخ هذه الملفات " .

" ماذا لديه غير ذلك ليقوم بنسخه يا أولى ؟ أقصد أن كل المكاتب مغلقة فى الطابق الرابع والثالث . كل المكاتب ، فيما عدا مكتب تولار . وإذا افترضنا أن ماكدير يعمل مع تارانس سراً ، فماذا سيريد تارانس من مكتب تولار ، سوى الملفات السرية " .

قال لوك : " إنك تفترض أن ماكدير لديه مفاتيح " .

" نعم . أنا أفترض أنه قد صنع نسخة مقلدةً من مفاتيح تولار " .

أطلق لامبرت ضحكة عصبية وقال معترضاً : " هذا غير معقول . لا يمكننى أن أصدق ما تقوله " .

حدق صاحب العينين السوداوين النظر إلى ديفاشر وعلى وجهه ابتسامة شريرة ثم قال : " كيف يمكنه أن يحصل على نسخة من مفاتيح تولار ؟ "

" سؤال جيد ، ولا أجد له إجابة . لقد أرانى تولار مفاتيحه . إنها عبارة عن سلسلتين تحويان أحد عشر مفتاحا . إنه يحتفظ بها طوال الوقت . قاعدة أخرى للشركة ، أليس كذلك ؟ مثلما يفترض أن يفعل كل المحامين الجيدين . عندما يكون مستيقظاً ، تكون المفاتيح داخل جيبه . وعندما يكون نائماً فى أى مكان غير منزله ، يضع المفاتيح أسفل الفراش " .

تساءل لوك : " أين سافر تولار خلال الشهر الماضى ؟ "

" دعكما من الرحلة التى سافر خلالها إلى هيوستن للاجتماع مع كابس فى الأسبوع الماضى . لقد كان ذلك قريباً للغاية . قبل ذلك ، ذهب تولار إلى جراند كايمان لمدة يومين بداية من ١ أبريل " .

قال لامبرت ، وهو ينصت باهتمام : " أذكر هذه الرحلة " .

" هنيئاً لك يا أولى . لقد سألته عما فعله خلال الليلتين ، فقال إنه لم يفعل أى شيء سوى العمل . قضى بعض الوقت فى ملهى فى إحدى الليلتين ، ولكن لا شيء غير ذلك . وهو يقسم أنه قد نام

بمفرده كلتا الليلتين . ضغط ديفاشر زراً فى جهاز تسجيل صغير الحجم وقال : " لكنه يكذب . هذا تسجيل لمكالمة أجريت في الساعة التاسعة والربع صباحاً ، يوم ٢ أبريل ، من الهاتف الموجود فى غرفة النوم الرئيسية في الاستراحة رقم ١ " . بدأ الشريط :

صوت المرأة الأولى : " إنه بداخل الحمام " .

صوت المرأة الثانية : " هل أنت بخير ؟ "

" نعم أنا بخير . لو كان بيده أن يستمر فى النوم لفعلها " .

" لماذا أخذت كل هذا الوقت ؟ "

" لم يكن قد استيقظ بعد " .

" هل يرتاب فى شيء ؟ "

" كلا . إنه لا يتذكر أى شيء . أظن أنه متوعك " .

" كم ستمكثين هناك ؟ "

" سأقبله قبلة الوداع عندما يخرج من الحمام . بعد عشر دقائق أو ربما خمس عشرة دقيقة من الآن " .

" حسنا . أسرعي " .

ضغط ديفاشر زرا آخر واستمر فى سيره . قال : " ليس لدىً أى فكرة من تكون هاتان المرأتان ، ولم أواجه تولار بالأمر . حتى الآن . إنه يشعرنى بالقلق . لقد رفعت زوجته قضية طلاق ، وقد فقد السيطرة على نفسه . إنه يطارد السيدات في كل مكان . إن هذا خرق رهيب لأمن الشركة ، وأظن أن لازاروف سوف يشتاط غضباً " .

قال لوك : " لقد تحدثت المرأة كأن تولار قد أصابته غيبوبة من أثر الإفراط فى الشراب " .

" هذا واضح " .

تساءل لوك : " أتظن أنها صنعت نسخة مقلدة لمفاتيح تولار ؟ "

هز ديفاشر كتفيه وجلس فوق مقعده الجلدى المتهالك . اختفت لمحة الغرور من وجهه وقال : " محتمل ، ولكنى أشك فى ذلك . لقد فكرت فى الأمر لساعات . لنفترض أنها امرأة التقى بها فى إحدى الملاهى الليلية ، وأفرطا فى الشراب حتى الثمالة ، ثم ذهبا إلى الفراش فى وقت متأخر . كيف يمكن لها أن تصنع نسخاً من مفاتيح تولار فى منتصف الليل فى هذه الجزيرة الصغيرة ؟ أنا لا أعتقد ذلك " .

قال لوك فى إصرار : " لكن كان معها شريكة أخرى " .

" نعم ، ولا أستطيع أن أفهم هذا الأمر . ربما كانتا تحاولان سرقة حافظة نقوده ولكن الأمر لم يتم لسبب ما . إنه يحمل عدة آلاف من الدولارات نقداً ، وإذا أصابته الثمالة ، فمن يعلم ماذا أخبرهما . ربما كانت تخطط لسرقة المال فى آخر لحظة والفرار بسرعة . لكنها لم تفعل ذلك . ولا أدرى لماذا " .

تساءل أولى : " أليس لديك مزيد من الافتراضات ؟ "

" كلا . أنا أحب أن أضع الافتراضات ، ولكن سيكون من الصعوبة أن أفترض أن هاتين المرأتين قد حصلتا على المفاتيح ، وبطريقة ما استطاعتا أن تصنعا نسخاً مقلدة منها فى منتصف الليل وعلى هذه الجزيرة ، بدون علم تولار ، ثم عادت المرأة الأولى لكى تندس فى الفراش معه . وأن كل هذا له علاقة بماكدير واستخدامه لماكينة النسخ فى الطابق الرابع . إن هذا الافتراض صعب التصديق " .

قال أولى : " أوافقك الرأى " .

تساءل ذو العينين السوداوين : " ماذا عن غرفة التخزين ؟ "

" لقد فكرت فى ذلك يا ناثان . فى الواقع ، لقد طار النوم من عينى بسبب التفكير فى هذا . إذا كانت هذه المرأة مهتمة بالسجلات الموجودة فى غرفة التخزين ، فلابد أن لها صلة بماكدير أو شخص

آخر يتلصص على الشركة . ولا يمكنني إيجاد هذه الصلة . لنفترض أنها قد وجدت السجلات داخل الغرفة ، ماذا يمكنها أن تفعل بها في منتصف الليل بينما تولار نائم بالأعلى ؟ "

" يمكنها أن تقرأها " .

" نعم ، هناك مليون مستند فقط . لابد أن نضع في اعتبارنا أنها قد أمضت الليلة في الشرب مع تولار ، وإلا لكانت الشكوك قد أصابته . إذن فقد أمضت الليل في الشراب وإغواء تولار ، ثم انتظرت حتى انطرح تولار نائماً ، وفجأة صارت لديها الرغبة أن تهبط إلى الأسفل وتقرأ سجلات بنوك . إنها رواية لا يهضمها العقل يا رفاق " .

قال أولى في فخر : " ربما تكون تعمل لحساب المباحث الفيدرالية " .

" كلا ، هذا غير محتمل " .

" لماذا ؟ "

" الأمر بسيط يا أولى . لن تقوم المباحث الفيدرالية بذلك لأن ذلك سيكون غير قانوني ولن يمكن استخدام السجلات كدليل في أى قضية . وهناك سبب آخر أهم بكثير " .

" ما هو ؟ "

" لو أنها عملية للمباحث ، ما كانت لتجرى هذه المكالمة الهاتفية . لا يمكن لشخص محترف أن يتصرف بهذه الطريقة . أعتقد أنها كانت سارقة " .

تم شرح نظرية السارقة إلى لازاروف ، الذى حاول التشكيك في الأمر بكل الطرق ولكن لم يستطيع الوصول إلى نظرية أفضل . أمر بتغيير الأقفال في الطابق الثالث والرابع ، وأقفال الخزائن في

القبو ، وأقفال الاستراحتين بجزر كايمان . أمر بالبحث عن كل صانعي الأقفال في الجزيرة ــ قال إنهم لن يكونوا كثيرى العدد ــ من أجل تحديد ما إذا كان أحدهم قد صنع نسخًا مقلدة من مفاتيح في ليلة ١ أبريل أو الصباح المبكر من يوم ٢ أبريل . طلب من ديفاشر أن يرشوهم . بالتأكيد سوف يتكلمون إذا عرض عليهم بعض المال . وأمر أن يتم رفع البصمات من الملفات الموجودة في مكتب تولار . شرح له ديفاشر في فخر أنه قد بدأ في ذلك بالفعل . وقد أُخذت بصمات ماكدير من ملفه بنقابة المحامين .

كذلك أمر بإيقاف آفرى تولار عن العمل لمدة ستين يوما . أشار عليه ديفاشر أن ذلك القرار قد يُشعِر ماكدير بالخطر . قال لازاروف : " حسناً ، اطلب من تولار أن يذهب إلى المستشفى وهو يشكو من آلام في صدره . وأن يقول إن الأطباء قد أمروه بالراحة لمدة شهرين ، بعيدا عن العمل . اطلب من تولار أن يحسن من سلوكه . وقم بإغلاق مكتبه . واجعل ماكدير يعمل مساعداً مع فيكتور ميليجان " .

قال ديفاشر : " لقد قلت إن لديك خطة جيدة للتخلص من ماكدير " .

ابتسم لازاروف ومسح أنفه قائلاً : " نعم . أعتقد أننا سوف نستخدم الطائرة الخاصة . سوف نرسله إلى جزر كايمان في رحلة عمل قصيرة ، وهناك سيحدث انفجار غامض للطائرة " .

تساءل ديفاشر : " هل سنتخلص من الطيارين ؟ "

" نعم . نحتاج إلى أن يبدو الأمر مقنعاً " .

" لا يجب أن يحدث الانفجار حول جزر كايمان . سيكون ذلك مثيراً للشبهات " .

" حسناً ، لكن يجب أن يتم الأمر فوق الماء . سيقلل ذلك من وجود حطام للطائرة . سوف نستخدم كمية متفجرات كبيرة ، حتى لا يعثر المحققون على الكثير " .

" إن الطائرة الخاصة غالية الثمن " .

" أعلم هذا . سوف أناقش الأمر مع جوى أولاً " .

" أنت الرئيس . أعلمنى إذا كنا نستطيع المساعدة من هنا " .

" بالتأكيد . ابدأ التفكير فى الخطة " .

تساءل ديفاشر : " ماذا عن رجل المباحث فى واشنطن ؟ "

" مازلت أنتظر . لقد اتصلت بهم فى نيويورك هذا الصباح ، وهم يبحثون الأمر . سوف نعرف الإجابة خلال أسبوع " .

" سوف يسهل ذلك من الأمر " .

" نعم . إذا كانت الإجابة هى نعم ، فيجب أن تتخلص منه خلال أربع وعشرين ساعة " .

" سوف أبدأ التخطيط للأمر " .

كان المكتب هادئاً بالنسبة لصباح يوم السبت . كان هناك قلة من الشركاء ودستة من المحامين يتهادون فى المكان وهم يرتدون السراويل ذات اللون الكاكى والمعاطف الصوفية . لم يكن هناك أية سكرتيرات بالمكتب . تفقد ميتش بريده وقام بإملاء بعض المراسلات . غادر المكتب بعد ساعتين . كان الوقت قد حان لزيارة راى .

لمدة خمس ساعات ، قاد ميتش سيارته شرقاً على طريق الولايات رقم ٤٠ . كان يقود مثل شخص أحمق . كان يقود بسرعة خمسة وأربعين ميلا فى الساعة ، ثم يرفع السرعة فجأة إلى خمسة وثمانين ميلا . كان يتوقف فى كل استراحة ومحطة وزن . كان كثيراً ما يترك

الحارة اليسرى من الطريق فجأة . توقف عند مدخل أحد الأنفاق الأرضية وانتظر وراقب الطريق . لم يرهم أبداً رغم ذلك . لم يلاحظ ولا لمرة واحدة سيارة أو شاحنة أو مقطورة مثيرة للشبهات . لقد كان يراقب حتى المقطورات العملاقة . لاشيء . لم يكن هناك من يراقبه . كان ليراهم لو أنهم هناك .

عبر الصندوق المتلئ بالكتب وعلب السجائر في نطقة التفتيش ، وأشار إليه الحارس أن يجلس داخل الكابينة رقم تسعة . بعد دقائق ، جلس راى على الناحية المقابلة من الحاجز الحديدى .

قال راى ، فى لمحة من الانزعاج : " أين كنت طوال هذا الوقت ؟ إنك الشخص الوحيد الذى يزورنى فى هذا العالم ، وهذه هى الزيارة الثانية خلال أربعة أشهر " .

" أعرف ذلك . نحن في موسم الإقرارات الضريبية ، وكنت غارقاً حتى أذنى فى العمل . سوف يتحسن الأمر . لقد كنت أكتب لك رغم ذلك " .

" نعم ، كنت أتلقى كل أسبوع خطاباً مكوناً من مقطعين . مرحباً يا راى . كيف حال سريرك ؟ كيف حال الطعام ؟ كيف حال الجدران ؟ كيف حال دراسة اللغة اليونانية أو الايطالية ؟ أنا بخير . آبى بحالة رائعة . الكلب مريض . يجب أن أذهب الآن . سوف آتى لزيارتك قريباً . مع حبى ، ميتش . إنك تكتب خطابات معبرة للغاية يا أخى الصغير . إننى أعتز بها بشدة " .

" لم تكن خطاباتك أفضل بكثير " .

" ماذا لدىَّ لأقوله ؟ الحراس يبيعون المخدرات . أحد أصدقائى طعن بسكين إحدى وثلاثين مرة . تعرض شاب صغير للاغتصاب داخل السجن . بربك يا ميتش . من يريد أن يسمع هذه الأخبار ؟ "

" سوف أحسن من أسلوب كتابتى " .

" كيف حال أمي ؟ " .

" لا أدرى . لم أذهب إلى منزلها منذ الكريسماس " .

" لقد طلبت منك أن تطمئن عليها يا ميتش . أنا أشعر بالقلق حيالها . إذا كان زوجها الحقير يضربها ، أريدك أن تمنعه . إذا كان بإمكانى الخروج من هنا ، كنت سأمنعه بنفسى " .

" سوف تخرج " كانت جملة خبرية وليست سؤالا . وضع ميتش إصبعه أمام شفتيه المضمومتين وأومأ برأسه فى بطء . مال راى إلى الأمام ، مستنداً على مرفقيه ونظر إليه باهتمام .

تحدث ميتش بصوت خافت باللغة الأسبانية حتى لا يفهم الحراس حواره وطلب من راى مجاراته فى الحديث بالأسبانية ، وقال : " تحدث بالأسبانية بشكل بطيء " .

ابتسم راى فى بساطة ورد عليه بالأسبانية : " متى ؟ "

قال ميتش : " الأسبوع القادم " .

قال راى : " فى أى يوم ؟ "

فكر ميتش لثانية وقال : الثلاثاء أو الأربعاء .

قال راى ، والحديث مازال بالأسبانية : " فى أى وقت ؟ "

ابتسم ميتش وهز كتفيه ثم أخذ يتلفت من حوله .

عاد الحديث مرة أخرى باللغة الإنجليزية وقال راى : " كيف حال آبى ؟ "

" إنها فى منزل والديها فى كينتاكى منذ أسبوعين . إن والدتها مريضة " . حدق ميتش النظر إلى راى ثم حرك شفتيه متمتماً فى صمت : " ثق بى " .

" ماذا أصاب والدة آبى ؟ "

" لقد أزال الأطباء إحدى رئتيها بسبب السرطان . لقد كانت تدخن بشراهة طيلة حياتها . يجب أن تتوقف عن التدخين " .

" سوف أمتنع عن التدخين إذا خرجت من هنا " .

ابتسم ميتش وأومأ برأسه في بطء قائلاً : " أمامك سبع سنوات على الأقل " .

" نعم ، والهروب من هنا مستحيل . لقد حاول بعضهم الهرب من وقت لآخر ، لكنهم سرعان ما يقبض عليهم أو يقتلوا بالرصاص " .

قال ميتش وهو يومىء برأسه ببطء : " لقد هرب جيمس إبرل راى من قبل ، ألم يفعل ؟ " فابتسم راى وهو يراقب عينى أخيه .

قال راى : " ولكنهم ألقوا القبض عليه . فهم يجلبون بعض حراس الجبال ومعهم كلاب الحراسة الشرسة ويصبح الأمر خطيراً . أنا لا أظن أن أحداً قد نجا من وعورة الجبال بعد الهروب من السجن " .

قال ميتش : " لنتحدث عن أمر آخر " .

" فكرة جيدة " .

كان هناك حارسان يقفان إلى جانب نافذة خلف ذلك الصف من كبائن الزائرين . كانا يستمتعان بقراءة بعض المجلات الخليعة التى جلبها أحد الأشخاص وحاول تهريبها عبر نقطة التفتيش إلى أحد أصدقائه بالسجن . كان الحارسان مستغرقين فى الضحك وتجاهلا الزائرين تماماً . على الناحية التى جلس بها المساجين ، كان هناك حارس واحد يحمل في يده عصا ويسير إلى الأمام والخلف فى هدوء واسترخاء ، كأنه شبه نائم .

تساءل راى : " متى يمكننى أن أتوقع أن يكون لدىّ أبناء وبنات أخ ؟ "

" ربما بعد سنوات قليلة . إن آبى تريد ولداً وبنتاً ، وهى على استعداد لأن تبدأ من الآن . أما أنا فغير مستعد حتى الآن " .

سار الحارس خلف راى ، لكنه لم ينظر إليهما . حدق كلاهما النظر إلى الآخر ، محاولاً أن يقرأ ما يدور بعقل أخيه . تساءل راى بسرعة ، مستخدما اللغة الأسبانية : " أين سأذهب بعد ذلك ؟ "

قال ميتش : " فندق برديدو بيتش هيلتون . لقد ذهبت أنا وآبى إلى جزر كايمان الشهر الماضى . لقد قضينا إجازة ممتعة " .

" لم أسمع بهذا المكان . أين تقع تلك الجزر ؟ "

" فى منطقة البحر الكاريبى ، أسفل كوبا " .

قال راى بالأسبانية : " ما هو الاسم الذى سأحمله ؟ "

" لى ستيفنس . لقد مارست رياضة الغطس هناك . كان الماء دافئاً ومنعشاً . إن الشركة تمتلك استراحتين فوق شاطئ سفن ميل . لقد تحملت ثمن تذاكر الطيران فقط . كانت إجازة رائعة " .

" أحضر لى دليلا سياحياً . أحب أن أقرأ عن تلك الجزر " . توقف راى ثم همس بالأسبانية : " وجواز السفر ؟ " .

أومأ ميتش برأسه وهو يبتسم . سار الحارس إلى خلف راى ثم توقف هناك . أخذا يتحدثان عن أيام الطفولة فى كينتاكى .

عند مغيب الشمس ، أوقف ميتش سيارته عند جانب مظلم من مركز تجارى فى ضواحى ناشفيل . ترك المفاتيح داخل السيارة وأغلق الباب بإحكام . كان لديه مفتاح احتياطى داخل جيبه . كان هناك حشد مزدحم من المتسوقين يندفعون معاً عبر أبواب متاجر سيرز . انضم إليهم ميتش . وفى الداخل دلف ميتش إلى قسم ملابس الرجال وأخذ يتفقد الجوارب والملابس الداخلية بينما يتطلع إلى الباب . لم يدخل أى شخص مريب . غادر متاجر سيرز وسار بسرعة بين الحشود المكتظة داخل المركز التجارى . لفت انتباهه سترة قطنية سوداء فى نافذة متجر لملابس الرجال . وجد أن لديهم واحدة

داخل المتجر فقام بتجربتها وقرر أن يرتديها أثناء مغادرته للمكان ، حيث أعجبته السترة كثيراً . وبينما كانت الموظفة تضع بقية نقوده على النضد ، أخذ ميتش يتفحص دليل الهاتف بحثاً عن أرقام هواتف شركة سيارات الأجرة . عاد إلى قلب المركز التجارى واستخدم السلم المتحرك ليهبط إلى الطابق الأرضى ، حيث وجد هاتفاً عمومياً . واتصل بشركة السيارات الأجرة وأبلغوه أن السيارة ستصل خلال عشر دقائق .

كان الظلام قد حل فى تلك اللحظة ، ذلك الظلام المبكر البارد الذى يميز الربيع فى الجنوب . أخذ يراقب مداخل المركز التجارى من داخل أحد المطاعم . كان واثقاً أن أحداً لم يتبعه إلى داخل المركز التجارى . سار بشكل طبيعى إلى سيارة الأجرة وقال للسائق : " برنت وود " ثم اختفى داخل المقعد الخلفى " .

كانت برنت وود تبعد عشرين دقيقة . قال للسائق : " مجمع سافانا كريك السكنى " . أخذت سيارة الأجرة تبحث داخل المجمع السكنى الممتد حتى عثرت على الوحدة السكنية رقم ٤٨٠ب . ألقى للسائق عشرين دولاراً وأغلق باب السيارة بقوة . خلف بئر السلم الخارجى عثر على باب الشقة رقم ٤٨٠ب . كان الباب موصداً .

" من بالخارج ؟ " تساءل صوت نسائى من داخل الشقة . سمع ميتش الصوت وأحس بالضعف .

قال ميتش : " بارى ابانكس " .

فتحت آبى الباب ثم اندفعت إليه بقوة . تبادلا القبلات فى عاطفة وحنان وحمل ميتش آبى إلى الداخل وأغلق الباب بقدمه . ظلا يتبادلان القبلات ونظر ميتش بطرف عينه إلى ذلك السرير المستأجر الواهن ، والذى قبع فى أحد الأركان ينتظرهما .

كان السرير قصيراً للغاية . أما الملاءات فكانت عبارة عن بوصتين من المطاط الملفوف داخل غطاء من الورق .

لكن ذلك لم يكن يمثل فرقا كبيرًا لميتش وآبى ماكدير .

عندما أصبح الجو مظلماً وبارداً ، وصغر حجم الحشد المندفع من المتسوقين إلى داخل المركز التجارى للحظات ، توقفت شاحنة صغيرة سوداء وبراقة من ماركة شيفروليه خلف سيارة ميتش البى . إم . دبليو . قفز رجل صغير الحجم ذو شعر مصفف بعناية من الشاحنة وتفقد المكان من حوله ثم أدخل مفكاً فى قفل باب السيارة البى . إم . دبليو . بعد شهور من تلك الواقعة ، وعندما تتم محاكمته ، سوف يخبر القاضى أنه قد قام بسرقة ما يزيد على ثلاثمائة سيارة وشاحنة فى ثمانى ولايات ، وأنه كان يستطيع أن يقتحم السيارة ويدير المحرك أسرع مما قد يفعل القاضى مستخدما مفاتيح السيارة . قال إن متوسط الوقت الذى كان يستغرقه ثمانى وعشرون ثانية . ولن ينبهر القاضى بذلك .

من وقت لآخر ، وفى أحد الأيام السعيدة ، يترك أحد المغفلين مفاتيح سيارته بداخلها ، وبذلك ينخفض الوقت اللازم لتنفيذ العملية بشكل كبير . كان أحد فتية التلصص قد عثر على هذه السيارة وبداخلها المفاتيح . ابتسم الرجل وأدار مفتاح إشعال المحرك . انطلقت الشاحنة الشيفروليه ، ثم تبعتها السيارة البى . إم . دبليو .

قفز الرجل الاسكندينافى من إحدى الشاحنات وشاهد ما جرى . لقد حدث الأمر بسرعة كبيرة . لقد تأخر كثيراً . كانت الشاحنة الصغيرة قد توقفت للحظة ، وحجبت الرؤية عنه للحظات ،

وفجأة ! اختفت السيارة البى . إم . دبليو . لقد سُرقت ! وأمام عينيه . أخذ يركل شاحنته . كيف سيمكنه أن يفسر هذا الأمر ؟

زحف إلى داخل شاحنته وانتظر خروج ماكدير .

بعد ساعة من الجلوس فوق الأريكة ، تناسى كلاهما ألم الوحدة . سارا خلال الشقة الصغيرة متشابكى الأيدى وتبادلا القبلات من وقت لآخر . وفي غرفة النوم ، ألقى ميتش النظرة الأولى على ما كان يُعرَف بين ثلاثتهم باسم مستندات بندينى . كان ميتش قد رأى ملاحظات تامى ومذكراتها المختصرة ، ولكنه لم ير المستندات الحقيقية . كانت الغرفة أشبه ما تكون برقعة شطرنج وفوقها صفوف من أكوام مرتبة من الأوراق . وفوق حائطين من حوائط الغرفة ، علقت تامى لوحات ورقية بيضاء ، وقامت بتغطيها بالملاحظات والقوائم والخرائط البيانية .

فى يوم ما قريب سوف يجلس ميتش فى هذا الغرفة لساعات ، يدرس المستندات ويقوم بإعداد قضيته . لكن ليس الليلة . خلال عدة دقائق قليلة ، سوف يترك آبى ويعود إلى المركز التجارى .

أمسكت آبى بيده وقادته إلى الأريكة مرة أخرى .

٣٢

. . . .

كانت ردهة جناح ماديسون فى الطابق العاشر من مستشفى بابتيست هوسبيتال خالية تماماً سوى من حاجب وممرض يكتب فى دفتر ملاحظاته . كانت الساعات المخصصة للزيارة قد انتهت فى التاسعة وكانت الساعة فى تلك اللحظة تشير إلى العاشرة والنصف . سار ميتش داخل الردهة ، وتحدث إلى الحاجب ، بينما تجاهله الممرض وأخيراً طرق ميتش باب الحجرة .

أجاب صوت قوى من الداخل : " ادخل " .

دفع ميتش الباب الثقيل ودلف إلى الداخل ثم توقف بجوار الفراش .

قال تولار : " مرحبا ميتش . هل تصدق ما حدث ؟ " .

" ماذا أصابك ؟ " .

" استيقظت هذا اليوم فى السادسة صباحاً وأنا أعانى من تقلصات بالمعدة ، أو هكذا ظننت . أخذت حماماً وشعرت بعدها بألم حاد هنا ، فى كتفى . صار تنفسى ثقيلاً وتصبب العرق الغزير منى . أخذت أقول بداخلى ، كلا ، لا يمكن أن يحدث هذا لى . اللعنة ، أنا مازلت فى الرابعة والأربعين ، وفى حالة بدنية جيدة ، وأمارس التمارين الرياضية طوال الوقت ، وآكل بشكل جيد ، ربما أفرط فى الشراب قليلا ، ولكن لا يمكن أن يحدث لى ذلك . اتصلت بطبيبى ، وطلب منى

أن ألقاه في هذا المستشفى . إنه يعتقد أنها كانت أزمة قلبية بسيطة . ليست شيئاً خطيراً ، أو هكذا يأمل ، لكنهم سوف يجرون لى مزيدا من الفحوصات خلال الأيام القليلة القادمة " .

" أزمة قلبية ! "

" هذا ما قاله الطبيب " .

" لست مندهشاً للأمر . أظن أنها معجزة أن يتخطى أى محامٍ بهذه الشركة سن الخمسين وهو بصحة جيدة " .

" لقد فعلها بى كابس يا ميتش . لقد سبّب لى سونى ذلك . هذه الأزمة القلبية من صنع يده . لقد اتصل يوم الأربعاء وقال إنه قد وجد شركة ضرائب أخرى في واشنطن . ويريد كل سجلاته . إنه أكبر عميل لدىَّ . لقد كلفته أتعابى أربعمائة ألف دولار فى السنة الماضية ، وهو تقريباً نفس المبلغ الذى دفعه للضرائب . إنه غير غاضب بشأن أتعابى كمحامٍ ولكنه يشتاط غضباً بسبب ما دفعه للضرائب . إن منطقه غير مفهومٍ يا ميتش " .

" إنه لا يستحق أن تموت من أجله " . بحث ميتش عن الحقنة المتصلة بالوريد فى ذراع تولار ، ولكن لم يجد شيئاً . لم يكن هناك أية أنابيب أو أسلاك . جلس فى المقعد الوحيد وأسند قدميه إلى الفراش .

قال تولار : " لقد رفعت زوجتى جين دعوة تطليق " .

" لقد سمعت بهذا . إنها ليست مفاجأة ، أليس كذلك ؟ "

" لقد اندهشت أنها لم تفعل ذلك منذ السنة الماضية . لقد عرضت عليها مبلغاً كبيراً من أجل تسوية الأمر بشكل ودى . أتمنى أن تقبل المبلغ . لست بحاجة إلى قضية طلاق مزعجة " .

ومن يحتاج إلى ذلك ؟ هكذا فكر ميتش قبل أن يقول : " ماذا قال لامبرت عن الأمر ؟ "

" لقد كان أمراً مضحكاً ، بالفعل . خلال تسع عشرة سنة لم أره أبداً يفقد برودة أعصابه ، ولكن ذلك هو ما حدث . لقد أخبرني أنني أفرط في الشراب ، وأطارد النساء ، ومن يدرى ماذا أفعل غير ذلك . قال إنني قد أصبحت مصدر إحراج للشركة . واقترح عليَّ أن أذهب إلى طبيب نفسي " .

كان تولار يتحدث ببطء متعمد ، وأحياناً بصوت واهن ومتكسر . بدت طريقة حديثه مزيفة . وفي جمل أخرى كان ينسى نفسه ويتحدث بطريقته الطبيعية . كان يرقد ساكناً كأنه جثة ، والأغطية تلتف من حوله بشكل مرتب . كان لون وجهه طبيعياً .

قال ميتش : " أعتقد أنك بحاجة إلى طبيب نفسي ، وربما اثنين " .

" شكراً . أنا بحاجة إلى شهر أقضيه في جو مشمس . قال الطبيب إنه سيأمر بخروجي من المستشفى خلال ثلاثة أو أربعة أيام ، وأنني ممنوع من العمل لمدة شهرين . أي ستين يوماً يا ميتش . قال إنني لا يمكن أن أذهب إلى المكتب تحت أي ظرف خلال ستين يوماً " .

" يا لها من نعمة . أظن أنني سأصاب بأزمة قلبية بسيطة " .

" بمعدل ساعات عملك ، هذا أمر مضمون " .

" هل أصبحت طبيبا الآن ؟ "

" كلا . أنا خائف فقط . عندما تصيبك أزمة كهذه تبدأ في التفكير في الأمور . هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أفكر فيها بالموت . وإذا لم تفكر في الموت ، لا يمكنك أن تقدر الحياة " .

" لقد أصبحت تتحدث مثل الفلاسفة " .

" نعم ، أعرف ذلك . كيف حال آبي ؟ "

" أظن أنها بخير . لم أرها منذ فترة " .

" من الأفضل أن تذهب لكي تراها وتحضرها إلى المنزل . وحاول أن تسعدها . ستون ساعة عمل أسبوعياً كافية للغاية يا ميتش . سوف

تدمر زواجك وتقتل نفسك إذا عملت أكثر من ذلك . إذا كانت آبى تريد أطفالاً ، فحقق لها أمنيتها . أتمنى لو أننى قد عشت حياتى بطريقة مختلفة " .

" اللعنة يا تولار . متى موعد الجنازة ؟ أنت مازلت فى الرابعة والأربعين وأصابتك أزمة قلبية بسيطة . أنت لا ترقد على فراش الموت " .

دلف الممرض إلى الغرفة وحدق النظر إلى ميتش قائلاً : " لقد انتهت ساعات الزيارة يا سيدى . يجب أن تذهب الآن " .

هب ميتش واقفا على قدميه وقال : " حسناً ، بالطبع " . ربت فوق قدمى تولارٍ وسار إلى خارج الغرفة وهو يقول : " أراك بعد يومين " .

" شكرا على حضورك . بلغ تحياتى إلى آبى " .

كان المصعد خالياً . ضغط زر الطابق السادس عشر وبعد عدة ثوان خرج من المصعد . ركض السلالم لمسافة طابقين حتى وصل إلى الطابق رقم ثمانية عشر . أخذ يلتقط أنفاسه ثم فتح الباب . عند نهاية الردهة ، بعيداً عن المصاعد ، كان ريك آكلين يشاهد ما يحدث ويهمس فى سماعة الهاتف ويتظاهر بأنه يتحدث إلى شخص على الخط الآخر . أومأ برأسه إلى ميتش ، وسار ميتش تجاهه . أشار آكلين بإصبعه ، ودلف ميتش إلى منطقة صغيرة تستخدم كحجرة انتظار يجلس بها أقرباء المرضى القلقين . كانت الحجرة خالية ومظلمة ، وبها صفان من الكراسى المطوية وجهاز تلفاز لا يعمل . كانت ماكينة توزيع عبوات المياه الغازية هى المصدر الوحيد للضوء . كان تارانس يجلس بجانبها ويقلب صفحات مجلة قديمة . كان يرتدى حلة رياضية وعصابة رأس وجوارب زرقاء وحذاء رياضياً من القطن . كان يبدو كرجل خرج للتريض والجرى .

جلس ميتش بجانبه ، مواجهاً الردهة .

قال تارانس : " لا أحد يتبعك . لقد تبعوك من المكتب إلى ساحة الانتظار بالمستشفى ، ثم غادروا . آكلين يراقب الردهة . لانى فى مكان ما قريب . استرخ " .

" تعجبنى عَصابة الرأس " .

" شكراً لك " .

" أرى أنك تسلمت الرسالة " .

" هذا واضح . فكرة ذكية يا ماكدير . كنت أجلس فى مكتبى بعد الظهيرة ، أمارس مهام عملى ، وأحاول أن أفكر بأى شيء غير قضية بنديني . لدىَّ قضايا غيرها كما تعلم . ثم تدخل سكرتيرتى وتقول إن هناك امرأة على الهاتف وتريد التحدث إليك بشأن رجل يدعى مارتى كوزنسكى . قفزت من مقعدى والتقطت سماعة الهاتف ، وبالطبع أجد أنها الفتاة التى تعمل معك . تقول إن الأمر طارئ ، كالعادة . ولذلك أقول حسنا ، دعينا نتحدث . ولكن كلا ، إنها لا تريد أن تتحدث . وإنما تجعلنى أترك كل شيء بيدى ، وأركض إلى فندق بيبودى ، وأذهب إلى قاعة الفندق ـــ ما اسم هذه القاعة ؟ مالاردس ـــ وأجلس فوق أحد المقاعد . وها أنا ذا أجلس هناك ، أفكر فى أن الأمر كله فى منتهى الغباء لأن هواتفنا نظيفة من أجهزة المراقبة . اللعنة يا ميتش . أنا أعرف أن هواتفنا نظيفة . يمكننا أن نتحدث عبر هواتف المكتب ! جلست أشرب فنجاناً من القهوة وإذا بالساقى يأتى ويسألنى إذا كان اسمى كوزنسكى . فسألته ، كوزنسكى ماذا ؟ لمجرد المرح ، بما أننا جميعاً فى حفلة تنكرية . قال الرجل وعلى وجهه أمارات الحيرة ، مارتى كوزنسكى . فقلت له نعم ، هذا هو اسمى . لقد شعرت بالغباء يا ميتش . قال الرجل إن لدىَّ اتصالاً هاتفياً . فأذهب إلى الهاتف الموضوع عند نهاية المشرب ، وإذا بها فتاتك . قالت إن تولار أصابته أزمة قلبية

أو شيء كهذا ، وإنك ستكون هنا في حوالى الحادية عشرة مساءً . يا للذكاء الخارق " .

" لقد نجح الأمر ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، وكان الأمر سيتم بسهولة أكبر لو أنها تحدثت إليّ عبر هاتف مكتبى " .

" أفضِل هذه الطريقة . إنها أكثر أماناً . إلى جانب أنها تعطيك الفرصة لكي تخرج من مكتبك " .

" بالتأكيد إنها تفعل ذلك . إنها تخرجني أنا وثلاثة عملاء آخرين " .

" اسمع يا تارانس ، سوف نفعل الأمور بطريقتي أنا ، اتفقنا ؟ إنها رقبتي أنا الموضوعة على المحك ، وليس رقبتك " .

" نعم ، نعم . ما هذه السيارة التى تقودها بحق السماء ؟ "

" سيارة سليبرتي مستأجرة . رائعة ، أليس كذلك ؟ "

" ماذا حدث لسيارتك السوداء الصغيرة ؟ "

" لقد كانت مليئة بأجهزة التنصت . لقد قمت بإيقافها أمام أحد المراكز التجارية في ناشفيل ليلة السبت وتركت المفاتيح بداخلها . لقد استعارها شخص ما . أنا أحب أن أغني ، ولكن صوتي مزعج للغاية . ومنذ أن تعلمت قيادة السيارات كنت أغني داخل السيارة ، بمفردى . ولكن بسبب أجهزة التنصت ، كنت محرجاً للغاية أن أغني بالسيارة . لذلك مللت قيادة هذه السيارة " .

لم يستطع تارانس أن يمنع نفسه من الابتسام وقال : " ذلك تصرف غاية في الذكاء يا ماكدير . غاية فى الذكاء " .

" كان ينبغي أن ترى وجه أوليفر لامبرت هذا الصباح عندما دخلت حجرة مكتبه ووضعت تقرير الشرطة عن سرقة السيارة على سطح مكتبه . أخذ يتمتم ويتلعثم ويخبرنى أنه فى شدة الأسف . تصرفت

كأننى حزين للغاية . سوف يغطى التأمين قيمة السيارة ، ولذلك قال لى أوليفر إن الشركة سوف تحضر لى سيارة أخرى . قال بعدها إن الشركة سوف تستأجر سيارة من أجلى حتى أتسلم السيارة الجديدة . أخبرته أننى قد استأجرت سيارة بالفعل . استأجرتها ليلة السبت فى ناشفيل . لم يعجبه الأمر ، لأنه يعلم أن السيارة المستأجرة ستكون خالية من أجهزة التنصت . اتصل بموزع سيارات بى . إم . دبليو بنفسه ، أثناء وجودى فى مكتبه ، لكى يحجز لى سيارة جديدة . سألنى عن اللون الذى أريده . قلت له إننى قد مللت اللون الأسود وأريد سيارة خمرية اللون بتصميم داخلى أسود اللون . لقد ذهبت إلى مركز توزيع بى . إم . دبليو وتفقدت المكان . لم أر أى سيارة خمرية اللون فى أى طراز . لقد أخبر أوليفر لامبرت موزع السيارات بما أريد أثناء المكالمة الهاتفية ، وأجابه الرجل أنهم لا يمتلكون سيارة بهذا اللون . ماذا عن اللون الأسود ، أو الأزرق ، أو الرمادى ، أو الأحمر ، أو الأبيض ؟ كلا ، كلا . أريد سيارة خمرية اللون . قال أوليفر لامبرت إنهم سيضطرون إلى إحضارها من أجلى خصيصا . قلت له إننى سأنتظر . وضع لامبرت سماعة الهاتف وسألنى إذا كنت واثقاً أننى لا أستطيع استخدام سيارة من لون آخر . أخبرته أننى لا أريد سوى اللون الخمرى . أراد أن يجادلنى ، لكنه أدرك أن ذلك سيبدو تصرفا غبياً . ولذلك ، أستطيع أن اغنى فى سيارتى للمرة الأولى منذ عشرة شهور " .

" لكن سيارة سليبرتى . لمحامى ضرائب عبقرى . لابد أن ذلك أمر مؤلم " .

" أستطيع التعامل مع الأمر " .

كان تارانس لا يزال يبتسم ، وبدا عليه الانبهار . قال : " أتساءل ماذا سيفعل هؤلاء اللصوص عندما يقومون بتفكيك السيارة ويعثرون على أجهزة التنصت " .

" ربما يبيعون تلك الأجهزة إلى متجر رهونات على أنها معدات تجسيم الصوت . كم تساوى تلك الأجهزة ؟ "

" قال خبراؤنا إنها أفضلٍ أجهزة للتصنت . عشرة أو خمسة عشر ألف دولار . لا أدرى تحديداً . هذا أمر مضحك " .

مرت ممرضتان بالخارج وكانتا تتحدثان بصوتٍ مرتفع . انعطفتا عند أحد الأركان ، وكانت الردهة صامتة تماماً . تظاهر آكلين أنه يجرى مكالمة هاتفية أخرى .

تساءل تارانس : " كيف حال تولار ؟ "

" إنه بحالة رائعة . أتمنى أن تكون الأزمة القلبية التى ستصيبنى يوماً ما مثل هذه الأزمة البسيطة التى أصابته . سيبقى بالمستشفى لعدة أيام ، ثم يتوقف عن العمل لمدة شهرين . لا تبدو حالته خطيرة " .

" هل يمكنك الدخول إلى مكتبه ؟ "

" ولماذا أدخل إلى مكتبه وقد قمت بنسخ كل ما فيه " .

مال تارانس مقترباً من ميتش وانتظر أن يسمع المزيد .

قال ميتش : " كلا ، لا يمكننى الدخول إلى مكتبه . لقد قاموا بتغيير الأقفال فى الطابق الثالث والرابع . وأقفال القبو أيضاً " .

" كيف تعرف هذا ؟ "

" من الفتاة يا تارانس . خلال الأسبوع الماضى ، دَخَلَت إلى كل المكاتب بالمبنى ، بما فيها القبو . تفقدت كل باب ، جذبت كل الأدراج ، تفحصت كل الخزائن . قامت بقراءة البريد ، ونظرت داخل الملفات ، وعبثت فى سلال المهملات . المبنى به عشر آلات لتمزيق الورق . أربعة منها توجد داخل القبو . هل كنت تعرف ذلك ؟ " .

أنصت تارانس باهتمام ولم يحرك عضلة واحدة . قال : كيف تمكنت الفتاة من ــــ " .

" لا تسأل يا تارانس ، لأنى لن أخبرك " .

" إنها تعمل هناك ! إنها سكرتيرة أو شيء كهذا . إنها تعاونك من داخل الشركة " .

هز ميتش رأسه نفياً في إحباط وقال : " يا لك من عبقرى يا تارانس . لقد اتصلت بك اليوم مرتين . المكالمة الأولى كانت في الساعة الثانية والربع تقريباً والمكالمة الثانية بعد ذلك بساعة . والآن ، كيف يمكن لسكرتيرة أن تجرى مكالمتين إلى المباحث الفيدرالية تفصل بينهما ساعة واحدة ؟ "

" ربما لم تعمل اليوم . ربما اتصلت من منزلها " .

" أنت مخطئ يا تارانس ، وعليك أن تتوقف عن التخمين . لا تُضِع الوقت في القلق بشأن الفتاة . إنها تعمل لدىّ ، وسوف نقوم معاً بتسليم المستندات إليك " .

" ماذا يوجد في القبو ؟ "

" غرفة كبيرة بها اثنتا عشرة حجيرة صغيرة ، واثنا عشر مكتباً مليئاً بالمستندات وألف خزينة ملفات . خزائن ملفات متصلة بأسلاك إلكترونية . أظن أن القبو هو مركز العمليات بالنسبة لنشاطات غسيل الأموال . على حوائط الحجيرات لاحظت وجود أسماء وأرقام هواتف عشرات من البنوك في منطقة الكاريبي . لا توجد معلومات مستندات مفيدة متروكة هكذا في القبو . إنهم حريصون للغاية . هناك حجرة أصغر ، عند أحد الجوانب ، مغلقة بإحكام شديد ، ومليئة بأجهزة كمبيوتر أكبر حجماً من الثلاجات المنزلية " .

" يبدو أن ذلك هو المكان المطلوب " .

" إنه كذلك ، ولكن انس فكرة اختراقه . لا توجد طريقة لإخراج المستندات من ذلك المكان دون أن ينتبهوا إلى ذلك . مستحيل . أعرف طريقة واحدة لإخراج هذه الأدلة " .

" أنا منصت " .

" احصل على إذن بالتفتيش " .

" لا تفكر بذلك . لا يوجد سبب مقنع لإصدار مذكرة تفتيش " .

" استمع إليَّ يا تارانس . هذه هي الطريقة التي سيتم الأمر بها ، اتفقنا ؟ لا أستطيع أن أعطيك كل المستندات التي تريدها . لكن أستطيع أن أعطيك ما تحتاج إليه . في حوزتي الآن ما يقرب من عشرة آلاف مستند ، وعلى الرغم من أنني لم أطلع عليهم جميعاً ، إلا أنني رأيت ما يكفي لكي أعرف أنك إذا حصلت على هذه المستندات ، تستطيع أن تطلع القاضي عليهم وتجعله يصدر مذكرة تفتيش لمبنى بنديني . يمكنك أن تأخذ السجلات التي معي الآن وتحصل بها على أحكام إدانة لنصف العاملين بالشركة . لكن هذه المستندات نفسها يمكن أن تجلب لك مذكرة تفتيش ، وبالتالي ، تحصل على كمية أكبر بكثير من الإدانات . لا توجد طريقة أخرى للقيام بالأمر " .

سار تارانس إلى الحائط وتفقد المكان من حوله . كان المكان خالياً . سار تارانس إلى ماكينة المياه الغازية . استند إليها ونظر خلال النافذة الصغيرة في الناحية الشرقية من الحائط وقال : " لماذا نصف العاملين بالشركة فقط ؟ "

" مبدئياً ، النصف فقط . إلى جانب عدد من الشركاء المتقاعدين . داخل المستندات التي بحوزتي هناك يتناثر عدد من أسماء الشركاء الذين أقاموا تلك الشركات المزيفة بجزر كايمان مستخدمين أموال عائلة مورولتو . إدانة هؤلاء الأشخاص ستكون سهلة . ما إن تصبح السجلات كلها بيدك ، فإن نظرية المؤامرة ستتضح معالمها وحينها سوف تتمكن من إدانة الجميع " .

" من أين حصلت على هذه المستندات ؟ "

" لقد كنت محظوظاً . بل كنت محظوظاً للغاية . لقد خمنت أن رجال الشركة سيكونون أكثر تعقلاً وحرصاً من إبقاء سجلات بنوك

كايمان في داخل البلاد . كان لديَّ إحساس أن السجلات قد تكون في جزر كايمان . لحسن الحظ ، كان حدسي صحيحا . قمنا بنسخ هذه المستندات في جزر كايمان " .

" قمنا ؟ "

" أقصد الفتاة وصديق آخر " .

" أين توجد السجلات الآن ؟ "

" أنت وأسئلتك التي لا تنتهي يا تارانس . إنها بحوزتي . هذا كل ما تحتاج إلى معرفته " .

" أريد تلك المستندات التي يحتفظون بها بالقبو " .

" استمع إليَّ يا تارانس . وانتبه جيدا . إن المستندات التي بالقبو لن تخرج منه حتى تحصل على مذكرة تفتيش . من المستحيل الحصول عليها ، هل تسمعني ؟ "

" من يعمل بداخل القبو ؟ "

" لا أدري . إنني أعمل بالشركة منذ عشرة شهور ولم أر أحداً منهم . لا أدري أين يضعون سياراتهم ولا كيف يدخلون ويخرجون من المبنى . إنهم أشخاص خفيون . أظن أن الشركاء ورجال القبو هم من يقوم بالأعمال القذرة " .

" ما نوع الأجهزة التي لديهم بداخل القبو ؟ "

" لديهم ماكينتا نسخ مستندات ، أربع ماكينات لتمزيق الورق ، طابعات فائقة السرعة وكل أجهزة الكمبيوتر التي حدثتك عنها . يعتبر المكان تحفة فنية " .

سار تارانس تجاه النافذة ، وبدت عليه مظاهر الاستغراق في التفكير . قال : " هذا منطقي . بل هو في قمة المنطقية . لقد كنت دائما أتساءل كيف يمكن للشركة ، وبها كل هؤلاء الموظفين والسكرتيرات

والمساعدين القانونيين ، أن تحتفظ بتلك السرية بشأن علاقتها بعائلة مورولتو " .

" هذا سهل للغاية . إن السكرتيرات والموظفين والمساعدين القانونيين لا يعرفون شيئاً عن الأمر . إنهم يبقونهم مشغولين بالعملاء الحقيقيين . إن الشركاء والمحامين القدامى يجلسون فى مكاتبهم الكبيرة ويحلمون بخطط جميلة من أجل غسيل الأموال ، ويقوم طاقم عمل القبو بالأعمال القذرة . إنها عملية منظمة للغاية " .

" هل هناك الكثير من العملاء القانونيين ؟ "

" مئات . إنهم محامون موهوبون ولديهم عملاء كثيرون . إنها تغطية عظيمة لعملية غسيل الأموال " .

" وأنت تخبرني يا ماكدير ، أن لديك الآن المستندات التى تدعم حصولنا على الإدانات ومذكرات التفتيش ؟ هل حصلت عليها ؟ هل هى فى حوزتك الآن ؟ "

" هذا هو ما قلته " .

" وهى فى داخل البلاد ؟ "

" نعم يا تارانس ، إن المستندات موجودة داخل البلاد . فى الواقع ، فى مكان قريب من هنا " .

أصبح تارانس فى حالة توتر . أخذ يبدل من وضع قدميه على الأرض ويطقطق أصابعه . كان يتنفس بسرعة . قال : " ماذا يمكنك أن تُخرِج من الشركة غير ذلك ؟ "

" لا شيء . صار الأمر شديد الخطورة الآن . لقد قاموا بتغيير الأقفال ، وهذا الأمر يقلقنى . أقصد ، لماذا يغيرون الأقفال فى الطابق الثالث والرابع ولا يغيرونها فى الطابق الأول والثانى ؟ لقد قمت بنسخ بعض المستندات فى الطابق الرابع منذ أسبوعين ، ولا أعتقد أنها كانت

فكرة جيدة . أشعر بقلق حيال ما يحدث . لن أستطيع إخراج أية مستندات من مبنى بنديني " .

" ماذا عن الفتاة ؟ "

" لم تعد تستطيع دخول المبنى " .

قضم تارانس أظافره ، وهو يتأرجح في مقعده إلى الأمام والخلف ويستمر في تحديقه إلى خارج النافذة . قال : " أريد السجلات يا ماكدير ، وأريدها بسرعة كبيرة . غداً إذا أمكن " .

" متى يحصل راي على أوراق إطلاق سراحه ؟ "

" اليوم هو الاثنين . أعتقد أن الأمر سيتم مساء الغد . لا يمكنك أن تتصور التوبيخ الذي نلته من فويلس . لقد اضطر إلى أن يجري اتصالات بكل المسئولين الذين لهم علاقة جيدة بهم . أتظن أنني أمازحك ؟ لقد اتصل بعضوي مجلسي الشيوخ والنواب عن ولاية تينيسي ، ولقد قاما بالسفر إلى ناشفيل لمقابلة حاكم الولاية شخصياً . أوه ، لقد تلقيت كثيراً من التوبيخ يا ماكدير . كل هذا بسبب أخيك " .

" إنه يقدر ما تفعله من أجله " .

" ماذا سيفعل بعد أن يخرج من السجن ؟ "

" سوف أتكفل أنا بهذا الأمر . كل ما عليك هو إخراجه " .

" لا توجد ضمانات . إذا تعرض للأذى ، فهذا ليس خطأنا " .

وقف ميتش ونظر إلى ساعته قائلاً : " يجب أن أذهب الآن . أنا واثق أن هناك من ينتظرني بالخارج " .

" متى سنتقابل مرة أخرى ؟ "

" ستتصل الفتاة بك . فقط افعل ما تقوله لك " .

" أوه ، بربك يا ميتش ! ليس كل هذا الروتين مرة أخرى . يمكنها أن تتحدث إليَّ عبر الهاتف . أقسم لك أن هواتف المكتب خالية من المراقبة . من فضلك ، دعنا لا نقم بهذا الأمر ثانية " .

" ما هو اسم والدتك يا تارانس ؟ "

" ماذا ؟ اسمها دوريس " .

" دوريس ؟ "

" نعم ، دوريس " .

" يا له من عالم صغير . لن نستطيع استخدام اسم دوريس . ماذا كان اسم الفتاة التى اصطحبتها إلى حفلة تخرج المدرسة الثانوية ؟ "

" أوه ، لا أعتقد أننى ذهبت إلى حفلة التخرج " .

" لست مندهشاً لذلك . من كانت أول فتاة تخرج معها فى موعد عاطفى ، إن كنت قد خرجت فى مواعيد عاطفية من قبل ؟ "

" كان اسمها مارى أليس برينر . لقد كانت جميلة للغاية . وكانت معجبة بى جداً " .

" أنا واثق من ذلك . إن اسم الفتاة التى تعمل معى هو مارى أليس . عندما تتصل مارى أليس فى المرة القادمة ، افعل ما تقوله لك ، اتفقنا ؟ "

" لا أطيق الانتظار " .

" أريد خدمة منك يا تارانس . أظن أن تولار يتظاهر بالمرض ، ولدىّ إحساس غريب أن أزمته القلبية المزيفة لها علاقة بى . اجعل رجالك يتجسسون فى داخل المستشفى ويتحققون من أزمته القلبية المزعومة " .

" بالتأكيد . ليس لدينا الكثير لنفعله على أية حال " .

٣٣

. . . .

فى صباح الثلاثاء كان المكتب يعيش حالة من القلق حول حالة آفرى تولار . وقد قيل للجميع إنه بخير . يجرى بعض الفحوصات . لا يوجد ضرر دائم للأزمة القلبية . ربما كانت الحالة ناتجة عن الإجهاد وضغوط العمل . ربما يكون كابس هو من تسبب بذلك أو تكون الأزمة نتيجة طبيعية للطلاق . وفى النهاية علم الجميع أن تولار سيغيب شهرين عن العمل .

أحضرت نينا كومة من الخطابات لكى يوقعها ميتش وقالت : " يريد السيد لامبرت رؤيتك ، إذا لم تكن مشغولاً . لقد اتصل للتو " .

" حسناً . من المفترض أن أقابل فرانك مولهولند فى الساعة العاشرة . هل تعرفين هذا ؟ "

" بالطبع أعرف ذلك . أنا السكرتيرة وأعرف كل شيء . هل سيكون الاجتماع بمكتبه أم بمكتبك ؟ "

نظر ميتش إلى دفتر مواعيده وتظاهر بالبحث داخله . مكتب مولهولند . مبنى كوتون ايكسشنج .

قال ميتش فى لمحة من العبوس : " مكتبه " .

" لقد تقابلتما هناك المرة الأخيرة ، أليس كذلك ؟ ألم يعلّموك فى كلية الحقوق ميزة أن تكون المعركة فى أرض ملعبك ؟ لا يجب أبداً ،

وأكرر أبداً ، أن تعقد اجتماعين متتاليين فى ملعب الخصوم . إنه تصرف غير محترف . غير واع . ويظهر الضعف " .

" كيف يمكن أن تغفرى لى هذه الزلة ؟ "

" انتظر حتى أخبر بقية السكرتيرات . إنهن جميعاً يظنون أنك لطيف وملىء بالرجولة . عندما أخبرهن أنك ضعيف الشخصية ، سوف يصابون بصدمة " .

" أعتقد أنهن يحتجن إلى أن يصدمن ، بصاعق كهربى " .

" كيف حال والدة آبى ؟ "

" بحالة أحسن الآن . سوف أذهب إلى هناك هذا الأسبوع " .

التقطت نينا ملفين وقالت : " إن السيد لامبرت ينتظر " .

أشار أوليفر لامبرت إلى أريكة صلبة وعرض على ميتش فنجان قهوة . كان لامبرت يجلس معتدلاً فوق مقعد بمسندين ممسكاً بفنجان قهوته كأنه ارستقراطى بريطانى . قال لامبرت : " أشعر بالقلق حيال تولار " .

قال ميتش : " لقد رأيته ليلة الأمس . لقد فرض عليه الأطباء راحة إجبارية لمدة شهرين " .

" نعم ، ولهذا طلبت حضورك . أريدك أن تعمل مع فيكتور ميليجان خلال الشهرين القادمين . سوف يتولى معظم ملفات تولار ، ولذلك ستجد أن العمل سيكون مألوفاً بالنسبة لك " .

" هذا شيء جيد . أنا وفيكتور أصدقاء مقربون " .

" سوف تتعلم الكثير من فيكتور . إنه عبقرى فى قضايا الضرائب . ويقرأ كتابين كل يوم " .

عظيم ، سوف يتمكن من قراءة عشرة كتب فى اليوم داخل السجن ، هكذا فكر ميتش قبل أن يقول : " نعم ، إنه رجل ذكى للغاية . لقد ساعدنى فى الخروج من مشكلة عويصة مرة أو مرتين " .

" حسناً . أظن أنكما ستتفقان بشكل جيد . حاول أن تجتمع معه هذا الصباح . والآن ، هناك بعض الأعمال التي لم ينته منها تولار في جزر كايمان ، إنه يذهب إلى هناك كثيراً ، كما تعلم ، من أجل الاجتماع مع بعض رجال البنوك . في الواقع ، كان من المفترض أن يسافر إلى هناك غدا لمهمة عمل تمتد يومين من أجل إنجاز بعض الأعمال . لقد أخبرني هذا الصباح أنك تعرف العملاء وحساباتهم البنكية جيداً ، ولذلك نريد منك أن تسافر إلى جراند كايمان " .

الطائرة الخاصة ، السجلات ، الاستراحة ، غرفة التخزين ، الحسابات البنكية . ألف فكرة عبرت داخل رأسه . لكنها لم تصنع صورة مكتملة . تساءل ميتش في شرود : " جراند كايمان ؟ غداً ؟ "

" نعم ، إن الأمر عاجل للغاية . . إن ثلاثة من عملاء تولار في حاجة ماسة إلى مذكرات مختصرة لحساباتهم البنكية وبقية المستندات القانونية . لقد أردت إرسال ميليجان ، ولكن من المفترض أن يطير إلى دينفر في صباح الغد . قال تولار إن بإمكانك تولى الأمر " .

" بالتأكيد ، يمكنني تولى الأمر " .

" حسناً سوف تصطحبك الطائرة الخاصة . سوف تغادر في ظهيرة الغد تقريباً وتعود مع أى شركة طيران تجارية مساء الجمعة . هل هناك أية مشاكل ؟ "

نعم ، هناك الكثير من المشاكل . راى سيغادر السجن . تارانس يريد الحصول على السجلات والمستندات . نصف مليون دولار يجب أن يحصل عليها . ومن المفترض أن يختفى عن الأنظار فى أى وقت .

قال ميتش : " لا توجد مشكلة " .

سار ميتش إلى حجرة مكتبه وأغلق الباب بإحكام . خلع حذاءه ، ورقد على الأرض ثم أغلق عينيه .

توقف المصعد عند الطابق السابع ، وصعد ميتش دراجات السلم حتى الطابق التاسع . فتحت تامي الباب وأغلقته من خلفه . سار ميتش إلى النافذة .

تساءل : " هل كنت تراقبين المكان ؟ "

" بالطبع . لقد وقف حارس ساحة الانتظار فى شركتك عند الرصيف وراقبك وأنت تدخل إلى المبنى " .

" رائع . حتى داتش صار يتبعني " .

استدار ميتش ونظر إليها جيداً ثم قال : " تبدين متعبة " .

" متعبة ؟ بل قل ميتة من التعب . خلال الأسابيع الثلاثة الماضية كنت أعمل كمسئولة نظافة ، وسكرتيرة ، ومحامية ، وموظفة بنك ، وفتاة ليل ، ومهربة بضائع ، ومحققة خاصة . لقد سافرت إلى جزر كايمان تسع مرات ، واشتريت تسع مجموعات من حقائب السفر الجديدة وقمت بتهريب طن من المستندات المسروقة . لقد قدت سيارتى إلى ناشفيل أربع مرات وطرت إلى هناك عشر مرات . لقد قرأت كميات كبيرة من سجلات البنوك والمستندات القانونية التافهة حتى كدت أفقد بصرى . وعندما يحين وقت النوم ، أضع قميص شركة النظافة وأمثل دور عاملة النظافة لمدة ست ساعات . لقد أصبح لدىَّ الكثير من الأسماء ، حتى أننى صرت أكتبها على راحة يدى حتى لا يختلط الأمر علىَّ " .

" لدىَّ اسم جديد لك " .

" هذا لا يدهشنى . ما هو ؟ "

" مارى أليس . من الآن فصاعداً ، عندما تتحدثين إلى تارانس ، سوف تكونين مارى أليس " .

" دعنى أكتب هذا الاسم . لا يعجبنى هذا الرجل تارانس . إنه فى غاية الوقاحة وهو يتحدث عبر الهاتف " .

" لدىَّ أخبار عظيمة من أجلكَ " .

" لا أطيق الانتظار لسماعها " .

" يمكن التوقف عن العمل بشركة النظافة " .

" أظن أننى سيغمى علىَّ أو أنفجر فى البكاء . لماذا ؟ "

" لا فائدة منها " .

" لقد أخبرتك بهذا منذ أسبوع . إن الساحر العظيم هودينى ما كان ليستطيع أن يخرج المستندات من هناك ، ثم يقوم بنسخها وإعادتها إلى الداخل دون أن يقبض عليه " .

تساءل ميتش : " هل تحدثت إلى ابانكس ؟ "

" نعم " .

" هل وصلته الأموال ؟ "

" نعم . لقد قمت بتحويلها إليه يوم الجمعة " .

" هل هو مستعد ؟ "

" يقول إنه مستعد " .

" حسناً . ماذا عن المزور ؟ "

" سوف أقابله فى ظهيرة اليوم " .

" من هو ؟ "

" سجين سابق . كان أحد أصدقاء ايدى لوماكس . قال ايدى إن ذلك الرجل أفضل خبير تزييف مستندات فى البلاد " .

" من الأفضل أن يكون كذلك . كم سيأخذ ؟ "

" خمسة آلاف . نقداً بالطبع . هويات جديدة ، جوازات سفر ، رخص قيادة وتأشيرات خروج " .

" كم سيتطلب تجهيز كل المستندات ؟ "

" لا أدرى . متى تحتاج إليها ؟ "

جلس ميتش على حافة المكتب المستأجر . تنفس بعمق وحاول أن يفكر . وأن يحسب . قال أخيراً : " بأسرع ما يمكن . لقد ظننت أن أمامي أسبوعاً ، ولكن الآن لم أعد أدرى . فقط دعيه ينتهى بأسرع ما يمكن . هل يمكنك قيادة سيارتك إلى ناشفيل الليلة ؟ "

" نعم بالطبع . كم سأحب ذلك . إننى لم أذهب إلى هناك منذ يومين " .

" أريد كاميرا فيديو ماركة سونى ، مزودة بقائم ثلاثى . ضعيها فى غرفة النوم . واشترى علبة شرائط فيديو . أريدك أن تظلى هناك ، بجانب الهاتف ، خلال الأيام القليلة . قومى بمراجعة مستندات بنديني مرة أخرى . وراجعى المذكرات التى قمت بإعدادها " .

" أتعنى أنه يجب أن أظل هناك ؟ "

" نعم . لماذا تسألين ؟ "

" لقد تكسرت ضلوعي من النوم فوق الأريكة " .

" أنت من قمت باستئجارها " .

" ماذا عن جوازات السفر ؟ "

" ما اسم خبير التزوير ؟ "

" دوك . لدىّ رقم هاتفه " .

" أعطيه لى . أخبريه أننى سأتصل به خلال يوم أو يومين . كم معك من المال ؟ "

" سعيدة أنك قد سألت . لقد بدأت هذه العملية ومعى خمسون ألف دولار ، أليس كذلك ؟ لقد قمت بإنفاق عشرة آلاف دولار على تذاكر الطيران ، والفنادق ، والحقائب والسيارات المستأجرة . ومازلت أنفق حتى الآن . والآن أنت تريد كاميرا فيديو وهويات مزيفة . أكره أن تكون هذه صفقة خاسرة بالنسبة لى " .

بدأ ميتش يسير باتجاه الباب ثم قال : " ماذا عن خمسين ألفاً أخرى ؟ "

" سوف آخذها بالتأكيد " .

غمز لها بعينيه وأغلق الباب ، متسائلاً داخل نفسه ، إذا كان سيراها مرة أخرى .

كانت مساحة الزنزانة تبلغ ثمانية أقدام طولاً وعرضاً ، وبها مرحاض في أحد الأركان وسرير بمستويين . كان المستوى العلوى من السريرٍ شاغراً منذ أكثر من سنة . كان راى يرقد فوق السرير السفلى ، واضعا سماعة مزودة بأسلاك متصلة بجهاز تسجيل . كان يتحدث إلى نفسه بلغة أجنبية . اللغة التركية . فى تلك اللحظة وفى ذلك الطابق ، من السجن ، من الممكن أن نقول إن راى هو الشخص الوحيد الذى كان ينصت إلى شرائط معهد برليتز لتعليم اللغات الأجنبية ، حيث كان يتعلم اللغة التركية . كانت هناك أحاديث خافتة فى أماكن متفرقة من الردهة ، لكن معظم الأنوار كانت مغلقة . كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة ، مساء الثلاثاء .

سار أحد الحراس فى صمت حتى وصل إلى زنزانة راى ، وقال بصوت خافت عبر القضبان : " ماكدير " . جلس راى على حافة الفراش ، أسفل السرير العلوى ، وحدق النظر إلى الحارس ، ثم أزال السماعة من أذنيه .

قال الحارس : " مدير السجن يريد أن يراك " .

طبعاً ، وكأن مدير السجن سوف يجلس على مكتبه فى الحادية عشرة مساء وينتظر حضورهِ ، هكذا فكر راى قبل أن يتساءل : " أين سنذهب الآن ؟ " كان سؤالاً يشوبه القلق .

" ضع حذاءك وهيا بنا " .

ألقى راى نظرة سريعة على زنزانته وقام بإحصاء بسيط لمتلكاته القليلة . خلال ثماني سنوات استطاع أن يحصل على تلفاز أبيض وأسود ، جهاز تسجيل كبير الحجم ، صندوقين من الكرتون الصلب ممتلئين بشرائط كاسيت وعشرات من الكتب . كان يكسب ثلاثة دولارات يومياً من العمل في مغسلة السجن ، لكن بعد خصم ثمن السجائر ، لم يكن يتبقى معه ما يكفي لإنفاقه على الكماليات غير الضرورية . كانت تلك الأشياء هي أصوله التي جمعها خلال ثمانية أعوام .

دس الحارس مفتاحاً كبيراً في قفل الزنزانة وقام بفتح الباب لمسافة بوصات قليلة . أطفأ الأنوار وقال : " اتبعني فقط ، ولا تحاول عمل أى شيء سخيف . أنا لا أدرى من تكون أيها السيد ، ولكن لابد أن لك أصدقاء في مراكز مهمة في البلاد " .

كان بحوزة الحارس مفاتيح مناسبة لبقية الأبواب التي اعترضتهما ، وسرعان ما أصبحا خارج عنابر السجن ، أسفل حلقة ملعب كرة السلة . قال الحارس : " قف ورائي " .

دارت عينا راى تنظران إلى أرجاء السجن المظلم . كان السور يتراءى من بعيد كأنه جبل يقبع خلف ساحة السجن ومنطقة التريض حيث مشى إلى الأمام والخلف آلاف الأميال وقام بتدخين أطنان من السجائر . كانت المسافة لا تزيد على ست عشرة قدماً في وضح النهار ، لكنها بدت أطول بكثير في الليل المظلم . كان كل برج من أبراج الحراسة يبعد عن الآخر لمسافة خمسين ياردة وكانت الأبراج مضاءة بأنوار قوية للغاية . ومسلحة أيضاً .

كان الحارس هادئاً وغير مبال . بالطبع ، كان يرتدى زى الحراس ويحمل مسدساً . تحرك بثقة بين مبنيين من الطوب الأحمر ، طالباً من راى أن يتبعه وأن يتصرف بهدوء . توقفا عند زاوية أحد المباني ،

ونظر الحارس إلى سور السجن ، على بعد ثمانين قدماً . قامت الأضواء الغامرة بعمل مسح روتينى لساحة السجن ، وتراجع الرجلان إلى داخل الظلمة .

لماذا نختبئ ؟ سأل راى نفسه . هل هؤلاء الحراس بأعلى الأبراج فى صفنا ؟ كان يود أن يعرف ذلك قبل أن يقدم على أى حركة درامية .

أشار الحارس إلى نقطة محددة فى السور وهى نفس النقطة التى مر عبرها جيمس ايرل راى وعصابته . كانت بقعة شهيرة ، أعجب بها وقام بدراستها معظم النزلاء فى سجن مقاطعة براشى ماونتين . معظم النزلاء البيض على أية حال . قال الحارس : " خلال خمس دقائق ، سوف يلقون سلماً هناك . وقد تم قطع السلك الشائك بالأعلى . سوف تجد حبلا ثقيلاً على الناحية الأخرى من السور " .

" أتمانع إن طرحت عليك بعض الأسئلة ؟ "

" اسأل ، لكن بسرعة " .

" ماذا عن هذه الأضواء ؟ "

" سيتم توجيهها إلى الناحية الأخرى . سوف يكون المكان مظلماً تماماً " .

" وأولئك الحراس بالأعلى ؟ "

" لا تقلق . سوف ينظرون إلى الناحية الأخرى " .

" اللعنة ! هل أنت متأكد ؟ "

" اسمع يا رجل . لقد رأيت عمليات هروب بمساعدة حراس السجن من قبل ، لكن هذه أغرب عملية هروب أراها . إن المدير لاتمير قد خطط لهذه العملية بنفسه . إنه هناك بالأعلى " . أشار الحارس إلى أقرب برج مراقبة .

" مدير السجن ؟ "

" نعم . حتى يتأكد ألا يحدث أى خطأ " .

" من سيلقى بالسلم ؟ "

" بعض الحراس " .

مسح راى جبهته مستخدماً كم قميصه وتنفس بعمق . كان فمه جافاً وركبتاه ترتجفان .

همس الحارس : " سيكون هناك رجل ينتظرك . اسمه باد . وهو رجل أبيض . سوف تجده عند الناحية الأخرى ، وما عليك سوى أن تفعل ما يقوله لك " .

سطعت الأضواء تمسح ساحة السجن مرة أخرى ، ثم انطفأت وقال الحارس : " استعد " . ساد الظلام في أرجاء المكان ، وتبعه صمت مطبق . أصبح السور مظلماً تماماً . من أقرب الأبراج انطلقت صفارة في إشارتين قصيرتين . انحنى راى قليلا وأخذ يراقب ما يحدث .

من خلف المبنى التالى ، رأى راى ظل رجال يجرون إلى السور . أمسك الرجال بشيء ملقى فوق العشب ، ثم قاموا بإلقائه إلى أعلى .

قال الحارس : " اركض يا صاح . اركض " .

جرى راى خافضاً رأسه . كان السلم اليدوى موضوعاً في مكانه . أمسك الحراس بذراعيه وألقوه فوق الدرجة الأولى . تراقص السلم بينما صعد راى بقية الدراجات . كانت قمة السور تبلغ القدمين عرضاً . كان هناك فتحة كبيرة مقطوعة في السلك الشائك . مر راى عبر الفتحة دون أن يلمس السلك . كان الحبل معلقاً حيث أخبره الحارس تماماً ، وتسلق راى إلى أسفل الناحية الأخرى من السور . على مسافة ثمانية أقدام من الأرض الطينية ، ترك الحبل وقفز . انحنى راى أرضاً وأخذ ينظر من حوله . كان المكان لا يزال مظلماً . والأضواء الساطعة لا تزال متوقفة عن العمل .

كانت المنطقة الخالية من الأشجار تمتد إلى مائة قدم ، وبعدها تبدأ الغابات كثيفة الشجر . قال صوت هادئ : " إلى هنا " . بدأ راى يسير

تجاه الصوت . كان باد ينتظر عند أول مجموعة من الأشجار في الظلام .

" بسرعة . اتبعني " .

سار راي وراءه حتى صار السور خارج مجال الرؤية . توقف عند منطقة خالية من الأشجار إلى جانب ممر طيني . مد الرجل يده مصافحاً : " أنا باد رايلي . لطيف هذا الهروب ، أليس كذلك ؟ "

" أمر لا يصدق . أنا راي ماكدير " .

كان باد رجلاً ممتلئ الجسم ، له لحية سوداء ويرتدي قبعة سوداء ، وحذاء عسكري طويل ، إلى جانب سروال من الجينز وسترة داكنة اللون . لم يظهر أحد من الحراس على مرمى البصر . قدم باد سيجارة إلى راي .

تساءل راي : " مع من تعمل ؟ "

" لا أحد . إنني أقوم ببعض المهمات من أجل مدير السجن . إنهم عادة ما يتصلون بي إذا هرب أحد المساجين من فوق السور . هذه المرة مختلفة بالطبع . عادة ما أجلب كلابي معي . لقد فكرت أن نتوقف قليلاً حتى تنطلق صفارات الإنذار ، حتى يمكنك سماعها . لن يكون من العدل ألا تسمع صفارات الإنذار . أقصد ، إنها تنطلق تحية لك على هروبك " .

" حسناً . لقد سمعتها من قبل " .

" نعم ، ولكنها ستكون مختلفة عندما تسمعها من الخارج . إنها أصوات جميلة " .

" اسمع يا باد ، أنا — "

" اسمع يا راي . إن لدينا وقتاً كبيراً . إنهم لن يطاردوك لوقت طويل " .

" لوقت طويل ؟ " .

" نعم ، لا بد أن يصنعوا مشهداً سينمائياً كبيراً ، ويوقظوا كل المساجين ، كما لو كان هذا هروباً حقيقياً . لكنهم لن يطاردوك . أنا لا أدرى من يدعمك بالخارج ، ولكن يبدو أنهم أشخاص ذوو أهمية كبيرة " .

انطلقت صفارات الإنذار ، وقفز راى فى مكانه فزعاً . اشتعلت الأضواء فى سماء الليلة المظلمة ، وصارت أصوات حراس الأبراج الخافتة تصل إلى مسامعهما .

قال باد : " أرأيت ما أقصده ؟ "

" هيا نذهب " . قال راى ذلك ، وبدأ السير .

" إن شاحنتى متوقفة فى أعلى الطريق . لقد أحضرت لك بعض الملابس " .

انقطعت أنفاس باد عندما وصلا إلى الشاحنة . تخلص راى من ملابس السجن وارتدى سروالاً زيتونى اللون وقميصاً قطنياً أزرق مخصصاً للأعمال الشاقة . قال : " رائع للغاية يا باد " .

" قم بإلقاء ملابس السجن داخل الأحراش " .

انطلقت الشاحنة داخل طريق أسفلتى . أنصت باد إلى صوت كونواى توينى وهو يغنى عبر الراديو ولم ينطق بكلمة .

تساءل راى أخيراً : " أين نحن ذاهبان يا باد ؟ "

" حسناً ، لقد قال مدير السجن إنه لا يهتم ولا يريد أن يعرف . قال إن الأمر يعود إليك فى النهاية . أقترح أن نذهب إلى مدينة كبيرة حيث توجد محطة حافلات . بعد ذلك ، أنت وشأنك يا صاح " .

" إلى أى مدى ستوصلنى بسيارتك ؟ "

" لدينا الليل بطوله يا راى . فقط أخبرنى باسم المدينة " .

" أحب أن نسير لبعض الأميال قبل أن أبدأ البحث عن محطة حافلات . ماذا عن مدينة نوكسفيل ؟ "

" لتكن نوكسفيل إذن . أين ستنطلق من هناك ؟ "

" لا أدرى . أريد أن أغادر البلاد " .

" بهؤلاء الأصدقاء الذين يساندوك ، لن تكون هذه مشكلة . كن حذراً رغم ذلك . بحلول الغد ، ستكون صورتك معلقة في مكتب كل مأمور في عشر ولايات على الأقل " .

اندفعت ثلاث من سيارات الشرطة ، بأضوائها الزرقاء البراقة ، فوق التل ، ومرت أمام شاحنتهما . انبطح راى داخل أرضية الشاحنة .

قال باد : " اهدأ يا راى . لا يمكنهم أن يروك " .

أخذ راى يراقب السيارات الثلاث وهى تختفى من خلال المرآة العكسية ثم تساءل : " ماذا عن حواجز الطريق ؟ "

" اسمع يا راى . لن يكون هناك حواجز على الطريق ، اتفقنا ؟ عليك أن تثق في كلامى " . وضع باد يده داخل أحد جيوبه وأخرج رزمة من الأموال ثم ألقاها فوق المقعد قائلا : " خمسمائة دولار . تسلمتها من مدير السجن شخصياً . إن لديك أصدقاء مرموقين يا صاح " .

٣٤

. . . .

صباح الأربعاء . صعد تارى روس السلالم إلى الطابق الرابع بفندق فونيكس بارك . توقف عند الدرج خارج باب القاعة والتقط أنفاسه . بدأت حبات العرق تتكون فوق حاجبيه . أزال نظارته الشمسية الداكنة ومسح وجهه مستخدما كم معطفه . بدأ يشعر بالغثيان فى أسفل معدته ، فاستند بجسمه إلى حاجز السلم . ألقى حقيبة مستنداته الفارغة فوق الأرضية الاسمنت وجلس على الدرجة السفلى . ارتجفت يداه كأنه مصاب بالشلل الرعاش ، وأراد أن يصرخ من الألم . تماسك وحاول ألا يتقيأ .

مرت نوبة الغثيان ، وتنفس بعمق مرة أخرى . أخذ يحدث نفسه ، كن شجاعاً يا رجل ، كن شجاعاً . هناك مائتا ألف دولار تنتظرك فى نهاية القاعة . إذا كانت لديك الجرأة ، يمكنك أن تذهب إلى هناك وتحصل عليها . يمكنك أن تغادر المكان بهذه الأموال ، ولكن يجب أن تتحلى بالشجاعة . تنفس بشكل أعمق ، وهدأ ارتعاش يديه . الجرأة يا رجل ، الجرأة .

تأرجحت ركبته الضعيفة ، لكنه استطاع الوصول إلى الباب . وعند نهاية الردهة ، مرورا بالغرف ، وعند الباب الثامن ناحية اليمين ، حبس أنفاسه ثم طرق الباب .

مرت الثواني . تفحص الردهة المظلمة من وراء نظارته السوداء ولم يتمكن من رؤية أى شيء . انطلق صوت من الداخل ، على بعد بوصات من الباب : " من هناك ؟ "

" أنا ألفريد " . يا له من اسم سخيف ، هكذا كان يفكر . من أين أتى بهذا الاسم ؟

فتح الباب لمسافة صغيرة ، وظهر وجه رجل خلف السلسلة الصغيرة . أغلق الباب ، ثم فتحه على مصراعيه . دلف ألفريد للداخل .

قال فيني كوزو في ترحيب : " صباح الخير يا ألفريد . هل تريد بعض القهوة ؟ "

قال ألفريد في حدة : " أنا لم آت إلى هنا لأشرب القهوة " . وضع حقيبة مستنداته فوق السرير وأخذ يحدق النظر إلى كوزو .

" إنك دائماً متوتر يا ألفريد . لماذا لا تسترخي . ليس هناك مجال لإلقاء القبض عليك " .

" اخرس يا كوزو . أين المال ؟ "

أشار كوزو إلى حقيبة جلدية . توقف عن الابتسام وقال : " تحدث إلىّ يا ألفريد " .

عاد الدوار مرة أخرى ، لكن ألفريد ثبت في مكانه . أخذ ينظر إلى قدميه بقوة . كان قلبه يدق مثل المكابس . قال : " لقد حصل رجلكم ، ماكدير ، على مليون دولار بالفعل . وهناك مليون دولار أخرى في الطريق . لقد قام بتسليم كمية من مستندات شركة بنديني ويدعي أن لديه عشرة آلاف مستند آخر " . شعر ألفريد بألم حاد في بطنه ، وجلس على حافة السرير . ونزع نظارته الشمسية .

قال كوزو : " استمر بالحديث " .

" لقد تحدث ماكدير مع رجال المباحث كثيراً خلال الستة أشهر الماضية . سوف يشهد في المحاكمات ، ثم يختفى هو وزوجته تحت مظلة برنامج حماية الشهود " .

" أين بقية المستندات ؟ "

" سحقاً ، لا أدرى . لم يخبرنا بمكانها . لكنها جاهزة للتسليم . أريد أموالى يا كوزو " .

ألقي كوزو حقيبة اليد فوق الفراش . فتحها ألفريد وفتح حقيبة مستنداته الفارغة . انقض على أكوام العملات الورقية ، ويداه ترتجفان بشدة " .

تساءل في يأس : " هل هم مائتا ألف دولار ؟ "

ابتسم كوزو وقال : " كان ذلك هو الاتفاق يا ألفريد . لدىً عملية أخرى من أجلك في غضون أسبوعين " .

" مستحيل يا كوزو . لا يمكنني تحمل هذا الأمر أكثر من ذلك " . أغلق حقيبة المستندات بقوة وانطلق يعدو تجاه الباب . توقف وحاول أن يهدئ من نفسه . تساءل ، وهو يحدق النظر إلى الباب : " ماذا ستفعلون بماكدير ؟ "

" ماذا تظن يا ألفريد ؟ "

عض ألفريد على شفته ، وأحكم قبضته على الحقيبة وخرج من الغرفة . ابتسم كوزو وأغلق الباب وراءه . أخرج بطاقة من جيبه وقام بالاتصال بمدينة شيكاغو ، معقل السيد لوى لازاروف .

سار تارى روس في فزع على طول الردهة . كان لا يرى إلا القليل من خلف نظارته . عبر سبعة أبواب ، وكاد يصل إلى المصعد ، اندفعت يد ضخمة من داخل الظلام وجذبته داخل إحدى الغرف . صفعته اليد على وجهه بقوة ، وارتطمت قبضة بأمعائه . وأخرى بأنفه . ارتمى

على الأرض مغشياً عليه ، والدماء تنزف من وجهه . أُفرغت حقيبة المستندات فوق الفراش .

أُلقي به فوق مقعد ، وأضيئت أنوار الحجرة . كان هناك ثلاثة من عملاء المباحث ، زملائه ، يحدقون النظر إليه . سار المدير فويلس نحوه ، وهو يهز رأسه غير مصدق لما يراه . وقف العميل ذو القبضة الضخمة ، والقوية بالقرب منه ، في وضع يسمح له باستئناف الضرب . كان هناك عميل آخر يقوم بعَد الأموال .

مال فويلس قريباً من وجهه وقال : " أنت خائن يا روس . أحَطّ أشكال الحقارة . لا أكاد أصدق عيني " .

عض روس على شفتيه وبدأ يبكي .

تساءل فويلس باهتمام : " من هو ؟ "

صار البكاء بصوت مرتفع ، لكن دون إجابة .

طوح فويلس ساعده وصفع روس فوق صدغه الأيسر . صرخ روس من الألم . قال فويلس : " من هو يا روس ؟ أخبرني " .

صاح روس وهو يبكي : " فيني كوزو " .

" أعلم أنه فيني كوزو ! اللعنة ! أنا أعلم ذلك . ولكن ماذا أخبرته ؟ "

انسابت الدموع من عينيه ونزف الدم من أنفه . صار جسده يرتجف ويهتز بشكل مؤلم . لكن دون إجابة .

صفعه فويلس مرة بعد مرة صارخاً : " أخبرني أيها الحقير . أخبرني ماذا كان يريد كوزو " . صفعه فويلس مرة أخرى .

تلوى روس حول نفسه ووضع رأسه بين ركبتيه . وصار بكاؤه أكثر وهنا .

قال أحد العملاء : " مائتا ألف دولار " .

استند فويلس على إحدى ركبتيه وقال بصوت أقرب إلى الهمس : " هل هو ماكدير يا روس ؟ أرجوك ، أرجوك ، أخبرني أنه ليس ماكدير . أخبرني يا تارى ، أخبرني أنه ليس ماكدير " .

ألصق تارى مرفقيه إلى ركبتيه وحدق النظر إلى الأرض . تساقط الدم من أنفه بدقة فوق بركة صغيرة في السجاد ، أخذ يحدث نفسه ، لقد أودت بك الجرأة يا تارى . لن تحصل على المال . أنت في طريقك إلى السجن . أنت مصدر عار يا تارى . أنت رجل جبان وحقير ، ولقد انتهى أمرك . ماذا ستكسب إذا احتفظت بالأسرار ؟ لقد انتهى وقت الجرأة يا تارى .

كان فويلس يترجاه في خفوت . لعل ذلك الخائن يعترف بذنبه . قال فويلس : " أرجوك قل إنه ليس ماكدير يا تارى . أرجوك أخبرني أنه ليس ماكدير " .

جلس تارى معتدلا ومسح عينيه بأصابعه . تنفس بعمق ، وتنحنح . عض شفتيه ، ونظر إلى فويلس في صدق وأومأ برأسه موافقاً .

لم يكن لدى ديفاشر وقت لكى يستقل المصعد . هبط السلالم ركضا إلى الطابق الرابع ، إلى أحد الأركان ، إلى مكتب أحد أصحاب السلطة ، واندفع داخل حجرة مكتب لوك . كان نصف الشركاء هناك . لوك ، لامبرت ، ميليجان ، مكنايت ، دانبار ، دينتون ، لاوسون ، بانهان ، كروجر ، ويلش وسكوتز . أما بقية الشركاء فتم استدعاؤهم للحضور .

عم الحجرة إحساس هادئ بالفزع . جلس ديفاشر عند رأس طاولة الاجتماعات ، وتجمع الحشد من حوله .

قال ديفاشر : " حسناً ، يا رفاق . إنه ليس وقت الفرار والانطلاق إلى البرازيل . ليس بعد ، على أية حال . لقد تأكدنا هذا الصباح أن

ماكدير قد تحدث كثيراً إلى عملاء المباحث الفيدرالية ، وأنهم قد دفعوا له مليون دولار نقداً ، وأنهم وعدوه بمليون آخر ، وأن لديه مستندات من المفترض أن تكون مميتة بالنسبة لنا . لقد جاءتنا تلك المعلومات من داخل مكتب المباحث الفيدرالية . سوف يطير لازاروف ومعه جيش صغير إلى ممفيس في أية لحظة . يبدو أن الضرر لم يقع . حتى الآن . وطبقا لمصدر معلوماتنا ــ وهو عميل مباحث على أعلى مستوى ــ أن ماكدير لديه عشرة آلاف مستند في حوزته ، وأنه مستعد لتسليمها . لكنه لم يسلم المباحث سوى القليل حتى الآن . هكذا نعتقد . إذا استطعنا أن نمنع حدوث مزيد من الضرر ، فسوف نكون بخير . أنا أقول هذا ، رغم أن المباحث لديها بعض المستندات . من الواضح أنهم لا يمتلكون ما يكفي ، وإلا لكانوا هنا الآن وفي حوزتهم مذكرة تفتيش " .

كان ديفاشر أشبه بممثل فوق خشبة المسرح . كان يستمتع بذلك كثيراً . كان يتحدث وعلى وجهه ابتسامة تعال وينظر إلى كل وجه من الوجوه القلقة . قال : " والآن ، أين ماكدير ؟ "

تحدث ميليجان : " في مكتبه . لقد تحدثت إليه تواً . إنه لا يشك بشيء على الإطلاق " .

" رائع . من المفترض أن يغادر خلال ثلاث ساعات متجهاً إلى جراند كايمان . أهذا صحيح يا لامبرت ؟ "

" هذا صحيح . سيغادر في الظهيرة تقريباً " .

قال ديفاشر : " لن تكمل الطائرة الرحلة يا رفاق . سوف يهبط الطيار في نيو أورلينز لمهمة صغيرة ، بعدها ستقلع الطائرة متجهة إلى الجزيرة . وبعد أن تطير ثلاثين دقيقة فوق مياه الخليج ، سوف تختفي الطائرة الصغيرة من فوق شاشة الرادار ، إلى الأبد . سوف يتناثر الحطام فوق مساحة قدرها ثلاثون ميلا ، ولن يعثر رجال الإنقاذ على أي جثث على الإطلاق . أمر حزين ، لكنه ضروري " .

تساءل دينتون : " هل ستفجرون الطائرة الخاصة ؟ "

" نعم يا بني ، سنفجرها . سوف نشترى لكم طائرة لعبة أخرى " .

قال لوك : " نحن نفترض الكثير يا ديفاشر . نحن نفترض أن المستندات التى فى حوزة المباحث الفيدرالية بالفعل غير ضارة لنا . منذ أربعة أيام كنت تظن أن ماكدير قد قام بنسخ بعض ملفات تولار السرية . ألا يمثل ذلك خطورة ؟ "

" لقد قاموا بدراسة تلك الملفات فى شيكاغو . نعم ، إنها تمتلئ بأدلة إدانة ، ولكن ليس بما يكفى لخلق قضية محكمة . لن يتمكنوا من الحصول على الإدانات التى يطمحون إليها بواسطة هذه المستندات وحدها . إنكم تعلمون أن المستندات الخطيرة موجودة فى جزيرة جراند كايمان . وبالطبع داخل القبو أيضاً . لا أحد يستطيع اختراق القبو . ولقد تفقدنا الملفات الموجودة فى الاستراحة . يبدو كل شيء فى مكانه " .

لم يبد لوك مقتنعاً . تساءل : " إذن من أين أتت العشرة آلاف مستند ؟ "

" إنك تفترض أن لديه عشرة آلاف مستند . أنا أشك فى الأمر . ضع فى اعتبارك أنه يحاول الحصول على مليون دولار أخرى قبل أن يختفى . من الأرجح أنه يكذب عليهم ويبحث فى المكان عن مزيد من المستندات . إذا كان لديه عشرة آلاف مستند ، لماذا لم تحصل عليها المباحث الفيدرالية حتى الآن ؟ "

تساءل لامبرت : " إذن ، ماذا هناك لنخشاه ؟ "

" نحن نخشى المجهول يا أولى . نحن لا نعلم ماذا بحوزته ، فيما عدا المليون دولار . إنه ليس غبياً ، وقد يصل إلى شيء بالمصادفة إذا

تركناه وشأنه . لا يمكن أن نسمح لذلك بالحدوث . لقد أمر لازاروف أن نفجر رأسه في الهواء الطلق . وهذه كلماته الحرفية " .

" لا يمكن لمحامٍ مبتدئ أن يجد كل سجلات الإدانة هذه ويقوم بنسخها بعد ذلك " . قال كروجر ذلك في جرأة ، ثم نظر إلى الحشد باحثاً عمن يؤيد رأيه . أومأ العديد من الأشخاص تجاهه وعلى وجوههم عبوس شديد .

" لماذا سيأتي لازاروف إلى المدينة ؟ " تساءل دانبار ، خبير العقارات بالشركة . نطق اسم " لازاروف " وكأن جاك السفاح الشهير سوف يأتي لتناول العشاء .

صاح ديفاشر في غضب ، وهو يتلفت حوله بحثاً عن ذلك الأحمق : " هذا سؤال غبي . أولاً ، يجب أن نتخلص من ماكدير ونأمل أن تكون الأضرار قليلة . بعدها سنلقي نظرة طويلة على هذه الشركة ونقوم بالتغييرات الضرورية " .

وقف لوك وحدق النظر في لامبرت قائلاً : " تأكد من وجود ماكدير على متن هذه الطائرة .

جلس تارانس ، آكلين ، ولاني في ذهول يستمعون إلى الصوت القادم عبر السماعة الخارجية للهاتف الموضوع على سطح المكتب . كان المتحدث هو المدير فويلسٍ من واشنطن ، وكان يشرح لهم ما حدث . قال إنه سيغادر الطائرة قادماً إلى ممفيس خلال ساعة . كان صوته يوحي بلمحة من اليأس .

قال فويلس ، عبر الهاتف : " عليك أن تصل إليه يا تارانس . وبسرعة شديدة . إن فيني كوزو لا يعرف أننا اكتشفنا أمر تاري روس ، لكن روس أخبره أن ماكدير على وشك أن يسلمنا السجلات . قد

يتخلصون من ماكدير في أى لحظة . يجب أن تصل إليه وتحميه . الآن يا تارانس . هل تعلم أين هو الآن ؟ "

قال تارانس : " إنه يجلس في حجرة مكتبه " .

" حسناً . هذا جيد . عليك أن تحضره للمكتب . سوف أصل إلى المدينة خلال ساعتين . أريد أن أتحدث معه . وداعاً " .

ضرب تارانس الهاتف بيده ، ثم أخذ يطلب رقماً ما .

تساءل آكلين : " بمن تتصل الآن ؟ "

" شركة بنديني ، لامبرت آند لوك لأعمال المحاماة " .

تساءل لانى : " هل فقدت عقلك يا واين ؟ "

" أنصت فقط " .

أجابت موظفة الاستقبال على الهاتف . قال تارانس : " أريد التحدث إلى السيد ميتش ماكدير من فضلك " .

قالت موظفة الاستقبال : " لحظة واحدة من فضلك . ثم جاء صوت السكرتيرة : " مكتب السيد ماكدير " .

" أحتاج إلى التحدث مع السيد ميتش ماكدير " .

" أعتذر يا سيدى . إنه داخل أحد الاجتماعات " .

" استمعى إلىَّ أيتها الفتاة . أنا القاضي هنرى هوجو ، وكان من المفترض أن يكون السيد ماكدير في قاعة المحكمة منذ ربع ساعة مضت . نحن بانتظاره . إنها قضية طارئة " .

" حسناً ، لا توجد ارتباطات في دفتر مواعيده لهذا الصباح " .

" هل تقومين بترتيب جدول مواعيده ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" إذن ، إنها غلطتك أنت . والآن صليني به عبر الهاتف " .

انطلقت نينا تعدو على طول الردهة واندفعت إلى داخل مكتبه قائلة : " ميتش ، القاضي هوجو يتصل بك عبر الهاتف . يقول إنه من المفترض أن تكون في قاعة المحكمة الآن . من الأفضل أن تتحدث إليه " .

هب ميتش واقفاً على قدميه واختطف سماعة الهاتف . كان وجهه باهتاً . قال : " مرحبا " .

قال تارانس : " سيد ماكدير ، أنا القاضي هوجو . لقد تأخرت عن المحكمة . أريدك هنا الآن " .

" نعم سيدى القاضي " . " أمسك ميتش معطفه وحقيبة مستنداته ونظر إلى نينا في غضب .

قالت : " آسفة . لم يكن جدول مواعيدك يحوى أى شيء عن هذا " . انطلق ميتش مسرعاً على طول الردهة، هابطاً السلالم ، ثم متخطياً صالة الانتظار وخرج من الباب الأمامي . ظل يعدو شمال شارع فرونت ستريت ومنه إلى شارع يونيون . عابراً خلال ردهة مبنى كوتون ايكسشنج وشارع يونيون ، استدار وأخذ يجرى شرقاً إلى مركز ميد - أمريكا التجارى .

ربما يكون منظر شاب أنيق الملابس يحمل حقيبة مستندات ويجرى في الشارع أمراً عادياً في بعض المدن ، ولكن ليس في ممفيس . ولذلك لاحظ الناس ذلك .

اختبأ خلف منضدة لبيع الفواكه والتقط أنفاسه . لم ير أى شخص يجرى من خلفه . أخذ يأكل تفاحة . إذا وصل الأمر إلى المطاردة على الأقدام ، تمنى أن يكون تونى البلدوزر هو من يجرى خلفه .

لم يكن ميتش أبداً منبهراً بأسلوب واين تارانس كعميل مباحث . كانت حادثة متجر الأحذية الكورية مسرحية هزلية . وكان ذلك اللقاء الذى تم بينهما في مطعم الدجاج بجزيرة جراند كايمان على نفس

المستوى من الغباء . إلى جانب أن دفتر معلوماته عن عائلة مورولتو قد يصيب فتى في الكشافة بحالة ملل واكتئاب . لكن فكرته عن إشارة استغاثة ، أو إنذار " لا تسأل أسئلة ، وانج بحياتك " ، كانت عبقرية . ومنذ شهر ، كان ميتش يعلم أنه إذا اتصل القاضي هوجو عبر الهاتف ، فإن عليه أن يترك كل ما في يده وأن يلوذ بالفرار . لقد كان ذلك يعني أن أمراً سيئاً للغاية قد حدث ، وأن الرجال بالطابق الخامس قد يتحركون للقضاء عليه في أى لحظة . أين آبى الآن ؟ هكذا سرحت أفكار ميتش .

كان هناك قلة من الناس يمشون في مجموعات ثنائية على طول شارع يونيون . كان يريد رصيفاً مزدحماً ، ولكن لم يكن هناك مثل هذا الرصيف . أخذ يتطلع باهتمام إلى زاوية التقاء شارعى يونيون وفرونت ستريت ولم ير أى شيء مثير للشبهات . على بعد مربعين سكنيين ، دلف إلى بهو فندق بيبودى ، وبحث عن هاتف . فى الطابق الأول الذى يطل على بهو الفندق ، وجد هاتفاً مهملاً فى إحدى الردهات القصيرة بالقرب من استراحة الرجال . طلب رقم مكتب التحقيقات الفيدرالية فى ممفيس .

قال : " واين تارانس من فضلك . أنا ميتش ماكدير . وهذه حالة طارئة " .

أجاب تارانس على الهاتف فى ثوانٍ . قال : " ميتش ، أين أنت ؟ "

" حسناً يا تارانس . ما الذى يجرى بالضبط ؟ "

" أين أنت الآن ؟ "

" أنا خارج المبنى ، أيها القاضى هوجو . أنا فى أمان حتى الآن . ماذا حدث ؟ "

" يجب أن تحضر إلينا يا ميتش " .

" لست مضطراً لفعل أى شيء يا تارانس . ولن أفعل أى شيء حتى تتحدث إلى " .

" حسناً ، لدينا ، آوه ، لدينا مشكلة بسيطة . لقد حدث تسرب بسيط للمعلومات . يجب أن ـــ "

" تسرب للمعلومات يا تارانس ؟ هل قلت تسرب ؟ لا يوجد شيء يسمى تسرب بسيط للمعلومات . تحدث إلىَّ يا تارانس قبل أن أغلق الهاتف وأختفي إلى الأبد . أنت تتعقب هذه المكالمة ، أليس كذلك يا تارانس ؟ سوف أضع السماعة " .

" كلا ! استمع إلىَّ يا ميتش . إنهم يعرفون . لقد علموا أننا نتكلم وعرفوا بشأن المال والملفات " .

ساد الصمت لفترة طويلة . قال ميتش أخيراً : " تسرب بسيط للمعلومات يا تارانس . إنه فيضان من المعلومات . أخبرني بهذا التسرب ، وبسرعة " .

" يا إلهى ، كم هذا مؤلم . أريدك أن تعرف أننى أحس بألم شديد لهذا الأمر يا ميتش . إن المدير فويلس منهار تماماً . لقد قام أحد كبار الموظفين بالمكتب ببيع بعض المعلومات . لقد قبضنا عليه هذا الصباح فى فندق بواشنطن . لقد دفعوا له مائتى ألف دولار مقابل أن يخبرهم بقصتك . نحن فى حالة صدمة يا ميتش " .

" أوه ، لقد تأثرت كثيراً . أشعر بالقلق حقاً حول صدمتك وشعورك بالألم يا تارانس . أظن أنك تريد أن أسرع الخطى إلى مكتبك حتى نتمكن من الجلوس معاً ويعاضد كل منا الآخر " .

" سوف يكون فويلس هنا عند الظهيرة يا ميتش . إنه قادم بالطائرة ومعه خيرة رجاله . يريد مقابلتك . سوف نخرجك من المدينة " .

" هكذا . تريد منى أن ألقى بنفسى فى أحضانكم من أجل أن تقوموا بحمايتى . أنت غبى يا تارانس . فويلس غبى أيضا . كلكم عبارة عن

مجموعة من الأغبياء . لقد كنت أحمق لأنى قد وثقت بكم . هل هذه المكالمة يتم تتبعها يا تارانس ؟ "

" كلا ! " .

" أنت تكذب . سأنهي المكالمة يا تارانس . ابق في مكتبك وسوف أتصل بك خلال ثلاثين دقيقة من هاتف آخر " .

" كلا . أنصت إليَّ يا ميتش . سوف تلقى مصرعك إن لم تحضر إلينا " .

" وداعاً يا واين . اجلس بقرب الهاتف " .

وضع ميتش سماعة الهاتف وسار إلى عمود رخامي واختلس النظر إلى الردهة بالأسفل . كان البط يسبح حول النافورة . كان المطعم مهجوراً . وقد جلست بعض السيدات العجائز حول مائدة ، يشربن الشاى ويستمتعن بممارسة النميمة . وكان هناك نزيل منفرد يسجل اسمه في سجلات الفندق .

فجأة ، ظهر الرجل الاسكندينافي من خلف شجرة مزروعة داخلٍ حوضٍ وحدق النظر إلى ميتش . " هناك بالأعلى " ، صرخ الرجل منادياً شريكاً له . تطلع الرجلان إلى ميتش باهتمام ونظرا إلى السلالم أسفل قدميه . نظر الساقى إلى ميتش بالأعلى ، ثم إلى الرجل الاسكندينافى وشريكه . حدقت العجائز النظر إليهم جميعا في صمت .

" اتصل بالشرطة " . صاح ميتش وهو يتراجع بعيداً عن حاجز السلم . اندفع الرجلان عبر البهو وانطلقا فوق السلالم . انتظر ميتش لخمس ثوان ، ثم عاد إلى مكانه وراء حاجز السلم . لم يتحرك الساقى من موضعه . أما السيدات العجائز فتجمدن في مقاعدهن .

كان هناك جلبة شديدة فوق السلالم . جلس ميتش فوق حاجز السلم ، وألقى حقيبة مستنداته ، طوح قدميه فوق الحاجز ، توقف للحظة ، ثم قفز لمسافة عشرين قدماً فوق سجادة البهو . سقط ميتش

كالحجر ، لكنه هبط على قدميه تماماً . سرت موجات من الألم خلال كاحليه وفخذيه . ارتجت ركبته المصابة ، ولكنه لم يسقط أرضاً .

في الخلف ، إلى جوار المصاعد ، كان هناك متجر ملابس به نوافذ تمتلئ برابطات العنق وأحدث الملابس . دلف ميتش إلى داخل المتجر . كان هناك فتى لا يتجاوز عمره التاسعة عشرة يجلس متحمساً خلف منضدة البيع . لم يكن هناك زبائن بالمتجر . وكان هناك باب خلفي يطل على شارع يونيون .

تساءل ميتش في هدوء : " هل هذا الباب مغلق ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" هل تريد أن تكسب ألف دولار نقداً ؟ وبشكل قانونى " . أخرج ميتش رزمة من العملات الورقية فئة المائة دولار وألقاها فوق المنضدة .

قال الفتى : " آوه . بالتأكيد أريد ذلك " .

" لا شيء غير قانونى . أقسم لك أننى لن أضعك فى أية متاعب . فقط قم بفتح هذا الباب ، وعندما يأتي رجلان يجريان إلى داخل المتجر بعد عشرين ثانية ، أخبرهما أننى خرجت عبر هذا الباب واستقللت سيارة أجرة " .

اتسعت ابتسامة الفتى وهو يتناول المال قائلاً : " بالتأكيد . لا توجد مشكلة " .

" أين حجرة تغيير الملابس ؟ "

" هناك بالقرب من الخزانة يا سيدى " .

" افتح الباب الآن " . قال ميتش ذلك وهو يدلف إلى داخل حجرة تغيير الملابس ويجلس . أخذ يدلك ركبتيه وكاحليه .

كان الفتى يضبط وضع بعض رابطات العنق عندما ركض الرجل الاسكندينافي وشريكه عبر الباب قادمين من البهو . قال الفتى : " صباح الخير " .

" هل رأيت رجلاً يركض إلى هنا ، متوسط البنية ، يرتدى سترة رمادية داكنة ، ورابطة عنق حمراء ؟ "

" نعم يا سيدى . لقد ركض إلى داخل المتجر ثم عبر ذلك الباب ، واستقل سيارة أجرة " .

" سيارة أجرة ! اللعنة ! . فُتح الباب وأُغلق ، وصار المتجر صامتاً . سار الفتى إلى صف من رفوف الأحذية بالقرب من الخزانة وقال : " لقد ذهبا يا سيدى " .

كان ميتش يدلك ركبتيه . قال : " جيد . اذهب إلى الباب وراقب المكان بالخارج لمدة دقيقتين . أخبرنى إذا رأيتهما " .

بعد دقيقتين ، عاد الفتى وقال : " لقد ذهبا " .

ظل ميتش فى مقعده وابتسم وهو ينظر إلى الباب . قال : " عظيم . أريد معطفاً رياضياً أخضر اللون ، مقاس أربعة وأربعين طويلاً ، وزوجاً من الأحذية المصنوعة من جلد الغزال ، مقاس عشرة ، أبيض اللون . أحضرهم إلى هنا ، إذا تفضلت . واستمر بالمراقبة " .

" نعم يا سيدى " . أخذ الفتى يصفر فى أرجاء المتجر وهو يحضر المعطف والحذاء ، ثم مررهما إلى ميتش من أسفل الباب . انتزع ميتش رابطة عنقه وألقاها بعيدا وقام بتغيير ملابسه بسرعة . ثم جلس مرة أخرى .

تساءل ميتش من خلف الباب : " كم تريد ثمناً لهذه الملابس ؟ "

" حسناً ، دعنا نرى . ماذا عن خمسمائة دولار ؟ "

" موافق . أوقف لى سيارة أجرة ، وأخبرنى عندما تكون بالخارج " .

سار تارانس حول مكتبه أميالاً طويلة . كانت مكالمة ميتش قد تم تتبعها إلى فندق بيبودى ، ولكن لانى وصل إلى هناك متأخراً . عاد لانى

إلى المكتب الآن ، وجلس في عصبية بصحبة آكلين . بعد أربعين دقيقة من المكالمة الأولى ، انطلق صوت السكرتيرة عبر الهاتف الداخلي تقول : " سيد تارانس . ماكدير على الخط " .

اختطف تارانس سماعة الهاتف وقال : " أين أنت الآن ؟ "

" داخل المدينة . لكن ليس لوقت طويل " .

" اسمع يا ميتش . إنك لن تصمد لمدة يومين بمفردك . سوف يحضرون ما يكفي من المجرمين لإشعال حرب جديدة . يجب أن تدعنا نساعدك " .

" لا أدرى يا تارانس . لسبب غير مفهوم لا أثق في رجالك كثيراً الآن . لا أستطيع تخيل السبب . مجرد إحساس سيئ حيالكم " .

" أرجوك يا ميتش . لا ترتكب هذا الخطأ " .

" أظن أنك تريد أن أصدق أن رجالك يمكنهم حمايتي لبقية حياتي . أمر مضحك ، أليس كذلك يا تارانس ؟ لقد عقدت اتفاقاً مع المباحث الفيدرالية ، وكدت أن أُقتل داخل مكتبي . يا لها من حماية " .

تنفس تارانس بعمق داخل سماعة الهاتف . ساد الصمت لفترة طويلة . قال تارانس أخيراً : " ماذا عن المستندات ؟ لقد أعطيناك مليون دولار ثمناً ها " .

" لقد بدأت تتخبط يا تارانس . لقد دفعت لى مليون دولار مقابل ملفاتي القانونية . لقد حصلتَ عليها ، وأنا حصلت على المليون دولار . بالطبع كان ذلك جزءاً من الصفقة . وكانت الحماية جزءاً آخر من الصفقة " .

" أعطنا المستندات اللعينة يا ميتش . إنها مخبأة في مكان قريب من هنا ، لقد أخبرتني بذلك . اهرب إذا كنت تريد ، لكن اترك لنا الملفات " .

" لن ينجح ذلك يا تارانس . الآن أستطيع الاختفاء ، وقد تطاردنى عائلة موورلتو وقد لا تفعل . إذا لم تحصل على المستندات ، فلن تتمكن من الحصول على الإدانات التى تريدها . وإذا لم تتم إدانة عائلة موورلتو ، فربما ، إذا كنت محظوظاً ، ينسون أمرى فى يوم من الأيام . لقد سببت لهم فزعاً شديداً ، ولكنى لم أتسبب لهم بضرر دائم . ربما يقومون بتعيينى مرة أخرى فى يوم ما " .

" إنك لا تصدق ذلك بالفعل . سوف يطاردونك حتى يعثروا عليك . إذا لم نحصل على السجلات ، سوف نطاردك نحن الآخرين . إن الأمر بهذه البساطة يا ميتش " .

" إذن سأراهن على عائلة موورلتو . لأنكم إذا وصلتم إلىَّ أولاً ، سيكون هناك تسرب فى المعلومات . مجرد تسرب بسيط " .

" لقد فقدت عقلك يا ميتش . إذا ظننت أنك تستطيع أن تأخذ المليون دولار وتنطلق بحصانك نحو غروب الشمس ، فأنت مغفل . سوف يرسلون المجرمين خلفك على ظهور الجمال ، ويخوضون الصحراء بحثاً عنك ، لا تفعل ذلك يا ميتش " .

" وداعاً يا واين . راى يبلغك تحياته " .

انقطع الاتصال . أمسك تارانس بالهاتف وألقى به تجاه الحائط .

نظر ميتش إلى ساعة معلقة فوق حائط المطار . أجرى اتصالاً آخر . أجابت تامى على المكالمة .

قال : " مرحباً يا عزيزتى . أكره أن أوقظك " .

" لا عليك ، لقد منعتنى الأريكة من النوم . ماذا هناك ؟ "

" متاعب كثيرة . أحضرى قلم رصاص وأنصتى إلىَّ بعناية . ليس لدىَّ ثانية لأضيعها . لقد هربت ، والجميع يسعى خلفى الآن " .

" ابدأ الكلام " .

" أولاً ، اتصلى بأبى فى منزل والديها . أخبريها أن تترك كل شيء فى يدها وتخرج من المدينة حالاً . ليس لديها وقت لوداع والديها أو حزم الأمتعة . أو حتى تنظر إلى الخلف . أخبريها أن تأخذ طريق الولايات رقم ٦٤ إلى هانتينجتون ، بولاية ويست فرجينيا ، وتذهب إلى مدينة موبيل . وأن تقوم باستئجار سيارة فى موبيل وتنطلق شرقاً على طريق الولايات رقم ١٠ حتى تصل إلى جولف شورى ، ثم تكمل إلى الطريق السريع رقم ١٨٢ حتى تصل إلى شاطئ برديدو بيتش . عليها أن تحجز غرفة فى فندق برديدو بيتش هيلتون تحت اسم راتشيل جيمس . وتنتظر هناك . هل كتبت كل هذا ؟ "

" نعم " .

" ثانياً ، أريدك أن تستقلى طائرة إلى ممفيس . لقد اتصلت بخبير التزوير دوك ، وقال إن جوازات السفر وبقية المستندات ليست جاهزة . لقد وبخته ، ولكن دون فائدة . لقد وعد بالعمل عليها طوال الليل لكى تكون جاهزة فى الصباح . لن أكون هنا فى الصباح ، ولكنك ستكونين . اذهبى إليه وخذى المستندات منه " .

" نعم يا سيدى " .

" ثالثاً . استقلى الطائرة وعودى إلى الشقة فى ناشفيل . انتظرى بقرب الهاتف . لا تتركى الهاتف تحت أى ظرف " .

" فهمت " .

" رابعاً . اطلبى ابانكس عبر الهاتف " .

" ما هى خطط سفرك ؟ "

" سوف آتى إلى ناشفيل ، ولكن لا أدرى متى سأصل إلى هناك . يجب أن أذهب الآن . اسمعى يا تامى ، أخبرى آبى أنها قد تلقى مصرعها خلال ساعة إذا لم تسرع بالهرب . اطلبى منها أن تجرى بأقصى سرعة ! " .

" حسناً أيها الرئيس " .

سار ميتش مسرعاً إلى البوابة رقم ٢٢ وصعد إلى طائرة شركة دلتا المتجهة إلى سينسيناتي في العاشرة وخمس دقائق . أمسك في يده مجلة مليئة بتذاكر طيران ذهاب فقط تم شراؤها جميعاً باستخدام بطاقته الائتمانية . تذكرة ذهاب إلى تولسا على متن طائرة شركة أمريكان فلايت رقم ٢٣٣ ، والتي ستغادر في تمام العاشرة وأربع عشرة دقيقة ، وتم شراؤها باسم ميتش ماكدير ؛ وتذكرة ذهاب إلى شيكاغو على متن طائرة نورث ويست فلايت رقم ٨٦١ ، والتي ستغادر في الساعة العاشرة وخمس عشرة دقيقة ، وتم شراؤها باسم ميتشل ماكدير ؛ وتذكرة ذهاب إلى دالاس على طائرة شركة يونيتد فلايت رقم ٧٩٠ ، والتي ستغادر في العاشرة وعشر دقائق ، وتم شراؤها باسم ميتشل ماكدير .

أما التذكرة المتجهة إلى سينسيناتي فتم شراؤها نقداً ، وباسم سام فورتشون .

دخل لازاروف حجرةً مكتب أحد أصحاب السلطة بالطابق الرابع وانحنت الرؤوس احتراماً . وقف ديفاشر أمامه مثل طفل خائف ، يستعد لتلقي ضرب مبرح . أخذ الشركاء ينظرون إلى أربطة أحذيتهم وأمسك كل منهم بأمعائه المضطربة .

قال ديفاشر : " لا يمكننا العثور عليه " .

لم يكن لازاروف من الطراز الذى يصرخ ويوبخ . كان يتفاخر دوماً بهدوئه في مواجهة الضغوط والأزمات . تساءل لازاروف في هدوء : " هل تعني أنه قد ترك مكتبه وغادر الشركة هكذا ؟ "

لم تكن هناك إجابة . ولم يكن هو بحاجة إليها .

" حسناً يا ديفاشر ، هذه هي الخطة . أرسل كل الرجال إلى المطار . اجعلهم يتفقدون كل شركات الطيران . أين سيارته ؟ "

" في ساحة الانتظار " .

" يا للروعة ! لقد غادر الشركة سيراً على الأقدام . سوف يعجب جوى بذلك . تفقدوا كل شركات تأجير السيارات . والآن ، كم شريكاً محترماً لدينا هنا ؟ "

" ستة عشر شريكاً حاضراً " .

" قم بتقسيمهم إلى أزواج وأرسلهم إلى المطارات فى ميامى ، نيو أورلينز، هيوستن ، أتلانتا ، شيكاغو ، لوس أنجلوس ، سان فرانسيسكو ونيويورك . انتشروا فى ممرات تلك المطارات . عيشوا فى تلك المطارات . تناولوا طعامكم فى تلك المطارات . راقبوا رحلات الطيران الدولية المنطلقة من هذه المطارات . سوف نرسل لكم تعزيزات غداً . إنكم أيها المبجلون تعرفونه جيداً ، لذلك عليكم أن تتعرفوا عليه . إنه احتمال بعيد ، ولكن ماذا لدينا لنخسره ؟ سوف أبقيكم مشغولين أيها السادة المحامون . وأكره أن أخبركم هذا يا رفاق ، ولكن هذه الساعات ليست مدفوعة الأجر . والآن ، أين زوجته ؟ "

" فى منزل والديها بمدينة دانسبورو ، كينتاكى " .

" اذهبوا وأحضروها . لا تؤذوها ، فقط أحضروها إلى هنا " .

تساءل ديفاشر : " هل نبدأ مرحلة التخلص من المستندات ؟ "

" سوف ننتظر لمدة أربع وعشرين ساعة . أرسل شخصاً ما إلى جراند كايمان وتخلص من كل السجلات هناك . أسرع يا ديفاشر " .

صار المكتب خاليا .

* * *

ظل فويلس يسير حول مكتب تارانس وهو يلقى الأوامر هنا وهناك . كان هناك دستة من الضباط الشبان يكتبون كل ما يقوله وهو

يصرخ : " عليكم تغطية المطار . تفقدوا كل شركات الطيران . أبلغوا كل مكاتبنا فى المدن الكبرى . اتصلوا بإدارة شرطة الموانئ والجمارك . هل لدينا صورة له ؟ "

" لم نستطع أن نحصل على صورة له " .

" اعثروا على صورة ، واعثروا عليها بسرعة . يجب أن توزع هذه الصورة على كل مكاتب المباحث الفيدرالية والجمارك هذه الليلة . لقد هرب ذلك الحقير ! " .

٣٥

. . . .

غادرت الحافلة مدينة برمنجهام قبل وقت قليل من الساعة الثانية ظهر الأربعاء . جلس راى فى الخلف وأخذ يراقب كل شخص يصعد إلى الحافلة ويجلس فى أحد المقاعد . بدا كشخص رياضى . كان راى قد استقل سيارة أجرة إلى أحد الفنادق الرخيصة فى برمنجهام وفى خلال ثلاثين دقيقة اشترى سروال جينز باهت اللون ، وقميصا رياضيا قصير الأكمام وحذاء رياضياً من اللونين الأحمر والأبيض . وقد تناول البيتزا أيضاً وقام بقص شعره على الطريقة العسكرية القصيرة . كان يرتدى نظارة شمسية عاكسة للضوء وقبعة رياضية حمراء .

جلست إلى جواره امرأة قصيرة وسمينة وسمراء الملامح .

ابتسم إليها وتساءل متحدثا بالاسبانية : " من أين أنت ؟ "

ظهرت على ملامحها سعادة طاغية . ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانها القليلة . قالت فى فخر: " المكسيك " ثم تساءلت فى حماس : " هل تتحدث الإسبانية ؟ "

قال راى بالإسبانية : " نعم " .

لمدة ساعتين ، ظلا يثرثران بالإسبانية بينما انطلقت الحافلة متجهة إلى مونتجمرى . كانت السيدة تضطر إلى إعادة نطق كلماتها أحياناً ، لكن راى تفاجأ من إتقانه للغة . لم يكن قد مارس التحدث

بالإسبانية منذ ثماني سنوات ولا يزال لسانه ثقيلاً إلى حد ما في نطق اللغة .

خلف الحافلة ، كان عميلا المباحث جنكنز وجونز يتبعان الحافلة بواسطة سيارة دودج . كان جنكنز يقود بينما كان جونز نائماً . كانت رحلتهما قد صارت مملة بعد عشر دقائق من خروج الحافلة من نوكسفيل . مجرد عملية متابعة ومراقبة روتينية ، هكذا قيل لهما . إذا فقدتما أثره ، فليست مشكلة كبيرة . لكن حاولا ألا تفقدا أثره .

* * *

كانت الطائرة المتجهة من هانتينجتون إلى أتلانتا سوف تغادر بعد ساعتين ، ولذلك جلست آبي في ركن منعزل لصالة انتظار مظلمة تراقب المكان . مجرد مراقبة . في المقعد المجاور لها كانت هناك حقيبة ملابس صغيرة . على عكس التعليمات الطارئة التي صدرت لها ، فقد وضعت في حقيبتها فرشاة أسنان ، وبعض مساحيق التجميل وبعض الملابس القليلة . كتبت أيضاً خطاباً قصيراً إلى والديها ، تحكي لهما فيه قصة مختصرة عن اضطرارها للذهاب إلى ممفيس ، وأنها احتاجت لرؤية ميتش ، وأن كل شيء بخير ، وطلبت منهما ألا يشعرا بالقلق ، وأعطتهما الكثير من القبلات ، وأنهت الخطاب بعبارة : مع حبي ، آبي . تجاهلت آبي قهوتها وأخذت تراقب وصول الطائرات وإقلاعها .

لم تكن تعلم إذا كان ميتش حياً أم ميتاً . قالت تامي إنه كان خائفاً ، لكن كل شيء تحت السيطرة . كالعادة ، قالت تامي إنه سيطير إلى ناشفيل وأنها ، تامي ، سوف تطير إلى ممفيس . أمر محير ، لكنها كانت واثقة من أنه يعرف ماذا يفعل . عليها أن تذهب إلى برديدو بيتش وتنتظر .

لم تسمع آبى من قبل عن مدينة برديدو بيتش من قبل . وكانت متأكدة أن ميتش لم يذهب إلى هناك من قبل أيضاً .

كانت صالة الانتظار مُحطمة للأعصاب . كل عشر دقائق كان أحد رجال الأعمال يقترب منها ويحاول أن يلقى إليها بعبارات الغزل . اذهب إلى الجحيم ، هكذا ردت آبى عشر مرات على الأقل .

بعد ساعتين ، صعد المسافرون على متن الطائرة . جلست آبى محشورة فى مقعد مجاور لمر السير . وضعت حزام المقعد واسترخت فى جلستها . عند ذلك رأتها .

كانت شقراء بشكل لافت وقد برزت عظام وجنتيها المرتفعة ، وتمتلك فكاً صلباً ، يكاد يكون غير أنثوى الشكل ، ومع ذلك فقد كان فكاً قوياً وجذابا . كانت آبى قد رأت هذا الوجه المميز من قبل . أو جزءاً منه ، لأن العينين كانتا مختبئتين خلف النظارة الشمسية ، كما حدث فى المرة السابقة . نظرت إلى آبى ثم أشاحت بنظراتها بعيداً وهى تمر بجوار آبى متجهة نحو مقعدها فى مكان ما بالخلف .

ملهى شيبريك ! الشقراء التى كانت تجلس فى ملهى شيبريك . نفس المرأة الشقراء التى كانت تحاول أن تسترق السمع على محادثتها مع ميتش وابانكس . لقد عثروا عليها . وإذا كانوا قد عثروا عليها ، فأين زوجها الآن ؟ ماذا فعلوا به ؟ أخذت تفكر فى الرحلة التى استغرقت ساعتين من القيادة من دانسبورو إلى هانتينجتون ، خلال الطريق الجبلى الضيق . لقد كانت تقود السيارة كالمجنونة . لا يمكن أن يكونوا قد تتبعوها .

بدأت الطائرة تسير فوق ممر الإقلاع وخلال دقائق أقلعت فى طريقها إلى أتلانتا .

للمرة الثانية خلال ثلاثة أسابيع ، شاهدت آبى غروب الشمس من داخل طائرة بوينج ٧٢٧ فى مطار أتلانتا . شاهدته هى والشقراء . ظلت الطائرة على الأرض لمدة ثلاثين دقيقة ثم أقلعت تجاه موبيل .

من سينسيناتى ، استقل ميتش طائرة أخرى إلى ناشفيل . وصل إليها فى تمام السادسة من مساء الأربعاء ، بعد وقت طويل من موعد إغلاق البنوك . عثر على مركز لتأجير الشاحنات من خلال دليل الهاتف وأشار بيده إلى سيارة أجرة .

استأجر شاحنة من الطراز الصغير ، ستة عشر قدماً فقط . دفع المبلغ المطلوب نقداً ، لكنه اضطر إلى استخدام رخصة قيادته وبطاقته الائتمانية من أجل مبلغ التأمين . إذا استطاع ديفاشر أن يقتفى أثره إلى مركز تأجير شاحنات فى ناشفيل ، فليكن . اشترى عشرين صندوق تعبئة من الورق المقوى وانطلق متجهاً إلى الشقة .

لم يكن قد تناول أى طعام منذ ليلة الثلاثاء ، لكنه كان سعيد الحظ . لقد تركت تامى علبة من الفيشار وزجاجتين من الشراب . تناول الفيشار كأنه لم يأكل من سنة . فى الثامنة ، أجرى مكالمته الهاتفية الأولى إلى فندق برديدو بيتش . سأل عن لى ستيفنس . قالت الموظفة إنه لم يصل بعد . ألقى بجسده فوق أرضية غرفة المعيشة وأخذ يفكر فى مئات من الأشياء التى قد تحدث لآبى . ربما تكون مقتولة فى كينتاكى وهو لا يدرى . لم يجرؤ على الاتصال بمنزل والديها .

كانت الأريكة المتحركة لم تطو ، وقد تدلت الملاءات الرخيصة من الحافة وسقطت فوق الأرض . لم تكن تامى ممن يجيدون أعمال المنزل . نظر إلى السرير الصغير المستأجر وفكر فى آبى . منذ خمس ليال فقط ، كانا ينعمان بليلة من الحب فوق هذا السرير . كم يتمنى أن تكون آبى تستقل الطائرة بمفردها الآن .

في غرفة النوم ، جلس فوق الصندوق المغلق الذى يحوى كاميرا الفيديو ونظر إلى الغرفة المليئة بالمستندات في تعجب . لقد وضعت تامي على طول السجادة أعمدة مرتبة من الأوراق ، وقد قسمت الأوراق بشكل منظم إلى سجلات بنوك كايمان وسجلات شركات كايمان . وفي أعلى كل كومة كانت هناك مذكرة قانونية صفراء ، تحمل اسم الشركة يتبعها بيان بعدد الصفحات والمدخلات ، والأسماء !

حتى تارانس سوف يتمكن من تتبع ترتيب الأوراق والمستندات . سوف تنقض المحكمة العليا على الأوراق وتفحصها بشكل مكثف . سوف يدعو النائب العام الأمريكي إلى مؤتمر صحفي كبير . وسوف يقوم المحلفون في القضايا بالحكم بالإدانة ، والإدانة ، والإدانة .

تثاءب العميل الخاص جنكنز في سماعة الهاتف وطلب رقم مكتب المباحث الفيدرالية في ممفيس . لم يكن قد نال أى قسط من النوم خلال أربع وعشرين ساعة . أما جونز فكان يغط في النوم داخل السيارة .

" مكتب المباحث الفيدرالية " أجاب صوت رجل .

تساءل جنكنز : " نعم ، من هناك ؟ " كان السؤال مجرد تحقق روتيني .

" أنا آكلين " .

" مرحبا ريك . أنا جنكنز . لقد قمنا ب ... "

" جنكنز ! أين كنت يا رجل ؟ انتظر " .

توقف جنكنز عن التثاؤب وأخذ ينظر في أرجاء ساحة الحافلات . صرخ صوت غاضب في سماعة الهاتف .

" جنكنز ! أين أنت الآن ؟ " كان ذلك هو واين تارانس .

" نحن في محطة الحافلات في موبيل . لقد فقدنا أثره " .

" ماذا تقول ؟ كيف يمكن أن تفقدوا أثره ؟ "

تيقظ جنكنز فجأة واقترب من الهاتف . قال : " مهلاً يا واين . لقد كانت تعليماتنا هي أن نتبعه لمدة ثماني ساعات لكي نرى إلى أين سيذهب . لقد قلت إنها عملية روتينية . "

" لا أصدق أنكما قد فقدتما أثره " .

" لم يخبرنا أحد أن نتبعه لبقية حياته يا واين . لقد قلت ثماني ساعات . لقد تتبعناه لمدة أربع وعشرين ساعة ، وقد اختفى بعد ذلك . لماذا كل هذه الجلبة ؟ " .

" لماذا لم تتصلا بالمكتب قبل الآن ؟ "

" لقد اتصلنا مرتين . في برمنجهام وفي مونتجمرى . كانت الخطوط مشغولة في كلتا المرتين . ماذا يحدث يا واين ؟ "

" انتظر قليلا " .

أمسك جنكنز سماعة الهاتف بقوة أكبر وانتظر . انساب صوت آخر عبر الهاتف : " مرحباً ، جنكنز " .

" مرحباً " .

" أنا المدير فويلس . ماذا حدث بحق السماء ؟ "

حبس جنكنز أنفاسه وأخذ ينظر في أرجاء ساحة الحافلات . قال : " لقد فقدنا أثره يا سيدى . لقد تبعناه لمدة أربع وعشرين ساعة ، وعندما هبط من الحافلة هنا في موبيل ، فقدنا أثره بين الحشود " .

" هذا عظيم يا بني . متى حدث ذلك ؟ "

" منذ عشرين دقيقة " .

" حسناً ، أنصت إليّ . نحن بحاجة ماسة إليه . لقد أخذ أخاه أموالنا واختفى . اتصل بالشرطة المحلية في موبيل . أخبرهم أنك عميل للمباحث ، وأن هناك قاتلاً هارباً من السجن موجوداً في مدينتهم . من الأرجح أن لديهم اسم وصورة راى ماكدير معلقة على

حوائط مراكز الشرطة هناك . إن والدته تعيش فى مدينة بنما سيتى ، لذلك قم بتنبيه كل مراكز الشرطة بين موبيل وبنما سيتى . سوف أرسل قواتنا إلى هناك " .

" حسناً . أنا آسف يا سيدى . لم يخبرنا أحد أن نتبعه إلى الأبد " .

" سوف نناقش ذلك لاحقا " .

فى الساعة العاشرة ، اتصل ميتش بفندق برديدو بيتش للمرة الثانية . سأل عن راتشيل جيمس . لم تصل حتى الآن . سأل عن لى ستيفنس . طلبت منه الموظفة أن ينتظر لحظة . جلس ميتش على الأرض وانتظر فى اهتمام . كان جرس هاتف الغرفة يرن . بعد عشر رنات التقط أحدهم سماعة الهاتف .

" مرحباً " . كان الرد سريعاً .

تساءل ميتش : " لى ستيفنس ؟ "

لحظة من الصمت . قال الرجل : " نعم " .

" أنا ميتش . تقبل تهنئتى بالخروج " .

ألقى راى بجسده فوق السرير وأغلق عينيه . قال : " لقد تم الأمر بسهولة كبيرة . كيف فعلت هذا ؟ "

" سوف أخبرك عندما يكون لدينا وقت . أما الآن ، فهناك مجموعة من الأشخاص يحاولون قتلى . وقتل آبى أيضاً . نحن الآن هاربان " .

" من يكون هؤلاء الأشخاص يا ميتش ؟ "

" إن الفصل الأول من الحكاية قد يأخذ عشر ساعات لكى أقصه عليك . سوف نفعل ذلك لاحقاً . اكتب رقم الهاتف هذا . ٤٣٨٠ ـ ٨٨٩ ـ ٦١٥ " .

" هذا الرقم لا يخص مدينة ممفيس " .

" كلا ، إنه رقم هاتف في ناشفيل . أنا في شقة أستخدمها كمركز عمليات . احفظ الرقم جيداً . إذا لم أكن هنا ، سترد على الهاتف فتاة اسمها تامى " .

" تامى ؟ "

" إنها قصة طويلة . فقط افعل ما أقوله لك . في هذه الليلة ، سوف تنزل آبى بالفندق تحت اسم راتشيل جيمس . سوف تأتى في سيارة مستأجرة " .

" آبى ستحضر إلى الفندق ! "

" فقط أنصت يا راى . إن المجرمين يطاردوننا ، ولكننا نسبقهم جميعا بخطوة " .

" تسبقون من ؟ "

" المافيا . ورجال المباحث الفيدرالية " .

" هل هذا كل شيء ؟ "

" محتمل . والآن أنصت إلىَّ جيداً . هناك احتمال بسيط أن يكون أحدهم يتتبع آبى . يجب عليك أن تصل إليها ، وتحرسها جيداً وتتأكد أن لا أحد يتبعها " .

" وإذا كانوا يتبعونها ؟ "

" اتصل بى ، وسوف نتحدث في الأمر " .

" لا توجد مشكلة " .

" لا تستخدم الهاتف سوى لتطلب هذا الرقم . ولن يمكننا أن نتحدث لوقت طويل " .

" لدىَّ عدد كبير من الأسئلة يا أخى الصغير " .

" ولدىَّ عدد كبير من الإجابات ، لكن ليس الآن . اعتن بزوجتى جيداً واتصل بى عندما تصل إليك " .

" سوف أفعل . وشكرا لك يا ميتش " .

" أراك فيما بعد " .

* * *

فى ساعة لاحقة ، تركت آبى الطريق السريع رقم ١٨٢ وانعطفت داخل الممر المؤدى إلى فندق هيلتون . أوقفت سيارتها الكتلاس المستأجرة والتى تحمل لوحات تخص ولاية ألاباما وسارت فى عصبية أسفل الشرفة الطويلة حتى وصلت إلى الأبواب الأمامية للفندق . توقفت لثانية ، ونظرت إلى ممر السيارات خلفها ثم عبرت الباب إلى الداخل .

بعد دقيقتين ، توقفت سيارة أجرة صفراء تحمل لوحات تخص مدينة موبيل أسفل الشرفة الأمامية ، وتوقفت خلف شاحنات الخدمة بالفندق . شاهد راى سيارة الأجرة . كانت هناك امرأة فى المقعد الخلفى وكانت تميل إلى الأمام وتتحدث مع السائق . انتظرا لمدة دقيقة . أخرجت المرأة بعض الأموال من حقيبة يدها وأعطتها للسائق . خرجت من السيارة وانتظرت حتى انطلق السائق مبتعداً . كانت المرأة شقراء الشعر ، وكان ذلك أول شيء لاحظه راى . كانت رشيقة القوام وترتدى سروالاً أسود ضيقاً من القطن الخالص ، ونظارة شمسية سوداء ، وبدا ذلك غريباً بالنسبة له حيث إن الساعة كانت تقترب من منتصف الليل . سارت المرأة بشكل مريب نحو الأبواب الأمامية ، وانتظرت لدقيقة ، ثم دلفت إلى الداخل . ظل راى يراقب المرأة بحرص . ثم تحرك تجاه بهو الفندق .

اقتربت الشقراء من الموظف الوحيد الذى كان يقف خلف مكتب التسجيل وسمعها راى تقول : " أريد غرفة فردية من فضلك " .

وضع موظف الاستقبال استمارة تسجيل فوق النضد ودفعها إلى المرأة . كتبت الشقراء اسمها وتساءلت : " هذه المرأة التى دخلت قبلى بلحظات ، ما اسمها ؟ أظن أنها صديقة قديمة " .

أخـذ الموظـف يقلـب فـي أوراق التسـجيل لديـه وقـال : " راتشـيل جيمس " .

" نعم ، هذه هي . من أين أتت ؟ "

قال الموظف : " إن عنوان سكنها في ممفيس " .

" في أي غرفة تقيم ؟ أود أن ألقي عليها التحية " .

قـال الموظـف : " لا أسـتطيع أن أعطـي أرقـام غـرف النـزلاء إلى أي شخص " .

أخرجت الشـقراء ورقـتين مـن فئـة العشـرين دولاراً مـن حقيبتهـا بشكل سريع ومررتهما عبر النضد وهي تقول : " أريد أن ألقـي التحيـة فقط " .

أخذ الموظف المال وقال : " رقم ٦٢٢ " .

دفعت المرأة حساب الفندق نقدًا وقالت : " أين الهواتف ؟ "

قال الموظف : " خلف هذا الركن " . تحرك راي خلف الركن ووجد أربعة هواتف عمومية . جذب راي سماعة الهاتف الأوسط وبدأ يتحدث إلى نفسه .

أمسكت الشقراء سماعة الهـاتف الأخـير وأعطـت ظهرهـا إلى راي . كانت تتحدث في خفوت . تمكن راي من سماع أجزاء من كلامها فقط .

" .... نزلت بالفندق .... غرفـة رقـم ٦٢٢ .... مدينـة موبيـل .... بعـض المسـاعدة .... لا أسـتطيع .... سـاعة ؟ .... نعـم .... بسرعة .... " .

أنهت الشقراء المكالمة ، وظل راي يتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع .

بعد عشر دقائق ، كان هناك نقر فوق باب حجرتها . قفزت الشقراء من السرير ، وجذبت مسدسها عيار ٤٥ مل ووضعته في سروالها أسـفل القميص . تجاهلت سلسلة الأمان وفتحت الباب .

اندفع الباب نحوها بقوة وألقاها تجاه الحائط . انقض راى عليها ، واختطف المسدس ثم دفعها إلى الأرض ، واضعاً وجهها أمام السجادة ، وألصق ماسورة مسدسها إلى أذنها قائلاً : " إذا أصدرتِ صوتاً واحداً ، سوف أقتلك " .

توقفت عن المقاومة وأغلقت عينيها . ولم تنطق بكلمة .

" من أنتِ ؟ " تساءل راى وهو يضغط ماسورة المسدس داخل أذنها . ومرة أخرى لم تنطق بشيء .

قال : " لا تتحركى ، أو تصدرى صوتاً . اتفقنا ؟ سوف يروق لى تفجير رأسك إذا تحركتِ " .

استرخى قليلاً ، وهو لا يزال يجلس فوق ظهرها ، وفتح حقيبة سفرها بقوة . ألقى محتوياتها على الأرض ووجد من بينها جورباً رياضياً نظيفاً . قال : " افتحى فمك " .

لم تتحرك المرأة . عادت ماسورة المسدس إلى أذنها ، وفتحت المرأة فمها فى بطء . وضع راى الجورب بين أسنانها ، وغطى عينيها بإحكام مستخدماً قميص نومها الحريرى . قيد يديها وقدميها بواسطة جواربها الطويلة ، ثم قام بتقطيع ملاءة السرير إلى شرائح طويلة . لم تتحرك المرأة تماماً . عندما انتهى من تقييدها وتكميمها ، صارت تشبه المومياء . دفعها راى أسفل السرير .

كانت حقيبتها تحتوى على ستمائة دولار وحافظة نقود بها رخصة قيادة صادرة من مدينة إلينوى . كانت تدعى كارين أداير ، وتقيم فى شيكاغو . تاريخ الميلاد ٤ مارس ١٩٨٢ . أخذ راى حافظة النقود والمسدس .

رنٍ جرس الهاتف في الواحدة صباحاً ، ولم يكن ميتش نائماً . كان غارقاً حتى أذنيه في مراجعة سجلات البنوك . كانت سجلات رائعة وأدلة إدانة مهمة ومؤثرة .

أجاب الهاتف في حذر : " مرحباً " .

" هل هذا هو مركز العمليات ؟ " كان هناك صوت موسيقى مرتفع في خلفية المكالمة .

" أين أنت يا راى ؟ "

" في ملهى يسمى بفلورباما لونج . بالقرب من حدود الولاية " .

" أين آبى ؟ "

" في السيارة . إنها بخير " .

تنفس ميتش الصعداء واتسعت ابتسامته وهو يمسك بسماعة الهاتف وينصت إلى راى .

" لقد اضطررنا أن نترك الفندق . كانت هناك امرأة تتبع آبى ـ نفس المرأة التي رأيتموها في جزر كايمان . إن آبى تحاول أن تشرح لى كل شيء . لقد تبعت تلك المرأة آبى طوال اليوم وظهرت في الفندق فجأة . لكنى تخلصت منها ، وتركنا الفندق بعدها " .

" تخلصت منها ؟ "

" نعم ، إنها لن تتكلم مع أحد ، وسوف تكون بعيدة عن طريقنا لوقت قصير " .

" هل آبى بخير ؟ "

" نعم . إننا متعبان للغاية . ما الذى يدور بخلدك الآن ؟ "

" أنتما على بعد ثلاث ساعات من مدينة بنما سيتى الساحلية . أعلم أنك متعب للغاية ، ولكن يجب أن تبتعدا من هناك . اذهبا إلى بنما سيتى ، تخلص من السيارة واحجز غرفتين في فندق هوليداى إن . اتصل بى عندما تصلان إلى الفندق " .

" أتمنى أن تكون على علم بما تفعل " .
" ثق بى يا راى " .
" أنا أثق بك ، لكنى بدأت أتمنى لو أننى مازلت بالسجن " .
" لا يمكنك أن تعـود إلى السـجن يـا راى . إمـا أن نختفـى أو سـوف نلقى حتفنا " .

٣٦

. . . .

توقفت سيارة الأجرة فى إحدى إشارات المرور بوسط مدينة ناشفيل ، وقفز ميتش إلى الخارج وهو يشعر بالألم والتيبس فى قدميه . عبر تقاطع الشوارع المزدحم وهو يعرج ، متفادياً السيارات المسرعة فى فترة مرور الصباح .

كان مبنى بنك سوث ايسترن عبارة عن بناية اسطوانية زجاجية الواجهة ، ترتفع لثلاثين طابقاً ، وقد صُمِمَ المبنى على شكل علبة كرات التنس الاسطوانية . كانت الخلفية اللونية للمبنى داكنة ، وتكاد تكون سوداء . كان المبنى يستقر فى وضوح بعيداً عن زاوية الشارع وتحيط به متاهة من الأرصفة والنافورات والأشجار الخضراء المقلمة .

دخل ميتش عبر الأبواب الدوارة يحيط به حشد من الموظفين الذين اندفعوا للحاق بأعمالهم . فى الردهة المكسوة بالرخام عثر ميتش على دليل أقسام البنك وصعد عبر السلالم المتحركة إلى الطابق الثالث . فتح أحد الأبواب الزجاجية الثقيلة ودلف إلى مكتب دائرى ضخم . نظرت إليه امرأة جذابة الملامح ، فى نحو الأربعين ، من خلف مكتبها الزجاجى دون أن تبتسم .

قال : " أريد مقابلة السيد ماسون لايكوك من فضلك " .

أشارت إلى أحد المقاعد وقالت : " تفضل بالجلوس " .

لم يضيع السيد لايكوك وقتاً طويلاً . ظهر من خلف أحد الأركان وكان على نفس الدرجة من البرود مثل سكرتيرته . تساءل في غطرسة : " هل يمكنني مساعدتك ؟ "

وقف ميتش وقال : " نعم ، أريد تحويل بعض الأموال " .

" حسناً . هل لديك حساب في بنك ساوث ايسترن ؟ "

" نعم " .

" وما هو اسمك ؟ "

" إنه حساب رقمي " . بمعنى آخر ، لن تحصل على اسم يا سيد لايكوك . أنت لا تحتاج إلى اسم .

" حسناً . اتبعني " . لم تكن حجرة مكتبه تحوى أية نوافذ ، أو تطل على أى منظر خارجي . كان هناك صف من لوحات الكتابة وشاشات الكمبيوتر تستقر على نضد خلف مكتبه الزجاجي . جلس ميتش على أحد المقاعد .

" رقم الحساب من فضلك " .

نطق ميتش الرقم من ذاكرته : " ٢١٤ ـ ٣١ ـ ٣٥ " .

نقر لايكوك على لوحة المفاتيح الموضوعة فوق سطح مكتبه وأخذ يراقب شاشة الكمبيوتر . قال : " إنه حساب ثلاثي التشفير ، قامت بفتحه السيدة تامي هيمفيل ، ولا يمكن الدخول إليه سوى من خلالها أو لرجل تنطبق عليه مواصفات بدنية محددة كالتالي : أن يصل طوله إلى ستة أقدام تقريباً ، ويزن مائة وخمسة وسبعين رطلاً إلى مائة وخمسة وثمانين رطلاً ، أزرق العينين ، بنى الشعر ، في الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين من العمر . هذه المواصفات تنطبق عليك يا سيدى " .

أخذ لايكوك ينظر إلى الشاشة ثم تساءل : " ما هى آخر أربعة أرقام في رقم الضمان الاجتماعى الخاص بك ؟ "

" ٨٥٨٥ " .

" حسناً . لقد تم الدخول إلى الحساب . والآن ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك " .

" أريد أن أجرى تحويلاً نقدياً من أحد بنوك جراند كايمان " .

ظهرت الجدية على وجه لايكوك . أخرج قلم رصاص من جيبه ثم تساءل : " أى بنك فى جراند كايمان ؟ "

" بنك رويال مونتريال " .

" ما نوع الحساب ؟ " .

" إنه حساب رقمى " .

" أفترض أن لديك رقم الحساب ؟ "

" ٢١٢٢ دى إف إتش ٤٩٩ " .

كتب لايكوك الرقم ووقف قائلاً : " سأعود بعد لحظة واحدة " . ثم غادر الحجرة .

مرت عشر دقائق . نقر ميتش فوق قدمه المصابة ونظر إلى شاشات الكمبيوتر خلف المكتب .

عاد لايكوك ومعه رئيسه ، السيد نوكس ، نائب رئيس البنك والمسئول عن قطاع ما . قدم نوكس نفسه إلى ميتش وهو يجلس خلف المكتب . بدت العصبية واضحة على كلا الرجلين . وكانا ينظران إلى ميتش جيداً .

تولى نوكس دفة الحديث . كان يمسك مستنداً مطبوعاً فى يده . قال : " سيدى ، هذا الحساب سرى . لابد أن يكون لديك بعض المعلومات المحددة قبل البدء فى عملية التحويل النقدى " .

أومأ ميتش برأسه فى ثقة .

" هل تعلم التواريخ وكميات المبالغ التى أودعت خلال الإيداعات الثلاثة الأخيرة يا سيدى ؟ " ، أخذا يرقبانه باهتمام ، وهما يعلمان أنه سيفشل .

ومرة أخرى ، جاءت المعلومات من الذاكرة . وبدون مستندات . قال ميتش : " الثالث من فبراير لهذا العام ، ستة ملايين ونصف . الرابع عشر من ديسمبر ، العام الماضى ، تسعة ملايين ومائتى ألف . والثامن من أكتوبر ، العام الماضى ، أحد عشر مليون دولار " .

تطلع لايكوك ونوكس إلى المستند المطبوع . ارتسمت على وجه نوكس ابتسامة صغيرة مصطنعة وقال : " حسناً . وصلنا إلى مرحلة الرقم السرى " .

وقف لايكوك مستعداً وفى يده قلم رصاص .

تساءل نوكس : " ما هو الرقم السرى الخاص بك يا سيدى ؟ "

ابتسم ميتش ووضع إحدى ساقيه المصابة فوق الأخرى وقال : " ٧٢٠٨٣ " .

" ما هى مواصفات التحويل النقدى ؟ "

" سيتم تحويل عشرة ملايين دولار إلى هذا البنك ، فى الحساب رقم ٢١٤ ـ ٣١ ـ ٣٥ . وسوف أنتظر عملية التحويل " .

" ليس من الضرورى أن تنتظر يا سيدى " .

" سوف أنتظر . عندما تنتهى عملية التحويل ، سيكون هناك أعمال أخرى أريدها منكما " .

" سيستغرق الأمر دقيقة واحدة . هل تريد قدحاً من القهوة ؟ "

" كلا . شكراً لك . هل لديكم إحدى الصحف اليومية ؟ "

قال لايكوك : " بالتأكيد . ستجدها فوق الطاولة هناك " .

خرج الرجلان من الغرفة ، وبدأت دقات قلب ميتش تعود إلى حالتها الطبيعية . فتح جريدة ناشفيل تنيسيان وفحص ثلاثة أقسام قبل أن يقرأ خبراً قصيراً عن حدوث حالة هروب من سجن مقاطعة براشى ماونتين . بدون صورة . مجرد تفاصيل بسيطة . إن راى وآبى فى أمان

فى فندق هوليداى إن على طريق ميراكل ستريب بمدينة بنما سيتى ، بولاية فلوريدا .

لم يتبع آثارهما أحد ، حتى الآن . هكذا يظن أو يتمنى .

عاد لايكوك بمفرده . صار يتصرف بطريقة أكثر ودية . كأنه صديق حميم . قال : " لقد تمت عملية التحويل . وصلت الأموال إلى هنا . والآن ماذا يمكن أن أفعل من أجلك ؟ "

" أريد تحويلٍ الأموال إلى الخارج . معظمها ، على أية حال " .

" كم تحويلا نقدياً سنقوم به ؟ "

" ثلاثة " .

" أعطنى تفاصيل التحويل الأول " .

" مليون دولار إلى بنك كوست ناشونال فى مدينة بينسيكولا ، إلى حساب رقمى ، لا يمكن الولوج إليه سوٍى بواسطة شخص واحد ، امرأة بيضاء ، فى الخمسين من العمر تقريبا . سوف أعطيها الرقم السرى الخاص بالحسابِ " .

" هل هذا الحساب موجود بالفعل ؟ "

" كلا . أريدك أن تقوم بفتحه مع التحويل النقدى " .

" حسناً . والتحويل الثانى ؟ "

" مليون دولار إلى بنك دان كاونتى فى مدينة دانسبورو ، كينتاكى ، إلى أى حساب باسم هارولد سازرلاند أو ماكسين سازرلاند ، أو أى حساب مشترك لهما . إنه بنك صغير ، ولكن هناك مراسلات كتابية بينهِ وبين بنك يونايتد كينتاكى فى لويسفيل " .

" حسناً . والتحويل الثالث ؟ "

" سبعة ملايين إلى بنك دويتش بانك فى زيورخ . إلى حساب رقم ٦٠٠ ـ ب ـ ل ٠٣ ـ ٧٧٢ . أما بقية المال فسوف يبقى بالحساب الرقمى فى هذا البنك " .

قال لايكوك وهو يكتب التفاصيل : " سوف يستغرق ذلك ساعة يا سيدى " .

" سوف أتصل بك خلال ساعة للتأكيد " .

" اتفقنا " .

" شكراً لك يا سيد لايكوك " .

كانت كل خطوة يخطوها تمتلئ بالألم ، لكنه لم يكن يحس بذلك الألم . كان يتحرك بسرعة معقولة إلى أسفل السلالم المتحركة ثم إلى خارج المبنى .

فى الطابق الأخير من بنك رويال مونتريال ، فرع جراند كايمان ، وضعت سكرتيرة من قسم التحويلات النقدية مستنداً مطبوعاً على سطح مكتب راندولف أوسجود . وأسفل أنفه المدبب تماماً . كانت السكرتيرة قد وضعت دائرة حمراء حول تحويل نقدى غير معتاد بمبلغ عشرة ملايين دولار . كان التحويل غير معتاد لأن الأموال فى هذا الحساب لم تكن تعود إلى الولايات المتحدة قبل ذلك ، ولأن الأموال قد أُرسِلت إلى بنك لم يتعاملوا معه سابقاً . درس أوسجود المستند جيداً ثم اتصل بممفيس . أخبرته السكرتيرة أن السيد تولار فى إجازة مرضية . سأل عن ناثان لوك . قالت السكرتيرة إنه خارج المدينة . ماذا عن فيكتور ميليجان ؟ قالت إنه غير موجود أيضاً .

وضع أوسجود المستند المطبوع فى كومة من الأوراق التى سوف يتعاملون معها فى اليوم التالى .

على طول ساحل ايميرالد كوست الذى يمتد بين فلوريدا والاباما ، من أطراف مدينة موبيل شرقا خلال بينسيكولا ، شاطئ فورت والتون ، داستين ، وبنما سيتى ، مرت ليلة الربيع الدافئة فى هدوء

وسكينة . لم تُرتَكَب سوى جريمة عنف واحدة على طول الساحل . تعرضت امرأة شابة للسرقة والضرب والاغتصاب في غرفتها بفندق هيلتون برديدو بيتش . وكان خطيبها ، وهو رجل طويل أشقر الشعر ذو ملامح اسكندينافية مميزة ، قد عثر عليها مقيدة مكممة الفم داخل غرفتها . كان خطيبها يدعى ريمير ، أرون ريمير ، ويعيش في مدينة ممفيس .

أما الإثارة الحقيقية في هذه الليلة فكانت عملية بحث مكثفة في أرجاء منطقة موبيل عن القاتل الهارب ، راى ماكدير . كان راى قد شوهد بالقرب من محطة الحافلات في بداية المساء . كانت صورته منشورة بالصفحات الأمامية من صحف الصباح ، وقبل العاشرة ، تقدم ثلاثة من الشهود وأبلغوا عن رؤيتهم له . كانت تحركاته قد رُصِدَت على طول خليج موبيل باى حتى مدينة فولى ، ثم ألاباما ، ومنها إلى مدينة جالف شورز .

ولأن فندق هيلتون يبعد عشر دقائق فقط عن جالف شورز على امتداد الطريق السريع رقم ١٨٢ ، ولأن القاتل الهارب الوحيد كان بالمنطقة عندما وقعت جريمة العنف الوحيدة ، فقد توصل الجميع إلى استنتاج سريع ونهائي بأنه هو المسئول عن الجريمة . وقد قام موظف الاستقبال للفترة المسائية بالفندق بالتعرف على راى ماكدير ، وأظهرت السجلات أنه قد وصل إلى الفندق في حوالى التاسعة والنصف تحت اسم لى ستيفنس . وأنه قد دفع تكاليف الإقامة نقداً . ووصلت الضحية إلى الفندق لاحقاً وتعرضت للهجوم . وقد قامت الضحية بالتعرف على السيد راى ماكدير على أنه مرتكب الجريمة .

وقد تذكر موظف الاستقبال أن الضحية قد سألت عن سيدة تدعى راتشيل جيمس ، التى نزلت بالفندقٍ قبل خمس دقائق من وصول الضحية ودفعت مصاريف الإقامة نقداً . اختفت راتشيل جيمس في

وقت ما تلك الليلة دون أن تُكَلِف نفسها عناء تسجيل الخروج من الفندق . تماماً كما فعل راى ماكدير ، المعروف باسم لى ستيفنس . وقد تعرف مسئول ساحة الانتظار بالفندق على راى ماكدير وقال إنه قد استقل سيارة كتلاس بيضاء بصحبة امرأة فى وقت بين منتصف الليل والساعة الواحدة صباحاً . قال إن المرأة كانت تقود السيارة وبدا عليها التعجل . وقال إنهما قد توجها شرقاً على الطريق السريع رقم ١٨٢ .

من غرفته بالطابق السادس لفندق هيلتون ، أجرى آرون ريمير اتصالا بمأمور مقاطعة بالدوين وأخبره ، دون أن يذكر اسمه ، أن يتفقد مراكز تأجير السيارات فى مدينة موبيل . طلب منه أن يتحرى عن آبى ماكدير . وأخبره أنها من كانت تقود السيارة الكتلاس البيضاء .

من مدينة موبيل وحتى ميامى ، بدأ البحث عن سيارة كتلاس بيضاء استؤجرت بواسطة امرأة تدعى آبى ماكدير . وقد وعد محققو الشرطة بأن يبلغوا خطيب الضحية ، آرون ريمير ، بكل المستجدات .

سوف ينتظر السيد ريمير فى فندق هيلتون . وقد تشارك فى غرفة مزدوجة مع تونى فيكلر . وفى الغرفة المجاورة كان هناك رئيسه ، ديفاشر . أما الطابق السابع فكان يمتلئ بأربعة عشر رجلاً من أصدقائه ، الذين جلسوا فى غرفهم وانتظروا .

تطلب الأمر سبع عشرة رحلة بين الشقة والشاحنة التى استأجرها ميتش ، ولكن عند الظهيرة كانت مستندات بنديني جاهزة للشحن . أراح ميتش ساقيه المتورمتين . جلس فوق الأريكة وكتب بعض التعليمات إلى تامى . كتب لها تفصيلا لما جرى بالبنك وأخبرها أن تنتظر أسبوعاً قبل أن تتصل بوالدته . سوف تصبح مليونيرة عما قريب .

وضع الهاتف فى حجره وأعد نفسه لمهمة غير محببة . اتصل ببنك دان كاونتى وطلب أن يتحدث رولد سازرلاند . قال إنها حالة طارئة .

أجاب صهره على الهاتف بغضب : " مرحباً " .

" سيد سازرلاند ، أنا ميتش . هل — " .

" أين ابنتى . هل هى بخير ؟ "

" نعم . إنها بخير . إنها معى . سوف نسافر خارج البلاد لعدة أيام . ربما أسابيع . أو ربما شهور " .

أجاب الرجل ببطء : " فهمت . وإلى أين ستسافرون ؟ "

" لست متأكداً . سوف نتنقل بين عدة أماكن لفترة ما " .

" هل هناك مشكلة يا ميتش ؟ "

" نعم يا سيدى . هناك مشكلة كبيرة للغاية ، لكن لا يمكن أن أشرح لك الآن . ربما فى يوم من الأيام . راقب الصحف جيداً . سوف ترى قصة مهمة للغاية تحدث فى ممفيس خلال أسبوعين " .

" هل أنت فى خطر ؟ "

" نوعاً ما . هل وصلكم تحويل نقدى غير عادى هذا الصباح ؟ "

" فى الواقع لقد حدث ذلك بالفعل . لقد ألقى أحدهم مليون دولار فى حسابنا فى البنك منذ ساعة تقريباً " .

" لقد كان ذلك الشخص هو أنا ، وهذا المال من أجلكما " .

ساد الصمت لفترة طويلة . قال هارولد : " أظن أننى أستحق تفسيراً يا ميتش " .

" نعم يا سيدى . لكن لا أستطيع أن أعطيك تفسيراً . إذا نجحنا فى الخروج من البلاد بأمان ، سوف يتم إبلاغكما خلال أسبوع أو عشرة أيام . استمتعا بإنفاق المال . يجب أن أذهب الآن " .

انتظر ميتش لدقيقة ثم اتصل بالغرفة رقم ١٠٢٨ بفندق هوليداى إن ، بمدينة بنما سيتي .

" مرحباً " . كانت آبى من أجاب .

" مرحبا يا حبيبتي . كيف حالك ؟ "

" بأسوأ حال يا ميتش . إن صورة راى فوق غلاف كل جريدة هنا . في البداية كان ذلك بسبب الهروب من السجن وأن أحد الأشخاص قد رآه في موبيل . الآن تقول الأخبار بالتلفاز إنه المشتبه به الرئيسى فى قضية اغتصاب حدثت ليلة الأمس " .

" ماذا ! أين ! " .

" في فندق هيلتون برديدو . لقد أمسك راى بالشقراء التى تبعتنى إلى الفندق . لقد هجم عليها فى غرفتها وقام بتقييدها . لكن دون أن يمسها . أخذ أموالها ومسدسها ، والآن هى تدعى أنها قد ضُربت واغتُصبت بواسطة راى ماكدير . إن كل شرطى فى فلوريدا يبحث عن السيارة التى استأجرتها فى مدينة موبيل " .

" أين السيارة الآن ؟ "

" لقد تركناها على مسافة ميل إلى الغرب من هنا ، بجوار مشروع بناء وحدات سكنية . أنا خائفة يا ميتش " .

" أين راى ؟ "

" إنه يرقد على الشاطئ محاولاً أن يكسب وجهه بعض السمرة . إن الصورة المنشورة بالصحف صورة قديمة . يبدو فيها طويل الشعر وشاحب الوجه . إنها ليست صورة واضحة المعالم . الآن شعره قصير للغاية ويحاول أن يكسب ملامحه بعض السمرة . أظن أن ذلك سيفيد فى تخفينا " .

" هل الغرفتان محجوزتان باسمك ؟ "

" رغم ، راتشيل جيمس " .

" أنصتى إلىّ يا آبى . انسى راتشيل ولى وراى وآبى . انتظرا حتى يسود الظلام تقريبا ، ثم اتركا الفندق . فقط ابتعدا عنه . على بعد نصف ميل إلى الشرق يوجد فندق صغير يسمى بلو تيد . قوما بتمشية قصيرة على الشاطئ حتى تعثرا عليه . اذهبى إلى مكتب التسجيل واحجزى غرفتين متجاورتين . ادفعى المصاريف نقداً . أخبريهم أن اسمك هو جاكى ناجيل . هل سمعت الاسم جيداً ؟ جاكى ناجيل . استخدمى هذا الاسم ، لأننى عندما أصل إلى هناك سوف اسأل عن جاكى ناجيل " .

" ماذا إذا لم يكن لديهم غرفتان متجاورتان ؟ "

" إذا حدث أى خطأ ، على بعد مبنيين يوجد فندق حقير آخر يسمى سيسايد . احجزا غرفتين بذلك الفندق . تحت نفس الاسم . سوف أغادر الشقة الآن ، لنقل فى الساعة الواحدة ، وسوف أصل إليكما خلال عشر ساعات " .

" ماذا لو وجدوا السيارة ؟ "

" سوف يعثرون عليها ، وسوف ينتشر رجال الشرطة ورجال المافيا فى مدينة بنما سيتى مثل البعوض . يجب أن تلتزما الحرص والحذر . بعد الظلام ، حاولى التسلل إلى إحدى الصيدليات واشترى صبغة شعر . قومى بقص شعرك بشكل قصير للغاية واصبغيه باللون الأشقر " .

" أشقر ! "

" أو أحمر . أنا لا أهتم بأى لون . فقط قومى بتغيير لونه . اطلبى من راى ألا يغادر غرفته . لا تتركا أى شيء للظروف " .

" إن لديه مسدساً يا ميتش " .

" أخبريه أننى طلبت عدم استخدام المسدس . سيكون هناك ألف شرطى حول المكان ، غالباً الليلة . لا يمكنه أن يفوز فى صراع مسلح " .

" أحبك يا ميتش . أنا خائفة للغاية " .

" من الطبيعي أن تشعرى بالخوف يا عزيزتي . فقط استمرى بالتفكير . إنهم لا يعلمون مكانكما ، ولا يمكنهم أن يمسكوا بكما إذا تحركتما بعيدا . سأكون هناك عند منتصف الليل " .

جلس كل من لامار كوين ، ووالى هودسون وكنديل ماهان في غرفة الاجتماعات بالطابق الثالث وأخذوا يفكرون في حركتهم القادمة . ولأنهم من المحامين القدامى ، فقد كانوا يعلمون كل شيء عن الطابق الخامس والقبو ، عن السيد لازاروف والسيد مورولتو ، وعن ما حدث لهودج وكوزنسكي . كانوا يعلمون أنه عندما ينضم شخص ما إلى الشركة ، فإنه لا يغادرها أبدا .

أخذ كل منهم يحكي حكايته مع ذلك اليوم . أخذوا يقارنون ذلك اليوم باليوم الحزين الذى علموا فيه وهم أطفال أن بابا نويل شخصية خرافية . كم كان يوماً حزيناً ومخيفاً ، عندما تحدث إليهم ناثان لوك في غرفة مكتبه وأخبرهم عن أكبر عميل للشركة . وعندها عرفهم بديفاشر . لقد كانوا موظفين لدى عائلة مورولتو ، وينتظر منهم أن يعملوا بمنتهى الجدية ، وأن ينفقوا رواتبهم السخية وأن يغلقوا أفواههم بشأن كل ما يجرى . وقد فعل ثلاثتهم ذلك . كانت هناك أفكار عن مغادرة الشركة ، لكنها لم تكن أبداً خططاً جدية . لقد كانوا أصحاب عائلات . ومع الوقت ، تناسوا الأمر . لقد كان هناك الكثير من العملاء الشرفاء والملتزمين بالقانون لكي يعملوا من أجلهم . كان هناك الكثير من العمل القانوني الشاق .

كان الشركاء يتولون معظم الأعمال القذرة ، لكن الأقدمية في العمل جلبت معها مزيدا من التورط في المؤامرة . طمأنهم الشركاء إلى استحالة القبض عليهم . لقد كانوا أذكياء للغاية . وكان لديهم الكثير من

الأموال . إن العملية مُحكَمَة التغطية . كان أحد الموضوعات التى تركزت حولها المناقشة هي حقيقة أن الشركاء قد فروا من المدينة . لم يكن هناك أى شريك في ممفيس . حتى آفرى تولار قد اختفى . لقد غادر المستشفى فجأة .

تحدثوا عن ميتش . لقد كان بالخارج فى مكان ما ، خائف ويفر بحياته . لو أن ديفاشر أمسكه ، فهو ميت لا محالة وسوف يقومون بدفنه مثل هودج وكوزنسكى . لكن إن أمسك به رجال المباحث الفيدرالية ، فسوف يحصلون على السجلات ، وسوف يتمكنون من النيل من الشركة ، وهذا بالطبع يشمل ثلاثتهم .

أخذوا يخمنون ، ماذا لو لم يقبض عليه أحد ؟ ماذا إن تمكن من الهرب واختفى تماماً ؟ ومعه المستندات بالطبع . ماذا لو أنه هو وزوجته آبى فى مكان ما على أحد الشواطئ الآن ، يشربون العصائر المنعشة ويحسبون أموالهم ؟ أعجبتهم هذه الفكرة وأخذوا يتحدثون عنها لبعض الوقت .

أخيراً ، قرروا أن ينتظروا حتى الغد . لو أن ميتش قد لقى مصرعه فى مكان ما ، سوف يبقون فى ممفيس . ولو لم يصبح له أى أثر ، فسوف يبقون في ممفيس . ولو أمسكت به المباحث الفيدرالية ، فسوف يفرون من المدينة .

وكأن أمنياتهم تقول : اهرب يا ميتش ، اهرب !

كانت الغرف في فندق بلو تيد ضيقة ومهملة . كان عمر السجادة لا يقل عن عشرين عامًا وكانت ممزقة للغاية . كانت ملاءات السرير تمتلئ بآثار حرق السجائر . لكن الفخامة لم تكن تمثل أهمية فى ذلك الوقت .

بعد أن أظلمت سماء ليلة الخميس ، وقف راى خلف آبى ممسكاً مقصاً وأخذ يقص الشعر بدقة حول أذنيها . كان هناك منشفتان أسفل

الكرسى غطاهما شعرها الأسود المتساقط . أخذت تشاهده باهتمام عبر المرآة المعلقة إلى جانب التلفاز الملون عتيق الطراز وكانت تعطيه التعليمات من وقت لآخر . كانت تسريحة شعر صبيانية ، وتم قص شعر الجانبين ، وفوق الأذنين ، بشكل جيد . تراجع راى إلى الخلف وأخذ ينظر إلى عمله بإعجاب .

قال : " ليس سيئا " .

ابتسمت آبى وأزالت الشعر المتساقط فوق ذراعيها . قالت بحزن : " أظن أن علىَّ أن أغير لونه الآن " . سارت إلى الحمام الصغير وأغلقت الباب .

خرجت من الحمام بعد ساعة وقد صارت شقراء . أصبح شعرها أشقر مائلاً للصفرة . كان راى نائماً فوق غطاء السرير . جلست فوق السجادة القذرة وأخذت تجمع الشعر فى مجرفة .

التقطت الشعر من الأرض وملأت به كيساً بلاستيكياً مخصصاً للقمامة . ألقت زجاجة الصبغة الفارغة ومشط التلوين مع الشعر ، ثم قامت بربط الكيس . فى تلك اللحظة طرق أحدهم الباب .

تجمدت آبى فى مكانها وأنصتت . كانت الستائر مغلقة تماماً . لكزت راى فى قدمه . طرق الباب مرة أخرى . قفز راى من السرير والتقط المسدس .

" من بالخارج ؟ " همست آبى بصوت مرتفع عند النافذة .

همس أحدهم بصوت خفيض : " سام فورتشون " .

فتح راى الباب وقفز ميتش إلى الداخل . جذب آبى إليه واحتضن راى بقوة . أغلق الباب بإحكام ، وأطفئت الأنوار ، وجلس ثلاثتهم فوق الفراش وفى قلب الظلام . احتضن ميتش آبى بقوة . كان لديهم الكثير ليقولوه ، لكن لم ينطق ثلاثتهم بشيء .

مر شعاع ضئيل من النور ، قادماً من الخارج ، أسفل ستائر النافذة ، وبينما مرت الدقائق ، بدأ الشعاع يضيء منضدة الزينة والتلفاز . لم يتحدث أحد . لم يكن هناك أى صوت يصدر من فندق بلو تيد . كانت ساحة الانتظار خالية تماماً .

أخيراً قال راى : " أستطيع تقريباً أن أفهم سبب وجودى هنا ، ولكنى غير متأكد من سبب وجودك أنت هنا " .

قال ميتش : " يجب أن ننسى لماذا نحن هنا ، ونركز على كيفية مغادرة المكان . كلنا معاً . وفى أمان " .

قال راى : " لقد أخبرتنى آبى بكل شىء " .

قالت آبى : " أنا لا أعرف كل شىء . أنا لا أعرف من يطاردننا الآن " .

قال ميتش : " أنا أفترض أنهم جميعاً بالخارج . ديفاشر وعصابته موجودون فى مكان قريب . أخمن أنهم فى بينساكولا . إن بها أقرب مطار فى المنطقة . أما تارانس ، فهو فى مكان ما على طول الساحل يقود رجاله خلال بحثهم المكثف عن راى ماكدير ، المغتصب . وشريكته ، آبى ماكدير " .

تساءلت آبى : " ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ "

" سوف يعثرون على السيارة ، إذا لم يكونوا قد عثروا عليها بالفعل . سوف يشير ذلك إلى مدينة بنما سيتى . قالت الصحيفة إن البحث يمتد من موبيل إلى ميامى ، ولذلك فهم منتشرون بالخارج . عندما يجدون السيارة ، سوف ينقضون على هذه المنطقة . والآن ، هناك ألف فندق رخيص مثل هذا على طول طريق ميراكل ستريب . لمسافة اثنى عشر ميلاً ، لا يوجد غير الفنادق الرخيصة ، والاستراحات ومتاجر القمصان القطنية . هذا يعنى أنه سيكون هناك الكثير من الناس ، الكثير من السائحين ممن يرتدون السراويل القصيرة والأحذية

الخفيفة ، وغداً سوف نتحول إلى سائحين أيضاً ، نرتدى السراويل القصيرة والأحذية الخفيفة وبقية الملحقات . أظن حتى إن كان لديهم مائة رجل يطاردوننا ، فلا يزال أمامنا يومان أو ثلاثة أيام " .

تساءلت آبى : " عندما يقررون أننا هنا ، ماذا سيحدث ؟ "

" قد يظنون أنكِ وراى قد تخلصتما من السيارة ببساطة واستقللتما سيارة أخرى . لا يمكنهم أن يتأكدوا أنكما على طريق ميراكل ستريب ، لكنهم سيبدأون بالبحث هنا . لكننا لا نعيش تحت الأحكام العرفية . لا يمكنهم أن يحطموا الأبواب ويقتحموا الفنادق للتفتيش دون سبب مقنع " .

قال راى : " ديفاشر يستطيع ذلك " .

" نعم ، لكن هناك مليون باب فى هذه المنطقة . سوف يقيمون حواجز على الطرق ويراقبون كل المتاجر والمطاعم . سوف يتحدثون إلى موظفى الاستقبال بكل فندق ، ويعرضون أمامهم صورة راى . سوف ينتشرون كالنمل لعدة أيام قليلة ، وبقليل من الحظ ، لن يعثروا علينا " .

تساءل راى : " ما نوع السيارة التى تقودها يا ميتش ؟ "

" شاحنة صغيرة " .

" لا أفهم لماذا لا نركب الشاحنة ، هذه اللحظة ، ونفر من هنا . أقصد أن السيارة قابعة على الطريق على بعد ميل من هنا ، تنتظر أن يعثروا عليها ، ونحن نعرف أنهم سيأتون إلى هنا . أرى أن نفر بسرعة من هذا المكان " .

" أنصت إلىَّ يا راى . ربما يقومون الآن بوضع حواجز على الطرق . ثق بى . ألم أخرجك من السجن ؟ بربك يا راى " .

انطلقت صفارةٍ سيارة شرطة بصوت صارخ فوق الطريق . تجمدوا جميعاً فى أماكنهم ، وأنصتوا حتى تلاشى الصوت .

قال ميتش : " حسناً يا رفاق . سوف نخرج من هنا . لا يعجبني هذا المكان . إن ساحة الانتظار خالية وقريبة من الطريق السريع . لقد أوقفت الشاحنة على بعد ثلاثة مبان ، عند فندق سيجول ريست الأنيق . لقد حجزت لنا حجرتين رائعتين هناك . إن الصراصير أصغر حجماً من التى تعيش هنا . سوف نتمشى فى هدوء على الشاطئ . بعدها سنقوم بإفراغ الشاحنة . ألا يبدو ذلك مثيرا ؟ "

٣٧

. . . .

هبطت الطائرة الخاصة التى تقل جوى مورولتو وقواته الخاصة فى مطار بينساكولا قبل شروق شمس الجمعة . كان لازاروف ينتظر ومعه سيارتا ليموزين وثمانى شاحنات مستأجرة . قدم تقريراً مختصراً إلى جوى عما حدث خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية بينما تحرك الموكب من مطار بينساكولا متجهاً إلى الشرق على الطريق السريع رقم ٩٨ . بعد ساعة من السرد الموجز لوقائع اليوم ، وصل الموكب إلى فندق مكون من اثنى عشر طابقاً يسمى ساندبيبر ، فى وسط طريق ميراكل ستريب الساحلى ، بالقرب من داستين . على بعد ساعة من مدينة بنما سيتى الساحلية . كان لازاروف قد استأجر الجناح العلوى بالطابق الأخير مقابل أربعة آلاف دولار فى الأسبوع فقط . أسعار ما قبل الموسم السياحى . أما بقية الطابق الثانى عشر وكل الطابق الحادى عشر فتم استئجارها من أجل رجال المافيا .

أخذ السيد مورولتو يلقى الأوامر يميناً ويساراً فى غضب كأنه رقيب فى وحدة تدريب عسكرية . تم إنشاء مركز لقيادة العمليات فى غرفة المعيشة بالجناح العلوى ، والتى تطل على المياه الفيروزية الهادئة . لم يكن هناك ما يعجب السيد مورولتو . كان يريد الإفطار ، ولذلك أرسل لازاروف شاحنتين محملتين بالرجال لإحضار الطعام من متجر

ديلشامبس الفاخر القريب من الفندق . كان يريد ماكدير ، وقد طلب منه لازاروف أن يكون صبوراً .

عندما أشرق ضوء النهار ، كانت القوات قد استقرت داخل الغرف ، وانتظرت صدور الأوامر .

على مسافة ثلاثة أميال على طول الشاطئ ، وعلى مرمى البصر من فندق ساندبيبر ، جلس دينتون فويلس وتارانس في شرفة إحدى الغرف بالطابق الثامن من فندق هيلتون سانديستين . كانا يشربان القهوة ، ويشاهدان شروق الشمس خلف الأفق ويتحدثان عن استراتيجية العمل . لم تكن الليلة قد سارت بخير . لم يعثروا على السيارة . وليس هناك أثر لميتش . ولأن لديهم قوة قوامها ستون عميل مباحث ومئات من عناصر الشرطة المحلية يفتشون الساحل بالكامل ، كان يجب أن يعثروا على السيارة على الأقل . ومع كل ساعة تمضى ، تصير عائلة ماكدير أبعد وأبعد .

فى ملف فوق طاولة القهوة بالداخل كان هناك مذكرات توقيف . بالنسبة إلى راى ماكدير ، كانت المذكرة تقول : الهروب من السجن ، السفر بشكل غير قانوني ، السرقة بالإكراه والاغتصاب . كانت جريمة آبى مجرد كونها شريكة راى . أما التهمة الموجهة إلى ميتش فتطلبت مزيداً من الإبداع ، إعاقة العدالة وتهمة ابتزاز غير واضحة المعالم . إلى جانب الجريمة التقليدية المعتادة ، الاحتيال البريدى . لم يكن تارانس واثقاً كيف تنطبق جريمة الاحتيال البريدى على قضية ميتش ، ولكن أثناء عمله فى المباحث الفيدرالية لم ير قضية واحدة لا تشتمل على ممارسة الاحتيال البريدى .

تم إصدار المذكرات وصارت جاهزة للتنفيذ وتمت مناقشتها مع العشرات من مراسلى الصحف ومقدمى الإخبار بالمحطات التلفزيونية خلال منطقة جنوب شرق البلاد . ولأنه قد تدرب على المحافظة على

ملامح جدية والتعامل مع الصحفيين باشمئزاز ، فقد كان تارانس يستمتع بالوقت الذى يمضيه مع مراسلى الصحف .

كانت الدعاية أمراً يحتاجون إليه ، بل إنها كانت أمرا ضرورياً . يجب على السلطات أن تعثر على آل ماكدير قبل رجال المافيا .

ركض ريك آكلين عبر الغرفة حتى وصل إلى الشرفة قائلاً : " لقد عثروا على السيارة " .

هب تارانس وفويلس من مقعدهما وقالا : " أين ؟ "

" مدينة بنما سيتى الساحلية . فى ساحة انتظار أحد المبانى المرتفعة " .

صرخ فويلس : " استدع كل رجالنا ، كل واحد منهم ! أوقف عمليات البحث فى أى مكان آخر . أريد كل عملاء المباحث فى مدينة بنما سيتى . سوف نقلب المكان رأساً على عقب . اتصل بكل عناصر الشرطة المحلية المتاحة . أخبرهم أن يقيموا حواجز على كل الطرق السريعة وكل الممرات الترابية المؤدية إلى داخل أو خارج المكان . ارفعوا البصمات عن السيارة . كيف تبدو مدينة بنما سيتى ؟ "

أجاب آكلين : " شبيهة بمدينة داستين . طريق يمتد لمسافة اثنى عشر ميلاً على طول الشاطئ وتنتشر به الفنادق الفخمة والرخيصة ، والاستراحات ، وبقية معالم المدن السياحية " .

قال فويلس : " ليبدأ رجالنا فى البحث من فندق إلى فندق . هل الصورة المركّبة لآبى ماكدير جاهزة ؟ "

" من المفترض أن تكون جاهزة الآن " .

" ضعوا صورتها المركّبة ، وصورة ميتش ، وصورة راى الفوتوغرافية فى يد كل عميل مباحث ورجل شرطة . أريد أن ينطلق كل رجالنا على طول الطريق الساحلى وعرضه يلوحون بهذه الصور " .

" نعم يا سيدى " .

" كم تبعد مدينة بنما سيتى ؟ "
" حوالى خمسين دقيقة بالسيارة تجاه الشرق " .
" أحضر سيارتى " .

أيقظ رنين الهاتف آرون ريمير في غرفته بفندق هيلتون برديدو . كان المتصل هو المحقق التابع لإدارة شرطة مقاطعة بالدوين . وقال المحقق إنهم قد وجدوا السيارة يا سيد ريمير ، في شاطئ بنما سيتى . منذ عدة دقائق مضت . على بعد ميل من فندق هوليداى إن . على الطريق السريع رقم ٩٨ . قال المحقق إنه آسف بشأن ما حدث للفتاه ، ويتمنى أن تتحسن حالتها .

شكره ريمير ، واتصل على الفور بغرفة لازاروف فى فندق سانديبير . بعد عشر دقائق ، انطلق ريمير بصحبة رفيق غرفته تونى البلدوزر ، ومعهم ديفاشر وأربعة عشر رجلاً آخر بأقصى سرعة إلى الشرق . كانت مدينة بنما سيتى على بعد ثلاث ساعات .

وفي داستين ، قام لازاروف بتعبئة القوات الخاصة . تحركوا سريعاً إلى الخارج ، وتكدسوا داخل الشاحنات ثم اتجهوا إلى الشرق . لقد بدأ الهجوم الكاسح .

لقد تطلب الأمر بضع دقائق حتى تصبح الشاحنة التى استأجرها ميتش موضع تركيز واهتمام . كان مساعد مدير شركة تأجير الشاحنات في ناشفيل رجلا يدعى بيلى ويفر . قام بفتح المكتب فى الصباح الباكر من يوم الجمعة ، وأعد لنفسه قدحاً من القهوة وأخذ يفحص جريدة الصباح فى النصف السفلى من الصفحة الأمامية للجريدة ، قرأ بيلى باهتمام القصة التى تتعلق بهروب راى ماكدير والبحث عنه على طول

الساحل . بعدها ذُكِرَت آبى . ثم ذُكِر شقيق المتهم الهارب ويدعى ميتش ماكدير . بدا الاسم مألوفاً .

فتح بيلى أحد أدراج مكتبه وأخذ يقلب فى سجلات التأجير الخارجية . كان متأكداً أن شخصاً يدعى ماكدير قد قام بتأجير شاحنة ماركة يوهول فى وقت متأخر من مساء الأربعاء . م . ماكدير ، هكذا ترك الرجل توقيعه ، لكن رخصة قيادته تقول إن اسمه ميتشل ماكدير من مدينة ممفيس .

ولأنه مواطن صالح وأحد دافعى الضرائب المخلصين ، اتصل بيلى بقريب له يعمل شرطياً فى إدارة شرطة متروبوليس . اتصل قريبه بمكتب المباحث الفيدرالية فى ناشفيل ، وبعد خمس عشرة دقيقة ، أصبحت الشاحنة بؤرة الاهتمام .

تلقى تارانس الاتصال عبر جهاز لاسلكى بينما كان آكلين يقود السيارة . أما فويلس فكان يجلس فى المقعد الخلفى . شاحنة ؟ لماذا يحتاج ميتش إلى شاحنة ؟ لقد غادر ممفيس بدون سيارته ، أو ملابسه أو حذائه ، أو حتى فرشة أسنانه . لقد ترك كلبه دون أن يضع له الطعام . لم يأخذ أى شيء معه ، فلماذا الشاحنة إذن ؟

من أجل سجلات بنديني بالطبع . إما أنه قد غادر ناشفيل حاملاً المستندات داخل الشاحنة أو أنه فى طريقه للحصول على المستندات . لكن لماذا ناشفيل ؟

استيقظ ميتش مع شروق الشمس . ألقى نظرة عاطفية طويلة على زوجته بشعرها الأشقر الجميل رغم قصره . لقد تركها لكى تنام . سار حول الصناديق الصغيرة المكدسة فى الغرفة الصغيرة ثم ذهب إلى الحمام . أخذ حماماً سريعاً وارتدى سترة رياضية رمادية اللون كان قد اشتراها من أحد متاجر وال ــ مارت فى مونتجمرى . تمشّى فوق

الشاطئ لمسافة نصف ميل حتى وجد متجر عاديات . اشترى كميات كبيرة من المياه الغازية ، والمعجنات ، وعبوات شرائح البطاطس المحمرة ، ونظارات شمسية ، وقبعات ، وثلاث صحف .

كان راى ينتظر بجانب الشاحنة عندما عاد ميتش . فردا الصحيفة فوق فراش راى . لقد كان الأمر أسوأ مما توقعوا . كانت الصحف في موبيلٍ ، بينساكولا ، ومونتجمري قد نشرت في صفحاتها الأمامية قصصا عنهم ووضعت صورا مركبة لراى وميتش إلى جانب صورة راى الفوتوغرافية القديمة . لم تفرج الشرطة عن صورة آبى المركّبة حتى الآن ، وذلك طبقاً لما نشرته جريدة بينساكولا .

أما فيما يتعلق بالصور المركبة ، فقد كانت تشبههم في بعض الملامح ولا تشبههم مطلقاً في ملامح أخرى . لكن كان من الصعب أن يكون رأيهما موضوعياً . لقد كان ميتش يحدق النظر إلى صورته المركبة ويحاول أن يعطى رأيا محايدا بشأن مدى دقة الشبه بينه وبين الصورة . كانت القصص مليئة بتصريحات عنيفة من العميل الخاص بمكتب التحقيقات الفيدرالية ، السيد واين تارانس . قال تارانس إن ميتشل ماكدير قد شوهد في المنطقة الواقعة بين جالف شورز وبينساكولا ؛ وأن ميتش وأخاه راى مسلحان وفي غاية الخطورة ؛ وأنهما مصران على ألا يقبض عليهما أحياء ؛ وأن هناك مكافأة مالية لمن يستدل عليهما ؛ وأن على أى شخص يرى من يشبه الإخوة ماكدير ولو شبهاً بسيطاً أن يتصل بالشرطة المحلية .

تناولا المعجنات وقررا أن الصورة التركيبية ليست قريبة الشبه إليهما . سارا إلى الغرفة المجاورة وأيقظا آبى . بدأوا في تفريغ مستندات بنديني وتجميع كاميرا الفيديو .

في التاسعة ، اتصل ميتش بتامي ، كانت مكالمة مدفوعة من الطرف الآخر . صارت الهويات الجديدة وجوازات السفر بحوزتها . أعطاها

" كلا بالطبع . لكنى سأجهز مسدسى تحسباً " .

" هل رأتهما زوجتك ؟ " .

" على حسب علمى ، كلا " .

" شكراً يا سيد اينسورث . لدينا أوامر أن نقيم نقطة مراقبة هنا فى الشارع ، لكننا لن نزعجك " .

" جيد . هذان الولدان مجنونان . لقد قلت ذلك دائماً " .

على مسافة ميل ، أوقف عميلان آخران سيارتهما إلى جانب مطعم وافل هات وأقاما نقطة مراقبة أخرى .

بحلول الظهيرة ، أغلقت كل الطرق السريعة وطرق المقاطعة التى تقود إلى الساحل حول مدينة بنما سيتى ووضعت بها حواجز الطرق . وعلى طول الطريق الساحلى ، أوقف رجال الشرطة حركة المرور كل أربعة أميال . تنقلوا بين متاجر القمصان ، وهم يوزعون الصور المركّبة . قاموا بلصق الصور فوق لوحة الإعلانات فى مطاعم بيتزا هات ، وتاكو بيل وعشرات من مطاعم الوجبات السريعة . طلبوا من موظفى الخزانات والنادلات أن يفتحوا أعينهم جيداً على الإخوة ماكدير . إنهما شخصان غاية فى الخطورة .

أقام لازاروف ورجاله فى فندق بيست ويسترن ، على مسافة ميلين غرب فندق سيجولس ريست . تم إرسال أربعة من رجاله إلى متجر لبيع القمصان القطنية ، وقد عادوا وهم يحملون كميات متنوعة من ملابس السائحين والقبعات الرياضية وتلك المصنوعة من القش . استأجر لازاروف سيارتين ماركة فورد وجهزهما بمعدات تتبع أجهزة الاتصال الخاصة بالشرطة . قامت السيارتان بعمل دوريات على طول الطريق الساحلى للتجسس على محادثات أفراد الشرطة التى لا تنتهى . على الفور التقطوا الاتصالات الخاصة بالبحث عن الشاحنة الـ (يوهول) ،

وانضمت السيارتان المجهزتان إلى عملية البحث . قام ديفاشر بنشر الشاحنات المستأجرة على طول الطريق الساحلى فى خطوة استراتيجية . كانت الشاحنات تقف فى هدوء داخل ساحة انتظار كبيرة وتنتظر الأوامر عبر أجهزة اللاسلكى .

فى حوالى الثانية ، تلقى لازاروف اتصالاً طارئاً من أحد رجال الأمن بالطابق الخامس من مبنى بنديني . كان هناك أمران . أولاً ، عثر أحد المخبرين ممن يتلصصون فى أرجاء جزر كايمان على صانع أقفال عجوز ، وقد قال الرجل ، بعد أن تمت رشوته ، إنه يتذكر قيامه بصنع أحد عشر مفتاحاً فى منتصف ليلة ١ أبريل . أحد عشر مفتاحاً فى سلسلتين . قال إن المرأة ، وهى أمريكية جذابة للغاية ، ذات شعر بنى وساقين جميلتين ، قد دفعت له المقابل نقداً وكانت فى عجلة من أمرها . قال صانع الأقفال إن المفاتيح كانت سهلة فى صنعها ، فيما عدا مفتاح السيارة المرسيدس . لم يكن متأكداً إذا كان ذلك المفتاح سيعمل أم لا . ثانياً ، اتصل أحد رجال البنوك من جراند كايمان . لقد تم إجراء تحويل نقدى فى تمام التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة صباحاً بمبلغ عشرة ملايين دولار من بنك رويال مونتريال إلى بنك ساوث ويسترن فى مدينة ناشفيل .

ما بين الرابعة والرابعة والنصف ، كانت أجهزة تعقب اتصالات رجال الشرطة تعمل بجنون . لم تنقطع الاتصالات اللاسلكية لدقيقة واحدة . كان أحد موظفى الاستقبال بفندق هوليداى إن قد تعرف على صورة آبى وقال إنها نفس المرأة التى حجزت غرفتين ودفعت نقداً فى الساعة ٤:١٧ فجر يوم الخميس . قال إنها دفعت مقابل ثلاث ليال ، ولكن لم يرها أحد منذ تنظيف الغرف فى الواحدة ظهر الخميس . من المؤكد أن كلتا الغرفتين لم يشغلهما أحد أو ينام بهما ليلة الخميس . لم

تسجل المرأة خروجها من الفندق ، وكان من المفروض أن تظل تشغل الغرفتين حتى ظهيرة يوم السبت . لم يـر الموظف أى أثر لرجل كان بصحبتها . امتلأ فندق هوليداى إن بعناصر من الشرطة والمباحث الفيدرالية إلى جانب رجال المافيا لمدة ساعة كاملة . وقد قام تارانس بنفسه باستجواب الموظف .

إنهم هناك ! فى مكان ما بمدينة بنما سيتى . لقد تأكد وجود راى وآبى . كان هناك شكوك أن ميتش بصحبتهما ، ولكن دون تأكيد . حتى الساعة ٥٨ : ٤ عصر يوم الجمعة .

مفاجأة مذهلة . دلف أحد رجال شرطة المقاطعة إلى داخل فندق رخيص ورأى غطاء شاحنة رمادية ذات خطوط بيضاء . سار بين مبنيين بالفندق وابتسم لمرأى تلك الشاحنة الـ يوهول التى أخفيت ببراعة بين صف من الغرف ذات الطابقين وصندوق قمامة كبير الحجم . كتب أرقام الشاحنة واتصل بإدارته على الفور .

لقد كانت نفس الشاحنة المستأجرة من قبل ميتش ماكدير ! فى خلال خمس دقائق أحاطت قوات الشرطة والمباحث بالفندق . اندفع مالك الفندق من خلف المكتب الأمامى وطلب من رجال الشرطة تفسيراً لما يحدث . نظر إلى الصور المركّبة وهز رأسه نفياً . وضع خمسة عملاء مباحث شاراتهم أمام وجهه ، وعلى الفور صار الرجل متعاوناً .

وبصحبة دستة من عملاء المباحث ، أخذ المفاتيح وبدأ يفتش من غرفة إلى غرفة . فى فندق يحتوى على ثمان وأربعين غرفة .

لا يوجد سوى سبع غرفٍ مشغولة فقط ، أخذ المالك يشرح وهو يفتح الأبواب أن الوقت ليس جيداً بالنسبة للموسم السياحى فى فندق بيتش كومر إن . قال إن كل الفنادق الصغيرة تعانى كثيراً حتى وقت الأعياد .

حتى سيجولس ريست . الذى يبعد أربعة أميال إلى الغرب ، كان يعانى .

تلقى آندى باتريك أول إدانة جنائية وهو فى سن التاسعة عشرة وحكم عليه بالسجن لمدة أربعة شهور وذلك بسبب قيامه بإصدار شيكات بدون رصيد . وعندما وصم بلقب المجرم ، صار العمل الشريف شيئاً مستحيلاً بالنسبة له ، وقد أمضى العشرين عاماً التالية يعمل ، دون نجاح ، كمجرم حقير الشأن . انطلق يجوب عرض البلاد وطولها ، يسرق المتاجر ، ويكتب شيكات مزيفة ، ويقتحم المنازل هنا وهناك . مجرد مجرم ضعيف وغير عنيف ، وقد تلقى ضرباً مبرحاً من شرطى دورية ضخم ومتغطرس فى تكساس عندما كان فى السابعة والعشرين من عمره . فقد إحدى عينيه وفقد كل احترام للقانون .

منذ ستة أشهر ، حط به الرحال فى مدينة بنما سيتى ووجد وظيفة شريفة راتبها أربعة دولارات فى الساعة كموظف استقبال لفترة مسائية فى فندق سيجولس ريست . فى حوالى التاسعة مساء الجمعة ، كان يشاهد التلفاز عندما مر عبر باب الفندق شرطى دورية ضخم ومتغطرس .

" هناك مطاردة لجماعة من المجرمين " . قال الشرطى ذلك ، ووضع نسخاً من الصور المركّبة وصورة راى الفوتوغرافية فوق النضد القذر وأضاف : " نحن نبحث عن هؤلاء الأشخاص . نعتقد أنهم موجودون فى هذه الأنحاء " .

نظر آندى إلى الصور جيداً . بدت الصورة التى تخص ميتشل ماكدير مألوفة للغاية . بدأت عقلية المجرم القديم تستيقظ فى داخله .

بعينه السليمة ، نظر إلى شرطى الدورية الضخم المتغطرس وقال : " لم أرهم من قبل . لكن سوف أبقى عينى مفتوحة " .

قال شرطى الدورية : " إنهم أشخاص خطرون " .

أنت الشخص الخطر ، هكذا أراد آندى أن يجيب .

قال شرطى الدورية : " قم بلصق هذه الصور فوق الحائط " .

هل تظن نفسك تملك هذا المكان اللعين ؟ هكذا فكر آندى فى داخله قبل أن يرد : " أنا آسف ، لكن غير مصرح لى بلصق أى شيء فوق الحوائط " .

تجمد الشرطى مكانه ، أدار وجهه إلى أحد الجانبين وحدق النظر إلى آندى من وراء نظارته الشمسية السميكة . قال : " اسمع أيها القزم . أنا أعطيك تصريحاً بذلك " .

" آسف يا سيدى ، لكنى لا أستطيع أن ألصق أى شيء فوق الحوائط إلا إذا أمرنى رئيسى أن أفعل ذلك " .

" وأين رئيسك ؟ " .

" لا أدرى . ربما يكون فى أحد الملاهى " .

التقط الشرطى الصور المركبة بحرص ، وسار خلف المنضدة وقام بتثبيتها بدبابيس صغيرة فوق لوحة الإعلانات . عندما انتهى ، نظر إلى آندى من أعلى إلى أسفل فى غضب وقال : " سوف أعود فى غضون ساعتين . إذا أزلت هذه الصور ، سوف أقبض عليك بتهمة إعاقة العدالة " .

لم يجفل آندى وقال : " لن تستطيع إثبات هذه التهمة . لقد قبض علىَّ بسبب هذه التهمة ذات مرة فى كانساس ، لذلك أعرف كل شيء عن هذه التهمة " .

تحولت وجنتا الشرطى المنتفختان إلى اللون الأحمر وعض على أسنانه غيظاً . قال : " تظن نفسك حاذقاً للغاية ، أليس كذلك ؟ "

" نعم يا سيدى " .

" إذا نزعت هذه الصور ، أعدك أننى سأزج بك فى السجن لأى سبب " .

" لقد كنت هناك من قبل ، ولا يمثل الأمر مشكلة كبيرة " .

انطلقت صفارات عربات الشرطة وبرقت ألوانها الحمراء وهى تسرع فوق الطريق الساحلى على بعد عدة أقدام ، واستدار شرطى الدورية وأخذ ينظر إلى الجلبة . غمغم ببعض الكلمات واندفع خارج الباب . ألقى آندى بالصور فى سلة المهملات . أخذ يشاهد سيارات الشرطة وهى تسرع وتتخطى بعضها فوق الطريق لعدة دقائق ، ثم سار عبر ساحة الانتظار إلى المبنى الخلفى . طرق باب الغرفة رقم ٣٨ .

انتظر وطرق الباب مرة أخرى .

أجابت امرأة من خلف الباب : " من هناك ؟ "

" مدير الفندق " . رد آندى ، متفاخراً باللقب الذى منحه لنفسه . فُتح الباب ، وخرج الرجل الذى تشير صورته المركبة إلى أن اسمه ميتشل ماكدير .

قال ميتش : " حسناً يا سيدى . ماذا هناك ؟ "

كان الرجل متوتر ، وقد أحس آندى بذلك . قال آندى : " لقد مر رجال الشرطة تواً ، هل تفهم ما أقصده ؟ "

تساءل ميتش فى براءة : " ماذا يريدون ؟ "

يريدون رأسك ، هكذا فكر آندى قبل أن يقول : " إنهم يسألون أسئلة ومعهم بعض الصور . لقد نظرت إلى الصور ، أتفهمنى ؟ "

قال ميتش : " إذن ؟ "

قال آندى : " إنها صور جيدة للغاية " .

حدق ميتش النظر إلى آندى بقوة .

قال آندى : " لقد قال الشرطى إن أحدهم قد هرب من السجن . هل تفهم ما أقصده ؟ لقد كنت بالسجن من قبل ، وأعتقد أن كل شخص من حقه أن يهرب . أتفهمنى ؟ "

ابتسم السيد ماكدير ، ابتسامة عصبية إلى حد ما وتساءل : " ما اسمك ؟ "

" آندى " .

" لدىَّ صفقة من أجلك يا آنـدى . سـوف أعطيـك ألـف دولار الآن ، وغداً ، إذا استطعت أن تظل غير قادر على التعرف علـى مـن بالصـور ، سوف أعطيك ألف دولار أخرى . وإذا استمر نفس الوضع فى اليوم الذى يليه " .

فكر آندى أنها صفقة رائعة ، ولكن إذا كان الرجل يستطيع أن يدفع ألـف دولار فـى اليـوم ، بالتأكيـد يسـتطيع أن يـدفع خمسـة آلاف فـى اليوم . لقد كانت تلك هى الفرصة المناسبة لتحسين مستقبله .

قال آندى فى ثبات : " كلا . خمسة آلاف دولار فى اليوم " .

لم يتردد السيد ماكـدير وقـال : " اتفقنـا . دعنـى أحضـر المـال " . دخل الغرفة وعاد وهو يحمل رزمة من المال .

" خمسة آلاف دولار يا آندى ، تماماً كما اتفقنا " .

أخذ آندى رزمة المال وظل يتلفت من حوله . سوف يقوم بعدها فيما بعد . تساءل : " أظن أنك تريد إبعاد الخادمات عن الغرفة ؟ "

" فكرة عظيمة . سيكون ذلك أمراً لطيفا " .

قال آندى : " سيكلفك ذلك خمسة آلاف دولار أخرى " .

تردد السيد ماكدير قليلاً ثم قال : " حسناً ، لـدىَّ صـفقة أخـرى . فى صباح الغد ، سوف يصل طرد مسجل عند مكتب التسجيل مـن أجـل سام فورتشون . أحضر هذا الطرد إلىَّ ، وقم بإبعاد الخادمـات ، وسـوف أعطيك خمسة آلاف دولار أخرى " .

" لن ينجح ذلك . أنا أعمل وردية الليل " .

" حسناً يا آندى . ماذا إن ظللت تعمل فـى عطلـة نهايـة الأسـبوع ، طوال الأربع والعشرين ساعة ، من أجل أن تبعد الخادمات عـن الغرفـة وتقوم بإحضار الطرد الخاص بى ؟ هل يمكنك أن تقوم بذلك ؟ " .

" بالتأكيد . إن رئيسى نائم طوال الوقت . سوف يعجبه أن أعمل طوال عطلة نهاية الأسبوع " .

" كم تريد مقابل ذلك يا آندى ؟ "

اغتنم الفرصة يا رجل ، هكذا قال آندى لنفسه . أجاب : " أريد عشرين ألف دولار أخرى " .

ابتسم السيد ماكدير وقال : " اتفقنا " .

ابتسم آندى ودس المال فى جيبه . سار دون أن ينطق بكلمة وعاد ميتش إلى داخل الغرفة رقم ٣٨ .

تساءل راى فى حدة : " من كان بالخارج ؟ "

ابتسم ميتش وأخذ ينظر بين الستائر والنوافذ .

قال ميتش : " لقد كنت أعلم أننا سنحتاج إلى طوق نجاة من أجل تنفيذ هذا الأمر . وأعتقد أننا قد عثرنا عليه " .

٣٨

. . . .

ارتدى السيد مورولتو حلة سوداء ورابطة عنق حمراء وجلس عند رأس طاولة الاجتماعات المغلفة بالبلاستيك فى قاعة ديونز رووم بفندق بيست ويسترن على الطريق الساحلى . كانت المقاعد العشرون التى تحيط بالطاولة يحتلها أفضل وأذكى رجاله . وحول الحوائط الأربعة للقاعة وقف المزيد من رجال قواته المخلصين . وعلى الرغم من كونهم قتلة محترفين يقومون بجرائمهم باحتراف وبدون ذرة من الندم ، إلا أنهم كانوا يبدون كالمهرجين فى قمصانهم الملونة وسراويلهم القصيرة الفضفاضة وذلك التنوع العجيب فى قبعات القش التى كانوا يرتدونها . كان السيد مورولتو ليبتسم على مظهرهم السخيف لولا أن جدية وخطورة اللحظة حالت دون ذلك . كان ينصت لما يقال من حوله .

على يمينه مباشرة جلس لوى لازاروف ، وعلى يساره جلس ديفاشر ، وقد أنصتت كل أذن فى القاعة الصغيرة بينما كان الرجلان يديران دفة الحديث كفريق عمل متعاون يتبادل وجهات النظر يمين ويسار الطاولة .

" إنهم هنا . أنا أعرف أنهم هنا " . قال ديفاشر ذلك بشكل مسرحى ، وهو يضرب الطاولة بكلتا راحتيه مع كل مقطع ينطق به . لقد كان الرجل يعشق الأداء التمثيلى .

جاء الدور على لازاروف : " أتفق معك . إنهم هنا . جاء اثنان منهما في سيارة وجاء الثالث في شاحنة . لقد وجدنا كلتا العربتين مهجورتين ، وتمتلئان ببصمات أصابعهم . نعم ، إنهم هنا " .

ديفاشر : " ولكن لماذا شاطئ بنما سيتى ؟ إن هذا غير منطقى على الإطلاق " .

لازاروف : " قد يكون الأمر منطقياً لسبب ، فقد كان هنا من قبل . لقد أتى إلى هنا فى ليلة الكريسماس ، أتذكر ؟ إنه يعرف المكان جيدا ، ولذلك فهو يعتقد أنه فى وجود كل هذه الفنادق الرخيصة على الشاطئ ، فإن هذا المكان مثالى للاختباء لبعض الوقت . ليست فكرة سيئة فى الواقع . لكن صادفه بعض الحظ السيئ . بالنسبة لرجل هارب ، فهو يحمل الكثير من المتاع ، فلديه شقيق هارب يبحث عنه الجميع . وزوجة . وحمولة شاحنة من المستندات ، إذا افترضنا أنها بحوزته . عقلية تقليدية لتلميذ مدرسة . إذا كان علىَّ أن أهرب ، فسوف آخذ معى كل من يحبنى . ثم يقوم أخوه باغتصاب فتاة ، أو هكذا تعتقد الشرطة ، وفجأة يصبح كل شرطى فى الاباما وفلوريدا يبحث عنهم . حظ سيئ بالفعل " .

تساءل السيد مورولتو : " ماذا عن والدته ؟ " .

أومأ كل من لازاروف وديفاشر تجاه الرجل العظيم فى اعتراف واضح بذكاء السؤال الذى طرحه .

لازاروف : " كلا ، مجرد مصادفة لا غير . إنها امرأة بسيطة تقدم الفطائر للزبائن ولا تعلم أى شيء . لقد راقبناها جيداً منذ قدومنا إلى هنا " .

ديفاشر : " أتفق معك . لم يحدث أى اتصال بينهم " .

أومأ مورولتو فى تفهم وأشعل إحدى سجائره .

لازاروف : " إذن ، إذا كانوا هنا ، ونحن نعلم أنهم هنا ، وكذلك يعلم رجال المباحث والشرطة أنهم هنا . لدينا ستون رجلا فى المنطقة ، وهم لديهم المئات . الاحتمالات تسير فى صالحهم " .

تساءل السيد مورولتو : " هل أنت واثق أنهم جميعاً معاً ؟ "

ديفاشر : " بالتأكيد . نحن نعلم أن المرأة والسجين الهارب قد نزلا بفندق برديدو ، وأنهما قد غادرا الفندق وبعد ثلاث ساعات نزلت المرأة بفندق هوليداى إن ودفعت مصاريف غرفتين نقداً وأنها قامت باستئجار سيارة وأن بصمات أصابع السجين كانت تملأ السيارة . لا يوجد شك فى ذلك . نحن نعلم أن ماكدير قد استأجر شاحنة صغيرة يوم الأربعاء فى ناشفيل ، وأنه قد قام بتحويل عشرة ملايين دولار من أموالنا إلى حساب فى بنك فى ناشفيل صباح الخميس ومن الواضح أنه قد لاذ بالفرار . ولقد تم العثور على الشاحنة فى هذه المنطقة منذ أربع ساعات . نعم يا سيدى . إنهم معاً " .

لازاروف : " لو أنه قد غادر ناشفيل بعد إجراء عملية تحويل الأموال تماماً ، فمن المرجح أنه قد وصل عند بداية المساء تقريبا . وقد وجدت الشاحنة خالية ، لذلك لابد أنهم اضطروا لتفريغها فى مكان ما هنا ، ثم قاموا بإخفائها . ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث فى وقت متأخر ليلة الأمس ، الخميس . الآن ، قد يفترض المرء أنهم لابد أن يناموا فى مكان ما . أظن أنهم قد أمضوا الليلة هنا بالأمس وهم يخططون لترك المكان هذا اليوم . لكنهم استيقظوا فى الصباح ووجدوا وجوههم تحتل الصفحات الأولى من الصحف ، ورجال الشرطة يمشطون المكان بحثاً عنهم ، وفجأة أُغلقت الطرق وأُقيمت عليها الحواجز . ولذلك فهم محاصرون هنا " .

ديفاشر : " لكي يخرجوا من المنطقة ، عليهم أن يؤجروا أو يستعيروا أو يسرقوا سيارة . لا توجد في سجلات مراكز تأجير السيارات في أنحاء هذه المنطقة أي معلومات عنهم . لقد قامت المرأة باستئجار سيارة في موبيل مستخدموا اسمها الحقيقي . وقام ميتش باستئجار شاحنة في ناشفيل باسمه . لقد استخدموا هوياتهم الحقيقية في كلتا المرتين . وقد يعطيك هذا انطباعاً بأنهم ليسوا بهذا الذكاء الخارق " .

لازاروف : " من الواضح أنهم لا يمتلكون هويات مزيفة . لو أنهم قد قاموا بتأجير سيارة في هذه المنطقة من أجل الهروب ، سوف يستخدمون أسماءهم الحقيقية في سجلات مركز التأجير . حتي الآن لا توجد سجلات تحوى أسماءهم " .

أشاح السيد مورولتو بيده في إحباط وقال : " حسنا ، حسنا . إذن فهم هنا . إنكما عبقريان . وأنا فخور بكما لغاية . والآن ماذا سيحدث ؟ "

كان الدور على ديفاشر : " إن رجال المباحث يعترضون طريقنا . وهم يتحكمون في عملية البحث والتقصى ، ونحن لا نستطيع فعل أى شيء سوى أن نجلس ونشاهد " .

لازاروف : " لقد اتصلت بممفيس . كل المحامين القدامى في طريقهم إلى هنا . إنهم يعرفون ماكدير وزوجته تمام المعرفة ، ولذلك سوف نضعهم على الشواطئ والمطاعم والفنادق . ربما يرون شيئاً ما " .

ديفاشر : " أعتقد أنهم في أحد الفنادق الرخيصة . هناك يستطيعون أن يعطوا إدارة الفندق أسماء مزيفة ويدفعوا نقداً ولن يشتبه أحد في شيء . تلك الفنادق لا تحوى سوى عدد قليل من النزلاء ، مما يقلل احتمالات أن يراهم أحد . لقد نزلوا بفندق

هوليداى إن ولكنهم لم يبقوا طويلاً . أراهن أنهم قد انتقلوا إلى فندق على الطريق الساحلى " .

لازاروف : " أولاً ، سوف نتخلص من رجال المباحث والشرطة . إنهم لا يعلمون ذلك بعد ، لكنهم على وشك أن يحركوا قواتهم إلى نهاية الطريق الساحلى . بعد ذلك ، وفى الصباح المبكر ، سوف نبدأ عملية بحث من باب إلى باب داخل الفنادق الرخيصة . معظم هذه الفنادق الحقيرة لا تحتوى أكثر من خمسين غرفة . أعتقد أن كل اثنين من رجالنا يمكنهما تفتيش فندق بالكامل خلال ثلاثين دقيقة . أعلم أن العملية ستتم بشكل بطىء ، ولكننا لا يمكن أن نظل مكاننا هكذا . ربما عندما تسحب الشرطة قواتها سوف يسترخى آل ماكدير قليلاً ويرتكبون خطأ ما " .

تساءل السيد مورولتو : " أتعنى أنك تريد أن تجعل رجالنا يبدأون فى تفتيش غرف الفنادق ؟ "

ديفاشر : " لا توجد طريقة نستطيع بها تفتيش كل الغرف ، ولكن لابد أن نحاول " .

وقف السيد مورولتو وقلب نظره فى أنحاء الغرفة . " ماذا عن البحر ؟ " ألقى سؤاله باتجاه لازاروف وديفاشر .

حدق كل منهما بوجه الآخر ، وقد بدت الحيرة واضحة عليهما بسبب السؤال .

صرخ السيد مورولتو : " البحر ! ماذا عن البحر ؟ " .

زاغت كل نظرات العيون حول الطاولة فى يأس وبسرعة التفتت إلى لازاروف الذى قال : " آسف يا سيدى ، لست أفهم ما تعنى " .

انحنى السيد مورولتو أمام وجه لازاروف وقال : " ماذا عن البحر يا لوى ؟ نحن أمام شاطئ ، أليس كذلك ؟ هناك أرض وطرق سريعة وسكك حديدية ومطارات من ناحية ، وهناك ماء وقوارب من

الناحية الأخرى . والآن ، إذا كانت الطرق مغلقة ولا مجال للهروب عبر السكك الحديدية أو المطارات ، أين تظنهم قد يهربون ؟ يبدو بشكل واضح أنهم قد يحاولون العثور على قارب ويهربون فى جنح الظلام . يبدو كلاما منطقيا ، أليس كذلك يا رجال ؟ " .

أومأت كل الرؤوس داخل الغرفة بسرعة تعلن الموافقة . تحدث ديفاشر أولاً فقال : " يبدو أمراً شديد المنطقية بالنسبة لى " .

قال السيد مورولتو : " رائع ، أين قواربنا إذن ؟ "

قفز لازاروف من مقعده واتجه إلى الحائط وبدأ يلقى الأوامر إلى مساعديه : " اذهبوا إلى المرسى ! قوموا باستئجار كل قوارب الصيد التى يمكنكم العثور عليها لهذه الليلة وطوال اليوم غدًا . ادفعوا لأصحابها الثمن الذى يريدونه . لا تجيبوا عن أية أسئلة ، فقط أعطوهم المال . ضعوا رجالنا فوق تلك القوارب وابدأوا عمل دوريات مراقبة بأسرع ما يمكن . ابقوا على مسافة ميل من الشاطئ " .

قبل الحادية عشرة بقليل ، مساء الجمعة ، وقف آرون ريمير عند منضدة البيع فى محطة وقود ليلية فى تالاسى ودفع ثمن زجاجة عصير واثنى عشر جالوناً من الوقود . كان يحتاج إلى عملة معدنية من أجل أن يجرى اتصالاً هاتفياً . وفى الخارج ، إلى جانب منطقة غسيل السيارات ، أخذ يقلب صفحات دليل الهاتف واتصل برقم إدارة شرطة تالاسى . كانت مكالمة طارئة . شرح لهم هدف المكالمة ، وعلى الفور أوصلته موظفة الاتصالات بضابط وردية الليل .

صرخ ريمير بصوت مضطرب : " أنصت ! لقد كنت أقف عند محطة وقود ، ومنذ خمس دقائق رأيت هؤلاء المجرمين الذين تبحث عنهم الشرطة ! أنا متأكد من ذلك " .

تساءل النقيب : " أى مجرمين ؟ " .

" عائلة ماكدير . رجلان وامرأة . لقد غادرت مدينة بنما سيتي منذ ساعتين تقريباً ، ولقد رأيت صورهم بالصحف هناك . ثم توقفت هنا لكى أضع وقوداً بسيارتى ، ثم رأيتهم " .

أعطى ريمير تفاصيل المكان الذى يقف به وانتظر ثلاثين ثانية حتى وصلت أول سيارة دورية بأضوائها الزرقاء البراقة . تبعتها بسرعة سيارة ثانية ، وثالثة ورابعة . وضعوا ريمير فى المقعد الأمامى وانطلقت السيارات مسرعة إلى مدينة سوث بريسنكت . كان النقيب ومعه حشد صغير من الضباط ينتظرون فى ترقب . اصطحب الضباط ريمير كأحد الشخصيات الشهيرة إلى مكتب النقيب ، حيث كانت قد وُضِعَت ثلاث صور مركّبة وصورة فوتوغرافية فوق سطح المكتب بانتظاره .

صاح ريمير : " هؤلاء هم من رأيت . لقد رأيتهم ، منذ عشر دقائق تقريبا . كانوا يركبون شاحنة صغيرة ماركة فورد وبها لوحات تخص مدينة تينيسى ، وكانت تجر وراءها مقطورة من طراز يوهول " .

تساءل النقيب : " أين كنت بالتحديد عندما رأيتهم ؟ " كان رجال الشرطة يستمعون إلى كل كلمة يقولها بتركيز شديد .

" كنت أضخ الوقود ، عند المضخة رقم أربعة ، ذات الوقود الخالى من الرصاص ، عندما توقفت سيارتهم عند ساحة الانتظار ، بشكل مثير للشبهات . أوقفوا سيارتهم بعيداً عن مضخات الوقود ، وخرجت المرأة من السيارة ودلفت إلى داخل المحطة " . التقط صورة آبى وأخذ ينظر إليها جيداً ثم قال : " نعم . هذه هى . بدون شك . شعرها أقصر بكثير من هذا ، لكنه أسود اللون . خرجت من المحطة بسرعة ، دون أن تشترى أى شيء . بدت عصبية وفى عجلة لكى تعود إلى السيارة . كنت قد أنهيت ضخ الوقود فى سيارتى ، لذلك

دخلت إلى المحطة . عندما فتحت الباب ، انطلقت شاحنتهم على بعد قدمين أمامى . لقد رأيت ثلاثتهم فى تلك اللحظة " .

تساءل النقيب : " من كان يقود الشاحنة ؟ " . حدق ريمير النظر إلى صورة راى الفوتوغرافية وقال : " ليس هذا . الشخص الآخر " . وأشار إلى صورة ميتش .

قال أحد رجال الشرطة : " هل يمكن أن نرى أى تحقيق لشخصيتك ؟ "

كان ريمير يحمل ثلاث مجموعات من الهويات المزيفة . ناول الشرطى رخصة قيادة صادرة من مدينة إلينوى ، عليها صورته واسم فرانك تيمبل .

تساءل النقيب : " فى أى اتجاه ساروا ؟ "

" اتجاه الشرق " .

في نفس اللحظة ، على بعد أربعة أميال ، وضع تونى فيكلر سماعة الهاتف العمومى ، ثم ابتسم لنفسه وعاد إلى داخل مطعم بيرجر كينج للوجبات السريعة .

كان النقيب يتحدث عبر الهاتف . ورقيب الشرطة ينقل المعلومات من رخصة قيادة ريمير /تيمبل ودستة من رجال الشرطة يثرثرون فى حماسٍ عندما اندفع أحد رجال شرطة الدورية إلى داخل المكتب قائلاً : " لقد تلقينا اتصالاً آخر ! لقد شاهدهم شخص آخر ، عند مطعم بيرجر كينج فى شرق المدينة . نفس المعلومات ! يركبون شاحنة فورد صغيرة تجر وراءها مقطورة من طراز يوهول . لم يترك الرجل اسمه ، لكنه قال إنه رأى الصور فى الصحف . قال إنهم قد توقفوا أمام نافذة تسليم الوجبات السريعة ، واشتروا ثلاث عبوات من الطعام ثم انطلقوا بسرعة " .

" لابد أنهم هم بالفعل ! " . قال النقيب ذلك وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة كبيرة .

* * *

ارتشف مأمور مقاطعة باى كاونتى قهوته السوداء المركزة من قدح بلاستيكى ووضع حذاءه الأسود الطويل فوق منضدة الاجتماعات فى قاعة كاريبيان رووم بفندق هوليداى إن . كان عملاء المباحث يندفعون إلى داخل وخارج القاعة ، يصنعون لأنفسهم أقداح القهوة ، ويهمس أحدهم إلى الآخر بمستجدات عملية البحث . أما بطله وقدوته ، الرجل الكبير ، المدير دينتون فويلس ، فكان يجلس عند الناحية المقابلة من المنضدة وكان يدرس خارطة للمدينة بصحبة ثلاثة من مرؤوسيه . كان المأمور مازال لا يصدق وجود المدير فويلس فى مقاطعة باى كاونتى . كانت القاعة أشبه بخلية نحل تمتلئ بأنشطة الشرطة . كانت قوات شرطة ولاية فلوريدا على اتصال دائم بالقاعة . لم ينقطع رنين الهواتف وطنين أجهزة اللاسلكى فوق المنضدة التى وضعت كمركز للعمليات فى أحد الأركان . كان نواب المأمور ورجال شرطة ثلاث مقاطعات يتسكعون فى المكان ، وقد غمرتهم الإثارة التى تصاحب عملية البحث والتشويق الذى أحدثه وجود كل عملاء المباحث هؤلاء . والمدير فويلس بنفسه .

اندفع أحد نواب المأمور عبر بابٍ القاعة وعيناه تمتلئان بالحماس والإثارة وقال : " لقد تلقينا اتصالاً من مدينة تالاسى ! لديهم حالتا تعرف إيجابيتان خلال الخمس عشرة دقيقة الماضية ! لقد شوهد ثلاثتهم فى شاحنة فورد خضراء تحمل لوحات تخص ولاية تينيسى ! " .

ألقى فويلس بالخارطة التى يحملها وسار إلى النائب متسائلاً : " أين حدثت عمليتا المشاهدة ؟ " . ساد الصمت أرجاء القاعة ، سوى من طنين أجهزة اللاسلكى .

" حدثت عملية المشاهدة الأولى عند محطة وقود . أما الثانية فكانت على بعد أربعة أميال أمام مطعم بيرجر كينج . لقد توقفت شاحنتهم أمام نافذة تسليمٍ الوجبات السريعة . أكد الشاهدان صحة التعرف وأعطيا وصفاً دقيقاً للمشتبه بهم " .

استدار فويلس مخاطباً المأمور : " أيها المأمورٍ ، اتصل بشرطة تالاسى لتأكيد الخبر . كم تبعد هذه المدينة تحديدا ؟ "

هبط الحذاء الأسود الطويل فوق الأرض وقال المأمور : " ساعة ونصف . على طريق الولايات رقم ١٠ مباشرة " .

أشار فويلس إلى تارانس ، ودلف الرجلان إلى حجرة صغيرة تستخدم كمطعم . عاد الهدير الهادئ إلى مركز العمليات بالقاعة .

قال فويلس بصوت خافت أمام وجه تارانس : " إذا كانت عمليات المشاهدة حقيقية ، فإننا نضيع وقتنا فى هذا المكان " .

" نعم يا سيدى . تبدو عمليتا المشاهدة حقيقيتين . إن عملية مشاهدة فردية قد تكون مزحة أو مجرد تخيلٍ ، لكن وجود حادثتين ، وفى وقت قريب للغاية يجعل الأمر حقيقياً للغاية " .

" كيف استطاعوا الخروج من هنا بحق السماء ؟ "

" لابد أنها تلك المرأة يا سيدى . لقد كانت تساعده منذ شهر . أنا لا أعلم من تكون ، أو كيف عثر عليها ، لكنها تراقبنا من الخارج وتعطيه كل ما يحتاج إليه من معلومات " .

" هل تظن أنها معهم الآن ؟ "

" أشك فى ذلك . من المرجح أنها تتبعهم عن قرب ، بعيداً عن الأحداث ، وتتلقى منه التعليمات من وقت لآخر " .

" إنه في غاية الذكاء يا واين . لقد كان يخطط لهذا الأمر منذ شهور " .

" بالتأكيد " .

" لقد ذكرت لى جزر البهاما من قبل " .

" نعم يا سيدى . لقد تم تحويل المليون دولار التى أعطيناها له إلى بنك في فريبورت . لقد أخبرنى لاحقاً أن المال لم يستقر هناك لوقت طويل " .

" أتظن أنه قد يكون متجهاً إلى هناك ؟ "

" من يدرى . من الواضح أنه مضطر للخروج من البلاد . لقد تحدثت إلى مدير السجن اليوم . لقد أخبرنى أن راى ماكدير يتحدث خمس أو ست لغات بطلاقة . قد يكونون فى طريقهم إلى أى مكان " .

قال فويلس : " أظن أننا يجب أن نسحب قواتنا من هنا " .

" دعنا نقيم حواجز الطرق حول مداخل ومخارج تالاسى . لن يهربوا طويلا إذا كان لدينا وصف دقيق للشاحنة التى يركبونها . يجب أن يسقطوا بأيدينا بحلول الصباح " .

" أريد كل رجل شرطة فى وسط فلوريدا على الطريق السريع خلال ساعة . أريد حواجز طرق فى كل مكان . يجب تفتيش كل الشاحنات من طراز فورد بشكل تلقائى ، هل فهمت ؟ سوف يبقى رجالنا هنا حتى شروق الشمس ، بعدها سوف نسحب قواتنا من هنا " .

" نعم يا سيدى " . أجاب تارانس بابتسامة باهتة .

انتشرت قصة حادثة المشاهدة التى تمت فى تالاسى على طول ساحل ايميرالد كوست . واسترخت مدينة بنما سيتى الساحلية لسماع الخبر . لقد رحل آل ماكدير من المنطقة . لأسباب غير معروفة

سوى لهم ، انتقلت رحلتهم بعيداً عن الشاطئ . ولقد شوهدوا وتعرف عليهم الناس ، ليس مرة واحدة بل مرتين ، وهم الآن فى مكان آخر ينطلقون بأقصى سرعة يائسة متجهين إلى المواجهة المحتومة على الجانب المظلم من الطريق السريع .

ذهب رجال الشرطة على طول الساحل إلى منازلهم أخيراً . بقى عدد قليل من حواجز الطرق خلال الليل على طرق مقاطعة باى كاونتى ومقاطعة جولف كاونتى ؛ ومرت ساعات ما قبل فجر السبت بشكل شبه طبيعى . وقد بقيت نهايتا الطريق الساحلى مغلقتين بحواجز الطريق ، وبها رجال شرطة يجرون فحصاً روتينياً لرخص القيادة . أما الطرق فى شمال المدينة فكانت خالية من الحواجز . لقد اتجه البحث شرقا .

فى ضواحى مدينة أوكالا ، فلوريدا ، بالقرب من سيلفر سبرينجز على الطريق السريع رقم ٤٠ ، خرج تونى فيكلر (البلدوزر) من أحد متاجر سيفن اليفن ثم وضع بعض العملات المعدنية داخل أحد هواتف العملة . أجرى تونى اتصالاً طارئاً بإدارة شرطة أوكالا وأخبرهم أنه قد شاهد المجرمين الثلاثة الذين تبحث عنهم الشرطة فى أطراف مدينة بنما سيتى الساحلية . عائلة ماكدير ! قال إنه شاهد صورهم فى الصحف قبل يوم عندما كان يقود سيارته خلال شوارع بينساكولا ، والآن قد رآهم منذ لحظات . أخبرته موظفة الاتصال أن كل رجال الدورية موجودون فى موقع حادثة خطيرة على الطريق السريع وتساءلت إذا كان بإمكانه أن يأتى إلى مركز الشرطة حتى يدلى بشهادة خطية لما حدث . قال تونى إنه فى عجلة من أمره ، لكن بما أن الأمر بهذه الخطورة ، فسوف يكون هناك فى غضون دقائق .

عندما وصل ، كان رئيس إدارة الشرطة بانتظاره وهو يرتدى قميصاً قطنياً وسروالاً من الجينز . كانت عيناه حمراوين ومتورمتين ، وكان شعره غير مرتب . اصطحب تونى إلى غرفة مكتبه وشكره على الحضور . أخذ يكتب بعض الملاحظات بينما تونى يشرح كيف انه كان يضخ الوقود فى سيارته أمام متجر سيفن إليفن عندما توقفت شاحنة فورد خضراء تجر وراءها مقطورة طراز يوهول بالقرب من المتجر وخرجت منها امرأة واستخدمت الهاتف . أخذ تونى يشرح أنه كان يقود سيارته من مدينة موبيل إلى ميامى وأنه قد سمع عن عملية البحث عن المجرمين حول مدينة بنما سيتى الساحلية . قال إنه قد قرأ الصحف وكان ينصت إلى الراديو بسيارته وكان يعلم كل شيء عن ثلاثى عائلة ماكدير . على أية حال ، قال إنه قد دفع ثمن الوقود وشعر حينها أنه قد رأى تلك المرأة فى مكان ما من قبل . ثم تذكر أنه قد رأى وجهها فى الصحف . سار إلى منضدة بيع المجلات أمام الواجهة الأمامية للمتجر وألقى نظرة جيدة على الرجلين . لم يكن لديه أى شك . قال إن المرأة قد أنهت المكالمة ، وعادت إلى الشاحنة وجلست بين الرجلين ، وبعدها غادروا المكان . أكد أنها كانت شاحنة فورد خضراء تحمل لوحات تخص ولاية تينيسى .

شكره رئيس الشرطة وأجرى اتصالاً بمأمور شرطة مقاطعة ماريون كاونتى . ودعه تونى وعاد إلى سيارته ، حيث كان آرون ريمير يغط فى النوم بالمقعد الخلفى .

انطلقت بهما السيارة شمالاً ، تجاه مدينة بنما سيتى الساحلية .

٣٩

. . . .

في السابعة من صباح السبت نظر آندى باتريك إلى الشرق والغرب على طول الطريق الساحلى ، ثم سار مسرعاً عبر ساحة الانتظار إلى الغرفة رقم ٣٩ . طرق الباب برقة .

بعد فترة تأخير بسيطة ، أجابت المرأة : " من هناك ؟ "

أجاب آندى : " مدير الفندق " . فُتح الباب ، وخرج الرجل الذى يشبه الصورة المركبة الخاصة المنشورة بالصحف باسم ميتشل ماكدير . صار شعره قصيراً للغاية ومصبوغاً باللون الأصفر . حدق آندى النظر إلى شعره باستغراب .

" صباح الخير يا آندى " . قال ميتش ذلك فى أدب بينما راحت عيناه تتفقدان ساحة الانتظار .

" صباح الخير . لقد كنت أتساءل إذا كنتم لا تزالون هنا " .

أومأ ميتش برأسه واستمر ينظر فى أرجاء ساحة الانتظار .

قال آندى : " أقصد ، طبقاً لما قالته نشرات الأخبار هذا الصباح ، أنكم قد انطلقتم بالسيارة وعبرتم نصف مساحة فلوريدا ليلة الأمس " .

" نعم ، نحن نشاهد ذلك بالتلفاز . إنهم يمارسون الألاعيب ، أليس كذلك يا آندى ؟ "

ركل آندى صخرة صغيرة فوق الرصيف وقال : " لقد قال التلفاز إنه قد حدثت ثلاث حالات مشاهدة وتَعرُّف إيجابى عليكم ليلة الأمس .

فى ثلاثة أماكن مختلفة . ظننت أن الأمر يبدو غريباً . لقد كنت هنا طوال الليل ، أعمل وأراقب ما يحدث ، ولم أركم تغادرون . قبل شروق الشمس تسللت عبر الطريق السريع إلى أحد المقاهي ، على بعد مسافة من هنا ، وكالعادة ، كان هناك ضباط شرطة داخل المكان . جلست بالقرب منهم . طبقاً لما سمعته ، فقد تم إلغاء البحث فى هذه الأنحاء . قالوا إن المباحث الفيدرالية قد رحلت عن المكان بعد حدوث حالة المشاهدة الأخيرة ، حوالى الرابعة فجر اليوم . ومعظم رجال الشرطة غادروا أيضاً . سوف يبقون الطريق الساحلي مغلقاً حتى الظهيرة ثم ينهون عملية البحث . تقول الشائعات إنكم قد تلقيتم بعض العون من الخارج وإنكم فى طريقكم إلى جزر البهاما " .

أنصت السيد ماكدير باهتمام بينما كانت عيناه تراقبان ساحة الانتظار . تساءل : " ماذا قالوا غير ذلك ؟ "

" لقد ظلوا يتحدثون عن شاحنة ماركة يوهول محملة ببضائع مسروقة ، وكيف أنهم قد عثروا على الشاحنة ، وكانت خالية تماما ، وكيف أنه لا أحد يعلم كيف قمتم بنقل البضائع المسروقة من الشاحنة إلى المقطورة وتسللتم إلى خارج المدينة تحت سمعهم وبصرهم . إنهم مبهورون للغاية على أية حال . بالطبع لم أنطق بشيء ، لكنى خمنت أنها نفس الشاحنة ماركة يوهول التي قدتها إلى هنا مساء الخميس " .

كان السيد ماكدير غارقا فى أفكاره ولم ينطق بشيء . لم يبد عصبياً . كان آندى يدرس ملامح وجهه جيدا .

قال آندى : " لم يبد عليك السرور . أعنى ، أن رجال الشرطة سيغادرون وسوف تنتهي عملية البحث والمطاردة ، هذا أمر جيد ، أليس كذلك ؟ "

" هل يمكن أن أخبرك بشيء يا آندى ؟ "

" بالتأكيد " .

" إن الوضع قد صار أكثر خطورة من ذى قبل " .

فكر آندى فى كلماته لدقيقة كاملة ، ثم تساءل : " كيف ذلك ؟ "

" الشرطة كانت تريد القبض علىَّ يا آندى . لكن هناك بعض الأشخاص يريدون قتلى . إنهم قتلة محترفون يا آندى . هناك الكثير منهم . وهم لا يزالون هنا " .

ضاقت عين آندى السليمة وحدق النظر إلى السيد ماكدير . قتلة محترفون ! فى هذه المنطقة ؟ على الطريق الساحلى ؟ تراجع آندى خطوة للوراء . أراد أن يسأل من يكون هؤلاء القتلة تحديدا ولماذا يطاردونه ، لكنه كان يعلم أن ماكدير لن يجيبه بشيء . رأى آندى فرصة تلوح أمامه . قال : " لماذا لا تهرب من هنا ؟ "

" نهرب ؟ كيف يمكن أن نهرب ؟ "

ركل آندى صخرة أخرى وأومأ برأسه تجاه سيارة بوناتيك طراز ١٩٧١ متوقفة خلف مكتب الإدارة قائلا : " يمكنكم أن تستخدموا سيارتى . يمكنكم الاختباء داخل صندوق السيارة ، أنتم الثلاثة ، وأقوم باصطحابكم إلى خارج المدينة . لا يبدو عليك الإفلاس ، لذلك يمكنكم أن تستقلوا طائرة ما وتفروا إلى الأبد . بهذه الطريقة البسيطة " .

" وكم سيكلفنا ذلك ؟ "

نظر آندى إلى قدميه وأخذ يحك أذنيه وهو يفكر ، هذا الرجل يبدو تاجراً للمخدرات ، وهذه الصناديق ربما تكون مليئة بالكوكايين والأموال . ويبدو أن تجار المخدرات الكولومبيين يطاردونه ، هكذا سرحت أفكار آندى قبل أن يجيب : " سيكون ذلك أمراً مكلفاً ، كما تعلم . أعنى ، حتى الآن ، وبخمسة آلاف دولارٍ يوميا ، ما زلت موظف فندق لا يلاحظ الأشياء جيداً . لست جزءا من أى شيء ، إذا كنت تفهم قصدى . لكن إذا قدت بكم السيارة إلى خارج المدينة ، سوف

أصبح شريكاً لكم ، ومُعَرَضاً للإدانة والسجن وكل هذا الهراء الذى مررت به من قبل ، إذا كنت تعلم . لذلك سيكون الأمر مكلفا للغاية " .

" كم تريد يا آندى ؟ "

" مائة ألف دولار " .

لم يجفل السيد ماكدير أو يصدر عنه أى رد فعل ؛ احتفظ بوجهه هادئاً وظل يحدق عبر الشاطئ إلى المحيط البعيد . علم آندى على الفور أن ما طلبه ليس مستحيلاً .

" دعنى أفكر فى الأمر يا آندى . فى الوقت الحاضر ، فقط احتفظ بعينك مفتوحة . الآن وبعد أن غادر رجال الشرطة ، سوف ينتشر القتلة فى المكان . قد يكون هذا اليوم يوماً شديد الخطورة يا آندى ، وأنا بحاجة إلى مساعدتك . إذا رأيت أى شخص مثير للشبهات فى هذه الناحية ، اتصل بنا بسرعة . لن نغادر هاتين الحجرتين ، اتفقنا ؟ "

عاد آندى إلى المكتب الأمامى وهو يفكر . أى شخص أحمق كان ليقفز داخل صندوق سيارته ويهرب بحياته . لقد كانت الصناديق ، تلك البضائع المسروقة . هذا هو السبب الذى يجعلهم لا يريدون الرحيل .

استمتعت عائلة ماكدير بإفطار خفيف من المعجنات غير الطازجة وبعض العصائر غير المثلجة . كان راى يرغب بشدة فى تناول زجاجة شراب مثلجة ، لكن رحلة أخرى إلى متجر العاديات كانت أمراً فى شدة الخطورة . تناولوا الطعام بسرعة وأخذوا يشاهدون نشرة أخبار الصباح . ومن وقت لآخر كانت إحدى المحطات التى تنتشر على الساحل تعرض صورهم على شاشتها . أخافهم الأمر فى البداية ، لكنهم سرعان ما تعودوا عليه .

فى التاسعة وبضع دقائق من صباح السبت ، أغلق ميتش التلفاز واستعاد موضعه على أرضية الغرفة بين الصناديق . أمسك بكومة من

المستندات وأومأ إلى آبى ، التى كانت تتولى عملية التصوير . واستمرت عملية الإدلاء بالشهادة .

انتظر لازاروف حتى الوقت الذى تبدأ فيه الخادمات عملهن وقام بنشر رجاله على طول الطريق الساحلى . كانوا يعملون فى مجموعات ثنائية ، يطرقون الأبواب ، ويتلصصون عبر النوافذ ويتسللون إلى داخل ردهات الفنادق المظلمة . كانت معظم الفنادق الرخيصة بها خادمتان أو ثلاث تعرفن كل غرفة وكل نزيل . كانت العملية بسيطة ، وفى معظم الأحيان ناجحة . يقوم أحد رجال المافيا بالعثور على إحدى الخادمات ، ويقدم لها عملة ورقية بمائة دولار ، ثم يريها الصور المركّبة . إذا رفضت ، يظل يعطيها المزيد من المال حتى تتعاون . إذا لم تستطع التعرف على الصور ، يسألها إذا كانت قد لاحظت شاحنة ماركة يوهول أو غرفة مليئة بالصناديق ، أو رجلين وامرأة يتصرفون بطريقة مريبة ، أو أى شيء غير عادى . إذا لم تساعده الخادمة فى أى شيء ، يسألها عن الغرف المشغولة ، ثم يذهب ويطرق أبوابها .

أعطاهم لازاروف تعليمات أن يبدأوا بالخادمات . ادخلوا الفندق من الأبواب المطلة على الشاطئ . ابتعدوا عن مكاتب التسجيل الأمامية . تظاهروا أنكم رجال شرطة . وإذا وجدتم آل ماكدير ، اقتلوهم على الفور واتصلوا بالهاتف بعدها .

وضع ديفاشر أربعاً من الشاحنات المستأجرة على طول الطريق الساحلى وبالقرب من الطريق السريع . جلس كل من لامار كوين ، كنديل ماهان ، والى هودسون وجاك الدريتش فى مقعد القيادة بكل شاحنة وأخذوا يراقبون كل سيارة تمر أمامهم . كانوا قد وصلوا فى منتصف الليل على متن طائرة خاصة ومعهم عشرة من قدامى المحامين بشركة بنديني ، لامبرت آند لوك . فى متاجر التذكارات والمقاهى ،

اختلط أصدقاء ميتش ماكدير وزملاؤه السابقون بالسائحين وهم يتمنون في داخلهم ألا يروه أبدا . تم استدعاء الشركاء من المطارات التى كانوا ينتشرون بها فى طول البلاد وعرضها إلى مقر القيادة ، وعند منتصف الظهيرة كانوا يتمشون فوق الشواطئ ويتفقدون حمامات السباحة وردهات الفنادق . بقى ناثان لوك بصحبة السيد موورولتو ، لكن بقية الشركاء تنكروا كسائحين يرتدون القبعات الرياضية والنظارات الشمسية ويتلقون الأوامر من الجنرال ديفاشر . كان آفرى تولار هو الوحيد الذى تخلف عن الركب . ومنذ خروجه من المستشفى ، لم يسمع عنه أحد . وإذا أضفنا الثلاثة والثلاثين محامياً ، فإن السيد موورولتو أصبح يمتلك جيشاً مكوناً من مائة رجل يشتركون جميعاً فى عملية الصيد البشرى الخاصة به .

فى فندق بلو تيد ، أخذ أحد الحراس العملة الورقية ذات المائة دولار ، ونظر إلى الصورة المركّبة وقال إنه يعتقد أنه قد رأى المرأة وأحد الرجلين ينزلان فى غرفتين بالفندق في وقت مبكر من مساء الخميس . نظر إلى صورة آبي جيداً وصار مقتنعاً أنها نفس المرأة . أخذ المزيد من المال وذهب إلى مكتب التسجيل لكى يتفقد السجلات . عاد وهو يحمل معلومات تفيد أن المرأة كانت قد نزلت بالفندق تحت اسم جاكى نايجل وأنها حجزت غرفتين لأيام الخميس ، الجمعة ، والسبت ودفعت تكاليف الإقامة نقداً . أخذ الحارس مزيداً من المال واصطحب اثنين من القتلة إلى الغرفتين . طرق بابى الغرفتين . لم يجب أحد . فتح الغرفتين وسمح لصديقيه الجديدين أن يقوما بالتفتيش داخل الغرفتين . كان من الواضح أن الغرفتين لم تستخدما ليلة الجمعة . اتصل أحد القتلة بهاتف لازاروف ، وبعد خمس دقائق كان ديفاشر يتفقد الغرف بحثاً عن أدلة . لم يعثر على أى شيء ، لكن تم على الفور حصر عملية

البحث في منطقة مساحتها أربعة أميال وهى المساحة الواقعة بين فندق بلو تيد وفندق بيتش كومر ، حيث تم العثور على الشاحنة اليوهول

قامت الشاحنات بتجميع القوات داخل المساحة المطلوبة . قام الشركاء والمحامون القدامى بتفقد الشواطئ والمطاعم . أما رجال المافيا فقاموا بتفقد غرف الفنادق

* * *

وقع آندى بتسلم الطرد المسجل في العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة وأخذ يتفحص الطرد المرسل إلى سام فورتشون . لقد تم إرسال الطرد بواسطة امرأة تدعى دوريس جرين وود ، وعنوانها ٤٠٤٠ شارع بابولارٍ أفينو ، ممفيس ، تينيسي . لم يكن هناك رقم هاتف . كان آندى واثقا أن الطرد ذو قيمة وللحظات راودته فكرة عملية ربح جديدة . لكن عملية تسليم الطرد قد تم الاتفاق عليها من قبل . أخذ ينظر إلى كلا الاتجاهين بالشريط الساحلي وغادر المكتب الأمامي ومعه الطرد .

بعد سنوات من الاختباء والاختفاء ، تدرب آندى على السير مسرعاً في الأماكنِ المظلمة ، بالقرب من الأركان والزوايا ، وليس في وسط الشارع أبداً . وبينما كان آندى يلتف حول أحد الأركان لكي يعبر ساحة الانتظار ، رأى رجلين يطرقان على باب الغرفة رقم ٢١ . كانت الغرفة غير مشغولة ، وعلى الفور أحس بالارتياب تجاه هذين الرجلين . كانا يرتديان سراويل بيضاء قصيرة تكاد تتدلى إلى ركبتيهما ، رغم صعوبة معرفة أين تنتهي السراويل وأين يبدأ لحمٍ ساقيهما شديد البياض . كان أحدهما يرتدى جوارب داكنةٍ وحذاء مبطناً . أما الآخر فكان يرتدى صندلاً رخيصاً ويمشى متألماً بشكل واضح . وكانا يرتديان قبعتين بيضاوين تحملان شعار بنما سيتى .

بعد ستة أشهر على الطريق الساحلى ، أصبح بمقدور آندى أن يتعرف على السائح المزيف . طرق الرجل فوق الباب مرة أخرى ،

وعندما فعل ذلك رأى آندى مسدساً ضخماً موضوعاً داخل حزام سرواله من الخلف .

ارتد آندى على عقبيه وتراجع إلى المكتب الأمامى . اتصل بالغرفة رقم ٣٩ وسأل عن سام فورتشون .

قال ميتش : " مرحبا . أنا سام " .

" سام ، أنا آندى من المكتب الأمامى . لا تنظر للخارج ، يوجد رجلان مريبان يطرقان الأبواب فى الناحية الأخرى من ساحة الانتظار " .

" هل هم من الشرطة ؟ "

" لا أعتقد ذلك . إنهما لم يتفقدا المكتب الأمامى " .

تساءل ميتش : " أين الخادمات ؟ "

" لا يبدأن العمل حتى الحادية عشرةٍ يوم السبت " .

" جيد . سوف نغلق الأنوار تماماً . راقبهما واتصل بى عندما يرحلان " .

من خلال نافذة مظلمة داخل إحدى الخزانات ، راقب آندى الرجلين وهما يتحركان من باب إلى باب ، يطرقان وينتظران ، وأحياناً يفتح لهما نزيل ما . كان هناك إحدى عشرة غرفة مشغولة بين غرف الفندق البالغ عددها اثنتين وأربعين غرفة . لم يستجب لهما أحد فى الغرفتين رقم ٣٨ و٣٩ . عادا إلى الشاطئ واختفيا عن الأنظار . قَتَلَه محترفون ! فى فندقه ، هكذا فكر آندى .

على مسافة فوق الشريط الساحلى ، وفى ساحة انتظار ملعب جولف مصغر ، رأى آندى سائحين مزيفين آخرين لهما نفس الملامح يتحدثان مع رجل يجلس فى شاحنة بيضاء . أخذا يشيران هنا وهناك ، وبدا أنهم يتجادلون حول شيء ما .

اتصل بغرفة سام : " اسمع يا سام ، لقد رحلا . لكن هذا المكان يمتلئ بهؤلاء الأشخاص " .

" كم عددهم ؟ "

" يمكنني أن أرى رجلين آخرين على الشريط الساحلي . من الأفضل أن تسرعوا بالهرب يا رفاق " .

" اهدأ يا آندى . إنهم لن يرونا إذا بقينا داخل الغرفة " .

" لكن لا يمكنكم البقاء إلى الأبد . سوف يعود رئيسي إلى العمل قريباً " .

" سوف نغادر قريباً يا آندى . ماذا عن الطرد ؟ "

" لقد وصل إلى المكتب الأمامي " .

" حسناً . أريد أن أراه . والآن يا آندى ، ماذا بشأن الطعام ؟ هل يمكنك الخروج إلى الشارع وإحضار بعض الأطعمة الساخنة ؟ "

كان اندى مديراً وليس خادماً . لكن في مقابل خمسة آلاف دولار يومياً ، يمكن لفندق سيجولس رست أن يقدم خدمة غرف بسيطة .

قال آندى : " بالتأكيد . سأكون عندكم خلال لحظات " .

أمسك واين تارانس بسماعة الهاتف وألقى بجسده على عرض السرير الفردي في حجرته في فندق رمادا إن في أورلاندو . كان مرهقاً، غاضباً ، مرتبكاً وقد ضاق صدره بالمدير دينتون فويلس . كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف ظهر السبت . اتصل بمكتب ممفيس . لم يكن لدى السكرتيرات أية تقارير ، سوى أن مارى أليس قد اتصلت وأرادت أن تتحدث إليه . وأنهم قد قاموا بتتبع المكالمة ووجدوا إنها قد صدرت من هاتف عمومي في أتلانتا . قالت مارى أليس أنها سوف تتصل مرة أخرى في الساعة الثانية ظهراً لكى ترى إذا كان واين ـ هكذا قالتها ـ قد اتصل بالمكتب . أعطاها تارانس رقم غرفته وأغلق الهاتف .

ماری ألیس . فی أتلانتا . لقد ظهر ماكدير فی تالاسی ، ثم فی أوكالا . ثم اختفى . لم تعثر الشرطة على أية شاحنة فورد خضراء بلوحات تخص ولاية تينيسي تجر خلفها مقطورة . لقد اختفى ماكدير مرة أخرى .

رن جرس الهاتف مرة واحدة . رفع تارانس السماعة ببطء . قال بصوت خافت : " ماری ألیس " .

" عزیزی واین ! كیف خمنت ذلك ؟ "

" أین هو ؟ "

قالت تامي ضاحكة : " من تقصد ؟ "

" ماكدير . أين هو ؟ "

" حسناً یا واین . لقد كنتم على مقربة منه لبعض الوقت ، لكن بعد ذلك أخذتم تطاردون سراباً فی صحراء . الآن لستم فی أی مكان بالقرب منه ، وأعتذر لأننی من تخبرك بهذا " .

" إن لدینا ثلاث حالات مشاهدة إیجابیة خلال الأربع عشرة ساعة الماضية " .

" من الأفضل أن تتحقق من تلك المشاهدات یا واین . لقد أخبرنی میتش منذ دقائق أنه لم یذهب إلى تالاسی من قبل . ولم یسمع عن مدینة تسمى أوكالا . ولم یقد شاحنة فورد خضراء تسحب وراءها مقطورة یوهول . لقد بلعتم الطعم جیداً یا واین . لقد بلعتم الطعم والخطاف والصنارة بالكامل " .

مسح تارانس أنفه وتنفس بعمق داخل سماعة الهاتف .

تساءلت تامي : " إذن كیف حال مدینة أورلاندو ؟ هل ستزور ملاهی دیزنی لاند طالما أنك فی المدینة ؟ "

" أین هو بحق الجحیم ؟ "

" واين ، واين . اهدأ يا عزيزى . سوف تحصل قريباً على المستندات " .

هب تارانس واقفاً وتساءل : " حسناً ، متى ؟ "

" قد نكون طماعين ونصّرُ على الحصول على بقية أموالنا . أنا أتحدث من هاتف عمومي يا واين ، لذلك لا تتعب نفسك فى محاولة تتبع المكالمة ، اتفقنا ؟ لكننا لسنا طماعين . سوف تحصل على سجلاتك خلال أربع وعشرين ساعة . إذا صارت الأمور بخير " .

" أين توجد السجلات ؟ "

" سوف أتصل بك مرة أخرى يا عزيزى . إذا بقيت فى نفس هذا الرقم ، فسوف أتصل بك مرة كل أربع ساعات حتى يخبرنى ميتش بمكان المستندات . لكن إذا غادرت هذا المكان يا واين ، فقد أفقد أثرك يا عزيزى . لذلك ابق فى مكانك " .

" سوف أكون هنا . هل ماكدير لا يزال داخل البلاد ؟ "

" لا أظن ذلك . أنا على يقين أنه فى المكسيك الآن . إن أخاه يتحدث الاسبانية جيداً ، إذا كنت تعلم هذا " .

" نعم ، أعلم ذلك " . تمدد تارانس فوق الفراش وقال فى نفسه ، ليذهب كل شيء إلى الجحيم . فليغادروا إلى المكسيك إذا شاءوا ، طالما أنه سيحصل على المستندات .

قالت تامى : " ابق فى مكانك يا عزيزى . احصل على بعض النوم . لابد أنك فى قمة الإرهاق . سوف أتصل بك فى الخامسة أو السادسة " .

وضع تارانس الهاتف على منضدة السرير ، وقرر أن ينام قليلاً .

بدأت تخبو جذوة عملية الصيد البشرى بعد ظهر يوم السبت عندما تلقت إدارة شرطة مدينة بنما سيتى الساحلية رابع شكوى من ملاك

الفنادق . تم استدعاء الشرطة إلى فندق بريكرس موتيل ، حيث أخبرهم المالك وهو فى شدة الغضب عن رجال مسلحين يزعجون النزلاء . تم إرسال مزيد من رجال الشرطة على طول الساحل ، وقبل وقت طويل صارت الشرطة تبحث عن رجال مسلحين يبحثون داخل الفنادق عن آل ماكدير . صار ساحل ايميرالد كوست على شفا حرب .

وعندما أصابهم الحر والإرهاق ، أجبر رجال ديفاشر على العمل بشكل منفرد . قاموا بالانتشار بشكل أقل على طول الشاطئ وأوقفوا عمليات تفتيش غرف الفنادق . جلسوا فى مقاعد بلاستيكية حول حمامات السباحة ، وأخذوا يشاهدون السائحين يروحون ويجيئون . رقدوا على الشاطئ ، محاولين تفادى الشمس المحرقة ، واختبأوا أسفل أى ظلة معتمة ، وراقبوا السائحين أثناء دخولهم وخروجهم من المياه .

اقترب وقت الغروب ، وقد قام الجيش المكون من رجال المافيا والقتلة المحترفين والمحامين بالتسلل إلى داخل الظلمة وأصبحوا فى حالة انتظار وتأهب . إذا كانت عائلة ماكدير ستتحرك ، فسوف يفعلون ذلك خلال الليل . كان هناك جيش ينتظرهم فى صمت .

أراح ديفاشر ذراعيه الثقيلتين فى وضع غير مريح فوق حاجز الشرفة خارج غرفته بفندق بيست ويسترن . أخذ يتطلع إلى الشاطئ الخالى بالأسفل بينما كانت الشمس تختفى خلف الأفق . عبر آرون ريمير الباب الزجاجى المنزلق وتوقف خلف ديفاشر . قال ريمير : " لقد عثرنا على تولار " .

لم يتحرك ديفاشر وهو يتساءل : " أين ؟ "

" كان يختبئ فى شقة إحدى رفيقاته فى ممفيس " .

" هل كان بمفرده ؟ "

" نعم . لقد تخلصوا منه ، وجعلوا الأمر يبدو مثل حادثة سرقة " .

وداخل الغرفة رقم ٣٩ ، أخذ راى ماكدير يتفحص جوازات السفر الجديدة ، وتأشيرات الخروج ، ورخص القيادة ، وشهادات الميلاد للمرة المائة . كانت جوازات السفر الخاصة بميتش وآبى تحوى صوراً حديثة ، وكان شعرهما طويلاً وداكناً . سوف يتكفل الزمن بالشعر الأشقر الذى اكتسباه حديثاً بعد أن يتمكنا من الهروب . أما صورة راى فكانت عبارة عن صورة تخص ميتش وهو طالب فى جامعة هارفارد بعد إجراء بعض التعديلات عليها ، حيث كان الشعر طويلاً ، وتبدو على وجهه الجدية الأكاديمية . كانت العينان والأنف ، وعظام الوجنتين تبدو متشابهة للغاية ، بعد إجراء تحليل دقيق ، لكن لم يكن هناك تشابه غير ذلك . كانت المستندات باسم لى ستيفن ، راتشيل جيمس وسام فورتشون ، وبها عناوين فى مدينة ميرفريسبورو ، بولاية تينيسى . لقد قام دوك بعمل متقن ، مما جعل راى يبتسم ويتفحص كل مستند .

وضعت آبى كاميرا تصوير الفيديو داخل صندوقها . قامت بطى الحامل الثلاثي ووضعته بجوار الحائط . وأخيراً وضعت أربعة عشر شريط فيديو فوق جهاز التلفاز ، بعد أن زودت كل شريط فيديو بشريط لاصق يحمل عنواناً معيناً .

بعد ست عشرة ساعة من التصوير ، صارت الشهادة المصورة بكاميرا الفيديو جاهزة . وفى بداية الشريط الأول ، كان ميتش قد واجه الكاميرا ، ورفع يده اليمنى وأقسم أن يقول الحقيقة . كان يقف إلى جوار منضدة الزينة ومن حوله المستندات التى تغطى أرضية الغرفة . ومستخدماً ملاحظات تامي ، والمختصرات التى أعدتها وكذلك الخرائط البيانية ، أخذ يستعرض بشكل منهجى سجلات البنوك أولاً . قام بتحديد ما يزيد على مائتين وخمسين حساباً سريًّا فى أحد عشر بنكاً من جزر كايمان . بعضها كانت بأسماء أشخاص ولكن معظمها

كانت حسابات رقمية . وباستخدام نسخ من مستندات مطبوعة أخذ يرتب تواريخ هذه الحسابات . الإيداعات النقدية ، التحويلات الالكترونية وعمليات السحب . وفي نهاية كل مستند استخدمه في شهادته ، كان يستخدم قلماً أسودُ عريضاً لكي يكتب الحروف الأولى من اسمه وهي " م م " ثم يكتب رقم الدليل : " م م ١ " ، " م م ٢ " ، " م م ٣ " وهكذا . بعد أن أورد الدليل " م م ١٤٨٥ " ، كان قد قام بتحديد تسعمائة مليون دولار تقبع في بنوك كايمان .

بعد الانتهاء من سجلات البنوك ، أخذ يشرح باجتهاد الهيكل التأسيسي لعمليات المافيا . خلال عشرين سنة ، ثم تأسيس ما يزيد على أربعمائة مؤسسة في جزر كايمان عن طريق عائلة مورولتو ومحاميها الأغنياء الفاسدين . والكثير من هذه المؤسسات كانت تمتلك أصول المؤسسات الأخرى أو بعضها وتستخدم البنوك كوكلاء معتمدين وعناوين دائمة . ولقد علم ميتش بسرعة أنه لا يمتلك سوى جزء بسيط من السجلات ، وتوقع ، أمام الكاميرا ، أن تكون معظم المستندات مخفية داخل قبو مبنى بنديني في ممفيس . وشرح أيضاً ، من أجل هيئة المحلفين ، أن الأمر قد يتطلب سنة كاملة وجيشاً صغيراً من محققي مصلحة الضرائب من أجل وضع أجزاء لغزٍ عائلة مورولتو مع بعضها . أخذ يشرح كل مستند ببطء ، ويعطيه رقماً ثم يقوم بإدراجه في أدلة القضية . كانت آبي تقوم بعملية التصوير . أما راى فكان يراقب ساحة الانتظار ويدرس جوازات السفر المزيفة جيداً .

أخذ ميتش يشهد لمدة ست ساعات حول عدة طرق متنوعة تستخدمها عائلة مورولتو ومحاموها من أجل تحويل الأموال غير الشرعيةٍ إلى أموال قانونية سليمة المصدر . وكانت أسهل الطرق والأكثر تفضيلا هي نقل حمولات من الأموال القذرة على متن طائرة شركة بنديني الخاصة ، بصحبة محاميين أو ثلاثة من أجل المظهر القانوني

للرحلة . ولأن المخدرات تُهَرّب إلى داخل البلاد براً ، وجواً ، وبحراً ، فإن جمارك الولايات المتحدة تكون أقل تركيزاً على ما يغادر البلاد . لقد كانت عملية في غاية البراعة . كانت الطائرات تغادر وهي محملة بالأموال القذرة وتعود بدونها . وما إن تصل الأموال أراضي جراند كايمان ، يقوم أحد المحامين من المسافرين على متن الطائرة بتقديم الرشاوى المطلوبة إلى جمارك الجزيرة ومسئولى البنك المختار لإيداع الأموال . وفي بعض الشحنات ، كانت نسبة الرشاوى تزيد على خمسة وعشرين بالمائة من كمية الأموال .

وما إن توضع الأموال داخل حسابات بدون أسماء أو أرقام ، يصبح من المستحيل تتبع هذه الأموال . ولكن كثيراً من المعاملات البنكية كانت تتم فى أوقات تتوافق بشكل رائع مع الأحداث المهمة داخل المؤسسات . وكانت الأموال عادة ما تودع داخل أحد الحسابات الرقمية المجمعة أو " الحسابات الخارقة " كما أسماها ميتش . وقد أعطى ميتش هيئة المحلفين أرقام هذه الحسابات ، وأسماء البنوك . بعد ذلك ، وعندما يتم إنشاء مؤسسة جديدة ، تتم عملية تحويل الأموال من داخل الحسابات الخارقة إلى حساب المؤسسة الجديدة ، وغالباً فى نفس البنك . وما إن تمتلك مؤسسة شرعية فى جزر كايمان الأموال القذرة ، حتى تبدأ عملية غسيل الأموال . وأبسط الطرق وأكثرها شيوعاً لغسيل الأموال هى أن تقوم تلك المؤسسة بشراء عقارات أو أصول داخل الولايات المتحدة . كانت عمليات البيع والتسجيل يتولاها محام بارع بشركة بنديني ، لامبرت أند لوك ، وكانت كل الأموال تنقل عن طريق التحويل الالكترونى . وعادة تقوم مؤسسة فى كايمان بشراء مؤسسة أخرى فى كايمان والتى يتصادف كونها تمتلك مؤسسة فى بنما والتى بدورها تمتلك شركة قابضة فى الدانمارك . تقوم الشركة القابضة فى الدانمارك بشراء مصنع رولمان بلى فى توليدو وتقوم بتحويل أموال

الصفقة من بنك فرعى في ميونخ . وهكذا تصبح الأموال القذرة أموالاً شرعية .

بعد أن قام بترقيم الدليل " م م ٤٢٩٢ " ، انتهى ميتش من الشهادة . إن ست عشرة ساعة من الشهادة المصورة أمر كافٍ . لن تعترف المحكمة بهذه الشهادة المصورة ، ولكنها سوف تؤدى الغرض على أية حال . سوف يعرض تارانس ورفاقه هذه الشهادة المصورة على قاض من المحكمة العليا ويقومون بإدانة ثلاثين محامياً من شركة بنديني على الأقل . ويستطيع تارانس أن يعرض الشهادة على القاضى الفيدرالى ويحصل على مذكرة تفتيش للمبنى .

لقد التزم ميتش بنصيبه من الاتفاقية . وعلى الرغم من أنه لن يكون متواجدا لكى يشهد بنفسه داخل المحكمة ، فإنه لم يتسلم سوى مليون دولار فقط ، وهو على وشك أن يسلم المباحث أكثر مما توقعوا الحصول عليه . كان في شدة الإرهاق البدنى والنفسى ، فجلس على حافة السرير وكانت الأضواء مغلقة . جلست آبى فوق مقعد وعيناها مغلقتان .

نظر راى خلال ستائر النافذة وقال : " نحن بحاجة إلى شراب بارد " .

صاح ميتش : " انس الأمر يا راىٍ " .

استدار راى وحدق النظر إليه قائلاً : " اهدأ يا أخى الصغير . إن المكان مظلم بالخارج ، والمتجر على بعد خطوات على الشاطئ . أستطيع أن أتولى حماية نفسي " .

" دعك من هذا يا راى . لا توجد حاجة للمخاطرة . سوف نغادر خلال عدة ساعات ، وإذا سارت الأمور بخير ، سيكون لديك بقية حياتك لتشرب كما تشاء " .

لم يكن راى ينصت إليه . وضع قبعة رياضية فوق رأسه بإحكام ، ووضع بعض المال فى جيبه ومد يده ليلتقط المسدس .

قال ميتش فى توسل : " من فضلك يا راى ، اترك المسدس على الأقل " .

دس راى المسدس أسفل قميصه وخرج من الباب . سار مسرعاً فوق الرمال خلف الفنادق الصغيرة والمتاجر ، مختفياً فى ظلال الفنادق وهو يحلم بذلك الشراب البارد . توقف خلف متجر العاديات ، ونظر من حوله بسرعة وتأكد من أن أحداً لا يراقب المكان ، ثم سار إلى الباب الأمامى . كانت ثلاجة المشروبات الغازية تقبع فى مؤخرة المتجر .

فى ساحة الانتظار المجاورة للشريط الساحلى ، اختبأ لامار كوين أسفل قبعة كبيرة من القش وكان يثرثر قليلاً مع بعض المراهقين من ولاية إنديانا . رأى راى يدلف إلى داخل المتجر وظن أنه قد شاهد أمراً ما . كان هناك نوع من الاسترخاء فى مشية ذلك الرجل وقد بدت تلك المشية مألوفة بشكل غامض . تحرك لامار إلى النافذة الأمامية ونظر تجاه ثلاجة المشروبات . كانت عينا الرجل مغطاة بنظارة شمسية ، لكن بدا الأنف وعظام الوجنتين مألوفين بشكل مؤكد . دلف لامار إلى داخل المتجر والتقط عبوة من البطاطس المقلية . انتظر عند منضدة دفع الحساب ووقف وجهاً لوجه أمام الرجل ، الذى لم يكن ميتشل ماكدير ولكن يشبهه إلى حد بعيد .

لقد كان راى . لابد أنه هو . كان الوجه محترقاً من الشمس ، والشعر أقصر بكثير من الموضة . وكانت العينان مختفيتين . كان له نفس الطول . نفس الوزن . نفس المشية .

قال لامار مخاطباً الرجل : " كيف حالك ؟ "

" بخير . وأنت ؟ " . حتى الصوت كان متشابهاً .

دفع لامار ثمن البطاطس المقلية وعاد إلى ساحة الانتظار . ألقى عبوة البطاطس داخل سهلة المهملات المجاورة لكابينة الهاتف وبسرعة سار إلى متجر الهدايا المجاور لكي يكمل بحثه عن عائلة ماكدير .

٤٠

. . . .

جلب الظلام نسمات خفيفة للشاطئ على طول الطريق الساحلى . اختفت الشمس بسرعة ، ولم يأت القمر فى ميعاده ليحل محلها . وقد غطى السماء سقف بعيد من السحب الداكنة التى لا تنذر بسقوط أمطار ، وأمسى الماء أسود اللون .

جلب الظلام صيادى السمك إلى جسر دان راسل فى منتصف الشريط الساحلى . تجمع الصيادون فى مجموعات من أربعة أو خمسة أشخاص على طول الهيكل الإسمنتى وأخذوا يحدقون فى صمت بينما خيوط صناراتهم التى اختفت داخل الماء الأسود على بعد عشرين قدماً إلى الأسفل . كانوا يستندون إلى حاجز الجسر دون أن تصدر عنهم أى حركة ، ومن وقت لآخر يبصق أحدهم أو يتحدث إلى صديق له . كانوا يستمتعون بالنسمات الخفيفة والهدوء الذى أحاط بالمكان والمياه الساكنة أكثر من استمتاعهم بالسمك الذى كان يلتقط الطعم من الخطاف بين لحظة وأخرى . كانوا مصطافين من شمال البلاد ممن اعتادوا أن يمضوا نفس الأسبوع كل سنة فى نفس الفندق الصغير والقدوم إلى الجسر كل ليلة فى الظلام من أجل صيد السمك والاستمتاع بالنظر إلى مياه البحر الرائعة . وقد قبعت حولهم دِلاء ممتلئة بالطُعم وثلاجات صغيرة تحوى المياه الغازية والمشروبات .

ومن وقت لآخر خلال الليل ، كان يمر فوق الجسر زوج من المحبين أو أشخاص لا يهوون الصيد ، ثم يسيرون لمسافة مائة ياردة حتى يصلون قرب نهاية الجسر . كانوا يحدقون النظر إلى المياه السوداء الرقيقة لبضع دقائق ، ثم يستديرون ويتطلعون فى إعجاب إلى ملايين الأضواء المتألقة على طول الشريط الساحلى . وقد يشاهدون حشد الصيادين الساكنين وهم يستندون على مرافقهم فوق الحاجز . لكن الصيادين لم يكونوا يلاحظون وجودهم .

لم يلاحظ الصيادون آرون ريمير وهو يسير خلفهم فى هدوء عندما كانت الساعة تكاد تصل إلى الحادية عشرة . دخن سيجارته عند نهاية الجسر ثم ألقى بنهايتها إلى مياه المحيط . أخذ يحدق النظر على طول الشاطئ وهو يفكر فى آلاف من غرف الفنادق والاستراحات .

كان جسر دان راسل هو أقرب الجسور الثلاثة فى شاطئ بنما سيتى إلى الغرب . كان الأحدث ، والأطول ، والوحيد الذى بنى بالكامل بالاسمنت . أما الجسران الآخران فكانا أقدم ومبنيين بالخشب . فى وسط الجسر كان هناك مبنى صغير من الطوب يحوى متجراً لمعدات الصيد ، ومتجراً للوجبات الخفيفة ، وبعض الحمامات . كانت الحمامات هى المكان الوحيد المفتوح أثناء الليل .

كان الجسر على بعد نصف ميل تقريباً من فندق سيجولس ريست . فى الحادية عشرة والنصف ، غادرت آبى الغرفة ٣٩ ، وسارت بهدوء بجوار حمام السباحة القذر وبدأت تتجه شرقاً على طول الشاطئ . كانت ترتدى سروالاً قصيراً ، وقبعة بيضاء من القش ومعطف مطر قامت بقلب ياقته لتلتف حول أذنيها . كانت تمشى ببطء ، واضعة يديها داخل جيوبها وكأنها إحدى متسكعات الشواطئ المولعات بالتأمل . بعد خمس دقائق ، غادر ميتش الغرفة ، وسار بالقرب من

حمام السباحة القذر وتبع آثار أقدامها . أخذ يحدق النظر إلى المحيط وهو يمشى . اقترب منه زوجان يركضان ، ينثران الماء حول قدميهما ويتحدثان فى أصوات لاهثة . وفى سلسلة حول عنقه وأسفل قميصه القطنى الأسود كانت هناك صفارة ، من باب الاحتياط . وفى جيوبه الأربعة وضع ستين ألف دولار نقداً . نظر إلى المحيط وفى عصبية أخذ يراقب آبى وهى تتقدم الطريق أمامه . عندما صار على بعد مائتى ياردة من الشاطئ ، غادر راى الغرفة ٣٩ للمرةٍ الأخيرة . أغلق الغرفة واحتفظ بالمفتاح . كان يلف حول وسطه حبلاً من النايلون الأسود طوله أربعون قدماً . أما المسدس فكان يدسه أسفل الحبل . وكان هناك معطف مطر فضفاض يغطى كل هذا بشكل جيد . كان آندى قد قبض ألفين آخرين من الدولارات مقابل الملابس والأدوات .

سار راى نحو الشاطئ . أخذ يراقب ميتش وبالكاد كان يرى آبى . كان الشاطئ مهجوراً .

كادت الساعة تصل إلى منتصف ليلة السبت ، وكان معظم الصيادين قد غادروا الجسر إلى ليلة أخرى . رأت آبى ثلاثة رجال فى تجمع صغير بالقرب من الحمامات . عبرت من جانبهم وسارت فى عدم اكتراث حتى وصلت إلى نهاية الجسر ، حيث استندت على الحاجز الإسمنتى وحدقت النظر إلى تلك المساحة الشاسعة من مياه الخليج السوداء . كانت أنوار العوامات الحمراء الطافية تنتشر على مرمىٍ البصر . وقد كونت الأنوار البيضاء والزرقاء الخاصة بقنوات المياه خطاً أنيقاً فى شرق المكان . وكان هناك ضوء أصفر يومض فى سفينة تبحر عند نهاية الأفق . لقد كانت آبى بمفردها عند نهاية الجسر .

اختفى ميتش فى مقعد على الشاطئ أسفل شمسية مطوية بالقرب من مدخل الجسر . لم يكن يستطيع أن يرى آبى ، لكنه كان يرى المحيط بشكل كامل . وعلى بعد خمسين قدماً ، جلس راى فى الظلام على إفريز

من الطوب . وكانت قدماه تتدليان داخل الرمال . انتظروا . وتفقدوا ساعاتهم .

عند منتصف الليل بالضبط ، فتحت آبي سحاب معطفها وأخرجت مصباحاً كهربياً ثقيلاً . نظرت إلى الماء بالأسفل وأحكمت قبضتها حول المصباح . أسندت المصباح إلى معدتها ، وحجبته عن الأنظار بمعطفها ، وصوبته تجاه البحر وضغطت مفتاح التشغيل ثلاث مرات . فتح ثم إغلاق . فتح ثم إغلاق . فتح ثم إغلاق . أضاء المصباح بنوره الأخضر ثلاث مرات . أمسكت به بقوة ونظرت إلى المحيط .

لم تشاهد أى استجابة . انتظرت لدقيقتين بدتا كدهر طويل ثم أضاءته مرة أخرى . ثلاث مرات . لم تشاهد أى رد . تنفست بعمق وتحدثت إلى نفسها : " اهدئى يا آبي ، اهدئى . إنه هناك فى مكان ما " . أضاءت المصباح ثلاث مرات أخرى . ثم انتظرت . ولم تر أى استجابة .

جلس ميتش على حافة كرسي الشاطئ وأخذ يتطلع إلى البحر فى قلق وترقب . من جانب عينه ، رأى ظلاً لرجل يمشي ، يكاد يركض من ناحية الغرب . قفز الظل فوق سلالم الجسر . لقد كان الرجل الاسكندينافي . ركض ميتش فوق الشاطئ متجهاً نحو الرجل .

سار آرون ريمير خلف صيادى السمك ، وحول المبنى الصغير وشاهد المرأة ذات القبعة البيضاء التى تقف عند نهاية الجسر . كانت تميل بجسدها إلى الأمام ممسكة شيئاً ما . لقد أضاء المصباح الذى تحمله ثانية ، ثلاث مرات . سار باتجاه المرأة فى صمت .

" آبى " .

قفزت المرأة واستدارت حول نفسها محاولة أن تصرخ . هجم ريمير عليها ودفعها إلى حاجز الجسر . فى الظلام ، قفز ميتش برأسه تجاه قدمى ريمير ، وسقط ثلاثتهم بقوة فوق الأرضية الأسمنتية الزلقة .

أحس ميتش بمسدس ريمير موضوعاً فى حزام سرواله من الخلف . طوح ذراعه بقوة تجاه وجه ريمير ولم يصبه . دار ريمير حول نفسه بسرعة وطوح قبضته فى ضربة قوية إلى عين ميتش اليسرى . ركلت آبى بقدميها وهى تزحف مبتعدة . أحس ميتش بالدوار وفقدان الرؤية من تأثير الضربة . وقف ريمير بسرعة ومد يده إلى مسدسه ، لكنه لم يجده فى موضعه . هجم راى كمصارع رومانى دافعاً ريمير بمنتهى القوة نحو حاجز الجسر . أطلق راى أربع لكمات كطلقات الرصاص إلى عينى ريمير وأنفه ، مفجراً الدماء من كل موضع تصل إليه لكماته . مهارات يجب أن تتعلمها وأنت فى السجن . سقط ريمير أرضاً وركل راى رأسه أربع ركلات بمنتهى القوة . أطلق ريمير صيحة ألم وخر على وجهه .

انتزع راى مسدسه وناوله إلى ميتش ، الذى أصبح واقفاً على قدميه فى تلك اللحظة ، محاولاً التركيز بعينه السليمة . أما آبى فكانت تتطلع إلى الجسر . لم يحس أحد بما جرى .

" أطلقى الإشارة " . قال راى ذلك وهو ينزع الحبل من حول وسطه . واجهت آبى الماء ، وغطت المصباح بمعطفها ، ووضعت إصبعها على المفتاح ثم بدأت تضغطه مرة بعد مرة كأنما فقدت عقلها .

" ماذا تنوى أن تفعل ؟ " تساءل ميتش هامساً ، وهو يشاهد راى ممسكاً الحبل .

" لدينا خياران . يمكننا أن نفجر رأسه أو أن نغرقه فى الماء " .

" يا إلهى " . تمتمت آبى وهى تضىء المصباح .

همس ميتش : " لا تستخدم المسدس " .

" شكرا على النصيحة . " قال راى ذلك ثم أمسك بجزء صغير من الحبل ، ولفه حول رقبة ريمير ثم جذب الحبل بقوة . استدار ميتش معطيا ظهره إلى راى واضعا نفسه كستار بين آبى وبين ما يفعله راى .

لم تكن آبى تحاول أن تنظر على أية حال . " أنا آسف . ليس لدينا خيارا آخر " . غمغم راى بذلك لنفسه .

لم تكن هناك أية مقاومة ، أو حركة من الرجل فاقد الوعى . بعد ثلاث دقائق ، زفر راى بصوت مرتفع وقال : " لقد مات " . ربط نهاية الحبل إلى عمود قصير ، ودفع الجثة أسفل الحاجز ثم أنزلها إلى الماء فى هدوء .

" سأنزل أنا أولاً " . قال راى ذلك وهو يزحف خلال الحاجز ويتسلق الحبل إلى أسفل . على مسافة ثمانية أقدام أسفل الجسر ، كانت هناك دعامة حديدية تلتصق بعمودين ضخمين من الاسمنت يختفيان داخل الماء . كانت تلك الدعامة تصلح كمكان جيد للاختباء . كانت آبى هى التالية . أمسك راى بقدميها وهى تمسك بالحبلٍ هابطة إلى أسفل . وبعينه السليمة ، لم يتمكن ميتش من التركيز جيداً وفقد توازنه وكاد يسقط فى الماء .

لكنهم هبطوا بنجاح . جلسوا فوق الدعامة الحديدية ، على بعد عشرة أقدام من الماء البارد المظلم . عشرة أقدم فوق السمك والطحالب وجثة الاسكندينافى . قطع راى الحبل حتى تسقط الجثة إلى الأعماق قبل أن تصعد مرة أخرى خلال يوم أو يومين .

جلسوا مثل ثلاثة من طيور البوم فوق غصن شجرة ، يشاهدون أضواء السفن والفنارات وينتظرون معجزة تأتيهم طافية فوق سطح الماء . كان الصوت الوحيد الذى يسمعونه هو صوت ارتطام الأمواج بالأسفل وصوت مفتاح تشغيل المصباح .

ثم جاءت بعض الأصوات من أعلى الجسر . أصوات عصبية وقلقة ومفزوعة ، تبحث عن شخص ما . ثم اختفت الأصوات .

همس راى : " حسناً يا أخى الصغير ، ماذا سنفعل الآن ؟ "

قال ميتش : " الخطة الاحتياطية " .

" وما هى تلك الخطة ؟ "

" نبدأ السباحة " .

" كم أنت ظريف " . قالت آبى ذلك وهى تضىء المصباح .

مرت ساعة من الوقت . ورغم أن الدعامة كانت فى موضع متميز ، إلا أنها لم تكن مريحة .

تساءل راى بصوت خافت : " هل لاحظت هذين القاربين هناك بعيد ؟ "

كان القاربان صغيرين ، ويبعدان ميلاً عن الشاطئ ، وخلال الساعة الماضية ظلا يبحران فى بطء وبشكل مريب إلى اليمين واليسار أمام الشاطئ . قال ميتش : " أظن أنهما قاربا صيد " .

تساءل راى : " ومن يصطاد فى الساعة الواحدة صباحاً ؟ "

فكر ثلاثتهم فى هذا الأمر . لم يكن هناك تفسير مقنع .

رأته آبى أولاً ، وتمنت وتضرعت ألا تكون الجثة قد طفت وعادت إليهم مرة أخرى . " انظرا هناك " قالت آبى ذلك وهى تشير إلى مسافة خمسين ياردة داخل البحر . لقد كان شيئاً أسود ، يستقر فوق سطح الماء ويتحرك تجاههم فى بطء . أخذوا يتطلعون إليه باهتمام . ثم سمعوا صوته ، أشبه ما يكون بصوت ماكينة خياطة .

قال ميتش : " استمرى بإضاءة المصباح " . اقترب ذلك الشيء أكثر .

لقد كان رجلاً فى قارب صغير .

" أبانكس " . همس ميتش بصوت مرتفع . توقف الطنين الصادر عن القارب .

" أبانكس " . قال ميتش ذلك مرة أخرى .

جاء الرد : " أين أنتم بحق السماء ؟ "

" هنا . أسفل الجسر . أسرع بالله عليك " .

عـاد الطـنين بصـوت أعلـى ، وأوقـف أبـانكس قـارب المطـاط أسـفل الجسر . قفزوا جميعاً من الدعامة وهبطوا ككومة واحدة داخل القارب . احتضن أحدهم الآخر في هدوء ، ثم احتضنوا أبانكس . زاد ابانكس من سرعة المحرك الكهربى بقوة خمسة أحصنة وانطلق إلى عرض البحر .

تساءل ميتش : " أين كنت كل هذا الوقت ؟ "

أجاب أبانكس في لامبالاة : " أجوب البحر " .

" لقد تأخرت " .

" لقـد تـأخرت لأننـى كنـت أتفـادى مراكـب الصـيد التـى تمتلـئ بالأغبياء ممن يرتدون ملابس السائحين ويتظاهرون بكونهم من صيادى السمك " .

تساءل ميتش : " أتظن أنهم من رجال المافيا أم المباحث ؟ "

" حسناً ، إذا كانوا بهـذا الغبـاء ، قـد يكونـون مـن أى جانـب مـن الجانبين " .

" ماذا حدث لمصباحك ذى الضوء الأخضر ؟ "

أشار أبانكس إلى المصباح الملقى بجوار المحرك وقال : " لقـد نفـدت بطاريتـه " .

* * *

كان القارب يبلغ أربعة وأربعين قدماً وقد وجده أبانكس في جاميكا معروضا للبيع مقابل مائتى ألف دولار . كان هناك أحد أصدقاء أبـانكس ينتظر عند سلم القارب وساعدهم علـى الصعود . كـان اسمـه جـورج ، جورج فقط ، وكان يتحدث الانجليزية بلكنة سريعة . قال أبانكس إنـه موضع ثقة .

قال أبانكس : " هناك الكثير من الشراب إذا كنتم ترغبـون . هنـاك في الكابينة " . عثر راى على زجاجات الشراب . وجـدت آبـى بطانيـة واستلقت فوق الأريكة الصغيرة . وقف ميتش على السطح وأخـذ يتطلـع

إلى قاربه الجديد بإعجاب . عندما وضع أبانكس وجورج القارب المطاطى على متن المركب ، قال ميتش : " دعونا نرحل عن هذا المكان . هل يمكننا أن ننطلق الآن ؟ "

صاح جورج كبحار محنك : " كما تشاء " .

حدق ميتش النظر إلى الأضواء التى تنتشر على طول الشاطئ وألقى تحية الوداع على المكان . هبط إلى أسفل وصب لنفسه قدحاً من الشراب .

كان واين تارانس ينام بعرض السرير مرتديا ملابسه كاملة . لم يتحرك من مكانه منذ المكالمة الأخيرة ، من ست ساعات ماضية . دق جرس الهاتف بجواره . بعد أربع رنات ، وجد السماعة .

" مرحباً " . كان صوته بطيئا ومضطرباً .

" عزيزى واين . هل أيقظتك من النوم ؟ "

" بالطبع " .

" يمكنك أن تحصل على المستندات الآن . إنها بالغرفة رقم ٣٩ ، فندق سيجولس ريست ، الطريق السريع رقم ٩٨ ، مدينة بنما سيتى الساحلية . موظف التسجيل يدعى آندى ، وسوف يصطحبك إلى الغرفة على الفور . تعامل مع المستندات بحرص . فقد قام صديقنا بترتيبها وترقيمها بمنتهى الدقة ، وقد ترك لك ست عشرة ساعة من شهادته المصورة بالفيديو . لذلك كن حريصا " .

قال تارانس : " لدىّ سؤال " .

" اسأل كما تشاء ، أيها الفتى الكبير " .

" أين عثر ماكدير عليك ؟ كان قيامه بهذه العملية أمراً مستحيلا بدونك " .

" شكرا لك يا واين . لقد وجدنى فى ممفيس . أصبحنا أصدقاء ، وعرض علىّ كمية كبيرة من المال " .

" كم أعطاك من المال ؟ "

" وما الذى يهمك في هذا ؟ فقط اعلم أننى لن أضطر إلى العمل مرة أخرى . يجب أن أذهب الآن يا عزيزى . لقد كان العمل معك متعة حقيقية " .

" أين هو الآن ؟ "

" بينما نتحدث الآن ، هو في طائرة متجهة إلى أمريكا الجنوبية . لكن لا تضيع وقتك محاولا الإمساك به . عزيزى واين ، أنا أعتز بك ، لكنك لم تستطع الإمساك به وهو فى ممفيس . وداعا " . انقطع الاتصال وذهبت هى إلى الأبد .

٤١

. . . .

فجـر الأحـد . أبحـر القـارب ذو الأربعـة والأربعـين قـدماً مسـرعاً باتجاه الجنوب فارداً أشرعته بالكامل أسفل السماء الصافية . كانت آبى تستغرق فى نوم عميق داخل الجناح الرئيسـى . وراح راى فـى غيبوبـة من الإجهاد واستلقى فـوق الأريكـة . أمـا أبـانكس فكـان فـى مكـان مـا بالأسفل ينال قسطاً من النوم .

جلس ميتش على سطح المركب يرتشف القهـوة البـاردة وينصت إلى جورج وهو يشرح له المبادئ الأساسية لفـن الإبحـار . كـان الرجـل فـى نهاية الخمسينات من العمر ، له شعر رمادى طويل ومصبوغ ، وبشـرة سمراء أحرقتها أشعة الشمس . كان صغير الجسم ونحيلا لكن فى قوة ، مثل أبانكس تماماً . كان استرالى المولد ، لكنه فر من بلاده منـذ ثمانيـة وعشرين عاماً ، بعد أكبر عملية سرقة بنك فى تاريخ اسـتراليا . اقتسم هو وشريكه ما يقدر بأحد عشر مليوناً مـن المـال والفضـة ، وذهـب كـل منهما فى طريقه المنفصل . ولقد سمع أخيراً أن شريكه قد مات .

لم يكـن جـورج اسمـه الحقيقـى ، ولكنـه يسـتخدمه منـذ ثمانيـة وعشـرين عامـاً ، حتـى أنـه نسـى اسمـه الحقيقـى . وصـل إلى منطقـة الكاريبى فى أواخر الستينات ، وبعـد أن رأى جزرهـا الصـغيرة التـى تقدر بالآلاف ، وسكانها البدائيين الذين يتحدثون الانجليزيـة ، قـرر أنه قد وجد موطنه أخيراً . وضع أمواله فى بنوك جـزر البهامـا وبليتـز

وبنما بالطبع ، جراند كايمان . قام ببناء مجمع سكنى صغير على شاطئ مهجور فى جزيرة ليتل كايمان وأمضى الإحدى والعشرين سنة الماضية يجوب الكاريبى على متن مركبه الضخم . أثناء الصيف وبداية الخريف ، يظل بالقرب من منزله . لكن من أكتوبر إلى مايو ، يعيش فوق مركبه وينتقل من جزيرة إلى جزيرة . لقد ذهب إلى أكثر من ثلاثمائة جزيرة فى منطقة الكاريبى . وقد أمضى سنتين فى جزر البهاما ذات مرة .

قال جورج : " هناك الآلاف من الجزر . ولن يعثروا عليك أبدا إذا ظللت تتحرك من مكان إلى آخر " .

تساءل ميتش : " هل مازالوا يبحثون عنك ؟ "

" لا أعلم . لا يمكن أن أتصل وأسألهم ، إذا كنت تفهم قصدى . لكن أشك أنهم ما زالوا يبحثون عنى " .

" ما هو أكثر الأماكن أمناً للاختباء هنا ؟ "

" على متن هذا المركب . إنه بمثابة يخت صغير لطيف ، وما إن تتعلم كيف تبحر به ، سيكون مثل منزل لك . اعثر على جزيرة صغيرة فى مكان ما ، ربما فى ليتل كايمان أو كايمان براك ــ كلتا الجزيرتين لا تزالان مهجورتين ــ وابن لك منزلاً هناك . افعل كما فعلت أنا . واقض معظم وقتك على هذا القارب " .

" متى تتوقف عن الإحساس بالقلق من أنك مطارد ؟ "

" أوه ، مازلت أفكر بالأمر ، كما تعلم . لكنى لا أشعر بالقلق حيال الأمر . كم من المال استطعت الهرب به على أى حال ؟ "

قال ميتش : " ثمانية ملايين ، أكثر أو أقل قليلاً " .

" هذا جيد . لديك المال لكى تفعل ما تريد ، لذلك عليك أن تنسى أمرهم . فقط تجول حول الجزر لبقية حياتك . هناك أشياء أسوأ من ذلك ، كما تعلم " .

لأيام أبحروا تجاه كوبا ، ثم حولها باتجاه جاميكا . راقبوا جورج وأنصتوا إلى محاضراته . بعد عشرين عاماً من الإبحار خلال منطقة الكاريبى ، أصبح جورج رجلاً ذا معرفة عظيمة وقدرة على الصبر . أما راى ، خبير اللغات ، فأخذ ينصت ويحفظ كلمات مثل شراع مثلث ، صارية ، شراع مقوس ، مؤخرة السفينة ، قرب المؤخرة ، ذراع الدفة ، رافعة حبل الشراع ، توازن أعلى الصارى ، قماش الشراع ، حبال الإنقاذ ، دعامة عمودية ، رافعة الشراع ، منصة الصارى ، حاجز المركب ، عارضة الشراع ، عروة حبل الصارى ، الشراع الرئيسى ، شراع السارية الأمامى ، مربط السفينة ، وذراع التطويل . كان جورج يعطى محاضرات فى كيفية إمالة مؤخرة المركب ، استدارة مقدمة السفينة ، الاندفاع ، فرد الشراع ، الاستدارة إلى الخلف ، الإبحار مع الريح ، توزيع الحمل ، ومعرفة اتجاه الريح . كان راى يستوعب لغة الإبحار ؛ أما ميتش فكان يدرس الطرق والأساليب .

ظلت آبى داخل الكابينة ، تتحدث قليلاً وتبتسم عند الضرورة . لم تكن الحياة فوق قارب أمراً تحلم به . افتقدت منزلها وتساءلت ماذا سيحدث له . ربما يقوم السيد رايس بجز العشب والتخلص من الحشائش الضارة . كانت تفتقد الشوارع الظليلة والحدائق الجميلة والأطفال الصغار وهم يركبون دراجاتهم . فكرت فى كلبها ، وتضرعت أن يتولاه السيد رايس بالرعاية . أحست بالقلق حيال عائلتها ـ حيال شعورهم بالأمان ومخاوفهم . أين ستراهم مرة أخرى ؟ ربما بعد سنوات ، وقد تتحمل ذلك إذا كانت تعلم أنهم سيكونون بخير .

لم تبعد أفكارها عن الحاضر . أما المستقبل فلم تكن تستطيع استيعابه بعد .

أثناء اليوم التالى لبداية حياتها الجديدة ، بدأت تكتب رسائل ؛ رسائل إلى أبويها ، إلى كاى كوين ، السيد رايس وبعض الأصدقاء .

كانت تعلم أن تلك الرسائل لن ترسل إليهم أبداً ، لكنها كانت تريح أفكارها بأن تضعها على الورق .

راقبها ميتش جيدًا ، لكنه تركها بمفردها . لم يكن لديه شيء ليقوله بالفعل . ربما يمكنهما أن يتحدثا خلال بضعة أيام .

عند نهاية اليوم الرابع ، ووافق ذلك يوم الأربعاء ، لاحت جراند كايمان أمام أعينهم . داروا حول الجزيرة مرة واحدة وألقوا المرساة على بُعد ميل من الشاطئ . بعد أن حل الظلام ، ودعهم باري أبانكس . شكره آل ماكدير ، وانطلق مبحراً داخل زورقه المطاطي . سوف يرسو على مسافة ثلاثة أميال من بودين تاون بالقرب من مركز غطس آخر ، ثم سيتصل بأحد مدربي الغطس لديه لكي يأتي ويصطحبه . سوف يعرف إذا كان هناك أي شخص مريب يتحرك في المنطقة . لم يكن أبانكس يتوقع وجود أية متاعب .

كان المجمع السكني الخاص بجورج على جزيرة ليتل كايمان يتكون من منزل رئيسي صغير مبني بالخشب الأبيض ومبنيين أصغر حجماً . لقد كان يبعد ربع ميل عن الشاطئ ، على خليج صغير . لم يكن بالإمكان رؤية أقرب منزل له . كانت هناك امرأة من سكان الجزيرة تعيش في أصغر المبنيين وكانت تتولى شئون المكان . كان اسمها فاي .

استقر أفراد عائلة ماكدير بالمنزل الرئيسي وحاولوا أن يبدأوا الحياة من جديد . كان راي ، الهارب ، يتجول فوق الشواطئ لساعات ودائماً بمفرده . كان مبتهجاً ، لكنه لم يستطع أن يظهر ذلك . كان يبحر بصحبة جورج لعدة ساعات كل يوم يتناولان الشراب ويستكشفان الجزر . عادة ما كانا يعودان في حالة بهجة ونشوة شديدة .

أمضت آبى الأيام الأولى فى حجرة بالطابق العلوى تطل على الخليج . كانت تكتب المزيد من الرسائل وبدأت فى كتابة مذكراتها . كانت تنام بمفردها ليلا .

ولمرتين فى الأسبوع ، كانت فاى تقود حافلة صغيرة إلى المدينة لتحضر المؤن والبريد . عادت ذات يوم تحمل لفافة أرسلها بارى أبانكس . سلم جورج الطرد إلى ميتش . بداخل اللفافة كان هناك طرد بريدى أرسِل إلى أبانكس من امرأة تدعى دوريس جرين وود من ميامى . فتح ميتش المظروف الكبير ووجد ثلاث صحف ، اثنتين من أتلانتا وواحدة من ميامى .

كانت العناوين الرئيسية تتحدث عن الإدانات التى صدرت بحق شركة بنديني القانونية فى ممفيس . تمت إدانة واحد وخمسين عضوا عاملاً ومتقاعداً من أعضاء الشركة ، إلى جانب واحد وثلاثين فرداً من عائلة مورولتو الإجرامية فى شيكاغو . وقد وعد النائب العام الأمريكى بمزيد من الإدانات . وقال إن ذلك ليس إلا البداية فقط . وفى تصريح لمدير مكتب التحقيقات الفيدرالية ، دينتون فويلس ، قال إن تلك العملية تعد ضربة قاصمة للجريمة المنظمة فى أمريكا . وقال لابد أن تؤخذ هذه العملية كتحذير مباشر لأصحاب المهن القانونية ورجال الأعمال الذين تنتابهم الرغبة فى التعامل مع الأموال غير الشرعية .

طوى ميتش الصحف وذهب لتمشية طويلة على الشاطئ . وتحت مجموعة من أشجار النخيل ، وجد بعض الظلة وجلس . لقد أوردت جريدة أتلانتا قائمة بكل المحامين الذين شملتهم الإدانات . أخذ يقرأ فى بطء . لم يشعر بالبهجة لرؤية الأسماء . كاد يشعر بالأسى من أجل ناثان لوك ، والى هودسون ، كنديل ماهان ، جاك الدريتش ، وأخيراً ، لامار كوين . كان بإمكانه أن يتخيل وجوههم . لقد كان يعرف

زوجاتهم وأطفالهم . أخذ ميتش يحدق النظر على طول المحيط وهو يفكر في لامار كوين وزوجته كاى . لقد أحبهما ، وكرههما فى نفس الوقت . لقد ساعدا على إغوائه للعمل بالشركة ، ولابد أن يتحملا نصيبهما من اللوم . لكنهما كانا صديقيه . يا للخسارة ! ربما يظل لامار عامين فى السجن ثم يخرج بعفو مشروط . ربما تتمكن كاى والأطفال من النجاة . ربما .

" أحبك يا ميتش " . كانت آبى تقف من خلفه ، تحمل زجاجة عصير مثلج وكأسين .

ابتسم لها وأشار إلى الموضع المجاور له وهو يتساءل : " ماذا يوجد داخل الزجاجة ؟ "

" عصير الفواكه الطازج . لقد أعدته فاى من أجلنا " .

" هل هو عصير مركز ؟ "

جلست آبى بجانبه فوق الرمل وقالت : " معظمه من فواكه الجزيرة . لقد أخبرت فاى أننا نحتاج إلى شراب منعش وقد وافقتنى الرأى " .

احتضن ميتش زوجته بشدة وأخذ يحتسى مشروبه . أخذا يتطلعان إلى مركب صيد صغير يبحر فوق مياه البحر الفيروزية .

" هل أنت خائف يا ميتش ؟ "

" أحس بالرعب " .

" وأنا كذلك . هذا جنون " .

" لكننا نجونا يا آبى . نحن أحياء وفى مكان آمن . والأهم أننا معا " .

" ولكن ماذا عن الغد ؟ واليوم الذى يليه ؟ "

" لا أعلم يا آبى . كان من الممكن أن تكون الأمور أسوأ من ذلك . كان من الممكن أن يكون اسمى فى الصحف مع بقية المحامين المدانين . وكان

من الممكن أن نلقى مصرعنا . هناك أشياء أسوأ بكثير من الإبحار حول الكاريبى وأنت تملكين ثمانية ملايين دولار فى البنك " .

" هل تظن أن والدىَّ سيكونان بخير ؟ "

" أعتقد ذلك . ماذا يمكن أن تربح عائلة مورولتو من إيذاء والديك ؟ إنهما بخير يا آبى " .

أعادت ملء الكأسين بالعصير وقبلته على وجنته . قالت : " سوف أكون بخير يا ميتش . طالما أننا معا ، يمكننى تحمل أى شيء " .

قال ميتش ببطء ، وهو ينظر إلى الماء : " آبى ، لدىَّ اعتراف أريد أن تسمعيه " .

" أنا منصتة لك " .

" الحقيقة هى أننى لم أكن أبداً أريد أن أكون محامياً " .

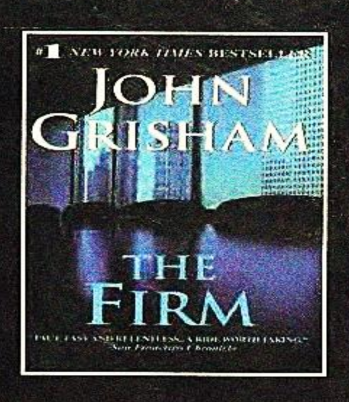
" أوه ، هكذا " .

" لقد كنت دائماً أحلم أن أكون بحاراً " .

" أحقاً هذا ؟ هل مارست الحب على الشاطئ من قبل ؟ "

تردد ميتش لجزء من الثانية قبل أن يجيب : " أوه ، كلا " .

" إذن تناول مشروبك أيها البحار . دعنا نغيب عن العالم وننجب طفلاً " .



لأنه كان من أوائل دفعته بكلية الحقوق في جامعة هارفارد، كان بإمكانه أن يختار بين أفضل الشركات القانونية في أمريكا. لكن اختياره كان خطأ قاتلا.

عندما انضم ميتش ماكدير لشركة بنديني، لامبرت آند لوك في ممفيس، ظنّ أنه وزوجته الجميلة، آبي، على الطريق نحو تحقيق الحلم الأمريكي. استأجرت له الشركة سيارة بي.أم. دبليو، ودفعت قروض تعليمه الجامعي، كما اشترت له منزلاً، وتعاقدت مع مهندسة ديكور لإضفاء اللمسات الجمالية على هذا المنزل. كان على ميتش ماكدير أن يتذكر ما عرفه بالفعل أخوه راي، الذي يقضي عقوبة السجن لمدة خمسة عشر عاماً - داخل أحد سجون ولاية تينيسي. ولكن لا يمكن للمرء أن ينال كل شيء دون مقابل. فالآن صارت المباحث الفيدرالية تعلم حقيقة الشركة التي يعمل بها ميتش وتحتاج إلى مساعدته. وهكذا يسقط ميتش بين المطرقة والسندان، وليس لديه خيار. إذا كان يريد أن يعيش.

المؤسسة

«ستشعر أنك في دوامة وأنت تقرأ هذه الرواية»

- جريدة شيكاغو تريبيون

«هذه الرواية تجذب انتباه القارئ.. من الفصول المخيفة الأولى.. مرورا باحترام الأحداث في المنتصف وحتى الهروب المثير في النهاية»

- جريدة وول ستريت جورنال



«لن ... الرواية قبل الانتهاء منها»

...دة نيوزويك

زوروا موقع جون غريشام www.jgrisham.com

